دكتور نبيل صبحي حنا

البناء الاجتماعي والثقافة في مجتمع الغجر

دراسة أنثروبولوچية لتأثير البناء والثقافة والشخصية على التكامل الاجتماعي

دار المعارف

سلسلة علم الاجتماع المعاصر
الكتاب الرابع والخمسون

البناء الاجتماعي والثقافة في مجتمع الغجر

دراسة أنثروبولوجية لتأثير البناء والثقافة والشخصية على التكامل الاجتماعي

تأليف

دكتور نبيل صبحي حنا

مدرس الاجتماع والأنثروبولوجيا
كلية الآداب — جامعة القاهرة

الطبعة الأولى
١٩٨٣

دار المعارف

فهرس

إهداء

الى من عاش سنوات ينتظر معى آمل انهاء هذا العمل ، ولكن فاضت روحه وذهب فى طريق الأرض كلها قبل ان يخرج العمل الى النور بساعات . .

الى من يرافقنى طيفه دائما بعد أن استعصى اللقاء . . . اليه حبا . . وتقديرا . . واعزاز . .

Romia Moussa

مقدمة

هذا هو الكتاب الثانى الذى يهتم بموضوع الغجر ، فقد سبق أن قدمت كتابا عن الغجر فى العالم مع اشارة خاصة للغجر فى مصر والبلاد العربية أصدرته دار المعارف سنة ١٩٨٠ .

واذا كان الكتاب الأول قد اتصف بالعمومية والشمول سواء من حيث نطاق الجماعات التى تناولها والمناطق التى تعيش فيها أو من حيث تطرقه لأكثر من موضوع يتعلق بحياة الغجر ، فان هذا الكتاب ـ على عكس الكتاب الأول ـ ينزع الى التركيز على جماعة غجرية تعيش فى اطار مجتمع واحد هو المجتمع المصرى ، وفى نفس الوقت يهتم بدراسة جوانب معينة تتعلق بحياتها الاجتماعية . فالكتاب يهتم بدراسة التكامل الاجتماعى لجماعات الغجر فى مصر من خلال التحليل العلمى لبناء وثقافة الجماعة الغجرية والتصورات السائدة عن أفرادها . ولذلك فبقدر ما سيجد القارىء فى الكتاب من معلومات وفيرة وتفصيليه عن حياة الغجر ، بقدر ما سيجد التزاما بأصول وقواعد المنهج العلمى فى الدراسة والتحليل والوصول الى النتائج .

واذ أقدم الكتاب الى القارىء العربى أرجو أن أكون قد أسهمت بجهد ـ ولو بسيط ـ فى تمهيد الطريق أمام عملية تكامل واندماج الجماعات المختلفة فى جسم المجتمع الأم لصالح الجماعة والمجتمع على السواء .

واشعر وأنا أقدم لهذا الكتاب أننى يجب أن اشكر أستاذى الجليل الدكتور محمد الجوهرى ، فهو الجندى المجهول الذى ساهم بفكره وارشاده اسهاما ايجابيا حتى خرج هذا العمل الى النور . فمازلت أذكر تشجيعه لى لخوض الميدان فى الوقت الذى كان غيره يشك فى امكانية الوصول الى نتائج

مرضية فى هذا الموضوع · ولقد آزرنى وارشدنى طوال الطريق والى ان استطعت تلخيص خبرتى المتواضعة فى صفحات هذا الكتاب ·

والشكر ايضا يهدى لكل من تعاون معى من الفجر ، فبدون تعاونهم معى لم يكن ممكنا لنتائج دراستى – التى استمرت ست سنوات – أن تظهر · ويجب أن اعترف انهم اعطونى اكثر مما اعطيتهم ، وكانوا اكثر صبرا على من صبرى عليهم ، فقد اجابوا على اسئلتى ، وقبلوا أن اشاركهم فترة من حياتهم ، فلهم منى جزيل الشكر ؟

نبيل

الباب الأول

الفصل الأول

تعريف بالدراسة والكتاب

يهتم هذا الكتاب بدراسة غجر مصر بصفة اساسية · فهناك جماعات غجرية متعددة تنتشر فى مناطق مختلفة من جمهورية مصر العربية تسود بينها علاقات معينة ، كما تربط بين كل منها وبين المجتمع الذى تعيش فيه نوعية اخرى من العلاقات · ويثير وجود هذه الجماعات – وما ينشأ عنها ويرتبط بها من ظواهر – مسائل تهم المتخصص فى علم الأنثروبولوجيا والمشتغل بالدراسات الاجتماعية والانسانية · فالغجر ينتشرون فى أجزاء متعددة من الوادى والدلتا وصعيد مصر · وتضم عائلة الغجر الكبيرة جماعات فرعية متعددة تتشابه او تختلف فى طرق المعيشة والنشاط الاقتصادى والعلاقات مع المتجمع المحيط · وقد أدى هذا الى وجود مفاهيم واتجاهات متباينة عن الغجر لدى العامة والدارسين على السواء مما أكد الحاجة الى دراسات علمية تحدد طبيعة هذه الجماعات وتقدم وصفا علميا لها وتفسيرا مقبولا لأوضاعها ، وتنظر نظرة علمية متعمقة الى المشكلات المتصلة بها · هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان هذه الجماعات تتميز بموقف فريد فى علاقتها بالمجتمع الأم ، فهى لا تتخذ موقفا منعزلا تماما عن هذا المجتمع ، كما أنها غير مندمجة فيه بصورة تتيح للتفاعل الاجتماعى أن يتخذ مجراه الطبيعى · ذلك أن أفراد الجماعة أحيانا يقيمون حواجز – بعضها مستتر – بينهم وبين أفراد المجتمع المحيط بها · وأحيانا يقيم افراد المجتمع حواجز – أحيانا شديدة الصلابة – أمام هـذه الجماعات تحول دون التفاعل الطبيعى معها · واذا أضفنا الى ذلك أن هذه الجماعات لها انماط ثقافية وأنواع نشاط اقتصادى تنفرد به ، فان الأمر يقتضى دراسة مدى تكيف أفراد هذه الجماعات للبيئة التى يعيشون فيها ، وتحديد طبيعة التباين والتمايز بينهم وبين المجتمع المحيط · وعما اذا كان هذا التمايز هو التمايز الطبيعى الذى يتسم به المجتمع المعقد الذى يؤدى الى

التضامن والتفاعل البناء ، أم أنه ذلك التباين والاختلاف الذى يؤدى الى بقاء هذه الجماعات فى وضع هامشى نتيجة تخلفها الاجتماعى واتجاهاتها سواء كانت عدائية أو مجرد اتجاهات انعزالية ٠

ونحن اذا حاولنا أن نبحث فى التراث المتاح عن الغجر فسوف لا نجد أن هناك كتابات كافية عن غجر مصر ، بل أن الدراسات العلمية تكاد تختفى تماما من الميدان ٠ وكل ما هو متوفر عبارة عن محاولات متناثرة لوصف جماعة غجرية أو غيرها وصفا قاصرا ٠ وقد كانت كل هذه المحاولات موضوع نقد وتحليل فى أحد فصول هذا الكتاب ٠

ومما يجدر الاشارة اليه أن بعض الكتاب الأجانب قد نبهوا الى اهمية الدراسة الأنثروبولوجية لجماعات الغجر فى مصر ، وأشاروا الى أن أحدا من المصريين لم يتناولها بالدراسة ٠ فقد أورد شلش فى كتابه « قبائل الغجر » أن أحدا من المصريين لم يهتم بدراسة هذه القبائل والتعرف على أماكنه تواجدها ومراقبة نشاطها والاختلاط بها ، كما يحدث فى بلدان العالم (١) ٠ كما تأسف جون ووكر John Walker على عدم وجود شخص مؤهل لغويا ولديه الرغبة فى المعيشة مع غجر مصر والاختلاط بهم بهدف أن يزود الأثنولوجيون بمعلومات صادقة عن عاداتهم وطرق حياتهم ٠ وذكر فى مقاله القصير أن ما يهدف اليه من كتابة مقاله هو أن يوضح مدى جاذبية هذا المجال للدراسة ، ومدى ضآلة معلوماتنا عن هذه الجماعات (٢) ٠ واختتم مقاله بقوله أنه يحدوه أمل فى أن تجد هذه الجماعات دارسا مهتما بصيرا يتتبع تاريخ هجرتهم ويسجل الفولكلور الخاص بهم وطرق حياتهم بهمة ومثابرة كما فعل بورو Borrow فى دراسته للغجر الذين يعيشون فى وطنه (٣) ٠ كذلك فان كينريك Kenrick ــ وهو أحد

---

(١) مصطفى شلش ، قبائل الغجر ، دار الكتاب المصرى ، الطبعة الاولى ، القاهرة سنة ١٩٥٨ ، ص ١٥٠ ٠

(٢) Walker J., The Gypsies of the Modern Egypt., The Moslem World., Vol. xx III., July 1933., p. 287.

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٨٩

الأكاديميين المهتمين بدراسة الغجر فى بلاد كثيرة - ذكر فى مقال حديث له أن هذا الوقت هو الوقت المناسب لاعادة النظر فى المادة المتوفرة عن غجر الشرق الاوسط بصفة عامة وتلخيصها للتمييز بين الجماعات المتجولة التى وفدت من الهند (يقصد الغجر) وبين الجماعات البدوية الأخرى المنتشرة فى المنطقة (٤) .

ويأتى هذا الكتاب استجابة لنداء المهتمين بدراسة الغجر ، واحساسا بأهمية فهم هذه الجماعات التى تعيش بيننا والتى تستحق الاهتمام والرعاية . وقد أدى خلو الميدان من الدراسات وضرورة تقديم دراسة متعمقة الى أن يضع المؤلف على عاتقه مهمتين ، المهمة الأولى هى تقديم وصف أقرب الى الشمول لجماعات الغجر فى مصر . فيحدد أصولهم وجماعاتهم الأساسية وأنشطتهم الاقتصادية وثقافتهم ومعتقداتهم وما الى ذلك من جوانب حياتهم الاجتماعية والثقافية . والمهمة الثانية هى تقديم دراسة متعمقة لاحدى الجماعات بحيث يمكن عن طريقها تقديم صورة أكثر عمقا وتفصيلا لطابع حياة الغجر بحيث يمكن اعتبارها نموذجا لجماعات أخرى . وهذا بالفعل هو ما تم عمله وما انعكس على أقسام هذا الكتاب ، فالباب الثانى خصص لوصف جماعات الغجر فى مصر ، أما الباب الثالث فيحوى دراسة متعمقة لجماعة غجرية واحدة .

نوعية التوجيه النظرى :

القارىء لهذا الكتاب - خاصة الأجزاء الميدانية - يدرك أن ثمة توجيها نظريا قاد المؤلف فى عملية جمع المادة وتحليلها ، ذلك التوجيه هو الاهتمام بديناميات التكامل الاجتماعى لهذه الجماعات فى جسم المجتمع الأم . وحتى فى حالة تقديم وصف شامل لجماعات الغجر فى مصر فقد كان الاهتمام متجها نحو وصف الجوانب التى تلقى ضوءا على طبيعة التكامل مع المجتمع الكبير . وفضلا عن أن هذا التوجيه يخدم ضرورة قومية اذ أن الهدف الأسمى لأى مجتمع هو تحقيق نوع من التفاعل الطبيعى والتكامل بين قطاعاته المختلفة ، فان لهذا الموضوع أهمية علمية يدركها كل من ينظر نظرة متعمقة للمجتمع

---

(٤) Kenrick D., Romanies in the Middle East., Roma., Vol. 1. Jan. 1977, p. 5.

الحديث المعقد الذى يحوى جماعات متنوعة . **ونحن نعنى بالتكامل الاجتماعى تحقيق أكبر قدر من تكيف الجماعات المختلفة داخل المجتمع الكبير ، وكذلك تحقيق امكانية اسهامها الايجابى – على الرغم مما بينها من تباين – فى مختلف نشاطات المجتمع ، والوصول بها الى مرحلة التفاعل البناء مع الجماعات الأخرى ، والوصول الى مرحلة تمكن هذه الجماعات من الحصول على خدمات المجتمع والانتفاع بها على نحو يقره المجتمع ، ورفع الحواجز التى تحول دون ذلك . ونحن لا نعنى فى ضوء ذلك المفهوم بالتكامل حدوث تماثل ثقافى تام بين جماعة الغجر وبين المجتمع الأكبر اذ أصبح افتراض التباين الثقافى وتعدد الجماعات من المفاهيم المرتبطة بالمجتمع المعقد الحديث .**

وقد تضمنت دراسة التكامل الاجتماعى لجماعات الغجر فى مصر دراسة تكامل هذه الجماعات مع بعضها واثره على التكامل مع المجتمع الكبير ، مع **الاهتمام بالنماذج التى حققت قدرا كبيرا من التكامل** وخاصة تلك الأسر التى انفصلت عن العائلة الغجرية وام تعد تتمسك بالأصل الغجرى . ويتجه الاهتمام فى هذا المجال الى بحث علاقات الغجر مع غير الغجر كأفراد ، وعلاقات الجماعة الغجرية ومع المجتمع متمثلا فى النظم والقوانين والمؤسسات والمسئولين الرسميين . وتتضمن دراسة التكامل الاجتماعى لجماعات الغجر فى مصر – وفقا للمفهوم الذى حددناه – **دراسة الحدود التى يضعها الغجر وغير الغجر على العلاقات بينهما وكيفية تدعيمها** بحيث تكون سياجا يحدد اطار كل جماعة ويعوق عملية تكامل جماعة الغجر مع المجتمع الذى تعيش فيه (٤) .

---

(٤) افترض فريدريك بارث **F. Barth** ان دراسة الجماعات الأثنولوجية يجب ان تركز على دراسة الحدود الاجتماعية Boundaries وكيفية تدعيمها . وأشار الى ان الجماعات التى لا تعيش فى عزلة تصبح فيها عملية تدعيم الحدود عملية معقدة ومتغيرة . فالواقع أن استمرار الوحدة الاثنولوجية يعتمد على تدعيم الحدود Boundary maintenance وهو يقترح أن تركز دراسة الحدود الاجتماعية على كيفية ارتباط التصنيفات الاثنواوجية Ethnic Lables بأفعالها
انظر : Sutherland., Gypsies., London 1975., p. 5.

وقد افترض الباحث انه يمكنه دراسة طبيعة وديناميات تكامل – او عدم تكامل – الجماعات الغجر من خلال دراسة ثلاثة ابعاد رئيسية هى :

١ – البناء الاجتماعى .

٢ – الثقافة .

٣ – التصورات السائدة عن الشخصية .

ويمكننا توضيح وجهة النظر هذه فيما يأتى :

من جهة دراسة **البناء الاجتماعى** : من الطبيعى اننا اذا كنا نبحث عن التكامل فاننا نبغى التعرف على الحدود التى يفرضها الغجر حول انفسهم او يفرضها المجتمع حولهم للتاثير على العلاقات الاجتماعية بين الغجر وغير الغجر . وعلى ذلك فان دراسة هذه العلاقات هى دراسة تهدف الى التعرف على نوعية التكامل مع المجتمع الاكبر . وتتطلب دراسة العلاقات ان تصنف هذه العلاقات – وفق المفاهيم الانثروبولوجية – الى علاقات قرابية ، واقتصادية ودينية وثقافية ... الخ ، وذلك لتحقيق امكانية دراستها . ذلك ان دراسة انساق معينة فى البناء الاجتماعى وبالتالى العلاقات التى تنتظم بداخلها سوف تطلعنا فى النهاية على ديناميات تكامل الجماعة مع المجتمع . فدراسة نسق القرابة يوضح مدى التماسك بين أفراد الجماعة ، كما يؤدى الى التعرف على طبيعة العلاقات القرابية وكيفية تحكم القرابة كعامل يؤثر فى العلاقات بين أفراد الجماعة والعلاقات مع الجماعات الأخرى . كما تساهم **دراسة الزواج** فى توضيح مدى قابلية الجماعة للارتباط باعضاء من جماعات أخرى . كذلك توضح دراسة النسق الاقتصادى أحد مجالات التعامل مع غير الغجر التى تتسم بالعلاقات النفعية أو الاستغلالية أو التعاونية . وتسهم المقارنات بين ما تسمح به من حرية فى التعامل الاقتصادى مع غير الغجر فى توضيح كيفية استغلال الجماعة للبيئة المحيطة مع تامين نفسها ضد الذوبان فى الجماعة الأكبر . كذلك احتاج التعرف على تطور العلاقات بين الغجر وغير الغجر **جانبا تاريخيا** يوضح التاريخ الاجتماعى لهذه الجماعات وعلاقاتها المتباينة مع الجماعات المحيطة ، **وهو ما تضمنته هذه الدراسة** اذ تم تخصيص جزء منها للتعرف على التاريخ المكتوب والتاريخ الشفاهى لهذه الجماعات .

أما من جهة الثقافة فقد انطلق الاهتمام بدراستها من اعتقاد الباحث فى فكرتين : الأولى هى ان البناء الاجتماعى والثقافة وجهين لعملة واحدة كما ذكر الدكتور أحمد ابوزيد ، وان دراسة اى منهما دون أخذ الآخر فى الاعتبار يجعل الدراسة قاصرة . والفكــرة الثانيــة هى ان المشاركة فى الممارسات الثقافية بين الجماعات يؤدى الى تقوية العلاقات وزيادة درجة التكامل والعكس صحيح . ونحن لسنا فى حاجة لأن نوضح تاثير عناصر الثقافة - فى حالتى التشابه والاختلاف - على التقارب والتباعد بين الجماعات .

اما من حيث البعد الثالث وهو دراسة **التصورات النمطية السائدة عن الشخصية الغجرية** - بما فى ذلك تصور الغجرى عن نفسه - فيرجع الفضل فى التوجيه الى الاهتمام بها الى الدراسة النظرية التى سبقت العمل الميدانى فى هذا البحث والى الدراسة الاستطلاعية أيضا . فقد اشارت كثير من الكتابات الى تاثير التصورات النمطية على العلاقات بين الغجر وغير الغجر فى مجتمعات أخرى (أنظر فصل التصور النمطى فى الباب الثالث) ، فكان من المهم التعرف على تاثيره فى مجتمعنا . ومن جهة أخرى فان الدراسة الاستطلاعية أكدت أن الناس لديهم تصورات نمطية عن طابع شخصية الغجرى تؤثر على عملية التفاعل والتعامل معه ، وبالتالى تؤثر على العلاقات بين الغجر وغير الغجر ، وبالتالى تؤثر على التكامل . وعلى ذلك يمكن القول بأن دراسة تاثير بعد خاص يتعلق بشخصية الغجرى هو سبيل للتعرف على بعد مؤثر على عملية التكــامل .

ومن المهم أن نشير الى أن هناك تداخلا وتفاعلا بين الأبعاد الثلاثة فى علاقتهم بالتكامل . وتفيد دراسة الأبعاد الثلاثة معا فى تعميق الدراسة ، فالتصور النمطى السائد يخلق اتجاهات يؤثر على العلاقات النوعية التى هى موضوع دراسة فى البناء الاجتماعى كما أن العلاقات النوعية (مثل العلاقات الاقتصادية أو الأسرية أو السياسية) توجد مجالا للتفاعل يؤثر على التصورات النمطية السائدة . وفى نفس الوقت ترتبط الثقافة بهذين البعدين فالتميز الثقافى يؤثر على العلاقات كما سبق وذكرنا ، وتؤدى العزلة الثقافية الى تكوين تصورات نمطية بين الجماعات . بل اننا يمكن ان نقول أن التصور النمطى

هو جزء من الثقافة الضمنية (٥) . وهو بدوره يخلق اتجاهات تؤثر على العلاقات ، وهكذا فان العلاقة بين الثلاثة أبعاد علاقة دائرية بالاضافة الى ذلك فاننا نعتقد ان فهم الثقافة يعتبر أساسا لفهم الكثير من جوانب الشخصية، وان تحليل البناء الاجتماعى بانساقة يعتبر اساسا لفهم المؤثرات التى تؤثر فى الشخصية (٦) .

وسوف يتضح فى فصول الدراسة التى ينقسم اليها الباب الثالث درجة تاثير كل بعد من الأبعاد الثلاثة على نسق العلاقات بين الغجر وغير الغجر وعلاقته بتاثير البعدين الآخرين بمعنى أنه فى بعض الأحيان تمنع التصورات النمطية المشاركة فى مجال العلاقات القرابية ، ويؤدى التباعد فى العلاقات القرابية الى الاستبعاد من مجال الممارسة الثقافية ، مثل الدعوة الى المناسبات وغيرها .

---

(٥) أشار بيلز الى ان جانبا من نشاطنا اليومى يخضع لأنماط وموضوعات أساسية لا نكون على وعى تام بها فكثير من روتين حياتنا اليومية نؤديه دون أدنى تفكير لأننا نكون مدفوعين اليه نظرا لأننا نحتفظ بجانب ضمنى مخفى لا يمكن الكشف عنه بمجرد مشاهدة السلوك الظاهر بل يتطلب تحليلا اعمق لدوافع هذا السلوك (بيلز وهويجر ، مقدمة فى الأنثروبولوجيا العامة ، الجزء الاول ، ترجمة د. محمد الجوهرى ، د. السيد الحسينى دار نهضة مصر للطباعة والنشر سنة ١٩٧٦ ، ص ١٦٢) . وفى ضوء ذلك يرى الباحث أن دراسة بعض انماط السلوك والعلاقات وجوانب الثقافة الظاهرة يمكن ان توقفنا عن طبيعة التصور النمطى الكامن فى ضمائر أفراد جماعة ما عن جماعة أخــرى .

(٦) أشار الدكتور أحمد أبوزيد الى ان البحث فى تنوع نماذج الشخصية يتطلب ضرورة الرجوع الى الثقافات التى ترتبط بها هذه النماذج المختلفة .

أنظر : احمد أبوزيد ، البناء الاجتماعى ، الجزء الاول ، المفهومات ، الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ، الطبعــة الثالثة ، سنة ١٩٧٠ ، ص ٢٤٣ .

الجانب الميدانى :

بناء على التوجيه النظرى السابق الاشارة اليه اتجه العمل الميدانى الى جمع معلومات تصف المجتمع الغجرى فى مصر ثم تقدم دراسة متعمقة لديناميات تكامل جماعة غجرية مع المجتمع المحيط . ونود أن نشير الى ان المعلومات الواردة فى هذا الكتاب معظمها هى حصيلة العمل الميدانى ، واذا كانت بعض الفصول قد تضمنت مناقشة لمادة علمية مكتوبة قبل ذلك فان الهدف من ذلك كان هو تحقيق الشمول فى الدراسة العلمية ، ونزول الميدان بناء على دراية بالتراث المتوفر ، ثم محاولة تقديم صورة شاملة لماضى وحاضر الجماعة موضوع الدراسة . ومع ذلك تبقى الدراسة الميدانية المؤسسة على توجيه نظرى ـ سبق ايضاحه ـ هى جوهر هذا الكتاب ومكونه الأساسى .

وقد بدأ العمل الميدانى بدراسة استطلاعية لبعض الجماعات الغجرية المتباينة بهدف التعرف على أنماطها ، ثم أعقب ذلك القيام بدراسة مسحية شاملة للجماعات الغجرية فى مصر ثم أتت فى النهاية الدراسة المركزة على جماعة ست جيرانها .

وقد اتبعت فى الدراسة المناهج الأنثروبولوجية المعروفة مع تركيز خاص على الملاحظة المشاركة والمقابلات بالاضافة الى تسلسل الأنساب اذ جمع الباحث تسلسل أنساب الجماعة موضوع الدراسة المتعمقة وحللها . وتعتبر المادة الواردة فى فصول القرابة والنشاط الاقتصادى وغيرها هى نتاج المادة التى جمعت فى تسلسل الأنساب أو المعلومات التى ارتبطت بجمع أنساب الجماعة أو اجابات الأسئلة التى جالت فى خاطر الباحث أثناء جمعة لها . وأود أن أشير الى انه فى الموضوعات التى كنت أجد مادة متوفرة فى التراث بخصوصها كنت أقوم بعرضها ومناقشتها ثم يتبع ذلك المادة الميدانية التى تم جمعها فى نفس الموضوع ، بحيث تمثل المادة المتوفرة فى التراث الجانب التاريخى وتقدم المادة الميدانية صورة الواقع الحالى فيما يتعلق بالموضوع . وقد اتبعت هذه الطريقة فى الباب الثانى على وجه الخصوص . أما الباب الثالث ، دراسة جماعة غجر ست جيرانها ، فقد تضمن مادة ميدانية خالصة .

الفصل الثانى

تعريف بالغجر

الغجر جماعات اثنية تعيش فى مناطق متفرقة من العالم . وقد ابدى الكتاب المهتمون بدراسة هذه الجماعات انها ترجع الى اصل مشترك . ولقد نال موضوع الغجر اهتمام كثير من علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع والمهتمين بالدراسات السلالية . وقد ادى انتشار هذه الجماعات انتشارا واسع النطاق فى اجزاء متفرقة من العالم ، كما ادى نمط حياتها المتميز ، وعوامل التشابه والاختلاف بينها الى جذب الباحثين الى دراستها دراسة علمية هادفة .

ومما هو جدير بالذكر أن هذا الموضوع قد وجد العديد من الباحثين الذين كرسوا دراسات علمية قدمت كرسائل للماجستير أو الدكتوراه الى الجامعات العالمية . وأدى هذا الى اثراء المكتبة الاجتماعية العالمية بتراث علمى وفنى مقدم بلغات أجنبية .

ونتيجة لهذه الاهتمامات ظهر اتجاه لدى بعض الكتاب لاستخدام المصطلح Gypsiology ليعنى « علم الغجر » . وقد أوضحت ريناكوتن Rena Cotten فى مقاليها الشهيرين « انثروبولوجى ينظر الى علم الغجر » (١) ، أن علم الغجر عليه أن يناضل لكى يحقق وجوده كعلم ، وهو مع علم الأنثروبولوجيا يجب

(١) Cotten R., An Anthropologist looks at gypsiology., Part I., Vol. 33., 1954., p.p. 107-120. Part II., Vol. 34, 1955, p.p. 20-37.

وقد ظهرت هذه الآراء فى الأعداد المشار اليها فى الدورية الخاصة بالغجر المسماة Journal of the Gypsy Lore society.

أن يثبتا مكانتهما فى مقابل العلوم الأقدم والتى تشعر بتفوق من حيث المنهج ومن حيث وسائل الضبط (١) . ويقول انجولد : أننى كانثروبولوجى أرى أن الغجر يعتبرون حقلا للدراسة لم يبذل فيه أحد جهدا كبيرا حتى الآن . فهناك جوانب متعددة يجب أن يهتم بها الأنثروبولوجى بالنسبة لهذه الجماعات ذات الأهمية الخاصة .

من هم الغجر ؟

تطلق كلمة غجر على جماعات تعيش فى بلاد كثيرة فى عالمنا المعاصر . وهى اذا كانت تعرف فى كل هذه البلاد بالاسم « غجر » ــ وهو الاسم الذى يطلقونه أيضا على أنفسهم ــ الا أن بعض هذه الجماعات قد اكتسب أسماء محلية أخرى ارتبطت بالمكان الذى تعيش فيه الجماعة . ومن أمثلة هذه الأسماء الاسم « رومانى » Rommany الذى يطلق على جماعات غجرية كثيرة تعيش فى أوروبا . كما يطلق عليهم فى فرنسا البوهيميون Bohemians نظرا لأن البعض يعتقدون انهم يتصفون بالفجور . ويطلق عليهم فى شمال أوروبا بالاسم « تتر » Tartar ويلاحظ أن الأسماء التى تطلق عليهم فى الأماكن التى يعيشون فيها ترتبط معظمها اما بصفات يتصف بها الغجر بالفعل ، أو بصفات يعتقد الناس أن الغجر يتصفون بها . وتطلق بعض البلاد الاسم عليهم بناء على نوع التجارة التى يعملون فيها كتجارة التماسيح مثلا . وفى بعض الأحيان يرتبط الاسم بالمكان الذى يعيشون فيه ، فيقال مثلا غجر أمريكا أو سوريا ... الخ .

وقد حاول بعض العلماء **تحديد السمات الأساسية للشخص الغجرى** . فقرر جورج مين G. Main أن الغجرى الحقيقى له بشرة داكنة ، وشعر أسود ، وعينان لامعتان ، واسنان براقة . ووصف يتلهاجن G. H. Tillhagen غجرى سويدى بأنه كان قصير القامة ممتلىء الجسم ذو كتفان عريضان . وكان شعره شديد السواد وجبهته نحيفة ، وعيناه بنيتان . ويرى الكتاب بصفة عامة أن الغجر الأول يتميزون ببشرة تميل الى السواد وتتدرج من اللون الزيتونى القاتم الى اللون البنى أو الأسود . ولكن على الرغم من ذلك

فقد اتضح أن بعض الجماعات الغجرية لا تتصف بهذه السمات ، فقد وصف بينهارل Pinherle جماعة غجرية أخرى قائلا : « أن معظم النساء كن شقراوات ... أما الرجال فكانوا طوال القامة وممتلئين . وبدلا من أن يكون لونهم زيتونى كانت بشرتهم حمراء قاتمة .... » . وبصفة عامة يمكن أن نقول أن هناك تنوعا وتفاوتا شديدا فيما يتعلق بالشكل الفيزيقى للجماعات الغجرية فى العالم . فقد أدى توزع الغجر فى بيئات مختلفة ، كما أدت طول فترة اقامة كل جماعة بين شعب له خصائص جسمية فريدة ، بالاضافة الى اختلاف الأحوال المناخية التى يعيشون فى ظلها الى وجود اختلافات فى ملامحهم الفيزيقية . بجانب ذلك فقد اختلط الغجر بجماعات أخرى غير غجرية حتى أنه يصعب الآن التعرف على الغجرى صاحب الدم النقى والخصائص النموذجية حتى بين الغجر الذين مازالوا يمارسون التجوال .

والغجر ليست لهم ملابس قومية ، فهم عادة مايرتدون ملابس البلد التى يعيشون فيها . وفى بعض البلاد يبقى الأولاد عرايا حتى سن ١٢ سنة اذا كان الجو يسمح بذلك ، أو ان لم يمنعهم البوليس من التجوال عرايا . وفى معظم الجماعات يرتدى كبار السن ملابس ثقيلة بعضها يشترونها مستعملة ، والبعض الآخر يحصلون عليه عن طريق الاستجداء . وتختلف الجماعات الغجرية فى مدى حرصها على اقتناء الحلى أو المجوهرات ، فبعض الغجر لا يكترثون لذلك والبعض الآخر يهتمون بالحلى والمجوهرات ، ويهتمون باستخدام أنواع الزينة المختلفة التى تستخدم فى بعض الأحيان كتعاويذ ضد أعمال السحر .

ويعيش فى بلاد العالم ما يقرب من **٦ مليون غجرى موزعين فى مناطق متفرقة من العالم** . ويلاحظ أن هناك صعوبة بالغة يواجهها كل من يحاولون تقدير أعداد الغجر نظرا لاختلاط الغجر بكثير من الجماعات التى تهيم على وجهها ، ونظرا لاختلاطهم بالعمال الذين يعملون بطريقة موسمية ، بجانب أن طبيعة ترحالهم تمكنهم من الهروب من الاحصاءات . واذا كانت أعداد الغجر فى أوروبا قد بلغت مليون أو مليون ونصف غجرى قبل الحرب العالمية الا أن أعدادهم قد تناقصت فى أوروبا بسبب الحرب ذلك أن حكومة النازى قامت بعزلهم وابادتهم ، وقد أدى هذا الى انقاص عددهم فى المانيا وحدها

ـ حسب التقديرات ـ من ثمانية عشرة الفا غجرى الى خمسة و ستة آلاف .

ويرى الكتاب أن هناك ثلاثة جماعات غجرية رئيسية تحمل الدم الغجرى هى الغجر الكالدراس The Kalderash Gypsies ، والجيتانوس Gitanos والمانوش Manush . وتنقسم كل جماعة من الجماعات الرئيسية الثلاثة الى جماعات أخرى فرعية . ويرى كتاب آخرين أن هناك جماعات غجرية أخرى غير هذه الجماعات ولكن يصعب حصرها والتعرف عليها بسبب انها مازالت تمارس التجوال . وهناك ظاهرة جديرة بالاهتمام وهى أن بعض الجماعات البدوية التى لا تنتسب الى الغجر تحاول أن تنتسب اليهم مثل صانعى السلال وبعض المشعوذين او البهلوانات من الجماعات المتنقلة التى تختلف فى طابع حياتها عن الغجر . وتحتقر الجماعات الغجرية الأساسية هذه الجماعات التى لا تعد غجرية ، ولا ترتبط معها بالزواج الا نادرا .

ويجمع الكتاب على ان لغة الغجر هى لغة هندو أوروبية ترجع بجذورها الى السنسكريتية . وبصفة عامة تتكلم كل جماعة غجرية لغتين : الأولى هى لغة البلاد الذى يعيشون فيه ، والثانية لغة سرية تختص بالغجر . ويقال ان هذه اللغة السرية تسمى باتيران Patteran وتنتشر بين الجماعات الغجرية المختلفة ، وهى لغة رمزية . وتعنى كلمة باتيران ورقة نبات leaf كما انها تعنى ايضا اشارة . وترجع هذه التسمية الى أن بعض جماعات الغجر عندما كانت تتجول كانت تترك غصنا كل مائة قدم لارشاد من يريد تتبع الجماعة من الغجر بحيث يمكن لهذه الجماعات أن تلتقى فى اى وقت .

الهند هى الوطن الأصلى للغجر :

كان اكتشاف أصول الغجر على انها أصولا هندية اكتشافا غير متوقع . فقد اظهر البحث فى أصول اللغويات أن الغجر ينتمون الى الجنس الهندى . وهم ليسوا الا قبيلية متجولة من احد الأودية الهندية . وهناك احتمال ان يكون الغجر هم سلالة الدهماء الهنود الذين طردهم الغزاة التتار من ديارهم . فلهجة الغجر تشبه تماما لهجات شمال الهند لدرجة أن الرجل الهندى الحالى

يمكن ان يفهم تماما لغة قبائل الغجر الأوروبية . ويفترض بعض الكتاب ان الغجر كانوا قبائل بدوية تمارس السلب والنهب فى الهند قبل ان يطردهم الغزاة . وهناك احتمال اكبر ان يكون الغجر قد انحدروا من طبقة منبوذة مثل الكاندالز Chandals ، فهم مثلهم مثل الغجر ليست لهم مكانة اجتماعية عالية ، وان كان من الصعب الاستناد الى فكرة المكانة وحدها كاثبات للصلة بينهما .

ويذكر الفردوسى ما يؤكد انتساب الغجر الى الهند بقوله : ان البرنس بهرام جور Behram Gour ادرك فى سنة ١٩٢٦ قبل الميلاد ان رجاله ينقصهم نوع من التسلية ، وفكر فى انعاشهم بعد ان أصابته الحيرة عندما شاهد حياتهم الصعبة . فارسل الى مهراجا الهند ، وطلب منه ان يختار من بين الأفراد بعض من ذوى المواهب لكى يرفهوا عن العمال فيخففوا عبء العمل عنهم . وقد جمع بهرام احدى عشر الفا من المتجولين المغنيين الرجال والنساء ، وحدد لهم الطريق ، وزودهم بالقمح والدواجن لكى يتمكنوا من الحصول على المال اللازم للحياة فى المناطق التى حددها لهم وذلك لكى يرفهوا عن شعبه بدون مقابل . وعندما انتهت السنة الأولى نسى هؤلاء الزراعة واستنفذوا القمح ، ولم يعد لهم مصدرا للقوت ، وقد غضب بهرام وأمر بمصادرة ممتلكاتهم ، وأدواتهم الموسيقية ، وكان عليهم ان يطوفوا البلاد وأن يكسبوا قوتهم عن طريق الغناء . ونتيجة لهذا مازال اعضاء هذه الجماعة (الغجر) يجوبون البلاد مع كلابهم وحيواناتهم يبحثون عن رزقهم ويسرقون مايجدونه فى طريقهم سواء كان ذلك فى الليل او النهار » .

ويرى البعض أنه من المؤكد أن القبائل الغجرية الأصيلة ما زالت تعيش فى الهند ولكن لسوء الحظ لم تجر عليهم أية دراسات . واذا كان بعض الكتاب مازالوا يتشككون فى انتساب جماعات الغجر الى الهند الا ان الرأى القائل بأن الهند هى المواطن الأصلى للغجر ـ وخاصة شمال الهند ـ أصبح يلقى قبولا كبيرا بين المهتمين بتاريخ الغجر . ولكن هناك بعض المسائل التى مازال يثار حولها الجدل والخلاف تتعلق بطرق حياتهم ، والمكان الذى كانوا يعيشون فيه فى الهند . وفى هذا الصدد ذكر الكتاب انه يحتمل ان

يكون الغجر قد كونوا فى فترة ما اتحادا من القبائل البدوية تتمتع بقـدر من الحرية ، وتعيش نمط حياة مشابهة لجماعات بدوية اخرى ·

اما التاريخ الدقيق الذى ترك فيه الغجر الهند فلا يعرفه احد ، كما ان اسباب الهجرة غير معروفه ايضا · ومن المحتمل انهم تركوا الهند فى مناسبات متعددة ، ولاسباب مختلفة · ومن المرجح انهم وجدوا فى فارس ثم انقسموا الى فرعين : فرع رحل جنوبا وغربا الى مصر والى شـمال افريقيا ، اما الفرع الآخر فقد اتجه شمالا الى اوروبا وبلاد البلقان ، ثم اتجهوا الى المجر ، ووصلوا الى الأجزاء الغربية من المانيا سنة ١٤١٧ ، كما وصلوا الى بولونيا فى سنة ١٤١٧ ، وعسكروا على ابـواب باريس سنة ١٤١٧ (٢) ·

هل للغجر اية علاقة بمصر ؟

ظهرت بعض الآراء التى تفترض وجود علاقة بين الغجر ومصر · ويرى أصحاب هذه الآراء ان الغجر الذين يعيشون فى اماكن متعددة ويشغلون مناطق متفرقة من العالم ترجع اصولهم الى مصر · ويقول بورتون Burton اذا كان هناك شيئا ظل ثابتا يتعلق بالغجر فذلك هو التأكيد على أنهم وفدوا أصلا من مصر ، ذلك البلد الذى منحهم السكنى والاسم ، وهو البلد الوحيد الذى استطاع فيه الغجر الحفاظ على سماتهم الفيزيقية ، وعلى مهن اجـدادهم ·

ويرى أصحاب هـذا الراى أن كلمة Gypsy (وتعنى غجـر فى اللغة الانجليزية) تعتبر تطـورا لكلمة Egyptian وان كلمة Gypsy مشتقة من الكلمة Copht ويستند أصحاب هذا الرأى فى تدعيم آرائهم الى شواهد أخرى فيقولون أن الغجر عرفوا فى أماكن كثيرة بالفراعنـة او

---

(٢) أنظر مزيد من التفصيلات عن أصول الغجر فى كتاب « جماعات الغجر » لنفس المؤلف صفحات ٦١ ـ ٨٦ ·

المصريين · فقد أطلق عليهم مثلا « الشعب الفرعونى » ، واطلق على اول مجموعة من الغجر وصلت المملكة المتحدة لوردات وايرلات مصر الصغرى وقد اطلق الغجر أيضا على أنفسهم هذا الاسم فى مناسبات متعددة · وعلى سبيل المثال لكى يستطيع الغجر لختراق حدود الدول الأوروبية ودخولها والحصول على مساعدات خيرية ادعوا أنهم كانوا فى رحلة طويلة لمدة سبع سنوات من التجوال امضوها كعقوبة حينما اعتنقوا المسيحية ·

والواقع أن الكتاب الذين قرروا ان مصر هى الموطن الأصلى للغجـر استنادا الى الدليل اللغوى او بناءا على مقارنة الأسماء لم يحالفهم التوفيق ، ولهذا ظهر الكثير من النقد لوجهات نظرهم · وقد ساق علماء آخرين الكثير من الأدلة على ان التشابه فى الاسم لايعنى النشأة المصرية · وعلى سبيل المثال استخدم هوتن Hotten نفس الدليل اللغوى فاثبت عكس الاعتقاد فى النشأة المصرية للغجر · أما بالنسبة لادعاء الغجـر أنهم مصريين فقد ذكر جونز Jones ان قولهم بانهم من سلالة المصريين ليس صحيحا ، ويحتمل ان يكونوا من سلالة آرية أو هندية · وقد لخص هوتون هذه الآراء فى قوله أن الدليل الوحيد على ان الغجر ينتمون أصلا الى مصر كان هولون البشرة ، والانتساب السلالى الى الشرق · ولكن لا المظهر الفيزيقى ولا اللغة يمكن أن تربط بينهم وبين مصر القديمة أو الحديثة ·

وقد انتهت الدراسات الجادة التى أجريت فى هذا الموضوع الى انه ليست هناك أدلة وبراهين علمية تثبت ان مصر هى الوطن الأم بالنسبة للغجر · وربما يرجع سبب اعتقاد بعض الكتاب فى النشأة المصرية الى وجود اوجه شبه بين العادات الشرقية وبين مايسود لدى بعض الجماعات الغجرية من عادات · بجانب هذا ليست هناك حقائق تاريخية تؤيد نظرية انتساب الغجر الى مصر ، فالتاريخ المصرى لم يسجل خروج جماعات مصرية الى خارج البلاد · كذلك فان الواقع لا يؤيد هذه الفكرة نظرا لأنه اذا كان الغجر أصـلا فئة من المصريين ، فما هو تفسير وجود جماعات غجرية فى مصـر ؟ ولماذا يعيشون حياة متميزة داخل مصر ؟ ولماذا يسمون غجرا ؟ ·

والسؤال الذى يتبادر الى الذهن هو : لماذا سمى الغجر مصريين ؟ علاقة بين الغجر وبين مصر ادت الى وجود مثل هذه التشابهات ؟ وفى هذا الصدد هناك احتمالان الاحتمال الأول : هو ان يكون سكان اوروبا اطلقوا على الغجر اسم « مصريين » نظرا لأنهم كانوا يمارسون العرافة ، خاصة البلاد الأخرى اذا لم تكن مصر هى الوطن الأم بالنسبة لهم ؟ وهل هناك اية وان اسم مصر قد ارتبط بمسحة قدسية وارتباط بالسحر والأسرار وأعمال العرافة والكهانة ، وبما يتصل بالغيب وبالعالم الآخر . ويؤيد هذا الرأى ان الاسم « مصريون » كان يطلق على كل المشعوزين والذين يقومون بالاستعراضات المسرحية المتنقلة فى الطرق العامة ، وذلك قبل ان يسجل رسميا وصول الغجر الى أوروبا فى القرن الرابع عشر .

والاحتمال الثانى : هو ان يكون الغجر قد مروا بمصر وهم فى طريقهم من الهند الى أوروبا ، وفى هذه الحالة يحتمل ان يكونوا قد تعلموا قراءة الطالع من مصر ثم ادعوا انهم مصريين . ولعل ما يؤيد هذا الرأى ان كينريك ـ وهو حجة فى التاريخ الغجر ـ يرى أنه اذا كانت اللغة والشواهد الأخرى تدل على أن غجر اوروبا ينتمون الى جماعات تركت الهند منذ الف سنة ، فانهم قد قضوا وقتا قصيرا نسبيا فى الشرق الأوسط . ويرى ابتسون Ibbetson ان لغة قبائل الغجر فى مصر تشير الى أن الهند هى الوطن الأصلى للغجر . وقد افترض وليم جونز W. Jones أن القراصنة المشهورين : السنغار Sanghars والسنجانيانز Sanganians قد استقروا على شواطىء البحر الأحمر ، ومروا على مصر وهم فى طريقهم الى جنوب شرق اوروبا على انهم زينجانى Zingani أوزينجارى Zingary وهؤلاء هم الغجر .

النظرة الى الغجـر :

عانت الجماعات الغجرية فى اوروبا ـ على وجه الخصوص ـ معاناة شديدة من الوان التحيز والاحتقار والاضطهاد خلال تاريخها الطويل الذى

عاشته بين شعوب تلك المناطق . وفى بعض الأحيان كان الغجر مسئولين عن روح العداء التى ظهرت ضدهم والتى قادت الى اضطهادهم ، وفى أحيان اخرى كان المجتمع المحيط (مجتمع غير الغجـر) مسئولا عن هـذه الروح العدائية . وما حدث هو أنه بعد فترة قصيرة من دخول الغجر أوروبا وجدوا انفسهم قد تقهقروا فى السلم الاجتماعى واصبح ينظر اليهم على انهم جماعة من الطبقة الثانية . وعندما تكونت تصورات معينة عن الغجر عند أهالى هذه المناطق ورسخت بمرور الزمن تراكم عند الناس شعور بغيض بالعداء والكراهية للغجـر .

وقد تسبب المفهوم العنصرى الذى رسخ فى عقلية الغربى فى **ان البشرة السوداء تعنى التخلف والانحطاط والشر** الى تعرض الغجر لكثير من المتاعب . وقد قرن الناس بين الظلام والسواد بين بشرة الغجرى . فهناك مثل يقول نفس الشمس تجعل الكتان ابيضا والغجرى أسود ، ومثل آخر يقول « اسود مثل غجرى » . كذلك أدى الغموض الشديد الذى غلف لغة الغجر ، وجهل الناس باصولها ومصدرها ان يشك الناس فيهم ويكرهونهم .

أما العامل الذى أثر تأثيرا قويا فى ظهور الاتجاه العدائى نحو الغجر هو أنه فى وقت وصول الغجر الى أوروبا **لم تكن لهم ديانة محددة** لهذا تعرضوا لهجوم رجال الدين . وقد كان الجميع يشعرون أن الغجر جماعة شاردة نظرا لأنهم لم ينضموا الى أى من الطوائف الدينية السائدة فى ذلك الوقت . وقد أعتبر الغجر على سبيل المثال فى جنوب شرق أوروبا جماعة لادين لها ، وأدى هذا الى أن يقابلوا بالاحتقار وأحيانا بالانتقام .

وقد تعرض الغجر نتيجة لهذا لضغوط كثيرة ، وأدت هذه الضغوط الى أن يمارس الغجر بعض الجرائم وأن يلجأوا الى الاحتيال . وقد أدى سكنى الغجر فى المناطق الهامشية من البلاد الى زيادة الشك فيهم . وأدت المنافسة الشديدة التى تعرضوا لها من قبل الجمـاعات الحرفية الى أن ينكروا فى استخدام ذكائهم وملكاتهم لكى يستطيعوا العيش وأن يمارسوا السرقات الصغيرة والكبيرة حينما يتمكنوا من ذلك .

وفى ظل هذا المناخ المضاد للغجر بدأت بعض الصور المتكونة عن الغجر ترسخ فى العقلية الشعبية . وكما أشرنا ساهم فى تكوين هذه التصـورات الواقع الغجر أنفسهم بجانب تحيز بعض الجهات الرسمية أو الدينية ضد الغجر ، هذا بجانب المبالغات العديدة التى عادة ماتحدث اثناء تناقل الناس للاحداث المرتبطة بالغجر . وقد تضمنت الصور المتكونة عن الغجر ما يأتى :

١ـ ان الغجر ملعونين وآتين من اصول غير طبيعية :

فقد اشيع عن الغجر انهم نغول . واعتقد الناس أنهم أبناء حام بن نوح ، وانهم مازالوا يحملون لعنة جدهم . وقد ذكرت مثلا احـــدى القصص انهم نتاج سفاح القربى بين جن وجنية . وتقول قصة أخرى أنهم سلالة جنس من الأقزام عاش فى مرحلة ما قبل التاريخ . وقد وضع الغجر فى موضع شك فيما يتعلق بأصولهم لأنهم لم يكونوا سلالة نقية . ولم ينتج هذا فقط من اختلاطهم بالشعوب التى مروا بها أو عاشوا بينها ، بل أيضا بسبب اختلاطهم وتزاوجهم من أحقر الجماعات الاجرامـيـــة بين كلكتـــه وستوكهولم . فقد نتج عن هذا الاختلاط سلالة منحطة تشغل كل مكانه مرفوضة ومحتقرة فى أوروبا .

٢ـ ان الغجر ســـحرة :

كانت ممارسة الغجر للسحر احد الأسباب التى أدت الى الخـــوف الشديد منهم . فقد مارس الغجر رؤية الطالع ، وكانت الأعمال السحرية تصاحب العلاج بالأعشاب فى حالة علاج أمراض الانسان أو الحيوان على السواء . وقد استخدم السحر وحده لعــلاج الملتـــاع من الحب . وكان استخدامهم للسحر فى معظم الأحيان لأغراض خيرة غير ضارة . وقد ساد بين الناس اعتقاد بان الغجر لديهم قدرة على السيطرة على النار . ولهذا اعتقد الناس ان القرية التى يسكن فيها الغجر لايشب فيها الحريق ، وفى نفس الوقت كانوا يلومونهم لأنهم يتسببوا فى اشعال الحريق فى المستنقعات

٣ـ ان الغجر ياكلون لحوم البشر :

فقد اعتقد الناس فى تركيا والبانيا ان الغجر يحفرون القبور وياكلون الجثث ويرجع ذلك الى ان الغجر فى هذه البلاد كانوا يدفنون موتاهم فى اماكن غير معروفة . وقد ترتب على وجود هذا الاعتقاد قيام الأهالى والجهات الرسمية ببعض الاجراءات ضد الغجر ، فقد قبض البوليس مثلا على مائتى غجرى فى المجر سنة ١٧٨٢ بتهمة اكل بعض الأشخاص . وبعد محاكمتهم اتضح أن هؤلاء الأشخاص مازالوا احياء .

٤ـ ان الغجر يخطفون الأطفال :

اشيع عن الغجر فى مناطق متفرقة من أوروبا انهم يخطفون الأطفال . وقد ساعد على وجود وترسيخ هذا المفهوم فى العقلية الشعبية عن الغجر كثير من المسرحيات التى قدمت الغجر على انهم خاطفى اطفال . والواقع انه لم توجد تقارير واقعية قائمة على شواهد تؤكد قيام الغجر بسرقة الأطفال ، كما ثبت ان بعض الحالات كانت مجرد ادعاء . ويرجع السبب فى هــذه القصص والشائعات الى أن الناس عادة مايلاحظون عددا كبيرا من الأطفال فى معسكرات الغجر ، ويلاحظون بينهم من يتميزون ببشرة شقراء وشــعر أصفر . ويعتقدون أن هؤلاء الأطفال ليسوا أبناء الغجر السود وبالتالى فهم مســـروقين .

٥ـ ان الغجر يجلبون القاذورات ويتسببون فى تفشى الأوبئة :

اتهم الغجر فى بلاد كثيرة بانهم يجلبون القاذورات ، واتهمـــوا فى انجلترا بأنهم يتسببون من ظهور الفئران فى الشـــوارع . وفى كثير من الأحيان اتخذت الاحتياطات الصحية لتجنب الأخطار التى يمكن ان تسببها هذه الجماعة على الرغم من أن الرأى الطبى كان يرى أن الخطر أقل مما هو متصور . وقد بدأت الاتهامات توجه اليهم بسبب أن معسكراتهم تتسم بالفوضى وعدم التنظيم ولاتتوافر فيها الوسائل الصحية . واذا نظرنا الى الواقع نجد أن الغجر يتبعون قواعد للنظافة لايتبعها غيرهم من الناس ولكن

كانت هناك معتقدات غجرية تمنعهم من الافادة من الوسائل الصحية التى يستفيد منها غيرهم .

٦ ـ ان الغجر فاسدى الأخلاق :

مثلما اعتبر الناس الغجر قذرين فيزيقيا اعتبروهم ايضا فاسدين اخلاقيا . فقد كتب كاتب المانى ان كل ملكات الدعارة كن غجريات . وقد نظر الناس الى الرجال الغجر على انهم فاسدين يحاولون اغراء نساء غير الغجر . ويلاحظ أن بعض الجماعات الغجرية تخضع لنظام أخلاقى صارم . ولكن ادى الجهل بواقع حياة الغجر والحقد الموجه ضدهم ، بجانب الحرية المتاحة للناس لكى تتصور ماتريد عن بعضها الى خلق هذه الفروض والتصورات عنهم .

٧ ـ ان الغجر موضوعا للتسلية والترفيه عند الناس وخاصة النبلاء :

كان ابناء الطبقة الأرستقراطية ينظرون الى الغجر على انهم يعيشون نمط حياة فريدة خلابة . وقد كانوا يدعونهم فى بيوتهم لامتاعهم بالغناء والرقص . وفى مقابل هذا حاول بعض من هؤلاء حماية الغجر من بعض القوانين القاسية التى صدرت ضدهم . وقد نظر كثير من الناس الى الحياة الغجرية نظرة رومانسية . فقد صورت احدى القطع الفنية غجرية تصف حياتهم بقولها : « نحن أسياد الأرض والمحاصيل والغابات والآبار والأنهار . فالغابات تمدنا بالخشب بدون مقابل ، والشجر يمدنا بالفاكهة ، والعنب بالنبيذ ، والحدائق بالخضروات ، والينابيع بالمياه ، والأنهار ببساطة بالسمك ، والصخور بالظل ، والتلال بالهواء النقى وبالكهوف . ونحن ننام ببساطة على الأرض كما لوكنا ننام على سرير لين . ونحن لانبالى بالألم » .

على أن التصورات التى صورت الغجر على أنهم نبلاء يعيشون حياة خلابة لم تؤثر الا فى قلة من الناس ـ خاصة الطبقة الأرستقراطية ـ وظلت

التصورات السلبية عن الغجر تشغل عقلية أغلب الناس وتؤثر فى اتجاهاتهم نحو الغجر الأمر الذى أدى الى ظهور كثير من الوان التحيز الرسمى وغير الرسمى ضدهم (٣) .

الحياة الاجتماعية والثقافية :

تعيش الجماعات الغجرية فى مناطق تفرقة من العالم حياة فريدة . واذا كانت هناك بعض الفروق فى طابع الحياة بين جماعات وأخرى الا ان هناك سمات مشتركة بين هذه الجماعات المتعددة ، وهذه السمات الشتركة هى التى تؤكد رجوعهم الى أصول واحده . واذا كنا نهدف فى هذا الفصل الى التعرف على طابع الحياة الاجتماعية للغجر فان ذلك سوف يوضح لنا مابينها من أوجه تشابه ، ومابينها من أوجه اختلاف ايضا نظرا لأننا سوف نعرض لظواهر تنتشر بين جماعات متعددة .

واهم مايميز الطابع الغجرى هو نمط الحياة البدوية فمعظم جماعات الغجر مازالت تمارس التجوال . وتؤدى الظروف الاجتماعية والجغرافية للمجتمعات التى يعيشون فيها الى استمرار الغجر فى ممارسة التجوال ، كما تؤدى الى ذلك ايضا عاداتهم وتقاليدهم وقوانينهم الاجتماعية . فمعظم الدول لاتسمح لهم بالاستقرار فى أماكن معينة وتمنعهم من اقامة معسكراتهم داخل المدن ، أو بالقرب من بيوت الأهالى ولهذا فكلما حطوا رحالهم فى مكان يجدون فيه مقاومة فينتقلوا الى مكان آخر وهكذا . كما أن معظم الغجر لايحبون سكنى المنازل ويعتبرون أن سكنى المنازل يمكن أن يصيبهم بالمتاعب النفسية والكبت النفسى ، لهذا فهم دائمى الترحال اذ ليس لهم مكان اقامة ثابت . كما يتجول بعضهم للالتقاء بالأقارب وللبحث عن زوجات مناسبات للأبناء بين أقاربهم المقيمين فى أماكن أخرى .

وقد كان الغجر ينتقلون قديما من مكان الى آخر سيرا على الأقدام

(٣) د . نبيل صبحى حنا ، المرجع السابق ، ص ص ٨٧ ـ ١١٢ .

واحيانا على ظهور الخيل واحيانا اخرى كانوا يصطحبون بعض العربات الخشبية التى يعيشون فيها ويضعون فيها ايضا بعض ادواتهم الخاصة بالحرف التى يمارسونها · ومازالت العربة الخشبية التى تجرها الخيول وسيلة الانتقال بالنسبة لجماعات غجرية كثيرة فى اوروبا · ولكن بدأت بعض الجماعات حديثا فى استخدام العربة المقطورة التى تجرها السيارة · وهى مجهزة كمكان لاقامة ومعيشة كل افراد الأسرة ·

غير ان هناك جماعات غجرية قد استقرت ، وارتبط هذا بممارستهم بعض المهن التى تتطلب الاستقرار · ففى المجر على سبيل المثال ازداد عدد الغجر الذين يعملون فى المزارع والمصانع · وقد ظهرت رغبة بعض الجماعات الغجرية فى الاستقرار من خلال الخطابات التى تتبادلها الأسر مع الأقارب فى مناطق مختلفة من العالم ·

وتنتشر الأمية بين الغجر ، ويرجع ذلك الى اسباب تتعلق بالغجر انفسهم والى اسباب اخرى تتعلق بالمجتمعات التى يعيش فيها الغجر · وعلى هذا فمسئولية امية الغجر يتحملها الغجر وغير الغجر على السواء · فمعظم الجماعات الغجرية تصر على ان تبقى حرة تمارس التنقل والتجوال كيفما تشاء · وهذا يؤدى الى فشل اى برنامج تعليمى يوجه الى ابناء الغجر اذ ان الغجر عادة مايتركوا المكان ويرحلوا قبل ان ينتهى البرنامج · كما ان قوانين بعض البلاد لاتسمح لهم بالبقاء فى مكان واحد اكثر من ٤٨ ساعة وحتى اذا حاول الغجر الحاق أولادهم بالمدارس فانهم يواجهون معارضة علنية ومستترة من غير الغجر ·

غير انه فى السنوات الأخيرة بدأت السلطات المعنية والهيئات الأهلية تشعر ان تعليم الغجر اصبح مشكلة ملحة بدرجة كبيرة · وقد ادى هذا الى ظهور المحاولات الجادة فى هذا المجال ، وقد تمثلت هذه المحاولات فى انشاء مدارس خاصة بالغجر بعضها متنقل وبعضها ثابت · وعلى سبيل المثال اقامت اسبانيا بعض المدارس الخاصة التى تخضع لاشراف السلطة القضائية.

وتلقى الدروس فى هذه المدارس فى الهواء الطلق ، وقد طوعت المدرسة طريقة عملها وبرامجها لتناسب الثقافة البدائية للغجر ·

يمارس الغجر مهنا مختلفة فى البلاد التى يعيشون فيها · وقد كان للغجر بعض المهن التقليدية التى يتخصصون فيها مثل الحدادة والرقص والموسيقى · ولكن أجرى الغجر تعديلات على المهن التقليدية التى يعملون فيها لكى يحققوا مزيدا من التكيف فى البلاد التى قبلت اقامتهم فيها · وقد اشتهر الغجر فترة طويلة من الزمن بأنهم موسيقيين ، وكسب الكثير منهم شهرة كبيرة فى عزف الكمان والبيانو والرقص وكانوا يعملون فى الفنادق والمطاعم فى جنوب شرق اوروبا ، وفى مناطق اخرى كانت الفنادق والمطاعم تزورها ليلا فرق من الغجر · وتعمل معظم نساء الغجر فى بلاد العالم فى العرافة وخاصة قراءة الكف · ويعرف رجال الغجر بأنهم تجار خيول اذكيـاء · ويقومون فى جنوب فرنسا وشمال اسبانيا بقص شعر الخيول وتوحى الكلمات: صفاح ، ونحاس ، وصقال بأنهم كانوا مشهورين فى فترة معينة بالعمل فى الأعمال اليدوية · كذلك اشتهر بعض الغجر بأنهم كتاب وقصصيون وعمل البعض الآخر فى ترويض الخيول ، وفى السحر ، وفى صيد الأسماك والرزاف وتخصص بعضهم ايضا فى الطب الشعبى والبيطرة بينما احترفت جماعات منهم التسول · وفى مناطق اخرى عمل الغجر فى الأخشاب وقاموا بصناعة الملاعق والآنية الفخارية · ويلاحظ أن معظم الأعمال التى نسبت اليهم هى الأعمال التى ارتبطوا بها فى العصور الوسطى · ويجيد الغجر فى شرق أوروبا فن تحريك الدمى ويعمل بعضهم فى المصاغ ، وفى توزيع ورق اللعب ، وفى تجارة الخنازير والخيول ·

ويرتبط الغجر فى بنجلاديش على سبيل المثال ارتباطا اساسيا بمهنة ترقيص الأفاعى التى تدعى سابوريا وهى من نوع الكوبرا الخطـر ، وهم يصطادونها من الغابات ومن تحت أكوام المطاط ومن الأماكن المهجورة · ويقوم الغجر أولا بنزع السم من أنياب الأفعى ثم يدربونها على بعض الحركات

التى تعرضها امام الناس بمصاحبة بعض الأغانى التى تحكى قصص البطولة والانتقـــام ٠

ويعمل بعض غجر المجر فى الطوب اللبن وأعمال الحديد مثل عمل القدور الحديدية ٠ وقامت بلاجوانذا Belagunda بعمل دراسة على بعض الجماعات الغجرية الرومانية التى تعيش فى المجر ووجدت أن صناعتهم الأساسية هى عمل الأحواض وتحميصها ٠ وهم يصنعون هذه الأحواض من أعضـــاء الخشب الجوز الذى يشترونه فى كل صيف ٠ وهم ايضا يقومون بالنقش على الأخشاب فى المناطق التى تنمو فيها الأشجار ٠

اما فى انجلترا فيعمل الغجر فى صناعة دبابيس المكاتب ، وفى جمــع الفاكهة ، وفى الأعمال المتعلقة بالخيل ٠ كما يقومون بعمل السلال والمناخل والأمشاط والحصير ٠ وقد تخصصت بعض الجماعات فى أعمال الخردة ، وجمع الخرق والأسمال البالية ، وتجارة البضائع المستعملة ٠ أما الغجر المستقرون فيعملون فى خردة المعادن ، ويعملون مقاولى أعمال زراعية أو مقاولين معماريين، أو تجار ٠ وبعضهم يملك الجراجات بينما يتاجر البعض الآخر فى السيارات المســتعملة ٠

وتشتهر المراة الغجرية بانها امراة عاملة ، ويعتمد دخل الأسرة كلها فى بعض الجماعات على ماتدرة المراة من ربح من الأعمال التى تمارسها ٠ وتعد رؤية الطالع هى اشهر الأعمال التى تقوم بها النساء كما سبق وذكرنا ٠ فهى المهنة التى تشتغل بها المراة فى معظم أجزاء العالم ٠ وهن يمارســن المهنة فى الشارع وفى الأسواق والملاهى ، وفى التجمعات التى تحدث فى مناسبات اجتماعية خاصة ٠ اما الجماعات المتجولة فتمارس النساء فيها العرافة فى الأماكن التى تمر بها أو الاماكن التى تستقر فيها لعدة أيام وخاصة تلك الأماكن التى تكون بعيدة عن أعين البوليس (نظرا لأن ممارسة العرافـــة ممنوعة بحكم القانون فى كثير من البلاد الأوروبية) ، أو المناطق التى تخلو من جماعات غجرية أخرى تمارس نفس العمل وذلك بهدف عدم المضاربة ٠

ويشاع عن نساء الغجر ايضا انهن يملكن قوى سحرية خفية ٠ وانهن يستطعن عن طريق بعض التعاويذ علاج عقم النساء ، كما يمكنهن ارجـاع الزوج أو الخليل الهارب الى اذرع المفتونات ٠

للغجر ايضا معتقدات خاصة بهم ٠ ولكن تختلف هذه المعتقدات من جماعة غجرية الى اخرى وتتعدد ايضا بتعدد هذه الجماعات ٠ ويرجـع الاختلاف فى المعتقدات الى طول الفترة الزمنية منذ أن غادر الغجر الهند الى الآن ٠ فقد حدثت تغيرات كثيرة فى هذه المعتقدات ٠ بالاضافة الى أن وجود الغجر بين الجماعات غير غجرية ادى الى أن تمتزج معتقداتهم بمعتقدات غيرهم من الشعوب ولهذا فان معتقدات بعض الجماعات الغجرية عبارة عن خليط من معتقدات الغجر الأساسية ومعتقدات الشعوب التى عاشوا بينها ٠

ومن أهم المعتقدات التى تنتشر بين الجماعات الغجرية فى العـــالم الاعتقاد فيما يسمى ، بالطهارة والنجاسة ، فالغجر يعتقدون أنهم يشتركون فى بعض الأعمال ويراعون بعض القواعد التى لا يراعيها ولايهتم بها غيرهم ٠ وهم يرون أن من لايتبع هذه القواعد يصبح نجسا ، أما الغجر فنظرا لأنهم شديدى الحرص على اتباع هذه القواعد فهم طاهرين ٠ وتمنع هذه المعتقدات الغجر من التفكير فى الزواج من غير الغجر نظرا لأنهم غير طاهرين ٠ فالغجر يتجنبون الاقتراب من المراة الحامل أو المراة فى فترة الحيض ويعتبرون أن كل ما تلمسه وكل ماترتبط به نجسا يجب الابتعاد عنه ويجب احراقه بعد اجتياز هذه الفترة ، فالخيمة التى تلد فيها المراة الغجرية وكل مخلفـــات الولادة يجب أن تحرق بعد الولادة ٠ ويعتبرون أن استخـــدام الأجهـــزة والأدوات الطبية فى حالات الولادة فى المستشفيات مع أكثر من سيـــدة فى عمليات الوضع يعتبر من قبيل النجاسة لهذا يمتنعـــون عن الذهاب الى المستشفيات حتى فى حالات عسر الوضع ٠

ويتشاءم بعض الغجر ـ خاصة فى اليونان ـ بشدة من صنع ملابس الطفل قبل ولادته ٠ ولهذا يغطى الطفل المولود بقطع من الأقمشة أو الملابس

ولا يرتدى الملابس قبل مرور عشرة أيام على ولادته . وهم يقومون بغسل الطفل المولود فى ماء دافىء (بعكس غجر انجلترا وويلز والمجر والمانيا الذين يغسلونه فى ماء بارد مأخوذ مباشرة من مجرى مائى) ، ويدهنونه بزيت الزيتون ثم يدلكون اطرافه ورقبته لتليينها ، ويلفون رجليه وذراعيه حول رقبته ثم يدلكون انفه ، وتكرر هذه الطريقة لمدة اربعين يوما .

وهناك معتقدا متعددة أيضا عند الغجر تتعلق بظاهرة الموت . فهم يرون أن الغجرى يجب أن يكون نظيفا عند موته وأن يلبس الملابس الكتانية الجديدة والحذاء . وفى اليونان يشترى له أولاده جوارب قصيرة ثم يحرقون الجثة وهى مرتدية هذه الملابس . وفى بعض الجماعات يضع الغجر منديل ومشط فى جيب الصديرى كما يوضع فى الجيب الداخلى لجاكتته علبة تبغ . وقد وضع أهالى الغجرى الميت – فى احدى الحالات – فى جيبه أربع عملات ذهبية وثلاثة فرنكات فضية ، وقطعة صابون ومنشفة . ومن الطبيعى أن هذه الممارسات تتصل بمعتقدات خاصة بهم .

ويعتقد الغجر أن العالم مملوء بالعفاريت والأرواح التى لها قدرة على النفاذ فى الأشياء المادية ، لكنهم عادة مايسكنون الأشجار أو الصخور . وهم يقومون بعمليات المس بالنسبة للانسان ويحاولون خداعه .

ويعتقد بعض الغجر أيضا أن الناس فى نهاية العالم سوف يهبطون الى قاع الجحيم . وطريق الجحيم هو طريق غروب الشمس . وتقطع هذه الرحلة على ديكين . وينام الناس فى الجحيم وقت شروق الشمس فى السماء . ويعتقدون أن الشخص الذى يمكنه أن يتكلم هناك هو الذى سيحيا الى الأبد . ويحتاج الفرد أن يسير لمدة شهرين لكى يرى النور ويصل الى قلعة الامبراطور الاسود آكل لحوم البشر .

أما بالنسبة للدين عند الغجر فقد اتهم الغجر اتهامات خطيرة تدور كلها حول الاعتقاد بأنهم شعب لادين له ، وأنهم ملحدين . ولكن الواقع

يدلنا على الغجر – مثلهم مثل غيرهم من الشعوب – بينهم الملحد وبينهم المتدين . وبينهم المتدين الظاهرى والمتدين الحقيقى . والواقع يوضح لنا أيضا أن كل جماعة غجرية تدين بالدين الرسمى للدولة التى تعيش فيها . فهناك الجماعات الغجرية المسيحية تعيش فى المجتمعات المسيحية . وهناك الجماعات الاسلامية وتعيش فى المجتمعات التى تدين بالاسلام ، وهناك الجماعات الملحدة وهى أيضا تعيش فى البلاد التى لايعتنق اغلبية سكانها اى دين . ولكن أحيانا يحرف الغجر القواعد الدينية ويفهمونها بمفاهيمهم الخاصة . فتعتقد احدى الجماعات مثلا ان الله يساعد على المقايضة ، كما يطالب غجر بولندا فى صلاتهم مساعدة القديس انطونى فى سرقة الخيول .

يسود بين الغجر مجموعة من **العادات والتقاليد** الخاصة بهم ، كما يسود بينهم مجموعة أخرى من العادات والتقاليد يشترك فيها الغجر مع غير الغجر وهى تعكس أيضا تأثر ثقافة الغجر بثقافات الشعوب الأخرى .

ومن أمثلة النوع الأول من العادات والتقاليد الخاصة بالغجر عادة الاحتفال « بزواج الدم » أو « بمزج دم العروسين » وفى هذا الاحتفال يجرح معصما الفتى والفتاة ويلصقان ببعضهما لكى تختلط الدماء معا . كذلك اعتاد الغجرى فى لاتفيا أن يختار عروسه فى سن مبكرة وبطريقة طائشة . واذا لم يوافق كبار السن على الزواج فيمكن أن يفر الاثنان ليتزوجا فى مكان آخر . وبعد أن يتزوجا – تحت شجيرة بعدة أيام يعود الاثنان لوالدهما ويتوسلا اليه أن يقبلهما اذ أن كلا منهما قد فقد بكارته ، وذلك نظرا لأن العفة عند معظم هذه الجماعات تعتبر فضيلة .

ومن عادات الغجر الكالدراس أنه عندما يأكل الغجرى أو يشرب الشاى فلابد أن يدعو جيرانه . ومن الطبيعى أنه لايستطيع أن يدعو كل شخص بمفرده ، لهذا يخرج وينادى بأعلى صوت « ياغجر اقدموا للطعام » وهذه تكون بمثابة دعوة للرجال والنساء والأطفال . ومن الطبيعى أن الذين يستجيبون قلة من الناس لهذا فمن لايستجيب عليه أن يرد قائلا « الله يأكل

معك » . وهذا للتعبير عن ان الود مازال قائما بينهما ، وان عدم تلبية الدعوة ليس نوعا من العداء اما الذى لايجيب بهذه العبارة او باية عبارة اخرى فان ذلك يكون تعبيرا عن وجود العداء ·

اما بالنسبة للعادات والتقاليد السائدة عند الغجر والتى تشبه عادات وتقاليد الشعوب الأخرى فهى كثيرة · وعلى سبيل المثال يحيى غجر لاتفيا بعضهم بنفس التحية التى يحيى بها اللاتيون بعضهم · فهم يسلمون على بعضهم باليد · ويمكن للاخوة او الأصدقاء ان يتعانقوا لكنهم لايقبلون الأيدى · وهم يستخدمون عبارات التحية المتداولة لدى الآخرين مثل « نهارك سعيد » و « مساء الخير » · وعلى سبيل المثال فهم يقولون « لاسى تارزالا » بمعنى صباح الخير ، و « سيرتوك زالا » بمعنى كيف حالك ؟ وتكون الاجابة « ميستو » اى حسنا · أو « فوج فوجز » اى ردىء · وهى كلها عبارات مستخدمة لدى غيرهم من الجماعات ·

وتتم الجنازة عند الغجر الروس بطريقة مشابهة لطقوس الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية · فالمشاركة فى تناول البسكويت والجبن والنبيذ بعد الدفن يحتمل ان تكون بقايا لعادات كانت منتشرة لدى اليونان الأرثوذكس ، تلك العادة التى اختفت سريعا والتى كانت تتضمن ان يتناول الحزانى عشاؤهم بجوار القبر ويترك جزءا منه للروح · وهذه العادة معروفة ومألوفة لدى الجماعات غير الغجرية فى أوروبا وفى القارات الأخرى · وهناك ثلاث مناسبات يقدم فيها الغجر الذبائح للموتى ، ويسكبون شراب المز الثمين بعد سنوات من موت الشخص على حجارة القبر · مثل هذه العادة موجودة عند كثير من الشعوب البدائية فالوليمة التى تؤكل مع الموتى تنتشر لدى قبائل الهنود الحمر فى شمال أمريكا · فيأكل الجميع الطعام بجوار القبر ، وتقاد النيران ، وقبل أن يتناول اى شخص الطعام يقطع قطعة من اللحم ويلقيها فى النار اذ يعتقدون أن الدخان والرائحة المتصاعدة تجتذب الأرواح فتأتى وتاكل معهم · وهناك عادة أخرى منتشرة عند كثير من الجماعات الغجرية هى عادة الباس الميت افخر الثياب حتى ولو كانت

الجثة ستحرق بعد ذلك · فقد أحرق احد الغجر وهو يرتدى أفخر ملابسه وساعته ، وسلسلته ، ووضع فى جيبه اربعة مناديل وبندقية وشمعة · ويفسر الغجر ذلك بان الميت لابد أن يبدو فى أحسن صورة وهو يستقبل ذويه واصدقائه فى الوداع الأخير · وهذه العادة ليست قاصرة ايضا على الغجر فقط ولكنها وجدت بين شعوب أخرى ·

التوطين والتنظيم :

ظل الغجر فترة طويلة من الزمن يتجولون فى مناطق متفرقة من العالم دون أى تنظيم يحاول أن يضمهم معا ، ودون أية محاولة لتوطينهم · وكانت أول محاولة لتوطين مثل هذه الجماعات هى المحاولة التى قامت بها ماريا تريزا Maria Theresa سنة ١٧٦١ وحاولت فيها أن تحرم على الغجر التجوال ، وان تجبرهم على السكنى فى خيام وعلى التكلم بلغة خاصة · وبعدها أصدر تشالز الثالث – فى القرن الثامن عشر – قرارا بأن يؤخذ أبناء الغجر الذين تقل أعمارهم عن ستة عشرة عاما من أبويهم لتعليمهم · كما حاول الاتحاد السوفييتى فى القرن العشرين الزام الغجر بالاستقرار رغم تخلى الروس عن ذلك فى أوائل سنة ١٩٦٠ · كذلك قام الغجر أنفسهم بعدة محاولات لتنظيم جماعاتهم ، ففى الثلاثينيات من القرن التاسع عشر وجد الكويكز Kwieks كسلالة حاكمة فى بولندا · وفى نيويورك شكل ستيف كاسلوف Steven Kaslov نقابة سماها The Red Dress Gypsies ولكن لم يكتب النجاح لهذه المحاولة ·

ويعتبر أول تنظيم اجتمع فيه الغجر لغرض مشترك كان فى مدينة سانت مارى Saints Maries فى مقاطعة بروفينس Provence فى فرنسا ، وكان الهدف من هذا التجمع هو تقديم تمجيدات لنصيرتهم وراعيتهم القديسة سارة Sara · وخلال هذه المحاولات كان ينظر لمجتمعات الغجر على أنها تمثل مشكلة لهذا حاولت الدول اجبارهم على القيام ببعض الأعمال ، أو اجبارهم على الالتزام باطار للعمل حسب مفهومها الخاص · لهذا لم يكتب لهذه المحاولات النجاح ·

وتوضح الأشكال العديدة للابنية والانظمة الاجتماعية التى تسود لدى جماعات غجرية متباينة أن نظم الغجر هى أشكال بدائية من نظم الحكم . فهناك الجماعات القبلية التى تخضع لرئيس يختار بالانتخاب ، وغالبا مايكون هذا الرئيس فى مقتبل العمر ، وبجانبه توجد أم القبيلة التى تعتبر حارسة القوانين الأخلاقية للجماعة . وهى اذا كانت لاتظهر كموجهه للجماعة ولكن عادة مايؤخذ برأيها فى كل المشكلات . ويحدد الرئيس كل رحلات القبيلة . ويرشد الى الطرق المختلفة التى ستسلكها . وهو الذى يقوم بدور فعال فى الزواج الذى يمكن ابطاله اذا لم يتم فى حضورة . ويعتبر القائد فى بعض القبائل فى أمريكا وسيطا بين شعبه وبين السلطات خاصة فى حالة الانتهاكات أو الأخطاء ، كحالة الفشل فى استصدار التصاريح الخاصة بالباعة المتجولين وغيرها من المشكلات ، ويعرف القائد فى أوروبا بالدوق Duke أو السيد . ويعرف بالملك فى أمريكا الشمالية .

وللغجر قوانينهم ومحاكمهم الخاصة التى تعتبر اجراءاتها سرية لايشارك فيها الا كبار السن فى القبيلة . والجرائم الرئيسية عندهم هى سرقة غجرى من غجرى آخر يتبعه ، والخيانة الزوجية ، والأكل من طبق لمسته سيدة حامل أو طامث بهدب ثوبها ، وأكل لحم الكلاب ، ولحم الخيل ، والقسم أو الكذب فى وجود ميت . وهناك أنواع أخرى من الجرائم تختلف من قبيلة الى أخرى . واقصى عقوبة يمكن أن يعاقب بها المذنب هى الا بعاد عن القبيلة ويقال أن الحكم قد يصل فى بعض القبائل الى حد الحكم بالموت على المذنب ويتم تنفيذ الحكم باعطاء الشخص سما عشبيا يبدأ مفعوله فى داخل المعدة .

الانغلاق والتغير :

اشتهر الغجر فى العالم كله بأنهم قوم شديدى الانغلاق وشديدى الحفاظ على خصائصهم وعلى ثقافتهم ووحدتهم العنصرية . ولهذا تصور الناس كما تصور الكتاب أيضا ، أنه يصعب التأثير فيهم لتغيير طابع حياتهم القديم والانصهار فى المجتمعات التى يعيشون فيها . ولكنه ظهر تضارب

فى الآراء فى الآونة الأخيرة فالبعض مازال يصر على الاتجاه القديم الذى يقرر صعوبة تغير الغجر ، والبعض الآخر يرى أنه يمكن تغيير الغجر وبسهولة ووصلت آراء هذا الفريق الى مستوى المبالغة فى التأكيد على رغبة الغجر فى التغير . الا انه قد وجدت بعض الكتابات العلمية التى حاولت ان تسجل بشىء من الدقة والواقعية ـ بعيدا عن المبالغات ـ حجم التغيرات التى حدثت فى جوانب محددة من حياة جماعات غجرية .

ومن الكتاب الذين اكدوا مقاومة الغجر للتغيرات بونوز Bonos الذى ذكر انه على الرغم من أن الغجر قد اتصلوا عبر القرون العديدة اتصالات اجتماعية لانهائية ، ونتج عن ذلك الكثير من الصراعات ، الا أنهم مازالوا محافظين على عاداتهم وطرقهم وظلوا جماعة غير قابلة للتمثيل . لقد صمدت وقاومت هذه الجماعة التى ترجع الى أصول قديمة بأيديولوجيتها العنصرية وعاداتها المعيشية ، ومعاييرها ، وسلوكها ، ومعتقداتها كل محاولات التمثيل .

ومع ذلك فهناك تغيرات قد طرأت على بعض الجماعات ، ولعل أفضل محاولة مسهبة لدراسة هذه التغيرات هى محاولة ريناكوتن Rena Cotten التى قامت فيها بدراسة التغيرات التى حدثت للغجر الكالدراس . فقد حاولت فى هذه الدراسة تسجيل انهيار غجر أمريكا . وقد أكدت الكاتبة على أنه على الرغم من عدم قابلية الجماعة للتكامل مع المجتمع الكبير الا أنه قد حدثت بالفعل تغيرات فى طابع الحياة ، والملبس ، والمهن ، والعادات بين الغجر . وقد ساعدت مرونة الغجر على قبوله لكثير من التغيرات . فالرجل الذى بدأ حياته فى تجارة الخيول أو فى طرق النحاس يمكن أن يتحول الى تجارة السيارات . أما النساء اللواتى يمارسن رؤية الطالع فقد تقبلن العمل فى طرق حاجز اصطدام السيارات أو اصلاح الغلايات النحاسية والمثاقب . ومعظم الغجر يشتركون فى أى عمل مثلهم مثل الشعوب التى تمارس الصيد أو الجمع ممن يحتاجون لأكثر من مهارة فى كسب العيش من البيئة الطبيعية . وهم يعتبرون ذلك نوعا من المرونة فى استغلال البيئة البشرية والتكنولوجية للنفع المادى فى المكان الذى يوجدون فيه .

ويرى بعض الكتاب أن الغجر قد واجهوا تغيرا حاسما أو حادا منذ أن تركوا الهند متجهين الى غرب أوروبا • وأن الفروق والاختلافات التى توجد بين الجماعات الغجرية تعزى غالبا الى التغيرات التى حدثت عبر الزمن فلاشك أن الأفراد والجماعات قد تمثلت ثقافة شعوب أخرى عبر الفترات التاريخية • وقد تم ذلك فى بعض الأحيان عن طريق القهر • وتقول آن سذرلاند Sutherland أن غجر أمريكا على وعى بالتغيرات التى حدثت لهم حتى أن البعض يتباكى على أيام القدم التى كانوا يقضونها فى الترحال ولم يكونوا يحتاجون فيها الى طبيب أو مدرسة ، وحين كان الحراك المكانى (ترك المكان) هو الطريقة الرئيسية لحل المشكلات وممارسة الضبط الاجتماعى ، أيام كانت المهن القديمة لاتتطلب الا قدرا ضئيلا من التعلم الذى يحتاجونه اليوم فى تعاملهم مع مرافق أو أجهزة الانعاش الاجتماعى • ومن أهم مظاهر التغير الاجتماعى لدى هذه الجماعات زيادة نسبة الزواج الداخلى ، وتزايد نسبة الصراع على الموارد • وقد أدى هذا الى ظهور فكرة التأكيد على الحدود الاقليمية ، وقد ارتبطت هذه الميول بتزايد الكثافة السكانية للغجر فى الولايات المتحدة الأمريكية •

ومن الطبيعى ألا يحدث التغير لدى الغجر نتيجة لظروف واحدة • أو بشكل واحد فى كل مكان اذ قد تعددت الظروف والملابسات التى ارتبطت بالتغيرات التى حدثت للغجر فقد غيرت بعض الجماعات المهن التى تعمل فيها نتيجة توفر فرص أفضل للعمل فى المناطق المجاورة لمكان اقامتها • وتغيرت القيم الغجرية لدى بعض الجماعات بفعل طول فترة اقامة الجماعة بين جماعات غير غجرية ، وعلى سبيل المثال تغيرت القيم التى تتعلق بالحفاظ على الشرف وخطر الاختلاط الجنسى مع غير الغجر فى المجر ، فالرجال من الغجر يعيشون حياة التسرى مع النساء المجريات والعكس صحيح • كما غير كثير من الغجر طابع حياتهم الاقتصادية بسبب ظروف مماثلة أيضا فقد تخلى الغجر الذين يعملون فى صناعة المسامير الحديدية عن نمط العمل المستقل وقبلوا العمل مع أصحاب عمل آخرين • وقد نتج التغير فى أحيان أخرى عن محاولات غير الغجر العمدية لتغيير الغجر ، كالمحاولة التى قامت بها الكنيسة الأسقفية الكاثوليكية عن طريق انشاء مدارس للغجر ، ومحاولة

الأمير جوزيف هابزبرج Goseph Habesburg لتوطين الغجر على اساس أن يعيشوا حياة مدنية • وعلى الرغم من أن هذه المحاولة الأخيرة قد باءت بالفشل ، الا أن بعض الغجر الذين أتوا اليه من أماكن بعيدة قد اكرموه والفوا عنه القصص الزاخرة بالأعمال البطولية • ومن الطبيعى أن مثل هذه المحاولات كان لها بعض التأثير فى تغير جماعات معينة من الغجر •

وترى كثير من الجماعات الغجرية الآن ، خاصة هؤلاء الذين اختلطوا بثقافات أخرى ، أن حياة التنقل لم تعد هى طريقة الحياة العملية لأنها تضاعف من الصعوبات التى تواجه الغجر بخصوص التشريعات وتعليم الأطفال والعمالة المستقرة • وهذه هى الأسباب الرئيسية التى تفسر الراى القائل بان اقدامهم على اعمال أفضل ، وعلى فرص الرقى الاقتصادى والاجتماعى من خلال أعمالهم التقليدية الخاصة أمر معقد بالنسبة لمستقبل الغجر ، فقد ثبت أن مواسم العمالة والتدريب المهنى وتوفر الأعمال الواسعة النطاق تعتبر سياسة ضرورية وأساسية بالنسبة لعمليات ادماج الغجر بطريقة ناجحة فى عمليات التنمية •

وعلى الرغم من وجود عوامل متعددة يفترض أنها أدت الى تغير الجماعات الغجرية فى الماضى ، كما يمكن أن تسهم فى تغيرها أيضا فى المستقبل الا أن عامل التعليم يحظى بتأييد أكبر من الباحثين كعامل مؤثر فى تغير الغجر سواء كان هذا التعليم تعليم عام أو مهنى تخصصى • فيرى البعض مثلا أن اعادة التعليم المهنى فى المستقبل يعتبر عملا ذا أهمية قصوى بالنسبة للغجر • فالأعمال التقليدية مثل الحرف وتجارة الخيول أو البغال ، والأعمال الموسمية يمكن أن تختص أوتفقد أهميتها اذا تم تعليم الغجر • وسوف يؤدى التعليم بطرق غير مباشرة الى أن يتخلى الغجر عن عزلتهم اذ سيتم لهم فرصة العمل وسط غير الغجر ويمكن أن يؤدى هذا بدوره الى كسر الحاجز الذى يحول دون الزواج بين الغجر بالنسبة لكثير من الجماعات • كما سيؤدى أيضا الى تمثل الغجر لثقافات الجماعات الأخرى وكثرة احتكاكهم بهم • وهذا يؤدى الى التخفيف من نظرة الخوف والشك والريبة التى ينظر بها الغجر لغير الغجر وينظر بها غير الغجر الى الغجر ايضا •

الباب الثاني

الفجر في مصر

الفصل الأول

دراسة تحليلية نقدية للتراث

يهدف هذا الفصل الى القاء الضوء على ما احتوته المراجع التى تناولت موضوع « غجر مصر » ـ والتى امكن للباحث الاطلاع عليها (*) ـ وتقييمها داخل اطار المفاهيم وطرق البحث الأنثروبولوجية لتوضيح مدى صدق وقيمة ما تضمنته من معلومات وتحديد مدى الاعتماد عليها ۰ وهدف الباحث من وراء ذلك لا ينصرف الى نقد المؤلف فحسب ، بل نقد منهج البحث ، وطرق التحليل والتفسير التى اتبعها كل مؤلف حتى يتجنب الزلل ولا يقع فى أخطاء وقع فيها غيره ۰

وقد يبدو ـ لأول وهلة ـ أن الطابع العام لهذا الفصل يتخذ الطابع النظرى البحت ۰ الا أن الخبره الميدانية التي حصل عليها الباحث من دراسة جماعات الغجر فى مصر ، قد أضفت على هذا الفصل طابعا جديدا ۰ فقد تمت الدراسة الاستطلاعية قبل الحصول على هذه المراجع ، وواكب

(*) تم الحصول على المادة العلمية (المراجع) موضوع الدراسة فى هذا الفصل بالرجوع الى كثير من الفهارس الخاصة بالدراسات الاجتماعية فى مصر والخارج ، والى الببليوجرافيات المتخصصة فى دراسة الغجر خارج مصر ، والكتالوجات وقوائم الكتب الصادرة داخل المملكة المتحدة وخارجها ، بالاضافة الى ما جاء بالهوامش الواردة فى بعض المقالات الأجنبية التى تناولت موضوع هذه الدراسة ۰ وقد تم الحصول على معظم هذه المراجع عن طريق نظام تبادل المراجع السائد فى جامعات انجلترا
Inter library Loan

العمل الميدانى مع الغجر مرحلة التحليل . وبهذا افادت الخبرة الميدانية فى توجيه النقد لما جاء بالمراجع التى تناولها هذا الفصل .

واود ان اوضح ان هذا الفصل سيناقش الخطوط الرئيسية لمحتوى هذه الداسات ، وينقدها . اما المادة التى استفاد منها الباحث من هذه المراجع فسوف ترد فى موضعها فى الكتاب ، فالمادة اللغوية فى الفصل الخاص باللغة ، والمادة المتعلقة بالمهن فى الفصل الخاص بالمهن ، وهكذا .

« اولا »

نوعية المراجع المتوفرة المكونة للتراث

لقد تكشف للباحث **أن المكتبة العربية** تكاد تكون خالية من اية دراسات علمية عن الغجر فى مصر باستثناء الدراسة التى اجراها المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية عن غجر طهواى (١) . وبعض الاشارات والفقرات القصيرة غير الوافية التى جاءت فى ثنايا بعض الكتب التى تناولت موضوعات عامة ، ومن أمثلتها ما ورد بكتاب « طلب الركة » من أن الغجريات يقمن بقراءة الطالع وضرب الودع (٢) . ومما لفت نظر الباحث وشد انتباهه أن المراجع التى تناولت موضوع الغجر بصفة عامة لم يرد بها الا تلميحات غير وافية عن غجر مصر . فلم يذكر مثلا فى دائرة المعارف الحديثة الصادرة باللغة العربية تحت فقرة « غجر » سوى هذه العبارة : « ويعرف نساء الغجر فى مصر بالغوازى » (٣) . كما أن ما جاء بكتاب شلش المعنون « قبائل الغجر » (٤) لا يتعدى بضعة سطور لم يميز فيها بين جماعة وأخرى من غجر مصر ، بل تناولهم كجماعة واحدة (٥) .

هذا ويود الباحث أن يشير الى أن **الصحف اليومية والمجلات العامة** وأن كانت قد تناولت فى بعض أعدادها ما يتعلق بغجر مصر ، الا أن ذلك

---

(١) سأتناول هذا البحث بالتحليل والنقد فى ثنايا هذا الفصل .

(٢) عبد الرحمن اسماعيل ، طب الركه ، صدر فى جزئين : الجزء الأول صدر عن المطبعة البهية بمصر سنة ١٣١٠ هـ . وصدر الجزء الثانى عن مطبعة العاصمة بمصر سنة ١٨٩٤ م .

(٣) أحمد عطيه ، دائرة المعارف الحديثة ، مكتبة الانجلو المصرية ، سنة ١٩٥١ ، ص ٤٤١ .

(٤) مصطفى شلش ، مرجع سابق .

(٥) انظر شلش ، ص ص ١٤٨ ـ ١٥٠ .

لم يدخل ضمن نطاق الدراسات العلمية المتخصصة موضوع الدراسة والنقد فى هذا الفصل .

أما المكتبة الأجنبية فقد احتوت الكثير من المراجع التى تحمل عناوين يشير الى انها تتصل بمصر وبغجر مصر . بعض هذه المراجع يتعلق بالفعل بغجر مصر ، وهى موضوع دراسة وتحليل فى هذا الفصل ، وبعضها الآخر تبين - بعد الاطلاع عليه - أنه يحمل عناوين مضللة توحى بانها تتعلق بغجر مصر ، غير أن دراستها أوضحت أنها لاتتناول غجر مصر اطلاقا . ومرجع ذلك هو ما كان شائعا من وجود صلة بين الغجر وبين مصر (٦) .

ومن امثلة هذه المراجع :

** كتاب صمويل روبرتز S. Roberts عن « الغجر » (٧) الذى أفرد فيه فصلا بعنوان « مصر الحديثـة » . فعلى الرغم من أن الكتاب يتعلق بالغجر الا نه تطرق فى الفصل الخاص بمصر الى موضوعات عامة عن مصر لاتمت لغجر مصر بصله . فقد تحدث عن اهمية مصر وتاريخها ، وكيف أنها كانت محطا للأطماع الأجنبية عبر التاريخ ، وعن الآثار المصرية واهميتها . واقتصر ما جاء بنهاية الفصل على موضوع انتساب الغجر الى قدماء المصريين وعودتهم الى مصر (٨) .

** ثـلاث مقـالات بعنوان Affairs of Egypt (٩) نشـر بـدرى كرفتون Crafton اثنين منها سنة ١٩٠٨ والثالثة سنة ١٩١٠ . وتقع فى ثمان وستين صفحة صدرت فى دورية خاصة بدراسات الغجر

---

(٦) ورد هذا الموضوع بشىء من التفصيل فى كتاب عن الغجر بصفة عامة يصدر عن دار المعارف .

(٧) يقع هذا الفصل فى الصفحات من ٥٩ - ٧٣ بالكتاب ، وعنوانه : «Modern Egypt»

(٨) Roberts S., The Gypsies., Longmans., London 1836.

(٩) Crafton H.T., Affairs of Egypt., Journal of the Gypsy Lore Society., (I. Vol. I. 1908 - II Vol., 2, 1908 — III Vol., 3. 1910)

لوحظ أنها لم تتضمن اية معلومات عن غجر مصر اذ ان ماورد بهذه المقالات عبارة عن تجميع لما جاء ببعض الصحف والمجلات الأجنبية عن حوادث ومشكلات خاصة بغجر مناطق كثيرة من العالم عدا مصر ، وذلك فى الفترة من ١٨٩٢ - ١٩٠٨ . كذلك نشر طومسون Thompson مقالا بنفس العنوان فى سنة ١٩١١ وينطبق عليـه ماينطبق على مقالات كرفتون (١٠) .

المنهج المتبع فى تحليل المراجع :

من الطبيعى أن تكون مادة هذا التحليل هى المراجع (كتبا ، أو فصولا فى كتب ، أو مقالات) التى امكن الحصول عليها والتى تتعلق بغجر مصر مباشرة . اما تلك المعلومات المتناثرة التى ذكرت فى ثنايا موضوعات أخرى فى مراجع عامة فلم تستخدم بصورة مباشرة فى هذا الفصل ، ولكنها استخدمت فى فصول أخرى فى هذه الدراسة حينما كان ذلك ضروريا ، وعندما كانت المعلومات صـادقة .

ولقد وضع الباحث نصب عينيه أن الاستفادة مما جـاء بهـذه المراجع لايكون مجرد النقد للمقالات والمؤلفين ، بل يتجه الى عرض وتحليل الموضوعات التى وردت بطريقة مشتتة فى هذه المراجع . ولقد اتبع الباحث منهجين لتحقيق ذلك :

المنهـج الأول :

وهو يهدف الى دراسة وتقييم الجهود المبذولة فى الموضوع خـلال الفترة الزمنية المحصورة بين أول مؤلف صدر عن الغجر ، وبين آخر مؤلف أمكن الحصول عليه عنهم . وقد تطلب هذا دراسة ما ورد بكل مؤلف على حدة من حيث الشكل ، والمضمون ، ومنهج الدراسة ، وذلك بعد ترتيب

---

(١٠) Thompson, T.W., Affairs of Egypt., Journal of the Gypsy Lore Society., Vol. 5., 1911.

المراجع وفق التسلسل التاريخي لصدور هذه المؤلفات · وقد ساعد هذا المنهج على اكتشاف الاقتباسات التى تمت بين المؤلفين ·

المنهج الثانى :

وهو يهدف الى التعرف على التراث المتوفر فى كل موضوع ، والتمكن من تحليله ونقده · وقد تطلب ذلك استخراج المادة العلمية التى تضمنها كل مرجع ، واثباتها على بطاقات خاصة ، ثم تصنيفها الى موضوعات مع الاحتفاظ باسناد كل معلومة الى كاتبها ·وقد استلزم ذلك جهدا فى تصنيف مادة مشتتة ومتداخلة تضمنتها هذه المراجع ·

ومما يجدر الاشارة اليه أن هذين المنهجين قد ظهرت نتائجهما فى الأجزاء الأساسية المكونة لهذا الفصل · واذا كان الجزء الثالث يتضمن عرضا مختصرا (قائمة) للموضوعات التى تضمنتها هذه المراجع فان ذلك يرجع الى ان جزءا ليس يسيرا من هذه المادة قد استخدم بهدف المقارنة فى فصول أخرى · وقد حاول الباحث من خلال عرضه لكل مرجع على حدة ثم تحليل ونقد المراجع والموضوعات بصفة عامة أن يقدم صورة تتيح الفرصة لفهم وتقييم هذا التراث وتحليله فى صورة متكاملة دون تجاهل للاسهام العلمى والدقة المنهجية لكل مـلف ·

واذا كان المألوف هو اثبات المرجع فى حاشية الصفحة ، فاننا فى هذا الفصل قد اتبعنا نفس المنهج ولكن باستثناء بسيط هو أن بعض أرقام الصفحات قد كتبت بين قوسين فى النص نفسه (وهذا متبع فى بعض المراجع العلمية) وذلك تجنبا للتعقيد الذى يمكن أن يحدث اذا تم اثبات أرقام الصفحات جميعا فى الحواشى نظرا لكثرتها ·

(١٠)

« ثانيـــا »

أهم المراجـــع

لين :

المصريون المحدثون ، شمائلهم وعاداتهم فى القرن التاسع عشر (١١)

أصدر وليم لين كتابه بعنوان Modern Egyptians عن عادات وتقاليد المصريين · وعلى الرغم من أنه تناول الكثير من العادات والتقاليد المصرية ، وعلى الرغم من أنه وفق فى الكثير من الجوانب التى وصفها ، الا أن اهتمامه بالغجر كان ضئيلا جدا ، فلا نجد فى كتابه الا فقرات قليلة ومتناثرة عن غجر مصر · وقد وجه الى ما ذكره عن الغجر فى هذا الكتاب كثير من أوجه النقد (١٢) التى سنذكره فى هذا الفصل ·

ومن أمثلة هذه الفقرات المتناثرة أنه فى ثنايا حديثه عن موضوع « الراقصون والحواة » ذكر أن قبيلة من الغور تمارس العرافة ، وأنهم يلقبون بالغجر ، وأنهم يدعون ـ كالغوازى ـ أنهم من نسل البرامكة · وحاول لين وصف الأدوات التى تستخدمها النساء فى العرافة · كذلك خصص جزءا

(١١) Lane, Modern Egyptians., London., 1890.

(١٢) رغم أننا اعتمدنا على النسخة الصادرة سنة ١٨٩٠ ، الا أننا صنفناه قبل مقالة نيوبولد لأن المؤلف ذكر فى مقدمة هذا الكتاب أنه ألف الكتاب سنة ١٨٣٥ ، ويلاحظ أنه قد صدرت باللغة العربية ترجمة لهذا الكتاب بعنوان « المصريون المحدثون ، شمائلهم وعاداتهم فى القرن التاسع عشر » · ترجمة عدلى طاهر نور ، القاهرة سنة ١٩٥٠ ، كما صدرت طبعة ثانية جديدة بالقاهرة أيضا ، أصدرتها دار النشر للجامعات المصرية ، سنة ١٩٧٥ ·

فى كتابه عن الغوازى ، وعن حياتهم المهنية والعائلية ، وهو ما سنعرض له فى الفصل الثانى .

الكابتن نيوبولد : غجر مصر (١٣) .

يتضح من عنوان المقال ان نيوبولد قد اهتم فيـه بغجر مصر . وقد حاول عرض موضوعاته داخل المقال بطريقة منظمة مقسمة الى موضـوعات رئيسية تندرج تحتها موضوعات فرعية . وبدأ مقاله بمقدمة عن الغجـر بصفة عامة ، ثم تكلم عن كل جماعة من الجماعات الغجرية الثلاثة التى قرر وجودها ، وداخل كل جماعة تناول عناصر كثيرة مثل الدين ، واللغة ، والتنظيم السياسى ، والسكان ، .. الخ . وعلى الرغم من أن هذا التقسيم يشير الى وعى متقدم للكاتب ، الا ان ذلك لم يمنع بعض التداخل وعـدم الاتساق فى تنظيم الموضوع . ولناخذ مثالا على ذلك حينما عمد الى مناقشة المهن التى يمارسها الرجال (ص ٢٨٦) ثم النساء (ص ٢٨٧) تطرق الى قراءة الكف والعرافة ، ثم نجده بعد ذلك يفرد عنوانا خاصا بالأحرف الكبيرة هو « قراءة الكف والعرافة » يشرح فيه هذه الطرق بالتفصيل . وقد كان من الأفضل ان يندرج كل ما يتعلق بقراءة الكف والعرافة تحت عنوان واحد .

ويعد هذا المقال من المقالات الهامة جدا فى هذا الموضوع ، ذلك أن يتضمن عملا ميدانيا ، واذا كنا لانعلم الكثير عن درجة الضبط الميدانى للوسـائل والطرق المستخدمة ، الا ان روح المقال تدل على انها لم تكن زيارات ميدانية سريعة . ويمكن ان نستشف منه اهتمام المؤلف الشديد بالموضوع ، الأمر الذى دفع أحد أصدقائه لان يرسل اليه بعض المعلومات بعد مغادرته مصر . لهذا فقيمة هذا العمل تكمن فى انه نتج عن احتكاك فعلى بمن عنتهم الدراسة . وتزداد قيمة هذا العمل بالنسبة لنا نظرا لأنه عمل ميدانى أجرى منذ اكثر

(١٣) Newbold F.R.S. (Captin)., The gysies of Egypt., Journal of the Royal Asiatic Society., Vol. 16. 1856., pp. 285-312.

من مائة وعشرون عاما مما يفسح مجالا للمزيد من التحليلات والمقارنات ، ولاختبار صدق النتائج الواردة فى دراسته .

ويتضح من المقالة أن المؤلف لديه خبرة بجماعات غجرية كثيرة خارج مصر . وهذا ما اثرى مقالته بالمقارنات ـ كما سنذكر فيما بعد ـ كذلك فان نيوبولد قد رجع الى كتاب من أهم ماكتب عن مصر وهو كتاب وليم لين عن « عادات المصريين وشمائلهم » .

وقد اتصف بالأمانة العلمية ، اذ انه كان دائما ينسب المعلومات التى جمعها هو الى نفسه ، أما ما اقتبسها فقد كان ينسبها الى كاتبها . ومن أهم السمات المميزة لهذا المؤلف هو أنه كان يبدى رأيه فى كل ما عرض عليه سواء ما نتج عن العمل الميدانى ، أو ما ورد فى مراجع اخرى ، وقد انهى مقالته برأى واضح وصريح عن اصول الغجر فى مصر واصـول اللهجات التى يتداولونها .

كريمر : الغجر فى مصر (١٤) .

استهل كريمر مقاله بمقدمة عامة عن اهم خصائص الغجر ، وعلى الرغم من أنها تضمنت سمات متفرقة للغجر الا انها تعتبر تقديما ومدخلا مقبولا

(١٤) Kremer, Alfred Von, The «Gypsies in Egypt»., Anthropological Review., Vol. 2., 1864., pp. 262-267.

اعتمدنا فى الافادة من اعمال كريمر الخاصة بالغجر على الترجمة التى ترجمها لمقاله باللغة الانجليزية ، والتى صدرت سنة ١٨٦٤ ، وفى الغالب انه قد تمت هذه الترجمة الى الانجليزية بواسطة هو ، اذ لم يذكر فى الترجمة أى مترجم آخر . أما النسخة الأصلية فقد صدرت بالالمانية فى سنة ١٨٦٣ قبلها بسنة واحدة . وقد اشار الى ذلك فى حاشية الترجمة حيث ذكر الآتى :
Translated from «Egypten», Forschungen uber land und volk wahrend eines zehnjahrigen Aufenthalts, von Alfred von Kremer, Leipzig 1863. «Egypt Explanation of the country, and studies of its inhabitants, during a ten years residence».

الدراسة · وترجع أهمية هذا المقال الى أن كريمر قد قام بالعمل الميدانى بنفسه ، وقد نوه المؤلف عن نفسه الى أن وصفه هذا جاء محصلة عشر سنوات من الاقامة فى مصر · كذلك اعتمد على مصادر أخرى فى جمع المادة ، فقد أشار مثلا الى انه حصل على معلومات من أماكن متعددة عن ان الغجر يسيطرون على أعمال التجارة الصغيرة (ص ٢٦٣) ·

والغريب فى هذا المقال ، ان كريمر يذكر فى (ص ٢٦٣) انه « فيما عدا ما ذكره لين من ملاحظات مختصرة عن غجر مصر ، فانه لم ينشر أى اى شىء آخر عنهم · ومعنى ذلك انه لم يطلع على مقال نيبويولد الذى نشر قبل مقاله بسبع سنوات ·

وعلى الرغم من أن كريمر عاش فى مصر فترة طويلة ، الا أن مقاله لم يكن غنيا بالملاحظات والتفسيرات النابعة من فهمه للمجتمع وللغجر · كما لم يعلق كثيرا أو يبدى رأيه فى معظم الأمور التى كانت تحتـــاج رأيا · فعندما ذكر مثلا ان الناس فى مدينة القاهرة كانت لاتسكن البيوت اذا لم يطهرها الرفاعى من الثعابين لم يفرق بين انتشـــار الظاهـرة فى الريف وانتشارها فى مدينة القاهة (ص ٢٦٣) ·

كذلك لم يتضح اذا كان كريمر يذكر الحقائق على علاتها ، أم انـه يسلم بكل شىء ويصدق كل ما يقوله الغجر ، فقد ذكر ان الغجر والغوازى فخورون بانتمائهم الى أصل عربى ، وانهم ينتمون للمذهب المالكى (ص٢٦٣) ولم يعلق على ذلك ، ولم يشر – كما أشار غيره كنيبويلد مثلا ، الى أن ذلك مجرد تظاهر ، وبصفة عامة يتسم المقال بشىء من السطحية ، فيما عدا الجزء الأخير الخاص بتحليلات اللغة ·

ليلاند : غجر انجلترا ولغتهم (١٥)

خصص ليلاند فصلا من هذا الكتاب لغجر مصر ، ويجمع هذا الفصل

Leland, Charles G., English Gypsies and their Language., Trubner and Co., 57 and 59 Ludgate Hill., London., 1873.

بين اهتمام الشخص المتعمد دراسة الموضوع فى بعض الأحيان ، وبين الدراسة أو الملاحظات العرضية فى أحيان أخـــرى · فعلى الرغم من اهتمام ليـلاند ودراسته لموضوع الغجر بصفة عامة ، الا ان دراسته الميدانية لغجر مصر جاءت بشكل عرضى وعابر ، ذلك انه قام بدراستهم فى أثناء قضائه فترة الشتاء فى مصر انتظارا لصديق (ص ١٨٨) · وعلى الرغم من ذلك فقد وفق فى وصف بعض الظواهر المرتبطة بغجر مصر بطريقة أقـرب الى الشمول (أنظر مثلا وصف لسوق بولاق ص ١٩١) ، غير أن أسلوبه فى وصف بعض الظواهر أسلوب قصصى ، فقد كان يخرج فى بعض الأحيان عن أطار الموضوع الأساسى ليقص حدثا أو موقفا صادفه لايمت للغجر بصلة ، ولا يرتبط بتسلسل أفكاره · وعلى سبيل المثال وصفه لما شاهده فى مصر من تجمهر الناس عليه وامتطائه حمارا (ص ١٩٠) ·

ومن أهم مميزات هذا المقال أن المؤلف رجع فيه الى أكثر من مرجع تناول غجر مصر ، فقد اقتبس من كريمر Kermer الذى كتب عن غجر مصر سنة ١٨٦٩ ، واقتبس من د · وولف D. Philip Wolff فى مؤلفه Dentscher Dragoman سنة ١٨٦٧ وجوبينيو Von Gobineau (ص ١٩٦) · وقد حاول ايضاح أهمية بعضها · كما علق على البعض الآخر · ويمكن القول أن ليلاند كان مقتبسا ومعلقا وناقدا فى نفس الوقت (ص ١٩٤) ·

ولعل من أهم ميزات هذا المقال – فيما يتعلق بنقطة المراجع – أن ليلاند قدم لنا أقدم مرجع متعلق بغجر مصر حصلنا عليه حتى الآن · ذلك هو الكتاب الذى كتبه سيتزن والذى صدر سنة ١٨٠٦ · اذ اقتبس منه ما يقرب من صفحة كاملة · وقد كان يعقد مقارنات ويعلق على آراء سيتزن فى أثناء اقتباسه منه (انظر تعليقاته الخاصة باللغة ، ص ١٩٥) · كما أشار بطريقة غير مباشرة الى أهمية هذا المرجع عندما ذكر أن البعض قد اقتبسوا منه اقتباسات كثيرة (انظر ص ١٩٤ – ١٩٥) ، ولم يذكر لنا اسم الكتاب ·

ويذكر له ايضا انه حرص على ان يضمن مقاله كثيرا مما نشر عن الموضوع ، ولشدة حرصه حينما ظهرت مقال نيوبولد عن غجر مصر سنة ١٨٥٦ (بعد ان كان ليلاند قد طبع مقاله) ، اضاف فى نهاية المقال جزءا خاصا بمقال نيوبولد يعتبر فى معظمه اقتباسا لم يخل من بعض التعليقات . واقتبس أجزاء عن الجماعات الأساسية الثلاثة فى مصر ، وعن الحلب وأعمالهم ، والعلاقة بينهم وبين الغجر ، وعن الغجر وأعمالهم وتميز مظهرهم الفيزيقى ، وعمل النور مع الشرطة ، وتزاوج النور من الفلاحات . كما اقتبس أجزاء متعلقة بلغة ثلاثة الجماعات الغجرية (ص ص ١٩٧ – ١٩٩) كذلك حاول فحص قائمة الكلمات التى قدمها نيوبولد وعلق عليها بخاتمة هامة (ص ص ١٩٩ – ٢٠٠) .

كارنوك : لهجة الغجر التى تسمى « سيم » (١٦)

يهتم هذا المقال القصير أساسا بمجال اللغة ، فيقدم بعض التحليلات للغة غجر مصر التى يسميها « السيم » كما سماها كريمر من قبله . وتتخذ المؤلف قائمة كلمات كريمر اساسا لتحليلاته اللغوية فى كل المقال . فبدأ بعرض راى كريمر فيما يتعلق بلغة غجر مصر ، ثم ذكر أنه قد قدم اضافة هى مقارنته قائمة كلمات كريمر ببعض لهجات الجماعات الأخرى مثل الطوارق النوبيين واهالى سيوة .. الخ ، كما اهتم بتوضيح أمثلة كثيرة للكلمات التى ترجع الى أصل عربى،ثم أمثلة البدايات والنهايات Prefexes and suffexes التى يضيفها الغجر الى الكلمات العربية ، ثم عرض لبعض الكلمات التى يظن انها ترتبط بأصل هندى او رومانى Romany او بربرى مقابلا الكلمة الغجرية المصرية بمثيلتها فى هذه اللغات . ويختتم كارنوك مقاله بما ذكره كريمر من انه لايوجد راى مؤكد عن اصول لغة غجر مصر . ويحاول ان يرجع كلمة « سيم » الى كلمة كيمياء .

(١٦) Dr. Charnock R.S., «On the Gypsy Dialect Called Sim»., Anthropologia, Vol. 1., 1875 pp. 497-498.

بورتون : اليهودى والغجرى والاسلام (١٧)

افرد بورتون R. Burton فصلا خاصا فى كتابه Jew Gypsy and al Islam لدراسة غجر مصر (ص ٢٣٣ – ٣٥٧) . ولكن وصفه وتحليلاته لغجر مصر تزيد عما ورد بمقالى نيوبولد سنة ١٨٥٦ وكريمر ١٨٦٤ وقدر ضئيل مما نشره لين فى نفس الموضوع ، فهذا الجزء من الكتاب يعد تجميعا لما ذكر فى هذه المراجع ، اذ اقتبس منها الكثير ، خاصة من نيوبولد وكريمر ، وقد ذكر ذلك فى أكثر من موضع . ويلاحظ ان معظم الاقتباسات وردت بنفس الأسلوب الذى وردت به فى المقالات الأصلية ، ولم نطالع أسلوب بورتون الخاص الا فى مواضع قليلة .

وقد تضمن هذا الكتاب بعض المعلومات عن غجر الجزائر ومراكش (ص ٢٥٨ – ٢٦١) كذلك تضمن جزءا هاما عن غجر افريقيا الوسطى Gypsies of inner Africa (ص ٢٦١ – ٢٦٢) .

ومن الغريب أن بورتون ألمح فى كتابة (ص ٢٦٨) الى أنه زار مصر سنة ١٨٧٧ ووجد الغجر ما زالوا يشغلون منطقة جامع السلطان . وقد كان ينتظر منه ان يمدنا بأية معلومات ميدانية تدعم او تضيف الى ما ذكره نيوبولد وكريمر او ينتقدها . فهو لم يذكر لنا الا هذه الملاحظة ، وملاحظة أخرى قصيرة (ص ٢٤٠) عن أن منطقة معينة كان يسكنها الغجر وأصبح يسكنها الايرانيون . ومما يذكر لهذا الكاتب أنه على الرغم من كثرة اقتباساته الا أنه ملأ مقاله بالكثير من التفصيلات والتعليقات التى جاءت كحواشى للأجزاء المقتبسة ، وهى على درجة عالية من القيمة .

سينكلير : الوشم (١٨)

نشر الفولكلورى الأمريكى سينكلير Sinclair مقاله عن الوشم ،

(١٧) Burton, Richard F., The Jew, the Gypsy, and El Islam., Hutchinson and Co., London 1898.

(١٨) Sinclair, A.T., Tattooing. Oriental and Gypsy., American Anthropologist., New Series., Vol., 10., No. 3., 1908., pp. 361-386.

يوضح فيه ان احد الأعمال الرئيسية للغجر هو الوشم • وترجع أهمية هذا المقال الى ان المؤلف قد قام ببحث هذه الظاهرة ميدانيا قبل نشر مقاله بعدة سنوات ، وتشير ملاحظاته التى وردت فى المقال الى أنه كان على درجة كبيرة من الدقة ، كما ان اطلاعاته فى الموضوع كانت واسعة واتسمت بالضبط العلمى •

وينستد : مشاعلية مصر (١٩) •

يهدف هذا المقال مناقشة فكرة وجود الغجر فى مصر منذ عصر المماليك متمثلين فى جماعة تسمى « المشاعلية » ، وذلك أن المؤلف يعتبر أن جماعة المشاعلية جماعة غجرية « نورية » على وجه الخصوص • ولكن لم يبرهن المؤلف على آرائه بأدلة كافية ، ولعل هذا ما دعاه فى نهاية المقال الى أن يؤكد الحاجة الى ادلة ، فان ممارستهم لبعض المهن التى يمارسها البوهيميون لا يعد دليلا كافيا يثبت انهم غجر ، والحق أن فكرة افتراض أن المشاعلية غجر فكرة تحتاج الى مزيد من البحث والأدلة العلمية (٢٠) •

والمقال من الناحية الموضوعية مقال نظرى بحت لم يتضمن اى جهد ميدانى ويسرد المؤلف فى هذا المقال بعض المراجع العربية التى وردت فيها معلومات تتعلق بالمشاعلية ، وبجماعة اخرى تسمى « الرمادية » (٢١) • وقد اقتبس أجزاء من هذه المراجع خاصة ما يوضح المهن التى يمارسونها •

ويهتم المؤلف اهتماما دقيقا بذكر التفاصيل البيليوجرافية الدقيقة لكل مرجع • فالمقال عبارة عن عرض لما ذكرته كبرى المراجع العربية مثل المقريزى ، السيوطى ، وابو المحاسن ، وابن تغرى بردى ، وابن اياس ،

---

(١٩) Winstead E.O., The «Moshailiyyah» of Egypt., Gypsy Lore Society Journal., New Series. Vol. 4., 1910., pp. 76-78.

(٢٠) أنظر مناقشة « المشاعلية كغجر » فى الفصل الثالث من الباب الثانى •

(٢١) سوف يرد تعريف « الرمادية » فى الفصل الثالث من الباب الثانى •

والف ليلة وليلة ••• الخ • ولكن ما ذكره يعتبر قليلا جدا ـ نظرا لقصر المقال ـ وهو لا يتعدى فى معظم الأحيان مجرد التنويه الى المشاعلية أو الرمادية فى هذه المراجع ، ثم يحدد للقارىء الصفحات أو أرقام الفقرات التى تتعلق بهم •

ومن الناحية الشكلية ، فالمقال قصير والاقتباسات مدونة فى معظمها باللغة الفرنسية نظرا لأنه اقتبس من بعض المراجع المترجمة الى الفرنسية ، حتى لا تكاد توجد الا تعليقات بسيطة دونت باللغة الانجليزية • كذلك ذكرت فى المقال بعض الكلمات العربية مكتوبة بحروف عربية وبحروف انجليزية أيضا مثل كلمة « مشاعلية » ، « رمادية » ، « سياف » ، « جلاد » ، ••• الخ • والملاحظ أن المؤلف لم يتبع نظاما ثابتا يوضح لنا لماذا ومتى يهتم بكتابة الكلمات بالعربية •• فقد اهتم بكتابة أسماء بعض الجماعات دون غيرها ، وربما يكون قد اهتم بتدوين ما استطاع الحصول عليه من كلمات عربية •

سامبسون : غجر مصر : فصل فى تاريخ هجرة الغجر (٢٢) •

بدأ سامبسون فى هذا المقال باقتباس جزء كبير ـ حوالى ثلاث صفحات ـ من مقال نيوبولد • وقد أشار الى ذلك فى مقالة • غير أنه اقتبس ما ذكره نيوبولد عن جماعة الغجر ، سواء ما سجله نيوبولد نفسه ، أو أرسله له صديقه باركر William Burckhar Barker. ، كما اقتبس جزءا عن الغجر • لكنه لم يسجل لنا أية معلومات عن النور • كذلك فانه لم يقتبس شيئا من الوصف التفصيلى الذى أورده نيوبولد فى نفس المقال (ص ص ٢٨٦ ـ ٢٩٢) •

غير أن الجزء الأساسى فى مقاله ، وهو يلى هذا الجزء المقتبس ، يتميز بمناقشة جدية لأصول غجر مصر ، ويتميز سامبسون فى أنه يدلى

---

(٢٢) Sampson J., The Gypsies of Egypt : A chapter in the History of the Gypsy Migration. Journal of the Gypsy Lore Society, Third Series, Vol. VII, No. 1., 1928., pp. 78-90.

برأيه من خلال قراءاته وانتقاداته لعدد من الكتاب ، وقد صحح نفسه فى فهم نيوبولد عندما حاول قراءة مقاله مرة أخرى (ص ٨٥) . ويعد هذا المقال هاما جدا الا انه يعوزه المزيد مما يثبت به آراءه . والمقال اسهام قيم فى مجال دراسة اللغة ويعد من اهم المقالات المتصلة بالموضوع .

جوردون وارد : الغجر فى وادى النيل فى القرن السادس عشر (٢٣).

يتميز هذا المقال بتسجيل وجود الغجر فى مصر ، بناء على مشاهدات كريستوف هيمند روف عام ١٥٦٥ فى منطقة البرلس . كذلك يشير المقال الى وجودهم فى القاهره والأسكندرية والمدن الأخرى . ويتضح أيضا أن كل الجماعات التى ذكرها المؤلف والتى شوهدت فى مصر هى جماعات متنقلة . ولكن يبقى هناك شك فى أن هذه الجماعات التى شوهدت هى جماعات غجر وليست جماعات بدوية . ذلك أن المؤلف لم يشر اطلاقا الى أى اثبات يؤكد انهم غجر ، بجانب ان المشاهدات كانت قصيرة ، بالاضافة الى ان الكاتب ذكر كلمة غجر وكلمة بدو فى اكثر من موضوع ، ولانعرف هل ادرك الفرق بين الجماعتين ام لا .

وعلى الرغم من اهمية هذا المقال ، الا انه يعتبر شديد الاختصار ، اذ لا يشغل أكثر من صفحة وعدة أسطر ، كما أنه يعتمد اعتمادا شديدا على الاقتباس من اللغة الألمانية حتى دون ترجمة الى الانجليزية . بجانب ذلك لا يورد الا القليل من التعليقات ، ولم يبت فى الموضوعات برأى قاطع أو تفصيلى الا نادرا . وبصفة عامة يعد هذا المقال مناقشة مختصرة يعوزها الكثير من التفصيلات حول ما تناوله .

جون ووكر : غجر مصر الحديثة (٢٤) .

على الرغم من قصر مقال جون ووكر الا انه مقال دسم ممتع .

---

(٢٣) Ward, Gordon ; Gypsies in the Nile in the Sixteenth century. Journal of the Gypsy Lore Society. Third Series., Vol. xxiii No. 1. 1934, pp. 55-56.

(٢٤) Walker, J. «The Gypsies of The Modern Egypt». The Moslem World., Vol., XXIII., 1933, pp. 285-289.

فهو يبتدىء بمناقشة الفكرة التى كانت شائعة عن أن مصر هى الوطن الأصلى للجنس الغجرى . وينفى المؤلف ذلك ، ويؤكد أن اصولهم ترجع الى الهند (ص ٢٨٥) . غير أن المقال لم يتضمن اية مقارنات بين الغجر فى مصر والغجر خارج مصر سوى اشارة مختصرة توضح أن نساء الغجر فى مصر يقمن بأعمال مشابهة لأعمال نساء الغجر فى مناطق أخرى من العالم .

وكان الكاتب يهدف من هذا المقال الى عرض الحقائق المختصرة عن غجر مصر ، وخاصة عن تصنيفاتهم ، وعاداتهم المهنية .

ويتميز هذا المقال بثلاث ميزات أساسية :

الأولى : أن المؤلف انفرد ـ دون غيره من المؤلفين ـ بعرض سبعة دراسات عن غجر مصر قبل نشر مقاله . وعلى الرغم من أنه اكتفى بسرد بياناتها البيلوجرافية دون أن يعلق عليها تعليقات مستفيضة ، الا أن بمجرد العرض لهذه الدراسات يدل على جديته فى بحث موضوعه ، وعلى درايته بما سبقه من دراسات .

الثانية : أنه قدم لنا تصنيفا مقبولا لغجر مصر حيث قسمهم الى ثلاث فئات (غجر ـ حلب ـ نور) . وتناول كل جماعة بطريقة مستقلة ولكنها مختصرة وعلى الرغم من أن كتابا آخرين قد تناولوا الجماعات الثلاثة، الا أن مقال ووكر تميز بوضوح فى الفصل والتمييز بين كل جماعة وأخرى .

الثالثة : أشار الكاتب الى أهمية دراسة غجر مصر ، ومدى جاذبية هذا المجال الذى لا يعرف أحد عنه شيئا ، حتى المتعلمون من المصريين ودعا الدارسين ـ كما ذكرنا قبل ذلك ـ الى الاهتمام بهؤلاء الذين يعيشون بينهم (ص ص ٢٨٧ ـ ٢٨٩) .

غير أن الجانب اللغوى لم ينل من ووكر أى اهتمام ـ وقد ذكر هو نفسه ذلك فى مقاله ـ ونوه فى حاشية المقال الى أن ليتمان Enno Littmann

قد نشر معالجة علمية لهذا الموضوع فى مؤلفه « الغجر العرب » Zigeuner Arabish ويبدو انه لم تكن لديه رغبة فى ان يقحم نفسه فى دراسات علمية ليست له دراية كافيه بها .

دائرة المعارف : الاسلامية : « النور » (٢٥) .

على الرغم من ان ما ورد عن غجر مصر فى دائرة المعارف الاسلامية (خاصة ما ورد تحت المادة « نور » Nuri) يعد مختصرا ، الا أنه عمل متقن ، وناقد لما كتب قبل ذلك عن غجر مصر ، وقد اعتمد المؤلف على كتابات عدد من المؤلفين المشهورين مثل نيوبولد وماكليستر . وعلى الرغم من اهتمام المقال بغجر الشرق الا انه قد أعطى عناية خاصة لغجر مصر ، ونوه الى وجود ثلاث جماعات اساسية فى مصر (غجر ـ نور ـ حلب) . ومما يذكر ان المؤلف قد ذكر شيئا هاما بالنسبة لنا خاصة فيما يتعلق بالعمل الميدانى ، ذلك ما يتعلق بظروف جمع المادة الميدانية عند ماكليستر فقد استخدام ماكليستر النور فى فلسطين لمساعدته فى جمع الحفائر التى كان يعمل بها ، ومن هنا كانت له علاقة قوية بهم . واعتقد ان هذا ساعده فى الحصول على مادة وفيره وموثوق بها . ولكن ما نود التنويه اليه هنا ـ وهو ما زال يحتاج الى المزيد من الدراسة والبحث ـ هو ان دائرة المعارف قد اثنت على القصص النووية التى اوردها ماكليستر ، بينما يرى د. كينريك انها ليست قصصا نورية اصلا ، ولكن قصص متداولة بين جماعات اخرى ولكنها مكتوبه بلغة نورية .

وارى انه حتى لو كان الأمر كذلك فهذا لا يقلل من قيمتها على الاطلاق ، لأن ترجمتها الى اللغة النورية له الكثير من الدلالات ، فهو يدل مثلا على كثافة استخدام اللغة النورية الى الحد الذى وصل الى ترجمة قصص غير نورية الى هذه اللغة . فهى بذلك لم تقتصر على الأغراض

(٢٥) Encyclopedia of Islam., «Nawar»,., Vol. 3., Luzac Co., London 1936., pp. 962-963.

العملية أو على نطاق محدود من الاستخدامات ، ولكنها تعدت ذلك الى التغلغل فى وجدان الناس وفى شتى مجالات حياتهم .

وقد كتب المادة المدونة تحت عنوان « نورى Nuri » جون ووكر J. Walker مؤلف مقال « الغجر فى مصر الحديثة » ، ويظهر فى هذه المادة مدى استفادته من خبرته التى تمخضت عن كتابة هذا المقال . ولذلك فان التقسيم الذى اقترحه لغجر مصر الى ثلاثة جماعات أساسية (حلب ـ غجر ـ نور) هو نفس التقسيم الذى أورده فى المادة المذكورة هنا .

ولكن ما هو غريب وجدير بالملاحظة أن ووكر رغم أنه كان موفقا فى تقسيمه لغجر مصر الى ثلاث جماعات فقد عالج تحت مادة « نورى » الثلاث الجماعات المذكورة ، وليس « النور » فقط .

وهناك خلط بين المهن التى تمارسها كل جماعة من الجماعات الغجرية الثلاث . ولكن لا يرجع هذا الخلط الى خطأ فى التصنيف وتخصيص المهن بالنسبة لكل جماعة بقدر ما يرجع الى التداخل بين الجماعات ، والى أن المهنة الواحدة قد تمارسها أكثر من جماعة على نحو ما سنذكر فيما بعد .

مارتن : عرض نقدى للمقال المعنون « غجر انجلترا » (٢٦)

هذا المقال القصير هو عرض نقدى لمقال صدر لجويلان هوبر Guillan Hopper بعنوان « غجر انجلترا » . وقد حاول فى هذا المقال ، أن يبحث عن كلمة عربية لكلمة Gypsies معتقدا أن كلمة « غجر » غير وافية بالمعنى مقترحا كلمة « نور » كمقابل للكلمة الانجليزية . ثم يعرض بايجاز لباقى أجزاء مقال هوبر الأساسى الذى لا يتعلق مباشرة

(٢٦) Martin W.J. «Review to Guillan Hopper Article Entitled غجر انجلترا .. Gypsy Lore Society Journal., Vol. XXVI, no 3-4., pp. 169-170.

بفجر مصر . وقد كان هذا المؤلف يجهل وجود غجر بأى من البلاد التى تتكلم العربية سوى فلسطين ، اذ ذكر ذلك فى مقاله .

حكمت حسن على يوسف : دراسة اجتماعية انثروبولوجية لاحدى مستعمرات الغجر بمركز سيدى سالم (منشاة أبو على) بمديرية كفر الشيخ (٢٧) .

تعد الرسالة التى تناولت هذه الدراسة بحثا ميدانيا بصفة اساسية ، اذ لم تتضمن دراسة نظرية مكثفة كما سيتضح فيما بعد . كما تعد دراسة اثنوجرافية تهتم كثيرا بالوصف اكثر مما تعتبر دراسة انثروبولوجية تهتم بتحليل العلاقات الاجتماعية . وقد ضمنت الباحثة رسالتها خريطة وضحت عليها موقع المنطقة التى يسكنها هؤلاء الغجر . وقد وقعت الرسالة فى ١٣٨ صفحة ، وتضمنت فى نهايتها ١٤ صفحة لتصويبما تضمنته الرسالة من الأخطاء اللغوية .

وتقرر الباحثة ان الجماعة موضوع الدراسة قد وفدت الى منشاة ابو على (منطقة الدراسة) قبل سنة ١٩١٤ (ص ٤٤) . وأنها تعيش فى هذه المنطقة ٩٤ اسرة غجرية مع ٢٩ اسرة من غير الغجر (ص ٥٤) وبهذا يشكل الغجر غلبية فى المنشاة .

وقد عرضت الباحثة دراستها فى تسعة فصول . وكان الفصل الأول منها عبارة عن مقدمة تاريخية عن الغجر بصفة عامة . تناول فى اختصار اماكن تواجدهم ، واعدادهم ، واهم الأسماء التى تطلق عليهم ، كما تضمن بعض المعلومات الخاصة بتاريخ ظهورهم فى أوروبا ، وبعض المعلومات عن غجر أمريكا . كما تناول الفصل الثانى منهج البحث . وكذا الصعوبات التى واجهت الباحثة . اما الفصل الثالث فهو عبارة عن وصف للجماعة موضوع الدراسة . وقد اطلقت عليها اسم « مستعمرة

(٢٧) رسالة « غير منشورة » ، مقدمة الى معهد العلوم الاجتماعية بالاسكندرية سنة ١٩٥٧ إشراف الاستاذ الدكتور على احمد عيسى .

الغجر » ، وقد تضمن الفصل الموقع ، ووصف المكان ، والسكان ، وجنسيتهم . اما الفصل الرابع فقد تعرض لموضوع « البيئة ودلالتها الاجتماعية » حيث وصفت المنطقة وعلاقاتها بالمركز الذى توجد فيه هذه الجماعة ومدى انعزالها ، وكيفية وصول الغجر اليها . أما الفصل الخامس وهو بعنوان « حياة الغجرى من مولده الى مماته » فتطرق الى مناقشة موضوع المرأة ، والطفل ، والتربية ، والزواج والوفاه . واهتم الفصل السادس بوصف « مسكن الأسرة الغجرية » من عدة نواحى منها : نوعية مسكن الغجرى وأثاثه وأدواته . أما الفصل السابع فهو خاص « بصناعات الغجر » مثل الفلاحه ، والصناعات ، وكيفية تعلمها والتخصص فيها . وقد تناول الفصل الثامن صلة الغجرية بالحكومة المركزية والحكم المحلى .. وأخيرا ضمنت الباحثه الفصل التاسع والأخير ملخصا لنتائج دراستها .

وغير أن هناك أوجه النقد التى يمكن أن توجه الى هذا العمل ، من بينها أن هذه الرسالة قد تضمنت كثيرا من الأحكام العامة عن الغجر دون ايضاح الأساس الذى استندت اليه فى اصدار هذه الأحكام . ومن أمثلة ذلك انها ذكرت أن الغجر لا يتمسكون بالشعائر الدينية ولا يهتمون بالنظام (ص ١١٠) دون أن توضح الأمثلة والأسباب الواقعية التي دعتها الى اصدار هذا الحكم . كذلك ذكرت أن الفلاحين يختلفون عن الغجر من الناحية الجسمية (ص ١٠٩) دون الاهتمام بذكر تفاصيل هذه الاختلافات .

واذا كانت الباحثة قد اهتمت بذكر ست عبارات من لغة الغجر السرية لكنها لم تذكر شيئا عن هذه اللغة واستخداماتها وأهميتها . أما الفكاهة التى ذكرت أنها تتعلق بالغجر (ص ص ١١٩ ـ ١٢١) فهى لا تمت للغجرية بصلة .

احمد المجذوب : الجريمة فى طهواى (٢٨) .

تعد هذه الدراسة تقريرا علميا مطولا عن دراسة علمية اجريت بالتعاون

(٢٨) أحمد المجذوب ، دراسة لظاهرة الجريمة فى قرية طهواى ، المجلة

بين المركز القومى للبحوث ووزارة الداخلية على غجر (١١) قرية طهواج . واذا كان البحث يقدم مادة علمية قيمة ، الا أنه يركز اهتمامه على دراسة جريمة السرقة بالنسبة لغجر هذه القرية ، ولهذا فهو لا يعرض للجوانب الاجتماعية الا بالقدر الذى يخدم هدف البحث وهو ، تحديد العوامل الكامنة وراء مزاولتهم لهذا النشاط الاجرامى بغية التوصل الى حلول حاسمة تتناول المشكلة من جذورها » (ص ١٦٣) .

ويبدأ البحث بتعريف الغجر ، وموقع قرية طهواج والمجتمع القروى المحيط بالغجر ، ثم مجتمع الغجر الذى اهتم المؤلف فيه بعرض أعداد الجرائم المسجلة ضدهم فى الأعوام المختلفة .

وقد اتبعت هذه الدراسة الاسلوب العلمى فى وضع الفروض ثم فى تحديد مجال للبحث ومنهجه . كما اهتمت بابراز متغيرات اجتماعية عديدة يمكن أن يكون لها ارتباط بموضوع السرقة .

كذلك أفردت الدراسة جزءا كبيرا لتحليل عملية السرقة من حيث تعاملها ، وتوزيع المسروقات ، والاشتراك مع الآخرين فى السرقة ، واستخدام السلاح ... الخ ، ثم تكلمت أيضا عن قضاء الغجر لفترة السجن . وعززت كل هذه الأجزاء بيانات احصائية . ثم انتهى التقرير بعرض نتائج الدراسة فى صورة علمية دقيقة (٣٠) .

الجنائية القومية المجلد السادس عشر ، العدد الثانى ، يوليو ١٩٧٣ ، ص ص ١٦٣ ـ ١٩٨ . ويلاحظ أن الاسم الصحيح للقرية هو « طهواج » ، ولكنها تعرف « بطهواى » ، وهو الاسم الوارد فى عنوان البحث .

(٢٩) يطلق أحمد الجدوب على هذه الجماعة الاسم « غجر » ، ولكن يفضل أن يطلق عليها « نور » حسب التصنيف الذى اتبعته هذه الدراسة حيث قسمت غجر مصر الى غجر ، وحلب ، ونور .

(٣٠) نشر أبو الوفا بدور ، مقالا صحفيا فى مجلة أكتوبر ، تحدث فيه

« مصـــر » (٣١) .

ظهرت حديثا فقرة مستقلة قصيرة فى المجلة الفرنسية « دراسات الغجر » Etudes Tsiganes تحت عنوان « مصر » ، تتضمن بعض الملاحظات العامة للحالة الراهنة للغجر فى مصر . بعض هذه الملاحظات تعد صادقة وصحيحة وتنطبق على الوضع الراهن للغجر فى مصر ، ولكن بعضها الآخر لا يتسم بالدقة . وهو ما سيكون موضوعا للمناقشة والنقد فى هذه الدراسة . ولكن النقد الأساسى الذى يوجه الى هذا المقال القصير هو أنه غير واف بالغــرض .

« ثــالثـــــا »

قائمـة بالموضـوعات التى تضـمنتها المراجع

* تاريخ غجر مصر وأصولهم .

تاريخهم بصفة عامة ـ وتاريخهم فى مصر .

عن غجر طهواج ، وعرض فيه لتاريخهم وبعض عاداتهم ، كما تناول بالتعليق ظاهرة السرقة التى تعتبر عملا أساسيا لأفراد هذا المجتمع . وقد استند فى مقاله الى المعلومات التى حصل عليها فى اللقاءات مع د. أحمد الجدوب ، ود. عبد العزيز القوصى ، وناظر مدرسة طهـــواج .

أنظر : أبو الوفا بدور ، « غجر من طهواج » ! ، مجلة أكتوبر ، العدد ١٠٤ ، الأحد ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٧٨ ، ص ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٣١) Egypt., Etudes Tsiganes., Sept. 1974., p. 45.

المرجع الذى احتوى هذه الفقرة القصيرة عبارة عن دورية خاصة بالغجر تصدر فى فرنسا وقد أرسلت لى الفقرة الخاصة بغجر مصر مصورة دون ارسال عدد الدورية ، ولهذا لم أتمكن من الحصول على بقية البيانات البيليوجرافية للمرجع .

* **الجماعات الأساسية للغجر .**

ظاهرة التنقل والاستقرار : الدوافع ، والأماكن .

* **الملامح الفيزيقية والشكل العام .**
* **المهن والأعمال التى يقوم بها الغجر .**
* **اللغة التى تتكلمها : (قوائم الكلمات - تحليلات) الجماعات الغجرية (٣٢) .**
* **الزواج (مجرد تلميحات) .**
* **الدين (اشارات مختصرة) .**
* **احصاءات الغجر .**

« رابعا »

النقد والتحليل

يمكن صياغة جوانب النقد الموجه الى هذه الكتابات فى نقطتين اساسيتين :

أولا : مدى اتباع الكتاب للمنهج الأنثروبولوجى ، وثانيا : جوانب القصور فى هذه الدراسات ، بما فى ذلك الأخطاء التى وقع فيها هؤلاء الدارسون عند استخدام الكلمات العربية .

١ - مدى اتباع الكتاب للمنهج الأنثروبولوجى :

على الرغم مما ذكرناه من أوجه النقص والقصور وعلى الرغم من أن الكتاب لم يكونوا متخصصين ، الا اننا يمكن ان نلمح فى ثنايا هذه

(٣٢) تعد المادة المتوفرة فى هذه الكتابات عن لغة غجر مصر مادة كبيرة بالنسبة للمادة المتوفرة عن الموضوعات الأخرى .

الدراسات بعض معالم المنهج الأنثروبولوجى . علما بان ما سنذكره هنا مستنتج مما دونه كل منهم عن نفسه ، وعن طريقته فى جمع البيانات ، ومن طرق صياغتهم للمادة العلمية . ولنبدأ بكريمر الذى اوضح **عدم القدرة على الاستدلال من خلال معلومات ضئيلة** . فحينما كان يناقش لغة الغجر ومدى احتوائها على كلمات عربية أو غير عربية ذكر أنه يقدم فقط بعض الحقائق دون محاولة للاستدلال وذلك نظرا لعدم توفر مادة كافية لهذا الغرض (كريمر ، ص ٢٦٧) .

أما نيوبولد فقد اقترب أشد الاقتراب من المنهج الأنثروبولوجى الصحيح ، عندما تضمن عمله الميدانى **استخدام اخباريين مختلفين من بينهم مشايخ الغجر انفسهم** (ص ٢٩١) ، كما انه عندما فاتته فرصة الوجود فى الميدان (بعد مغادرته مصر) اعتمد على آخرين (ريكاردز) أرسلوا اليه معلومات عن تطور بعض الظروف المحيطة بالجماعة التى يدرسها ، وأعتقد أن هذا أسلوب مقبول حينما يتوفر فى هؤلاء الأشخاص درجة كافية من الكفاءة والثقة ، والاهتمام بالموضوع فى نفس الوقت . ولعل قارىء المقال يجد ان المعلومات التى أرسلها له ريكاردز (ص ص ٢٩٣ ، ٢٩٤) على الرغم من ضآلتها وعدم تنظيمها ، الا انها معلومات ميدانية خالصة ومفيدة الى حد كبير .

كذلك كان **نيوبولد انثروبولوجيا ناجحا فى الاستفادة من الفرص التى سنحت له** ، ولعل هذه من أهم السمات التى يجب أن يتحلى بها الأنثروبولوجى لكى يحصل على معلومات قيمة ، فكثير من الفرص ، ربما المفاجئة ، غير المرتبة ، تكون مواتية للحصول على معلومات قيمة يصعب الحصول عليها بعد ذلك . فقد ذكر لنا (ص ٢٨٩) كيف أنه انتهز فرصة قراءة الغجرية الكف لرفيقه ، وأخذ يلاحظ ما بداخل الخيمة ، وقدم لنا وصفا مفيدا الى حد كبير لما بداخلها ، مقارنا بينها وبين خيام البدو .

وتبدو ملامح دقته فى جميع معلوماته الميدانية فى المقدمة التى قدم بها لقائمة الكلمات للهجات الثلاث التى تتكلمها ثلاثة قبائل الغجر فى مصر (ص

٢٩٤) ، فقد ذكر أنه قام بجمعها مع المستر ريكاردز ، وانها أخذت من عدة قبائل ، وأنه قام بمقارنة الكلمات ببعضها ثم نقحها وصححها · وذكر أن الجمعية الآسيوية الملكية Royal Asiatic Society قد قامت بضبط التهجئـــة ·

ولا يخفى على كل المهتمين بضبط وسائل جمع وتحليل البيانات ، أن جمع معلومات عن طريق شخصين أو أكثر ، ثم مقارنتها وتصحيحها أمر يضمن الى حد كبير – اذا تمت المقارنة على وجه جاد ودقيق – سلامة المعلومات · كما أن حرص الكاتب على جمع الكلمات من الغجر أنفسهم ، ومن أكثر من قبيلة يعد اجراءا متقدما من جهة المنهج · وان كان هذا لايعنى اننا نقرر صدق معلوماته ، اذ أن ذلك لايتم الابعد اختبار أمبيريقى لما ورد فى قائمة الكلمات التى ذكرها فى مقاله · وعلى الرغم مما ذكره عن طرقه فى جمع هذه الكلمات الا اننا كنا نطمع فى المزيد من التفصيلات التى تلقى ضوءا على ظروف الجمع ، والمعوقات التى واجهته ، وكيفية تغلبه عليها · فان ذلك هو المؤشر الدال على صدقها ·

وتتجلى منهجية تفكير نيوبولد أكثر فى نقده لوليم لين وتفسيره للسبب الذى أوقع وليم لين فى أخطائه · فقد ذكر – بعد أن صححه – أن السبب يرجع الى أن ليم لين – برغم دقته – لم يأخذ معلوماته من الغجر أنفسهم ، ولهذا أخطأ فى فهم الفكرة التى كان يناقشها (ص ٢٨٥) · كذلك نبه نيوبولد – من خبرته الميدانية – الى أهم الصعوبات التى ستواجه **الدارسين فى هذا الميدان** عندما ذكر (ص ٢٩٣) أنه عندما ذهب الى حوش الغجر للمرة الثانية كانوا قد هجروا المكان بعد زيارته الأولى ·

ولم يكن نيوبولد أنثروبولوجيا فقط ، بل **كان فولكلوريا** أيضا حينما قدم لنا وصفا فولكلوريا خصبا لظاهرة قراءة الكف لدى نساء الحلب (ص ص ٢٨٧ – ٢٨٨) بالاضافة الى الوصف الفولكلورى لبعض أعمال العرافة ·

والمطالع لمقال نيوبولد ، يجد على كل صفحة من صفحاتها مقارنة بين **غجر مصر وبين جماعات غجرية أخرى فى مصر وغير مصر ، أو بينهم وبين**

جماعات البدو فى مصر · حقيقة أن هذه المقارنات لم تكن فى معظم الاحيان أكثر من اشارات عابرة ، ولكنها يمكن أن تقود غيره الى البحث فى أوجه التشابه التى ذكرها · ومن الطبيعى أن سعة درايته بجماعات غجرية وغير غجرية هو الذى هيأ له فرصة هذه المقارنات · ويمكننا أن نسوق هنا بعض هذه الامثلة · فقد أشار فى (ص ٢٨٩) الى التشابه بين الأسر الحلبية وأسرة الكربات فى سوريا ، والى التماثل بين لغة حلب مصر وبين لهجات سورية وغير سورية (ص ٢٩٠) ، كما أوضح أن هناك تشابها فى الممارسة الشعبية المتعلقـــة بعذرية الفتاة لدى الحلب فى مصر وبين عذرية السودانيات (ص ٢٩٣) ·

ولكن **أشد ما يفتقر اليه هذا المقال** المقارنة بين الجماعات الغجـــرية الثلاثة فى مصر ، وتوضيح العلاقات بينها ، حقيقة أنه ذكر تلميحات بسيطة عن هذه العلاقات لكنها لم تكن كافية على الاطلاق ·

أما ليلاند فقد اتبع بعض الأساليب الانثروبولوجية المتفق عليها فى جمع المادة العلمية · وكان أشهر هذه الأساليب هو استخدامه للاخباريين من المصريين والأجانب الذين عاشوا فى مصر فترة كبيرة · كما استقى كثيرا من المعلومات من الخديوى نفسه ، وأشار الى مدى علمه ودرايته ببواطن الأمور (ص ص ١٨٨ – ١٨٩) · غير أن هذه ليست القاعدة أن يسأل الحاكم عن مثل هذه الجماعات لأنه يندر أن يكون الحاكم على دراية بالتفاصيل الدقيقة التى يهتم بها الأنثروبولوجى · فقد يكون على دراية بأمور معينة دون غيرها ، وقد يتظاهر بأن لديه دراية بها لعدم الوقف فى موقف حرج ، وهذا يشير الشك فى المعلومات · والنتيجة أن أسلوب ليلاند فى استبار الحاكم لا يجب أن يؤخذ حجة تتبع فى دراسات أخرى ·

ومن الأمور الهامة أن ليلاند قرأ بعض المعلومات عن غجر مصر ، وحاول أثناء عمله الميدانى أن يستفسر عنها من بعض الاجانب الذين عاشوا فى مصر فترة طويلة ، ثم عمد الى مقابلة جماعة من الغجر للاستفسار أو محـــاولة تحقيق ما قرأه من الخبرة الميدانية (ص ص ١٩٢ – ١٩٣) ·

وقد عمد ليلاند أيضا الى استخدام المرشدين من أهل المنطقة أو من

ذوى النفوذ لتقديمه للجماعة التى سيدرسها . فعندما أراد الذهاب الى سوق بولاق اصطحب شخصا يدعى « محمد » ، وهو الذى قدمه للغجرية . وقد اتضحت اهمية هذا الاجراء حينما رفضت الغجرية ان تتحدث مع ليلاند عن لغة الغجر ، ولكن بعد ان اوضح لها « محمد » ان ليلاند مجرد باحث بدأت توضح ان اللغة كانت موجودة ولكنها فقدت (ص ص ١٩١ – ١٩٢) .
وفى موقف آخر اتصل ليلاند بشخص يدعى « ادوارد الياس » الذى قدمه الى رئيس الشرطة وهذا بدوره قدمه الى شيخ الغجر (ص ص ١٨٩ – ١٩٠) .
وعلى الرغم من ان الاتصال بالشرطة يكون محفوفا بالمخاطر اذ أنه يثير شك الجماعة التى يريد دراستها فيه ، الا أنه عندما تكون هناك علاقات خاصة تربط رجل الشرطة بالجماعة أو بالمسئولين فيها ، يصبح الموضوع أكثر أمنا ، على انه يشك دائما فى المعلومات التى تعطى لشخص من رجل شرطة ، فعلى الأقل سوف تكون هذه المعلومات حذرة ، فهى وان لم تتضمن كذبا فلن تتضمن كل الحقيقة ، الا أن تكون العلاقة الخاصة بالغجر قد بلغت حد الاندماج بالمعاشرة أو الاختلاط الذى لايستبعد حدوثه لأمر ما ، فى أحوال نادرة .

ويعاب أيضا على هؤلاء الكتاب أن بعضا منهم قد استخدم الفاظا تهكمية فى وصف الغجر . فقد وصفهم ووكر أنهم « البدو المتوحشون » . ويعيب هذا الاسلوب انه لا يتفق مع الواقع والحقيقة . بجانب انه يتنافى مع الدقة العلمية ، وهو لايقدم حكما تقريريا ، بل قيميا .

٢ – جوانب الضعف والقصور :

(أ) صغر وضآلة حجم المادة التى وفرتها هذه المراجع ، وتوفر جانب الخلط فيها :

تعد المادة المتوفرة التى تصف غجر مصر ضئيلة على الرغم من تعدد المراجع وقد وضح ذلك من الجزء السابق الذى عرضنا فيه أهم الموضوعات التى تناولها الكتاب . وسوف نتناول هنا موضوعا واحدا منها لتوضيح النقص والقصور والخلط . بشىء من التفصيل . فاذا نظرنا بدقة أكثر الى ما كتب عن اعمال غجر مصر ومهنهم من حيث الكم فاننا نجده ضئيلا

جدا ، اما من حيث الكيف فهى مادة تفتقر افتقارا شديدا الى التحديد .
ولعل اهم مايميز معظم هذه الكتابات انها تناولت اعمال الغجر بصفة عامة ، واحيانا كان يصعب ان نعرف اى الجماعات الثلاثة يقصد الكاتب . ولم يخصص من الكتاب مهنا معينة ارتبطت بها جماعة دون أخرى من الغجر سوى نيوبولد ودائرة المعارف الاسلامية . فقد ذكر الشىء اليسير عن اعمال الحلب ، وعن النور كلصوص . كما ان سينكليرناقش بشىء من التفصيل قيام النور باعمال الوشم .

وحتى بالنسبة لهذه التخصصات نجد من ملاحظاتنا الآن لمختلف الاعمال التى تمارسها الجماعات المختلفة ، ومما هو شائع فى مصر عن الاعمال التى يمارسها الغجر ان بعض ما ذكر من أعمال ترتبط بالنور هى فى الواقع ترتبط بالغجر مثل أعمال الوشم . كذلك لم تخل الكتابات فى هذا الصدد من **بعض المبالغات** . فقد ذكر نيوبولد مثلا أن الغجر جميعا – مع بعض الاستثناءات البسيطة – هم لصوص (نيوبولد ، ص ٢٩٤) . ويتضارب ذلك مع ما ذكره كريمر الذى لم ينوه على الاطلاق الى لصوصيتهم، بل ذكر أنهم تجار ويمارسون مهنا أخرى (كريمر ص ٢٦٣) .

(ب) التعميم بالنسبة لظواهر لاترقى الى مستوى التعميم :

يعد هذا الخطأ شائعا فى معظم الكتابات الخاصة بالغجر . فيلاحظ أن كريمر كان ميالا بصفة عامة الى التعميم ، والى القطع بصحة تعميمة ، مع ان هناك حقائق لايمكن ان ترقى الى مستوى التعميم والقطع الذى افترضه . فيفترض (ص ٢٦٤) ان كل الغجر متجولون ، كما يقول فى نفس الصفحة : « جاءنى من كل مكان ان اعمال التجارة الصغيرة مركزة فى يد الغجر » ، ويؤكد بالنسبة للغة ان كل تفرعات الغجر تتكلم بسيم الغجر (ص ٢٦٥) ، وانه من المقطوع به ان الغجر يتكلمون العربية بينهم وبين أنفسهم ، ويتكلمون بالسيم أمام الغرباء (ص ٢٦٦) . ومن المعروف ان لهجة الغجر تستخدم فى مجالات محددة من التعامل الاجتماعى (٣٣) . واذا كان كريمر يبدو دقيقا

(٣٣) سوف يرد تحديد هذه المجالات فى الفصل الذى يتناول دراسة لغة الغجر .

عندما ذكر ان للبهلوانات لغة خاصة لكنه لم يمكنه تتبعها ، الا انه من غير المقبول منه ان يقول : « ويبدو ان احدا لم يجد الدليل على هذه اللغـــة » (ص ٢٦٥) .

اما ليلاند فقد توصل الى استنتاج اعتبر انه هام وهو قوله : « ان غجر مصر يشبهون من كل الوجوه غجر أوروبا » (ص ١٨٩) . ومن الطبيعى انه ليس « من كل الوجوه » خاصة ان ليلاند يقرر انه لم يستطع الحصول على شواهد كافية وان كل ما استطاع الحصول عليه فى عدة أيام قدر ضئيل لم يتسع ليكتب فى اكثر من فقرة واحدة . كذلك فقد اورد ليلاند العبارة الآتية نصا « ان الغجر كرماء ، وهذا يختلف تماما عن السلوك العادى لاى مصرى » (ص ١٩٢) . هنا نلاحظ انه عمم الكرم على الغجر جميعا ، فى الوقت الذى قطع فيه بعدم وجود مصرى كريم . وفضلا عما بهذا الحكم من مغالطة علمية تتعلق بمسالة التعميم ، فهو لايخلو من تجن على المصريين .

(جـ) الاقتبـــاس :

الاقتباس من اهم السمات المميزة لهذه الكتابات التى تناولت غجر مصر أو غيرهم . فهناك عمليات تكرار واعادة لذكر ظواهر كثيرة تســود لدى الغجر فى المقالات المختلفة . وسوف نأخذ الفصل الذى تكلم فيه برتون عن غجر مصر مثالا على ذلك . فقد اقتبس من مقالتى كريمر ونيوبولد الكثير . واذا كان لايعاب من حيث المبدأ على عمل يتضمن اقتباسا من أعمال علمية سابقة ، الا ان النقد الشديد الذى يوجه الى برتون ، انه لم يحاول أن يعقد مقارنات بين المقالين ، وفى اقتباسه منها لم يعلق على ما اقتبسه الا بالقليل جدا وبتلميحات سريعة (انظر أجزاء مقتبسة كاملة ص ص ٢٣٤ ـ ٢٤١) . فمثلا يقول فى (ص ٢٥٦) « لم يذكر نيوبولد الا القليل عن فئة الغجر بالمقارنة بغيره .. » ، ثم يستطرد فى الاقتباس . وحتى عندما حاول نقد لين ، اقتبس نقد كريمر له (ص ٢٣٤) . وللكن مما يذكر له انه اشار فى مواضع كثيرة الى انه يقتبس من المرجعين السابقين (٣٤) .

---

(٣٤) قام المؤلف بعمل مقابلة بين ماكتبه بورتون ونيوبولد وكريمر .

ومع ذلك يمكننا أن نلمس لديه بعض التعليقات السريعة . فقد حاول شرح بعض الكلمات (انظر هامش ٢ ص ٢٣٩) ، كما قارن بين كريمر ونيوبولد (هامش ٣ ص ٢٣٩) وقدم لنا بعض الاستنتاجات المتعلقة باصول الغجر والطريق الذى سلكوه من خلال دراسة اللغة (هامش ١ ، ٢ ص ٢٥٠) .

(د) السطحية فى التحليل والتعارض فى المعلومات :

فى بعض الاحيان كان التحليل سطحيا : فقد بدت سطحية ليلاند مثلا عندما ذكر حادثة القبض على ثلاثة لصوص يعتقد انهم غجر . فقـد قبل ـ أو على الاقل لم يعلق ـ على انه بعد استجوابهم ثبت انهم لايعرفون شيئا عن لغة الغجر (ص ١٩٠) . اقول برغم ان اللغة تعد محكا اساسيا للتمييز بين الغجر وغير الغجر الا أن الشخص حينما يريد ان يثبت انه يعرف لغة معينة غير لغته التى يتكلمها يمكنه فعل ذلك ، اما اذا اراد ان ينكر معرفته للغة معينة فلا يستطيع احد ان يجبره على التحدث بها ، اذا اصر هو على انكار درايته بها رغم وجود اية ضغوط . وفى ضوء ما ذكره ليلاند عن مهنهم أتوقع انهم غجر ولكنهم ينكرون ذلك ، ومن الطبيعى انهم لا ينكرون كلمـة واحدة بلغة الغجر مهما تعرضوا للضغوط المتنوعة ، اذ انهم يعلمون ان ثبوت انتسابهم للغجر سيثبت الجريمة عليهم . ولعلنا نتصور مدى تحملهم لضغوط فيزيقية فى سبيل عدم ثبوت الجريمة عليهم الأمر الذى يحدث مع كثير من المجرمين . اضف الى ذلك ان ليلاند لم يخبرنا بأى تفاصيل عن عمليـــة استجواب الغجر .

وقد أدت السطحية فى الكتابة والتحليل الى التورط فى أخطاء اخرى . فقد ذكر برودتون أن لين لم يعالج موضوع غجر مصر معالجة متعمقة ، بل انه تناوله بعدم اكتراث .

وبرغم ان لين ـ حسب ما قال كريمر ـ لم يخطىء فيما ذكره ، الا انه وقع فى خطأ عندما فسر كلمة « حاوى » بانها تعنى الشخص الذى يقوم بعمل بعض الحيل مستخدما « يديه » . لذلك أشار كريمر فى مقالة عن غجر مصر أن لين لم يكتب عنهم الا ملاحظات مختصرة جدا .

وقد تميزت المعلومات الواردة بشىء من التعارض : فعلى الرغم من مناقشة ليلاند للكثير من الآراء ـ كما ذكرنا من قبل ـ الا انه وقف مكتوف اليدين فى بعض المسائل التى عرضها والتى كانت تحتاج الى التفاتة · فمثلا عندما نقل الأسماء التى تطلق على غجر مصر ، نقلها من مؤلفين مختلفين بينهم اختلافات فى نطق الكلمة ، ومع ذلك لم يشر الى هذه الاختلافات أن يبحث اسبابها ، أو يفاضل بينها من حيث الأقرب الى الواقع · فقد نقل عن وولف كلمة غجر هكذا Gagari (Gagar) ، وكتبها نيبولد Rhagarian كما نقل كلمة نور عن نيبولد هكذا Nawer ، ونقلها عن وولف هكـذا Nawari (ص ص ١٩٦ ـ ١٩٩) ·

ومن الغريب ايضا ن سيتزن Seetzen تكلم عن غجر مصر باسم نور ، ولم يرد (فى الجزء المقتبس) كلمة غجر على الاطلاق (ص ص ١٤٤ ـ ١٩٥) ، فى الوقت الذى ذكر فيه نيبولد وكريمر الغجر والحلب والنور · وبما ان ليلاند قرأ الثلاثة واقتبس منهم فقد كنا نتوقع منه التنبه الى اهمال سيتزن الحديث عن الجماعتين الأخريين ، بينما هو يعد أقدم مرجع للباحثين · ونظرا لانه زار مصر فان تأكيده بأن النور هم فقط غجر مصر امر يدعو الى التساؤل والاهتمام ·

وهناك عدم اتساق فى الكتابات المختلفة فيما يتعلق بمفهوم كلمة غجر وكلمة Gypsies · فالبعض يستخدم كلمة Gypsies لتدل على جماعات الغجر فى مصر بصفة عامة ، والبعض استخدمها لتعنى جماعة الغجر فقط دون الحلب أو النور · أكثـر من ذلك انه ليس هناك اتسـاق فى كتابات الكاتب الواحد فيما يتعلق بهذه المسألة ·

وقد عانت هذه الكتابات من بعض جوانب القصور : فالقارىء لكريمر يجد أنه يعدد قبائل الغجر كما يلى : الغوازى ، الصعايدة (غجر الصعيد) ، الحلب ، النور ، الشهاينة الـ tatar (ربما يقصد التتار) ، القرادتية ، البهلونات · وهذا يشير الى أنه يقسمهم على أساس المهنة بصفة أسـاسية مع بعض الاشارات الى التفرعات الاقليمية · ومع ذلك فانه لم يعرفنا عن

مهن هذه الفئات جميعا · ففى حين أسهب فى شـرح أعمال الغوازى والحواة وغجريات الصـعيد ، لم يذكر اى شىء عن اعمال « الحلب » ، بل لم يذكر شيئا عن الحلب سوى انهم قبيلة من قبائل الغجر (ص ٢٦٤) ·

كذلك ففى مناقشة للنور اكتفى بأن ذكر ان كلمة « نور » معروفة فى مصر ، وتطلق على غجر صعيد مصر الذين يعملون فى المصاغ (صـياغ) (ص ٢٦٣) · وتبدو الغرابة فى أنه رغم اقامته فى مصر فترة طويلة لكنه لم يذكر عن النور أنهم لصوص ، ولا يمكن أن نقول انهم لم يكونوا كذلك فى هذا الوقت نظرا لأن نيبولد ذكر أنهم لصوص بالوراثة ، وذكر الكثير من التفصيلات عن هذا الموضـوع · فانفراد كريمر بتقديم النور كتجار للمصـاغ امر يدعو لكثير من التسـاؤلات وعلى كل فهناك نقص فى المـادة عن جماعة النور ·

وبالاضافة الى ذلك فان ادعاءه أن هناك قبيلة تسمى « الصعايدة » أمر يثير الشك فى أنه ربما اشتبه عليه الأمر فخلط بين غجر الصعيد وعامة من يعيشون فى الصعيد · فان كلمة « صعايدة » تطلق على ساكنى صعيد مصر من غير الغجر أيضا · وفى بعض الأحيان كان يختلط علينا الأمر فى فهم مقصد كريمر ··· هل يتكلم عن الغجر بصفة عامة ؟ أم عن قبيلة معينة منهم ؟ (أنظر مناقشة الغجر كتجار وحواه ، ص ٢٦٣) ·

هـ) أخطاء فى استخدام الكلمات العربية :

واذا كان يذكر للكتاب أنهم سجلوا الكثير من الكلمات العربية ، الا أنه قد حدثت بعض الأخطاء عندما استخدم هؤلاء الكتاب كلمات عربية سواء كتبت بحروف الهجاء العربية أو الانجليزية وربما ترجع بعض أسباب هذه الأخطاء الى أنهم ـ كأجانب ـ لم يكونوا قادرين على سماع وتسجيل هذه الكلمات صحيحة · فقد كتب كريمر كلمة « نور » (ص ٢٦٢) هكذا « نور » Nuwar ، وذكر (ص ٢٦٣) أنها تنطق Nawer ، مع أن الواقع أنها تكتب وتنطق Nawar ويبدو أن سبب هذا الخطأ انه ربما سبق الى ذهنه ـ ما ذكره البعض ـ أن أصل كلمة نور هى الفعل ينور لهذا سجلها على

انها Nawer . كذلك كتب كلمة حلب هكذا Haleb مع ان الأصح Haleb . اما بالنسبة لما تقوله المراة الغجرية أثناء ممارستها لضرب الرمل ، ارمى الرمل ، فقد كتبها Elm-er-raml والأصح أنها Ermi-er-raml (٣٥) .

اما نيوبولد فقد كتب نداء المراة الغجرية التى تنادى زبائنها لرؤية الطالع (ص ٢٨٥) هكذا : « تعالى شفتى البخت Taali taali shoft El Bakht » ، وصحتها « تعالى ، تعالى شوف البخت » . وهناك امثلة اخرى لمثل هذه الأخطاء . كما انه جمع كلمة نورى Nuri على انها Nawer (ص ٢٩٤) والأصح أن تجمع Nawar ، وربما يرجع هذا لأنه يفترض هو الآخر ان كلمة نور مشتقة أساسا من الفعل « ينور » . كذلك فانه حـاول فى بعض الأماكن أن يجمع كلمة nuri بـ nuris اى باضافة حرف S كما هو متبع فى قواعد اللغة الانجليزية . فاذا كان يقصد مجرد الايضاح فهذا يكون مقبولا (ولكن كان لابد أن يوضح مقصده) ، اما ان يتبع هذا فى جمع الأسماء العربية فسوف يؤدى الى شىء من الخلط . فقد يعتقد القارىء أن نوريز nuris تطور لكلمة nawar او مشتقة منها أو أنها جماعة متفرعة عن الأصل ، لهذا يفضل أن تجمع الكلمة بنفس طريقة جمعها فى اللغة العربية nawar حتى اذا كتبت بأحرف اجنبية .

(٣٥) المراة الغجرية لا تقول « ارم الرمل » انما تقول « ارم الودع » .

الفصل الثانى

تعريف بغجر مصر (*)

لعل بولزى C.H. Polzie هو اول من سجل ما يتعلق بوجود الغجر فى مصر ، فقد ذكر حين زار مصر وفلسطين عام ١٥٩٨ انه يوجد بمصر غجر ويمكن مشاهدتهم يتجولون من مكان الى آخر فى القاهرة والاسكندرية . ويقدم لنا سيتزن Seetzen ايضا فى سنة ١٨٠٦ محاولة مبكرة ايضا لوصف غجر مصر . فقد ذكر أن الغجر يوجدون فى مصر وسوريا وكل أنحاء المملكة العثمانية . واشار الى انه قام بزيارة جماعة منهم تقيم بخيامها السوداء فى بستان للزيتون . وقد تميز بعضهم ببشرة سوداء متسخة وشعر متدلى على الجانبين فى شكل ضفرتين ، وكانت شفاههم تشبه الشفاة الخلاسية . وأكد سيتزن أن ملامحهم تشبه ملامح بقية المصريين وان النسـاء قد وشمن دقونهن أسفل الشفاة بلون أزرق قاتم – مثل نساء البدو – كما وضعن بعض النقاط من نفس اللون حول الفم . وكانت النساء ترتدى الأقراط .

وكان عمل هذه الجماعة صناعة المناخل من شعر الخيل او الجلد ، وصناعة المسامير الحديدية ، واصلاح اباريق الشاى : وكانوا يبدون فى

(*) سبق أن قدمت فى كتابى « جماعات الغجر » مع اشارة خاصة للغجر فى مصر والبلاد العربية » الذى صدر عن دار المعارف سنة ١٩٨٠ فصلا بعنوان « الغجر فى مصر » (ص ص ٢٦٧ – ٣٣٥) تضمن بعض المعلومات الواردة فى هذا الفصل والفصول التالية المكونة للباب الثانى ، ولكنه يعتبر أكثر اختصارا عما ورد فى هذا الكتاب اذ قمت بدعيم المادة الواردة فيه فاضفت الى هذا الكتاب فصلين عن العلاقات الاجتماعية والتكامل بين جماعات الغجر والمجتمعات المحيطة .

مظهر الفقر الشديد ، وكان رجالهم شبه عرايا ما لم يجبرهم البرد على ارتداء الملابس الثقيلة أما الأطفال فكانوا يتجولون عرايا تماما (١) .

وقد سبق وصف سيتزن بعض التقارير القصيرة التى تؤكد مشاهدة جماعات غجرية فى مصر فى تاريخ مبكر . واذا كنا نورد المعلومات التى ذكرت فى هذه التقارير هنا ، فاننا نذكرها بتحفظ وذلك بسبب أنه لايوجد دليل كاف على ان هذه الجماعات التى شاهدها الكتاب جماعات غجرية . ففى عيد الميلاد فى عام ١٥٦٥ كان العسكرى الدارس Christoph Furer von Haimendorff أحد أفراد عائلة نومبرج Numberg الشهيرة مسافرا فى قافلة قرب بحيرة البرلس بين دمياط ورشيد . وهناك قابل بعض الغجر الذين يعيشون فى خيام واكواخ صغيرة بجوار النخيل كما كانت عادتهم . وكتب هيمندورف يقول ، أنه فى يوم ٢٥ ديسمبر ، يوم الكريسماس المقدس ، حيث اعتدل الجو وتوقفت الامطار كنانسير فى قافلة مكونة من ١٩ جملا . وكانت القافلة تتجه الى منطقة بين البحر والبحيرة باتساع ٥ ـ ٦ أميال ، وكانت هناك أشجار النخيل التى تتناثر فى أماكن متعددة . وكان البدو او الغجر يعيشون فى اكواخ تحت هذه الأشجار (٣) .

ماذا نعنى بالغجر ؟

تعنى كلمة غجر كل جماعات الغجر فى مصر (٢) . وقد كتبت هذه الكلمة بطرق مختلفة . فقد كتبها فيليب وولف Philip Wolf ، ججر ، Gogar والمفرد منها ، ججرى ، Gagari (٤) . ويعتبر لين أول من ذكر الكلمة كما ذكر فى العربية بطريقة صحيحة ، غجر ، Ghagar أو ، غجر ، Ghajar (ومفردها غجرى أو غجرى (٥) . ويجب ان نذكر ان كلمة غجر Ghagar

(١) Leland, op. cit., pp. 194, 195.

(٢) Ward G., op. cit., pp. 65-66.

(٣) Kremer, Op. Cit., p. 263.

(٤) Lelnd, Op. Cit., p. 196.

Lane, Op. Cit., p. 356.

(٥) ورد هذا الرأى فى عرض نقدى لمارتن أشار فيه الى أنه ينتقد رأى

أكثر مطابقة للواقع الآن عن الكلمة غجر Ghajar اذ ان الحرف ، G ، فى اللغة الانجيزية هو الحرف المقابل لحرف ، ج ، فى اللغة العربية . وربما استخدم لين الحرف ، J ، نتيجة لسماعة الكلمة تنطق فى صعيد مصر بهذه الصورة حيث أن الحرف ، ج ، «G» ينطق فى صعيد مصر «J» وكما يمكن أن تتسع كلمة Gypsies فى الانجليزية لتعنى جماعات غجرية كثيرة حتى ولو كانت لها اسماء اقليمية أو مهنية او اثنولوجية ، فان كلمة غجر يمكن ان تطلق على كل جماعات الغجر فى مصر حتى ولو كانت لها إسماء فرعية او اقليمية :

وعلى الرغم من وجود اتفاق بين الكتاب ـ متخصصين أو غير متخصصين ـ على أن كلمة غجر تقابل فى معناها اللغوى ومدلولها الاجتماعى كلمة gypsies الا أن مارتين W. J. Martin فى تعليقه على جويلان هوبر أشار الى أنه من الصعب أن نجد فى العربية مصطلحا مقابلا للكلمة الانجليزية gypsies وذكر أن كلمة غجر التى اقترحت ليست اختيارا مناسبا . واقترح أن تكون كلمة buffon هى الكلمة المقابلة . وافترض ايضا أن كلمة ، نور ، يمكن أن تكون أفضل من كلمة غجر لوصف هذه الجماعات (٥) . ولكن هذا الافتراض يجب أن يرفض تماما ، فكلمة buffoon أو ، نور ، لا يمكن أن تعطى معنى كلمة gypsies ، اذ ان كلمة Buffoon تعنى ، مضحك أو مهرج ، ، وهى بهذا لاتعطى نفس المعنى الذى تعطيه كلمة gypsies

لهوبر السابق الاشارة اليه . (انظر Martin W.J. «Arabic Listener» «Review» Op. Cit., pp. 169-170.

ولكن بالاطلاع على المقال الأصلى الصادر باللغة العربية اتضح أن كاتبها هو تيرانس كارول تحت عنوان ، الغجر الانجليز ، «English Gypsies». Arabic listener (Mustami al-Arabi) Vol. vii, no. 17., (British Broadcosting Corporation : Wendengly, 1944).

وإذا كانت كلمة « نور » تطلق على جماعات غجرية فى البلاد العربية مثل لبنان وفلسطين وسوريا ، فانها تعنى « لص او محتال » وهى لاتعطى المعنى المقابل لكلمة Gypsies فى اللغة الانجليزية .

ويجب ان نذكر ايضا أن كلمة غجر كلمة واسعة الانتشار فى الاستخدام تعنى فى البلاد التى تسميهم نور . وقد وجد فى القواميس الأساسية وفى دوائر المعارف أن الجميع يقرر ان كلمة غجر هى المقابل لكلمة gypsies **الانجليزية التى تصف جماعات اثنولوجية منتشرة فى معظم بلاد العالم .**

أما بالنسبة لما ذكر فى دائرة المعارف الاسلامية (٦) من أن الغجر فى سوريا وايران ومصر فى كل مكان معروفون بالكربات Kurbat أو الغربات Ghurbat ، فيجب ان نقرر أن الغجر فى مصر لـم يعـــرفوا مطلقـــا بهـذا الاســـم .

اعـــداد الغجـــر :

لقد تعرض من حاول تحديد أعداد الغجر فى أى مكان فى العالم لصعوبات متعددة وأشارت دائرة المعارف الاسلامية الى أن هناك صعوبات واجهت من حاول احصاء غجر مصر (٧) . وقد أرجعوا ذلك فى بعض الأوقات الى أن بعض حكام مصر كانوا يجبرون الغجر على دفع ضريبة الرؤوس (٨) . مما

(٦) Encyclopedia of Islam, Op. Cit., p. 40.

(٧) Encyclopedia of Islam 1965., Op. Cit., p. 40.

(٨) ضريبة الرؤوس كانت احدى الضرائب التى فرضت فى أيام محمد على ، وكانت هذه الضريبة تجمع من المواطنين المسلمين والمسيحيين على السواء ، ولم يستثن من دفع هذه الضريبة غير الأوروبيين المقيمين بالبلاد . وقد تراوحت الفرضة عموما بين خمسة قروش وخمسمائة قرش .

وقد كانت ضريبة الرؤوس ثانى الضرائب المباشرة التى فرضت أيام محمد على فى الأهمية ، فقد فرضت فى أيام محمد على ضرائب مباشرة وغير مباشرة ، وكانت أهم الضرائب المباشرة ضريبة الميرى التى كانت تفرض على الأراضى الخراجية التى وزعت على الفلاحين للانتفاع بها دون ملكيتها .

شجع الغجر على اتباع بعض طرق الخداع للتهرب من دفع الضريبة (٩) . فعندما كان يخرج جباة الضرائب كانوا يفرون سرا ويعبرون النيل ويختفون كلاجئين فى القرى وفى أطراف الصحراء (١٠) .

على ان السبب الأساسى الذى ظل – وما زال – يعتبر معوقا أساسيا ضد اجراء أى احصاء للغجر هو انهم شديدو الشك فى الناس ، ولديهم رغبة جامحة فى أن يحتفظوا بكل جوانب حياتهم سرا خاصا بهم . هذا بالاضافة الى ما أشار اليه بعض الكتاب ، وما اظهرته نتائج العمل الميدانى من أن الغجر لديهم رغبة فى التقليل من اعدادهم (١١) ، وذلك رغبة فى التنصل من الأصل الغجرى (١٢) ، ورغبة فى عدم اظهار جماعة الغجر كجماعة قوية مما قد يثير ضدها بعض المتاعب .

ونتيجة لهذه الصعوبات لم نجد أى احصاء لأعداد الغجر فى مصر يمكن الاعتماد عليه ، وقد اكتفى كاتب مثل لين بقوله « انه لايوجد بمصر الا عدد قليل من الغجر » (١٣) . وقد قدرهم نيوبولد بستة عشر الف غجرى (١٤) ، وقدرهم ليلاند نفس التقدير (ربما اقتبس تقدير نيوبولد) (١٥) . وقد

ويلى الميرى فى الأهمية ضريبة الفرضة او ضريبة الرؤوس . (انظر : د . السيد رجب حراز ، المدخل الى تاريخ مصر الحديث . من الفتح العثمانى الى الاحتلال البريطانى (١٥١٧ – ١٨٨٢) ، دار نهضة مصر العربية سنة ١٩٧٠ ، ص ٢١٦) .

(٩) Newbold., Op. Cit., p. 291.

(١٠) Burton., Op. Cit, p. 206.

(١١) Newbold., Op. Cit., p. 294.

(١٢) سوف يرد تفسير ذلك فى موضع لاحق .

(١٣) Lane., Op. Cit., p. 356

(١٤) Newbold., op. cit., p. 293.

(١٥) من غير الواضح هل كان ليلاند يقصد أن الثلاثة جماعات الغجرية تقدر بستة عشر الفا أم جماعة الغجر فقط ، ذلك أنه ذكر « ان الغجر ينقسمون الى ثلاثة أنواع : حلب وغجر ونور ، ويوجد من الغجر ستة عشر الفا » (Leland., Op. Cit., p. 197). وبصفة عامة اذا كان ليلاند قد اقتبس هذا التقدير من نيوبولد فانه يعنى بالطبع الثلاث جماعات .

تقدرهم ماسينيون على انهم يمثلون ٢٪ من السكان ، على أن تضم هذه النسبة الثلاث جماعات الغجرية التى تكون غجر مصر (١٦) • على أنه لايمكننا الثقة فى صحة هذين التقريرين نظرا لأن هذين المؤلفين لم يذكرا كيفية التوصل الى كل تقدير بجانب انه لم تجر أساسا اية دراسة علمية على مختلف جماعات الغجر فى مصر كما سبق الاشارة •

وقد كان احد اهداف هذه الدراسة هو محاولة وضع تصور لأعداد الغجر فى مصر بصفة عامة • غير اننا يجب ان نؤكد ان الجهد الفردى لايمكنه ان يضطلع بهذه المهمة ، فقد اتضح ان هذه الجماعات مشتتة وموزعة توزيعا غير منتظم فى القرى والمدن المصرية فى شكل تجمعات تبتدئ من أسرة واحدة فى المكان الواحد الى اكثر من ٥٠٠ أسرة • كذلك فان التعرف على اماكن وجودهم يحتاج الى وقت وجهد نظرا لأنهم يحاولون التخفى وغالبا مالا يعرف المحيطون بهم الكثير عنهم ، فمعظم المناطق التى تمت دراسة الغجر بها أكدت الجهود الأولى عدم وجود غجر بها • وهناك عامل آخر هو أن من الغجر من ينتقلون تنقلا دائما أو موسميا ، هذا علاوة على الصعوبات التى واجهها الرواد الأوائل •

المظهر الفيزيقى للغجر :

سبق الاشارة الى أن المظهر الفيزيقى للغجر لم تتناوله دراسة علمية دقيقة اذ اقتصرت كتابات المؤلفين على اشارات مختصرة الى هذا الموضوع • فقد ذكر ليلاند أن الحلب والغجر يتميزون فى ملامحهم الفيزيقية عن بقية سكان مصر ، خاصة فيما يتعلق بشكل العينين • وانه يمكن للشخص المدقق الذى يقيم فى مصر فترة طويلة ان يلاحظ بسهولة الملامح الغريبة لبعض الاناث عن تلك الملامح التى تتميز بها نساء الفلاحين (١٧) • كما وصف كريمر الشكل الفيزيقى للغجر الذين يدعون أنفسهم صعايدة بأن سماتهم هى سمات

(١٦) Walker., Op. Cit., p. 287. See also : Encyclopedia of Islam 1936., Op. Cit., p. 962.

(١٧) Leland., Op. Cit., p. 198.

الآسيويين ، فلونهم اخضر وعيونهم سوداء حادة ، وهم ذوو شعر اسود مستقيم ، وان النساء يضعن الوانا زرقاء على الشفتين واليدين والثديين (الوشم) ويلبسن اقراطا كبيرة من المعدن وعقودا بها حبات زرقاء وحمراء (١٨) • غير ان هناك ملاحظة هامه وردت فى أول ما كتب عن غجر مصر ، وهى تلك الاشارة الى التشابه بين الغجر وغير الغجر • فقد ذكر سيتزن انه على الرغم من ان المراة الغجرية تتميز بالبشرة الصفراء ، واللشعر الأسود الذى يتدلى على الجانبيين فى شكل ضفيرتين ، الا ان هناك تشابها بين ملامح المراة الغجرية وبين جيرانها الفلاحات (١٩) •

ولكن يلاحظ بصفة عامة ان هناك آراء مختلفة ومتعددة حول مسالة التشابه والاختلاف بين الغجر وغير الغجر فى مصر ، فقد ذكر لين انه يمكن رؤية المراة الغجرية دائما فى شوارع القاهرة ، وانها تلبس ملابس مثل الملابس التى تلبسها الطبقة الدنيا من المصريات ، فهى ترتدى « الثوب » و « الطرحة » ، غير انهن يخرجن عادة سافرات الوجه (٢٠) • ووصف ليلاند امرأة غجرية فى منتصف عمرها بانها تشبه فى مظهرها مظهر اية امرأة مصرية من الطبقة الدنيا ، وقد وشمت على ذقنها بلون أزرق ومع ذلك فملامحها وتعبيراتها تشبه الغجر (٢١) • وذكر نيوبلد أن المراة الغجرية تختلف فى ملابسها اختلافا طفيفا عن الفلاحة ، فالجلباب الاسود القاتم يعد زيا مشتركا بالنسبة لهما ، وذكر أن الغجريات نادرا ما يرتدين « السنتيان » ، كما تخرج معظمهن سافرات يرتدين على اكتافهن قطعا من جلد الغزال أو الماعز (٢٢) • وهناك ظاهرة اخرى اتفق معظم الكتاب على تميز الغجر بها وهى ظاهرة الوشم (٢٣) ، فالنساء يوشمن شفاههن وأيديهن وصدورهن باشكال

(١٨) Leland., Op. Cit., p. 198;

(١٩) Kremer., Op. Cit., p. 264.

(٢٠) Leland., Op. Cit., p. 194.

(٢١) Lane., Op. Cit., p. 356.

(٢٢) Leland., Op. Cit., p. 191.
Newbold., Op. Cit., p. 285.

(٢٣) قارن : Kermer p. 294 Newbold p. 292, Leland p. 191. Sinclair p. 336.

متنوعة من الوشم (٢٤) .

** نلاحظ ان ماسبق سرده من آراء الكتاب عن المظهر الفيزيقى للغجر لا يقدم وصفا علميا دقيقا كما ان الآراء غير متفقة مع بعضها خاصة فيما **لا يقدم وصفا علويا دقيقا كما ان الآراء غير متفقة مع بعضها فيما يتعلق بتحديد السمات الغجرية الأساسية ، وحسم مسالة التشابه والاختلاف بين الغجر وغير الغجر** .ويرجع ذلك الى ان الكتاب لم ينبهو الى هذه الآراء نتيجة عدم قيامهم بدراسة علمية تستخدم الأساليب وطرق القياس المتعارف عليها فى مجال الأنثروبولوجيا الفيزيقية ، ولذلك كانت آراؤهم عبارة عن ملاحظات سطحية عامة . كذلك لم يحاول هؤلاء الكتاب البحث عن عينات تمثل غجر مصر كما لم يتطرقوا الى وصف المظهر الفيزيقى للأعداد الكبيرة ، اذ قام بعضهم بوصف امراة غجرية واحدة قابلها صدفة . والنقطة الهامة التى يجدر الاشارة اليها ان هؤلاء الكتاب لم يوضحوا فى وصفهم لمظهر الغجر عما اذا كانوا يعنون بالشكل الفيزيقى اللامح الجسمية مثل لون العين والبشرة وتجاعيد الشعر ... الخ . أم يقصدون الملبس والزى . وقد ادى ذلك الى أن يتطرق الكتاب الى وصف الجانبين معا دون تفرقة بينهما . ويرى الباحث أن اختلاف زى الغجر ربما هو الذى قادهم الى تقدير اختلاف المظهر الفيزيقى من الغجر وغير الغجر .

هذا ويضاف الى ما سبق **ان الشخص الملاحظ للبيئة المصرية يجد أن هناك تشابها فى الملامح الفيزيقية بين الغجر وبين بقية المصريين . غير أنه يمكن ملاحظة بعض جوانب التميز عند بعض الجماعات الغجرية ،**

---

(٢٤) يقول سنكلير ان ظاهرة الوشم تسود بين غجر الشرق بسبب انتشار هذه المظاهر فى الشرق بصفة عامة ، ولذلك لم تظهر هذه الظاهرة لدى غجر أوروبا . وكما يقول أن هذه الظاهرة تميز غجر الشرق الذين يوجدون فى مناطق كثيرة من البلاد الأوروبية والافريقية (Sinclair,, Op. Cit., p. 336.) ويعتقد الكاتب أنه يجب أن نتأكد من عدم انتشار هذه الظاهرة فى مناطق غير شرقية على الاطلاق حتى يمكن اعتبار الوشم ظاهرة خاصة بغجر الشرق دون غيرهم .



الوشم ظاهرة ارتبطت لفتره طويلة بالغجر

وخاصة فى لون البشرة وشكل الوجه بالنسبة لنساء الغجـر على وجه الخصوص • لكن لن نجرؤ على افتراض سبب يرجع اليه هذا الاختـلاف ، اذ أن ذلك يستلزم أن تجرى دراسة علمية متخصصة ، بالاضـافة الى أن بعض المصريين من غير الغجر يتميزون بهذه الخصائص نتيجة اتصالهم بسلالات غيـر مصـرية •

** **أما من جهة المظهر الخارجى والزى ـ كظواهر غير موروثة ـ** فنجد ان الغجر فى بعض الأحيان متميزين وفى أحيان أخرى متشابهين مع جيرانهم من غير الغجر • ونظرا لاختلاف البيئات التى توجد فيها الجماعات الغجرية المختلفة ، وكذلك اختلاف أوضاع ومهن كل جماعة ، واختلاف المسـتوى المـادى الذى تعيش فيه فان هذه الجماعات تختلف عن بعضـها بحيث لا يمكن اطلاق حكم عام يصدق على مختلف الجماعات • فمعظم جماعات النور الذين يعيشون فى القرى يرتدون ملابس فاخرة ويتحلون بالذهـب مما يجعلهم متميزين عن أبناء القرى التى يعيشون فيها • واذا كانت نسـاء النور ترتدين الجلباب الأسود مثل سائر الفلاحات الا أنهن يغيرن هـذا الزى ـ فى الغالب ـ بزى المدن فى حالة الانتقال الى المدينة لأى غـرض من الأغراض • وقد ذكر أحد رجال **النـور** « أن بناتنا تستطعن أن تعلمـن بنات العالم أصول الموضة » • ويرجع ذلك الى أن المستوى المـادى لمعظم جماعات النور مرتفع ، ومع ذلك فأحيانا يعتمد النور ـ وغيرهم من الغجر ـ فى عدم الظهور بهذا التميز فيرتدون نفس الملابس التى يرتديها غير الغجر وخاصة فى المناطق الريفية • ويرجع ذلك الى عدة أسباب منها أن نشاطاتهم التى يمارسونها لا تتطلب أكثر من المستوى البسيط من الملبس ، بجـانب عامل التأثر بالبيئة المحيطة التى يعيشون فيها فترة طويلة من الزمن • أما **الحلـب** الذين يمارسون الاستجداء فى مناطق متفرقة من صعيد مصرمهم يرتدون نفس الزى بالذى يرتديه فقراء هذه المناطق • فالرجل يرتد ى الجلباب، والمرأة ترتدى ثوبا أسودا طويلا وطرحة ، وتعلق بعضهن فى أنوفهن حلقة ، ويتناسب هذا المظهر مع عملية الاستجداء• وفى لقاء مع احدى هذه الجماعات (يعمل افرادها فى الاستجداء ورؤية الطالع ويعمل الرجال سمكرية متجولين) اكدو انهم

الغجر

لايستحمون الا حينما تكون الترع مليئة بالمـاء (٢٥) • ومع ذلك فهناك جماعات حلبية ارتبطت باعمال ثابتة واستقرت وبدأت تعيش نمط حيـاة مشابهة لغيرهم من ابناء المجتمع المحلى المحيط ، وهؤلاء غير متميزين فى مظاهرهم عن غير الغجر •

** أما بالنسبة **لظاهرة الوشم** فالملاحظ لغجريات مصر فى هذه الأيام يجد أن هذه الظاهرة غير منتشرة بينهن بالصورة التى أوضحها الكتاب ، فبعض نساء الغجر اليوم يتميزون بوشم على الصدر او الوجه • ويتميز بعض الرجال ايضا برشم على احد الساعدين او كليهما بينما لا يتميـز البعض الآخر بذلك • ويرجع ذلك الى :ـ

١ ـ **عامل السن** : فنلاحظ أن الوشم ينتشر بين كبار السن اكثر مما ينتشر بين الصغار ، فقد بدأت الأجيال الحديثة ترى أن الوشـم لم يعد ضروريا • وساهم فى ذلك انتشار التعليم بين ابناء بعض جماعات غجرية مستقرة ، وارتباط بعضها الآخر بمهن غير غجرية واختلاطهم بغير الغجر • ولهذا نجد ان الوشم ينتشر بين الغجر غير المستقرين اكثر مما ينتشـر بين المستقرين •

٢ ـ **محاولة التوحد او التظاهر بالتوحد مع المجتمع** : فبعض الجماعات الغجرية تحاول اخفاء انتسابها الى الغجر (٢٦) • واذا كانت هذه الظاهرة قد ميزت الغجر فى وقت معين ، فان محاولة التنصل من الأصل الغجـرى تطلبت هجر الظاهرة المميزة • واذا كان الملاحظ ان بعضا من غير الغجـر موشومون برسومات مختلفة فقد بـدأ الغجر يتشبهون بجيرانهم الريفيين الذين بدأو ـ تحت عوامل التمدن ـ يهجرون هذه العادة •

---

(٢٥) ذكر عن الحلب بصفة عامة أنهم لا يهتمون بالمظهر والنظافة الشخصية ، ومع ذلك فهم مولعون بحب الحلى الصغيرة ، والحلى النحاسية والفضية والعاج •

Newbold., Op. Cit., p. 289, Burton., Op. Cit., p. 285.

(٢٦) سوف يرد تفسير ذلك فى موضع آخر •

غير ان **بعض الغجريات ما زلن يحافظن على الوشم وذلك بسبب المهنة ايضـا** • فالغجريات اللواتى يعملن فى رؤية الطالع تشمن انفسهن ـ خاصة على الوجه ـ باشكال متعددة وذلك بهدف اضافة لمسة سحرية لشكلهن • اما الراقصات (الغوازى الغجر) فينظرن الى الوشم كاضافة لجمالهن الذى يعتبر من اساسيات المهنة •

** أما فيما يتعلق بمسالة **الاعتماد على الخصـائص الفيزيقية للغجر للتفـرقة بين الغجر وغير الغجر فى مصر** فهو معيار لا يمكن الاعتماد عليه وحده فى اى وقت ، وخاصة فى هذه المرحلة الراهنة التى لم تجر فيها دراسات علمية دقيقة • وتدل الملاحظة العامة على أن هناك اختلافات فى المظهر الفيزيقى بين الجماعات الغجرية المختلفة ، كما توجد تشابهات بينهم وبين جيرانهم غير الغجر سواء فى الخصائص الجسمية أو فى المظهـر الخارجى (٢٧) • وحتى بالنسبة لظاهرتى الوشم وارتداء البرقع التى ذكر الكتاب انها تميز غجريات مصر عن غير الغجريات فانها لا تعتبر ظواهر مميـزة طالمـا أن الوشم يمارسه الغجر وغير الغجر كما سبق واشرنا ، وطالما ان ظاهرة السفور لم تعد مقصورة على الغجر فكثير من النساء غير الغجريات يخرجن سافرات الوجه حتى فى المناطق الريفية (٢٨) •

---

(٢٧) هناك ظاهرة شائعة فى كل بلاد العالم وهى أن جماعات الغجـر يمكن أن تتشابه مع الجماعات التى تعيش بينها • وقد قدم بـ W.C. Boyed الغجر الانجليز مثالا لذلك فذكر أنه لا يمكن التمييز ـ من حيث الشكل الفيزيقى ـ بين الغجر وبين الجماعات غير الغجرية التى يعيـش بينها الغجـر

Boyed., Four Achievements of the Genetical Method in the physical Anthropology., American Anthropologist., vol. 56, 56, No. 2., April 1963., p. 245.

ونود أن ننتقد فى هذا الصدد رأى ليلاند الذى ذكر ان ملامح المراة الغجرية (المصرية) كانت مماثلة للملامح الغجرية العالمية

(Newbold., Op. Cit., p. 191).

وذلك أنه لا يوجد للآن تحديد لشكل فيزيقى غجرى نموذجى •

(٢٨) عرضنا مناقشة لمعايير التفرقة بين الغجر وغير الغجر ، ومن بينها الملامح الفيزيقية فى كتابنا الذى صدر عن جماعات الغجر سنة ١٩٨٠

** وفى ختام هذا نود أن نذكر اننا الآن فى حاجة الى دراسة متخصصة تحدد طبيعة الاختلافات التى لاحظها الكتاب ، وعما اذا كانت اختلافات اساسية أم انها تندرج ضمن التنوع فى الشكل الفيزيقى للمصريين بصفة عامة . وعما اذا كانت هذه الاختلافات ترجع الى التميز السلالى أم الى أى عامل آخر . كما تعطى هذه الدراسة تفسيرا لأوجه التشابه بين الغجر وبين المصريين ، وسوف يسهم ذلك فى الكشف عن الغجر من ناحية كونهم جماعة سلالية متميزة أم مجرد جماعة اجتماعية ساهمت فى وجودها عوامل اجتماعية ومهنية وتاريخية . ويتطلب هذا أن نضع فى اعتبارنا فكرة التفاوت فى السمات بين أبناء الأمة الواحدة .

الأصول والتاريخ :

يقول الدكتور مصطفى جواد (٢٩) أن أقدم تسمية عربية للغجر هى « الزط » بضم الزاى وتشديد الطاء . ويذكر أنهم جماعة من الهند عايشت العالم العربى مرة ثائرة ومرة متجندة وثالثة متعيشة .

وقد كان أول انتقال للزط الى العراق فى عهد الحجاج بن يوسف الثقفى فى الربع الأخير من القرن الأول للهجرة أى فى أوائل القرن السابع للميلاد . فيقال أن الحجاج أتى بقوم من زط الهند واصناف ممن بها من الأمم مع أهلهم وأولادهم وجاموسهم فأسكنهم كشكر (٣٠) فتناسلوا . غير

(٢٩) د . مصطفى جواد ، الغجر فى المراجع العربية . مجلة العربى ، العدد ١٢٦ ، مايو سنة ١٩٦٩ (ص ص ٣٥ – ٤٠) . يعتبر هذا المقال مقالا جيدا كتبه المؤلف بعد أن قرأ مقالا عن حقيقة الغجر لمجيب فاضل بنفس المجلة (العدد ١١٥) . ونظرا لأنه وجد المقال سابق الذكر غير كاف فقد حاول الدكتور مصطفى جواد اجراء بحث اكاديمى بالرجوع الى المراجع العربية كمراجع وصفها بأنها أوعى وأوعب لتاريخ الغجر ، ويعتبر المقال جيدا من حيث شموله لما ذكر عن الغجر فى كثير من المراجع العربية مما يوفر الجهد والوقت على أى باحث يود الرجوع الى هذه المصادرة .

(٣٠) كشكر على وزن عسكر اسم لمنطقة العراق الأوسط بين دجلة والفرات ، وهى أقرب الى الجنوب ، وهى اليوم بين لواء الكوت ولواء الناصرية .

أن قوما شجعوهم على قطع الطريق ومبارزة السلطان بالمعصية . وقد كانوا يهدفون من وراء ذلك الى حصولهم على الطفيف من المسافرين فى السفن . غير أن الناس فى أيام المأمون تفادوا الاجتياز بهم وانقطع عن بغداد جميع من كان يحمل اليها من البصرة فى السفن . ولما استخلف المعتصم (٢١٨ هـ – ٨٣٣ م) تجرد لهم وتولى محاربتهم رجل من أهل خراسان يقال له « عجيف بن عنبسه » وضم اليه الكثير من القواد والجند وحاربهم . وأمر عجيفا ، فسكر عنهم الماء بالمؤن العظام لأنهم كانوا يعتصمون بالمستنقعات الطويلة العريضة الناشئة من ملتقى دجلة والفرات المسماة « بالبطائح » فلم يشذ منهم أحد فقدم بهم الى مدينة السلام فى الزواريق فجعل بعضهم بخانقين وفرق سائرهم فى عين زربة والثغور . ويذكر الواقدى أنه لما تم بناء زربا وتحصينها ثم نقل قوم من الزط الذين كانوا قد غلبوا البطائح بين واسط والبصرة فانتفع أهل الثغر بهم » .

وقد ذكر الخوارزمى عن طبقات الناس بالهند أن الزط هم حفاظ الطرق وهم جنس من السند يقال له جتان . ويقول المسعودى أن هؤلاء القوم قد تركوا الهند نتيجة غلاء وقع بها . وأنهم عندما نزلوا بلاد كرمان وفارس وكور الأهواز عظم أمرهم واشتد بأسهم ، وكانوا السبب فى وجود الجاموس بالشام . ويقول شارل بلات Pellat أن هناك بحثا طريفا حاول فيه المستشرق دى جوجى De Goeje تتبع هجرات الغجر فى آسيا فاظهر لقرائه أهمية الزط فى منطقة البصرة الذين يعدون أسلافا للغجر المنتشرين حاليا فى أنحاء العالم . ويقول دى جوجى « تلك هى العصابة الأولى من الغجر التى دخلت المملكة البيزنطية » . ويرى د . عبد الجواد أن منهم من بقى على الاسم القديم « الزط » ومنهم من تغيرت أسماؤهم . وقد علمنا من كتب الأدب أن من أولئك الزط الذين سفكوا الدماء ونهبوا الغلات ونشروا الرعب فى البلاد من كان الصلب عقابا لهم . ويذهب د . جواد الى ما ذهب اليه المستشرق دى جوجى من أن الطالعة الأولى من الزط الى البلاد العربية من الغجر أغار عليهم الروم – كما ذكر الطبرى – فاجتاحوهم ولم يفلت منهم أحد . وأما الطالعة الثانية فهى طالعة « القفس »

وبها سمى الانجليز هذه النائلة الى البلاد الغربية Gypsy كما نرى نحن وغيرنا ، (٣١) ·

وتتفق كتابات أخرى حديثة كثيرة مع ما ذكر د· جواد من **أن الزط هم أسلاف الغجر** فتذكر دائرة المعارف الاسلامية أن هناك كلمات عديدة تطلق على الغجر فى مختلف دول الشرق · ولعل الاسم الأقدم فى الاستعمال والأكثر تحديدا هو زط Zott (Zutt) أوجات Jatt أما الأسماء الأكثر شيوعا والأكثر تحديدا فهى النور والكربات (خاصة فى سوريا وايران) ، والغجر والحلب خاصة فى مصر وشمال افريقيا (٣٢) ·

وقد تضمن العدد الأول من دورية Roma – السابق الاشارة اليها – اشارة الى الزط الذين جلبوا من الهند فى القرن الثامن وأسسوا ولاية مستقلة فيما بين النهرين فى الأعوام (٨٢٠ – ٨٣٤) · وقد أصبح العدد القليل الذى تبقى من هؤلاء هم زط أو نور الأردن وسوريا واسرائيل اليوم (٣٣) ·

أما نيوبولد فقد قرر من خلال دراسة للسمات المميزة لغجر مصر أنهم **ينتمون الى أصول أجنبية** · فهو يقول ان الغجر فى مصر يعيشون فى قلب مصر متميزين ومعزولين · ويعد تشابههم الفيزيقى بجانب دلائل أخرى مثل العادات ، دليلا على انتمائهم الى عائلة واحدة · بجانب أن اللغة التى يتكلمونها – على الرغم من التغيرات التى طرأت عليها نتيجة فترة تجوالهم الطويلة – تدل على رجوعهم الى أصل مشترك يرجع الى الهند ،

---

(٣١) يؤكد ايضا أنه ليست هناك صلة بين الاسم gypsy وبين Egypt كما زعمت دائرة المعارف البريطانية ، فقد أراد كاتب هذه الفترة فقط أن يصم المصريين بوصمة تاريخية على نحو عادتهم من اختلاق الوصمات على الشرقيين ·

(٣٢) Encyclopedie of Islam., 1936., Op. Cit., p. 962.

(٣٣) Encyclopedia Of Islam., 1936. Op. Cit., p. 962.

ومن المحتمل الى كالديا القديمة أو بابل (٣٤) · وقد أرجع نيوبولد أيضا **الاختلافات** الموجودة فى لغة الجماعات الثلاث الغجرية فى مصر الى طول فترة تجوالهم فى بلاد مختلفة بعد أن تركوا **وطنهم الأصلى الهند أو البلاد المتاخمة** لحدودها (٣٥) · وقد استنتج من دراسته للغة الحلب أنهم قضوا وقتا طويلا فى اليمن أو اجزاء أخرى من شبه الجزيرة العربية · وان الأعداد التى تستخدمها جماعة الحلب وجماعة الغجر تؤكد رجوعهم الى **أصول هندية وايرانية** (٣٦) ·

ومع ذلك فقد ذكر كريمر ان الغجر انفسهم يذكرون انهم من عدة قبائل ، وان كل قبيلة تعتبر نفسها قبيلة عربية أصيلة وهم فخورون بانتسابهم الى السلالة العربية الخالصة ، ويبدو انهم هاجروا من غرب افريقيا غير أن تاريخ هجرتهم غير معروف · ويرى كريمر أن انتماءهم الى المذهب المالكى الذى يعتبر المذهب السائد فى كل شمال غرب افريقيا يثبت صحة ادعائهم بالانتساب الى هذه المنطقة (٣٧) ·

واذا كان ما ذكر يتعلق بتاريخ الغجر بصفة عامة ، فقد حاول بعض الكتاب ان يتناولوا تاريخ جماعة محددة من الجماعات الغجرية الثلاثة فى مصر · ومن بين هؤلاء جالتيه وسامبسون ، فيرى جالتيه أن الجماعة التى تدعى غجرا فى مصر كانت مجرد جماعة غجرية هاجرت من القسطنطينية منذ قرن مضى أو قرنين ، وهذا يمكن أن يكون صادقا بسبب أن لغتهم أقل تلوثا بمقومات اجنبية من اللغة التى تتكلمها الجماعات الغجرية الأخرى فى وادى

---

(٣٤) Kenrick., Romanies in The «Middle East - 1., ROMA., p. 5.

(٣٥) Newbold., Op. Cit., p. 286.

(٣٦) المرجع السابق ، ص ٢٩٤ ، ص ٢٩٥ ،

(٣٧) Kermer., Op. Cit., p. 263 (See also Burton., Op. Cit., p. 235).

النيل (٣٨) . وقد استخلص سامبسون ايضا من قائمة كلمات الغجر التى قدمها نيوبولد ان افراد جماعة الغجر يعتبرون غجر اوروبيون انقياء ، ولابد ان يكونوا قد هاجروا من مقاطعات الدانوب ، وربما من اقليم مولدافيا (٣٩) . وقد ذكر نيوبولد أن الغجر انفسهم يقولون ان اخوتهم فى المجـــر مازالوا يحافظون على لغتهم الأصلية باكثر نقاء من اللغة التى يتكلمها غجـــر مصر الآن (٤٠) .

أما الحلب فيرى كريمر انهم هاجروا من الغرب (٤١) ، وان اصولهم ترجع الى اليمن وحضرموت ، وهم يؤكدون أن تاريخهم المبكر سجل فيما يعرف بتاريخ الزير ، وهو على حد قول نيوبولد تاريخ غامض وغير واف (٤٢) . ويقول نيوبولد ان قبائلهم قد طردت من اليمن مع اضطهاد الزير ملك جنس الـ tuba ، مارسوا التجوال فى سوريا ومصر وايران واوروبا . وحصل السبعة اخوة رؤساء القبائل التى هاجرت الى مصر من الملك على اعفاء من الضرائب ، وعلى حق التجوال فى البلاد دون مضايقات أو تحرشات . وتعتبر مقابر السبعة اخوة الرؤساء مساكن مقدسة الى هذا اليوم (٤٣) . ويقال ان اثنين من هذه المقابر تقعان فى الصحراء البحرية وواحدة فى القليوبية والباقى فى Syud (٤٤) . واذا كان نيوبولد قد ذكر ان الحلب قد عجزوا عن ان

(٣٨) Walker., Op. Cit., p. 288 (See also Encyclopedia of Islam., Op. Cit., p. 936).

(٣٩) Sampson., Op. Cit., p. 288.

(٤٠) Newbold., Op. Cit., p. 392.

(٤١) Kremer., Op. Cit., p. 266.

(٤٢) سوف نتكلم عن الزير فى جزء تال .

(٤٣) لم توضح نتائج العمل الميدانى وجود هذه المزارات المقدسة ،

(٤٤) See : Newbold., Op. Cit., p. 291, Encyclopedia of Islam 1936 p. 963, Burton p. 252.

ويلاحظ أن كلمة Syud قد سجلت فى المراجع المذكورة ، ومن غير المعروف اذا ما كان المقصود بها أسيوط أم الصعيد ام اى مكان آخر .

يوضحوا عن سبب تسميتهم حلب أو عن أصول هذه الكلمة التى تطلق على سكان مدينة حلب بسوريا ، فقد اظهر ووكر تشككه فى وجود هذه العلاقة بقوله ان هذه الحالة تشبه حالة غجر فرنسا الذين أخذوا اسمهم من البوهيميين، وغجر السويد والدانيمارك الذين اخذوه من التتر ، ومع ذلك فامر هجرتهم من هذه الأماكن مازال موضع شك (٤٥) .

غير أن نتائج البحث الميدانى قد أوضحت ان بعضا من غير الغجـــر يقررون ان الحلب وفدوا اصلا من مدينة حلب بسوريا . ويرى فريق منهم ان الحلب وفدوا منذ اكثر من خمسمائة عام بسبب المجاعات التى كانت فى سوريا ، وان الجيل الحالى هو الجيل العاشر . ويرى الفريق الآخر أن عملية حفر قناة السويس سببت عجزا فى الأيدى العاملة المصرية فى مجال الزراعة مما استدعى هجرة بعض الأيدى العاملة الزراعية من سوريا .

ومع ان كلا الفريقين لا يعطى اية براهين او ادلة تاريخية تؤيـــد آراءهما الا ان الراى الثانى يبدو غير منطقى على الاطلاق ، اذ يتعين لصحته أن يكون الغجر اكثر ارتباطا بالعمل الزراعى الآن وهذا مالا يتفق مع الواقع . أما الحلب أنفسهم فهم يؤكدون انهم عرب بدو وانهم ليسوا فلاحين وان كلمة حلب قد اطلقت عليهم كمجرد « لقب » فقط .

أما بالنسبة للنور فيحاول البعض الربط بين نور اليوم وبين الجماعات التى تسمى لورى Luri والتى تنتشر فى ايران وفى مناطق أخرى حتى اليوم أيضا . وقد ذكر البعض أن النور معروفون منذ القرن العاشر ، الا انه لايوجد دليل يربط بين نور القرن العاشر والنور الذين يعيشون بيننـــا ويوجدون اليوم فى سوريا والأردن واسرائيل وفى أماكن كثيرة أخـــرى شوهد النور يدربون الدببه فى أوروبا امريكا فى القرن التاسع عشر . وفى العام الماضى عبرت احدى هذه الجماعات شمال افريقيا الى فرنسا والمانيا وقد كان سيتزن Seetzen أول من سجل لغة النور سنة ١٨٠٦ . وفى

(٤٥) Walker., Op. Cit., p. 288.

ذلك الوقت كانت لغتهم تحتوى على كلمات مستعارة من اللغة العربية . غير أن قواعدها مازالت القواعد الهندية (٤٦) .

وان كانت الآراء السابقة تؤرخ لجماعات الغجر فى مصر ككل أو تؤرخ لجماعة واحدة فانها جميعا تشير الى أن وفود هذه الجماعات كان من خارج مصر وخاصة من الهند . وهذا مما يزيد احتمال وجود علاقة بين غجر مصر والجماعات الغجرية المنتشرة فى العالم التى يفترض ان أصولها ترجع أيضا الى الهند .

ومن أهم معالم تاريخ الغجر ارتباطهم بشخصية تسمى «الزير سالم».

واذا كان قد ذكر أن تاريخ الزير يرتبط بالحلب فقط ، فان الدراسة الميدانية قد أظهرت ان قصة الزير معروفة لدى جماعات الغجر المختلفة فى مصر .

وتحكى القصة صراعا حدث بين الزير وبين شخص آخر يدعى « جساس » ـ وهما أبناء عمومة ـ تحاربا على رئاسة القبيلة . ويعتقد الغجر أن قائدهم كان جساس ولهذا فهم يدعون أنفسهم « عرب جساس » ، ولكنهم لقوا الهزيمة على يد الزير الأقوى الذى انتصر عليهم بخداعه ثم لعنهم بأن يركبوا الحمير الى الأبد ، ولهذا فهم يقولون « ملعون أبو الزير اللى حكم علينا بركوب الحمير » . ولكن جساس انتصر بعد ذلك وحكم على جماعة الزير ان يحرثوا الأرض وان يعملوا بالفاس طوال حياتهم . ولهذا فالفلاحون الذين يسكنون الزرعة ويحرثون الارض يسبوبه أيضا قائلين « ملعون أبو جساس اللى حكم علينا بمسك الفاس » (٤٧) .

---

(٤٦) Kenrick, Romanies in the Middle East., — 3 Op. Cit, p. 35.

(٤٧) نشرت قصة عن الزير سالم باللغة العربية (انظ : بدون مؤلف ، قصة الزير سالم الكبرى أبو ليلى المهلهل ، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح ، القاهرة ، بدون تاريخ ، وتقع فى ١٥١ صفحة) . وتحكى هذه القصة أصول الصراع الذى دار بين الزير وبين جساس وكيف حاول أعداء الزير قتله منذ طفولته .

ويلاحظ أن غجر مصر يخجلون عندما يذكر لهم اسم الزير سالم ، وكأنهم يشعرون بالعار أو الهزيمة ، ولذلك أحيانا يحاول بعض من غير الغجر اغاظتهم بمجرد ذكر كلمة « الزير » . وقد قاطع غجرى أخاه حينما ابتدأ يقص قصة الزير بقوله اننا لا نعرف عنه شيئا ولا يمت لتاريخنا بصلة .

غجر مصر وغجر البلاد العربية (٤٨) :

هناك دلائل توضح وجود علاقة بين غجر مصر والغجر فى المنطقة العربية ويمكن تحسس هذه العلاقة فى ثلاث نواحى :

الأولى : ان أسماء الغجر فى البلاد العربية تتشابه مع تلك الأسماء الأساسية التى تطلق عليهم فى مصر . ففى السودان يعرف الغجر بالحلب ، وفى سوريا وفلسطين ولبنان بالنور . كما أن كلمة غجر كلمة معروفة فى كل البلاد العربية مهما اتخذت الجماعات أسماء فرعية . حتى فى لبنان التى تطلق عليهم كلمة نور نشر الكثير عنهم تحت اسم غجر .

الثانية : أن غجر المنطقة العربية كانت بينهم صلات أو يرجعون الى أصول واحدة وهو ما تظهره المادة التاريخية المتوفرة . وقد وضح ذلك من عرضنا للزط ، ومن افتراض هجرة غجر مصر من اليمن وحضرموت . كذلك هناك من يقرر أن الغجر كانوا أولا يعيشون فى بلد تسمى السند وكان لهم ملك يدعى مارامنجودت Mar-Amengo وكان له اخوان ، اسم الأول رومانو Romano واسم الآخر سينجان Singan . وقد ترك الغجر وطنهم الاصلى تحت تأثير الحرب والاضطهاد وبدأوا يجوبون البلاد الأخرى كفقراء . وقد أخذ كل أخ من الاخوة الثلاثة أتباعه فى طريق . فالبعض ذهب الى شبه الجزيرة العربية والبعض الى بيزنطة والبعض الآخر الى أرمنيا .

---

(٤٨) أنظر مزيد من التفصيلات عن غجر البلاد العربية فى كتاب « جماعات الغجر . مع اشارة خاصة للغجر فى مصر والبلاد العربية » الذى سبق أن أشرت اليه .

واذا سلمنا بوفود غجر مصر – او بعض منهم – من شبه الجزيرة العربية ، فان هذا يؤكد الصلة بين غجر مصر وغجر البلاد العربية ، وكذلك الصلة بينهم وبين غجر العالم (٤٩) ·

بالاضافة الى ذلك فان بعض عناصر التاريخ الغجـرى المكتوب والمتناقل شفاهة يوجد بنفس تفاصيله لدى الغجر المقيمين فى أكثر من بلد عربى ، وعلى سبيل المثال ، فان قصة الزير سالم موجودة بنفس تفاصيلها لدى غجر مصر وغجر فلسطين ·

الثالثة : أن هناك تشابها فى الظواهر السائدة لدى غجر مصر وغجر بلاد عربية اخرى · فالظواهر التى وصفها فيلكن Filkin عن غجـر دارفور مثل المهن والأعمال ، والملابس والرقص ، والتسمية والظواهر المتعلقة بعفة النساء ونمو العلاقات مع غير الغجر (٥٠) · تتشابه تماما مع تلك تسود بين كثير من الجماعات الغجرية فى مصر · وينتظر أن تؤدى أية دراسات تجرى لاثبات هذه العلاقة الى نتائج دقيقة · وسوف يكون الوصول الى هذه النتائج اكثر سهولة واكثر ضمانا مما هو الحال فى حالة اثبات العلاقة بين غجر مصر وغجر مناطق أخرى من العالم · ولكى تحقق هذه الدراسات الهدف المذكور يجب أن تتجه الى النواحى الآتية : –

١ – تتبع تاريخ وجود هذه الجماعات وتنقلها فى المنطقة العربية ·

٢ – دراسة التراث المنشور عن الغجر سواء العلمى أو الأسطورى ·

٣ – اجراء دراسات ميدانية مكثفة ومتعمقة يمكن عن طريقها اجراء المقارنات للوقوف على أوجه الشبه والاختلاف ·

***

(٤٩) Kenrick., op. cit., p. 13.

(٥٠) Fikin., Central African Gypsies., Journal of the Gypsy Lore Society., No. 4. April 1889., pp. 20-22.

الفصل الثالث

الجماعات الأساسية

والجماعات شبه الغجرية

اولا : الجماعات الأساسية

يعتبر ما ورد فى الكتابات المختلفة عن تعريف الغجر فى مصر وتحديد جماعاتهم الأساسية **قاصرا وناقصا** ، اذ لا يوجد تعريف شامل ودقيق لكلمة غجر كما لا يوجد تحديد واضح للجماعات الأساسية ، باستثناء تقسيم ووكر السابق الاشارة اليه · بالاضافة الى ذلك هناك **نوع من الخلط بين هذه الجماعات** · فقد تكلم البعض عن الحلب على أنهم الغجر ، بينما خلط البعض الآخر فى حديثه عن « الغجر » بين كلمة غجر ككلمة مرادفة لكلمة Gypsies تضم مختلف الجماعات الفرعية للغجر ، وبين الغجر كجماعة فرعية واحدة من جماعات الغجر فى مصر · كما اكتفى معظم من اطلقوا مسميات على الجماعات الغجرية المختلفة على ما وصل الى علمهم من أسماء دون محاولة للاستقصاء أو التمحيص ·

غير أن محاولات هؤلاء الكتاب قد احتوت على **بعض المعلومات المفيدة فى تعريف وتحديد جماعات الغجر فى مصر** ، اذ هناك شبه اتفاق على أن كلمة غجر تجمع فى اطارها كل جماعات الغجر فى مصر (١) · وعلى الرغم من أن القليل من الكتاب قد تناول تفرع الغجر الى ثلاث جماعات هى « الغجر » و « الحلب » و « النـور » ، وعلى الرغم من أن البعض الآخر

(١) Kremer., Op. Cit., p. 263.

قد اقتصر على ذكر جماعة واحدة أو اثنين الا ان هذه الجماعات الثلاث قد ذكرت فى المؤلفات المختلفة وبهذا يكون هناك تقرير ضمنى بوجود ثلاث جماعات أساسية .

والمحاولة التالية التى اقدمها فى هذا المجال هى محاولة لتقسيم وتصنيف جماعات الغجر فى مصر ، واذا كانت هذه المحاولة قد استرشدت ببعض ما ذكر فى التراث ـ كما ذكرت الآن ـ الا أن الاعتماد الأساسى كان على نتائج الدراسة الميدانية التى كشفت عن وجود القصور سابق الاشارة اليه فى المراجع المختلفة (٢) . فى ضوء ذلك يمكن تقسيم جماعات الغجر فى مصر الى ثلاث جماعات أساسية هى : الغجر والحلب والنور .

١ ـ جماعة الغجر : (المفرد غجرى ـ غجرية)

تدل الكتابات المختلفة على أن هذه الجماعة ذات سمعة غير حميدة ، ويرى بعض الكتاب أن اهم ما يميز هذه الجماعة هو النقاء اللغوى ، فيرى جالتيه Galtier أن وصولهم الى وادى النيل كان اكثر حداثة ويذكر أنه من المحتمل أن يكونوا أصلا قبيلة غجرية وفدت من القسطنطينية . ويرى جالتيه وغيره أنه يمكن التعرف على سمعة هذه الجماعة من مجرد التعرف على مدلول كلمة « غجر » بمعنى سوقى أو وقح . وقد زود هذا الاسم اللغة العربية بالفعل « غجر » بمعنى أن يكون بذيئا أو فاسدا (٣) . وقد ذكر ليلاند أن الخديوى قد أخبره أن احدى الجماعات الموجودة بمصر تسمى غجارين Ghagarin (٤) فقد ذكر ليلاند ـ بناء على رأى مشايخ

(٢) أود أن أوضح اننى توصلت الى فكرة تقسيم جماعات الغجر فى مصر الى ثلاث جماعات ، قبل أن يصل الى تقسيم ووكر ، واذا كانت نتائج العمل الميدانى تتفق ـ دون علم مسبق ـ بما ذكره الكتاب ، فان ذلك يعطى درجة أعلى من الثقة فى نتائج الدارسين .

(٣) See Walker., Op. Cit., p. 288, Encyclopedia of Islam., 36 Op. Cit., p. 963.

(٤) Leland., Op. Cit., p. 189.

الغجر ـ أن جماعات الغجر (والحلب) ـ كما هو الحال بين الجماعات البدوية ـ تنقسم الى قبائل ، وان لكل قبيلة شيخ أو كبير (٥) كما قدم ليلاند أسماء هذه التفرعات باسمائها الخاصة . فذكر أن هناك الرومانى (٦) والمداحين والغرادين والبرمكية والولد أبوتنه Abu Tenna وبيت الرفاعى والحملى (٧) .

وتنتشر هذه الجماعة فى مصر اليوم انتشارا واسعا فى مناطق متعددة وتعمل بمهن متميزة وتعيش حياة اجتماعية خاصة سوف يرد تفصيلا عنها فى الأجزاء القادمة (٨) .

٢ ـ جماعة الحلب : (المفرد حلبى ـ حلبية)

تنتشر هذه الجماعة فى مناطق متفرقة من مصر ، ولم يجد نيوبولد تفسير لهذه التسمية حتى عند الحلب انفسهم ، اذ انهم لا يعرفون لماذا سموا بهذا الاسم الذى يطلق على سكان حلب بسوريا (٩) . ويفترض البعض وجود علاقة بين هذه الجماعة وبين المنطقة المذكورة (١٠) ويقال انهم كانوا يطلقون

(٥) المرجع السابق ، صص ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

(٦) لم توضح الدراسة الميدانية وجود أى جماعة غجر تسمى «رومانى» ، واذا كانت هناك جماعة سميت بهذا الاسم فى أى وقت بمصر فان ذلك يفترض ـ كدليل يحتاج الى مزيد من الاثبات ـ وجود علاقة بينهم وبين غجر أوروبا ، اذ أن هناك الكثير من الجماعات الغجرية التى تسمى رومانى .

(٧) Leland., Op. Cit., p. 198.

(٨) سوف تقدم بقية فصول هذا الباب تفصيلات متعددة عن الحياة الاجتماعية لكل جماعة غجرية فى الموضوع المناسب ، وقد اكتفينا هنا بمجرد تحديد الجماعات الأساسية وتعريفها .

(٩) Newbold., Op. Cit., p. 291.

(١٠) انظر الجزء الخاص بتاريخ الغجر فى الفصل السابق .

على انفسهم اسم محليش Mahlebish (١١) ومن المرجح ان هذا الاسم الاخير الذى ذكره نيوبولد هو اشتقاق او شكل آخر لكلمة حلب ، او هو الصياغة التى صاغها الغجر لكلمة حلب اذ انه اتبع فى صياغة هذه الكلمة نفس ما يتبعه الغجر من اضافة مقدمات او نهايات للكلمات العربية (١٣) ويذكر نيوبولد ان قبائل هذه الجماعة قد تشتت فى الحبشة تحت أسماء أخرى. ويذكر ان الاسم « كوستانى » Kustani يعتبر أحد الأسماء التى أطلقت عليهم (١٢) وان شيخ الحلب فى مصر قد ذكر له ان هذه الجماعة تتكون من اربع قبائل (بيوت) ، وان كل قبيلة تضم حوالى خمسين أسرة منتشرة فى مصر ، وان هذه القبائل أو البيوت هى :

- قبيلة البتاتية وشيخها الحاج بهى .
- قبيلة السروتية وشيخها أبو سالم .
- قبيلة شويها وشيخها الحاج مهدى .
- قبيلة الهويدات وشيخها الشيخ هريدى .

ولا يمارس قراءة الكف وأعمال الكهانة من هذه القبائل الا قبيلة السروتية (١٤) . وطبقا لما يقوله الحلب فقد حصل مشايخهم من أحد ملوك مصر على حق التجوال فى البلد ، وعلى امتياز الاعفاء من الضرائب . ومع ذلك فقد أجبرهم محمد على باشا على دفع ضريبة الرؤوس . وقد اعتبرت أعدادهم حوالى مائتى شخص فى الوقت الذى كانت أعدادهم تصل الى خمسة آلاف أسرة (١٥) . وقد اتهم الحلب « بالبذاءة وقلة الاحتشام خاصة فيما

---

(١١) Newbold., Op. Cit., p. 292.

(١٢) أنظر فصل اللغة .

(١٣) نيوبولد ، المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(١٤) Newbold., Op. Cit., p. 291.

انظر ايضا اشارة الى نيوبولد فى هذا الصدد فى مقال ووكر السابق الاشارة اليه ص ٢٨٨ .

(١٥) Burton., Op. Cit., p. 253.

يتعلق بطلب المال » (١٦) .

٣ ـ جماعة النور : (المفرد نورى ـ نورية)

يطلق على هذه الجماعة اسم « نور » وأحيانا « نورة » . وقد ذكرت دائرة المعارف الاسلامية ان النطق الأكثر صحة هو « نورى » nawari وان الجمع « نور » nawar . وهناك رأى يرى ان كلمة « نورى » هى اشتقاق من كلمة « لورى » Luri (١٧) . غير ان كاترمير Quatremere يرى ان الاسم « نور » مشتق من الكلمة العربية « نار » والفعل العربى « نور » . كما يرى ان هذا الاسم قد أطلق على هذه الجماعة لأنهم كانوا يشاهدون وهم يحملون المجمرة والمشكاة أو الفانوس . كما يرى أن ارتباط هذا الاسم بالنار يرجع الى ان أفراد هذه الجماعة كانوا ومازالوا يكسبون معيشتهم من العمل فى الحداده (١٨) . ويرى أيضا انه من المحتمل أن الصياغة الصحيحة لأصول كلمة « نور » توجد فى اللهجة السنسكريتيه لشمال غرب الهند التى تعتبر الموطن الأصلى لجماعة الغجر (١٩) .

---

(١٦) المرجع السابق ، ص ٢٥٥ .

(١٧) يعرف الغجرى فى ايران باسم « لورى » Lori ويحتمل ان يكون الاسم « نورى » هو اشتقاق لغوى من الكلمة « لورى » ، وهى الكلمة التى تطلق أساسا على سكان مدينة الرور al-Rur (Arur) فى سند Sind
See Encyclopidia of Islam., Op. Cit., p. 962.

(١٨) هناك تفسير مشابه يتعلق بتسمية نور فلسطين . فيقال أن كلمة نور اطلقت عليهم حينما كانوا يبنون الكعبة فى مكة ، ولذا سميت « المنورة » ، فى ذلك الحين أعطى لهم لقب المنيرين Lighters . وقد ذكر بولد نزبرجر Boldensperger أنه يعنى الشخص الذى يستخدم النار فى عمله وهو الحداد . ويقول النور أنفسهم أنهم أتوا من « نجد » بالمملكة العربية السعودية مع بنى هلال .
Bldensperger., P. Woman in the East., Palestine Exploration Fund (Quarterly Statment)., London. 1901., p. 272.
كما أنه ينظر الى نور سوريا على أنهم قبيلة بنى نور
(Kermer., Op. Cit., p. 262).

(١٩) Encyclopedia of Islam., 1936 Op. Cit., p. 962.

ونظرا لأن النور معروفون على نطاق واسع بأنهم لصوص فقد اكتسبت كلمة « نور » معنى اللصوصية · وقد حاول المثل الشعبى « ألف نورى ولا دمنهورى » أن يقرن بين نزعتهم وميلهم الى السرقة وبين شعب مدينة دمنهور – وان كان ذلك يتضمن تشهيرا بكل منهما – وقد عملت جماعة النور كخفر فى العزب (٢٠) استنادا الى القاعدة التى تتبع أحيانا لاستخدام لص للقبض على لص · وطبقا للمدلول الذى اكتسبته كلمة « نور » فى اللغة العربية فهى تعتبر نوعا من السب اذا وصف بها شخص أو جماعة ، كما تعنى أيضا نفس المعنى بالنسبة لجماعة النور التى تسمى بهذا الاسم ولهذا تعتبر هذه الجماعة جماعة محتقرة (٢١) ·

مناقشة وتعليقات :

يتناول هذا التعليق ايضاح ثلاث نقاط هامة يمكن اثارتها عن التقسيمات الثلاثة التى أشير اليها فيما سبق ، وهى :

١ – أن كلمة غجر تستخدم بأكثر من مدلول :

يتضح من خلال دراسة المعنى اللغوى لكلمة غجر ، وبالتعرف على المعنى الشائع المرتبط بالكلمة فى الاستخدام اليومى الدارج فى البيئة المصرية ان كلمة غجر تستخدم بأكثر من مدلول ، اذ أنها تدل على شيئين مما يؤدى الى وجود تداخل · اذ تعنى كلمة غجر جماعات الغجر فى مصر بصرف النظر عن تفرعاتها المختلفة ، كما أنه يمكن ان تعنى أيضا جماعة واحدة من الجماعات الثلاثة سالفة الذكر وذلك حين يستخدم الشخص المفهوم فى مجال التخصيص على جماعة دون أخرى ·

---

(٢٠) Walker., Op. Cit., p. 289.

(٢١) ينطبق هذا القول على نور فلسطين ، فهم جماعة محتقرة من الكل ، اذ يكونون مجتمع المنبوذين حقيقة · وعندما يطلق على رجل كلمة نورى أو على امرأة كلمة نورية ، فان ذلك يعنى أن هذا الرجل او هذه المراة اشد وضاعة واحتقارا يمكن لانسان ان يتصوره عن اى سورى او فلسطينى Boldensperger., Op. Cit., p. 268.

ونظرا لهذا التداخل فسوف نحاول عند استخدام كلمة غجر فى اطار هذا الكتاب توضيح ما نقصده من استخدامنا لها اذا كان عدم ذكر هذا التفصيل سيسبب اللبس · اذ سنضيف الى هذه الكلمة ما يوضح المعنى المقصود كان نقول « الغجر بصفة عامة » أو « الغجر فى مصر » أو « جماعات الغجر » وذلك حين نقصد التعميم على كل جماعات الغجر فى مصر · أما فى حالة التخصيص على جماعة الغجر دون جماعة الحلب أو جماعة النور فسوف نسبق المصطلح بكلمة « جماعة » بحيث تصبح « جماعة الغجر » ، وهذا اذا لم يكن واضحا ما نقصده من السياق ·

٢ – أن بعض جماعات الغجر قد تعرف بأسماء أخرى غير الأسماء الثلاثة التى عادة ما تطلق على هذه الجماعات :

هناك بعض الأسماء الاخرى المحلية التى اطلقتها جماعات غجرية على نفسها أو اطلقها الناس عليهم ، وقد ارتبطت هذه الأسماء بأسباب وملابسات اجتماعية (٢٢) ·

وفيما يلى بعض الاسماء التى أمكن الاستدلال عليها من الدراسة النظرية والميدانية معا :

(أ) **هجالة** : يطلق بعض أهالى الصعيد هذا اللفظ على نساء الغجر الفقيرات اللواتى يعشن فى المنطقة · ويلاحظ أن هذه التسمية لا ترتبط بالغجر وحدهم اذ هى لفظ يطلق فى صعيد مصر على الأرامل وعلى كل من تحترف الاستجداء بصفة عامه · ولهذا فاننا لا نجد أن أهالى الصعيد يطلقون هذا اللفظ على الرجال الذين ينتمون الى جماعة الغجر والذين يعيشون فى مستوى

---

(٢٢) يشبه كل من الاستخدام اللغوى والمعنى – اللذان تدل عليه كلمة غجر – استخدم المصطلح المقابل gypises · فكلمة gypsies تطلق على مختلف الجماعات الغجرية فى أوروبا رغم تنوعها وتفرعها · وفى نفس الوقت تطلق على هذه الجماعات أسماء أخرى مثل : Rommany وغيرها ، كما أن هناك جماعات غجرية لا يطلق عليها الا الاسم gypsies .

معيشى مرتفع . ومن المرجح أن فقر نساء الحلب فى صعيد مصر كان من أسباب اطلاق هذا اللفظ عليهن ، اذ لم يطلق هذا اللفظ ليعنى نساء ينتمين الى جماعة اثنولوجية معينة والدليل على ذلك أن هؤلاء النساء يعرفن أيضا بأنهن غجريات بجانب أنهن مجالة . وبصفة عامة يمكن القول بأن هذه التسمية ليست شائعة حتى فى صعيد مصر حيث تستخدم هذه الكلمة بكثرة لتعنى الأرامل .

(ب) **طوايفة** : ويطلق هذا الاسم على بعض الجماعات الحلبية فى قرى الصعيد ولا يعنى انتساب هذه الجماعات الى عائلة معينة ، كما لايتضمن الا مدلول الترحال فطوايفة تعنى طوافين أو رحالة . وهذا الاسم يرتبط بحالة الترحال الدائم التى تعيشها جماعات كثيرة فى صعيد مصر .

(ج) **شهانية** : يطلق هذا الاسم على جماعات حلبية أخرى ، وهى تعنى الانتماء للاسم العربى « شاهين » ، وربما أطلقت بعض الجماعات هذا الاسم على نفسها لتتخلص من كلمة حلب والمعانى المرتبطة بها .

(د) **تتر** : وتنطلق على غجر الصعيد ، وقد ذكر ليلاند أنه عندما سال امرأة غجرية عما اذا كان للغجر اسم خاص بهم ومعروف لديهم فقط ؟ أجابت بالايجاب وقالت : « اننا ندعو أنفسنا تتر tataren فى مصر » (٢٣) . وقد أظهرت نتائج الدراسة الميدانية أن بعض الأهالى فى صعيد مصر يطلقون لفظ التتر على الحلب . ومن المرجح أنه لم يثبت انتساب « تتر » مصر الى جماعات التتر خارج مصر التى أشار اليها ليلاند ، ويمكن أن تؤدى البحوث فى هذا المجال الى تأكيد وجود هذه العلاقة بين غجر مصر وبين جماعات

(٢٣) ذكر ليلاند أن هذا الاسم يطلق على الغجر فى ألمانيا والنرويج ، وقد قرر أن هذه الكلمة تعنى « تتر » وهى تستخدم بطريقة خاطئة ، وان كانت تدل على أصول مشتركة (انظر : Leland., Op. Cit., p. 192.

غجرية أخرى فى أوروبا (٢٤) أو عدم وجودها ، على أن نضع فى الاعتبار أن هذا الاسم يمكن أن تكون له علاقة « بالفتاو » .

(هـ) **صعايدة** : ذكر كريمر وتبعه د. فيليب ولف F. Wolf فى سنة ١٨٦٧ (٢٥) أن الغجر فى صعيد مصر يسمون أنفسهم صعايدة . واذا كان هذان الكاتبان اعتقدا أن اسم « صعايدة » هو الاسم الذى أعطاه غجر صعيد مصر لأنفسهم أو أطلقه عليهم الناس ، فان هذا يعد خطأ لأن كلمة صعايدة تطلق على المصريين الذين يسكنون صعيد مصر . وربما يكون هذان الكاتبان قد تقابلا مع بعض المصريين الصعادية واعتقدوا أنهم غجر . أو انهم قابلوا غجرا أنكروا واطلقوا على أنفسهم صعايدة الأمر الذى مازال يحدث للآن . فهم يقولون بأنهم عرب أو بدو أو صعايدة ، فمن ثم يمكن القول بأن الفرض الأخير هو أكثر الفروض قبولا .

(و) **قرداتية** : ذكر ليلاند أن الغجر الذين يدربون القردة يسمون « قرداتية » (٢٦) . ويمكن القول انه وان كان المدرب يطلق عليه قرداتى ، الا أنه لا يجب أن تستخدم هذه الكلمة منفردة للتعبير عن الغجر ، بل يجب أن تسبق بكلمة « الغجر » فتصبح « الغجر القرداتية » والسبب فى ذلك أنه ليس كل « القرداتية » غجرا ، كما أن كلمة قرداتى تصف شخصا يقوم بمهنة معينة ولا تصفه كعضو فى جماعة اثنولوجية مثلما هو الحال

(٢٤) اعتبر فريد ريك بارث Barth ، الجماعة التى تعيش فى النرويج الشرقية بأنها جماعة شبه غجرية Gypsy-like وهى تمثل جزءا من سكان هذه المنطقة وقد أجريت دراسات على هؤلاء التتر الاسكندنافيين اهتمت بصفة أساسية بمسالة تسلسل الأنساب والمشكلات التاريخية لهذه الجماعة لمحاولة التوصل الى الاصل السلالى Genetic origin للتتر . وقد قدم بارث دراسة اجتماعية لهذه الجماعة اهتمت بالتنظيم الاجتماعى للجماعة كجماعة محتقرة .
Refisch., Op. Cit., p. 285-299.

(٢٥) Kremer., Op. Cit., p. 265.

(٢٦) Leland., Op. Cit., p. 166.

بالنسبة لكلمة غجر . فضلا عن ذلك فان المعنى الذى يرتبط عند الناس بكلمة « قرداتية » لا يتضمن مفهوم الغجر .

(ز) **طهواجية** : ويطلق هذا الاسم على جماعات غجرية وذلك نسبة الى طهواج التى يعتقد انها هى الموطن الأصلى للاسر التى تسكن المحلة والتى تضم جمعا غجريا كبيرا . وقد أصبح مفهوم الطهواجية يعنى لدى ابناء المحلة « اللصوص » نظرا لارتباطه بطهواج . وبنفس الطريقة نجد ان نور طهواج يطلق عليهم احيانا اسم « الهنجرانية » نظرا لأنه يعتقد انهم وفدوا اساسا من المجر (هنغاريا) . وقد ذكر احد الاخباريين ان الأسر النورية الموجودة فى كل من محافظتى القاهرة والجيزة تعرف أحيانا بهذا الاسم .

ويمكن ان نؤكد ان الغجر الذين يطلق عليهم اى اسم من الأسماء السابقة يعرفون ايضا فى المنطقة بانهم غجر او حلب او نور . وان اسما معينا قد يطلقه الغجر على انفسهم هو محاولة منهم للتخلص مما تحمله الأسماء الاخرى التى تطلق على هذه الجماعة من معان غير مقبولة ، كما ان ما يطلقه الناس عليهم يرجع الى نظرتهم الى اى صفة خاصة تتعلق بهم مثل اطلاق كلمة « طوايفة » على الحلب الرحالة . واذا كان هذا الاسم غالبا ما يستخدمه الغجر وغير الغجر الذين يقطنون منطقة معينة الا أنه فى بعض الأحيان يطلق الغجر على أنفسهم الاسم ولكن يظل غير الغجر يطلقون عليهم غجر أو حلب أو نور .

٣ ـ ان هناك تداخلا بين الجماعات الغجرية الثلاث :

وعلى الرغم من ان تقسيم غجر مصر الى الجماعات الأساسية الثلاث ـ سابق الاشارة اليها ـ يعتبر أفضل تقسيم الا أن هناك ملاحظتين أساسيتين يجب وضعهما فى الاعتبار ، وهما :

(ا) ان هناك اوجه شبه فى الخصائص العامة التى تميز كل جماعة من هذه الجماعات ، كما ان هناك تداخلا فى بعض مناشط الحياة الاجتماعية

لهذه الجماعات ، كما توجد عوامل مشتركة تجعل من الصعب ـ فى بعض الاحيان ـ التمييز بين جماعة واخرى . فبعض من الحلب والغجر يقومون باصلاح الأقفال والكوالين وأعمال السمكرة وممارسة الاعمال المتصلة بالثعابين ، كما تقوم النساء فى هاتين الجماعتين باعمال مشابهة خاصة فيما يتعلق بالاستجداء . ورغم اشتهار النور بالسرقة الا ان بعضا من افراد الحلب يمكن ان يقوموا بالسرقة ، كذلك يقوم النور ونساؤهم بأعمال اخرى مثل الأعمال التى تمارسها جماعات الحلب كبيع الكبريت وتجارة الحمير وغيرها للتمويه على انشطتهم (٢٧) . وفى مجال المقارنة بين الجماعات سالفة الذكر من جهة الاستقرار والتنقل يمكن القول بان هناك نماذج من كل جماعة مستقرة وأخرى متنقلة . بل وان اشكال التجمعات الخاصة بكل من الغجر والحلب متشابهة الى حد كبير . فالتجمع الغجرى بطامية فى محافظة الفيوم يشبه الى حد كبير تجمع الحلب بجوادة بمدينة سمالوط .

ومع كل ذلك فانه يمكن للباحث المدقق ان يميز بين هذه الجماعات على أن يقبل بعض أوجه التشابه والتداخل . واذا كان هذا التشابه يؤدى الى صعوبات فى الدراسة ـ كما سنذكر فيما بعد ـ الا انه ـ اذا نظر اليه من وجهة نظر اخرى ـ يؤكد رجوع هذه الجماعة الى أصل واحد .

(ب) ان تقسيم الغجر الى ثلاث جماعات تقسيم غيرا واضح فى عقل المجتمع كمفهوم يصف جماعة غجرية تتميز عن جماعة غجرية اخرى مما ترتب عليه أن تطلق مجموعة من المجتمع لفظ غجر على أفراد الجماعة الواحدة بينما تطلق عليها مجموعة ثانية لفظ نور ، بينما تطلق عليها مجموعة ثالثة لفظ حلب . ويرجع عدم وضوح هذا التقسيم لدى أبناء المجتمع الى العامل الجغرافى فيمكن أن تتغير نظرة المجتمع الى هذه الجماعات بتغير المناطق

---

(٢٧) أنظر الفصل الخاص بأعمال الغجر .

التى يعيش فيها الغجر • وعلى سبيل المثال فان الاسم الشائع الذى تعرف به اية جماعة غجرية فى مناطق واسعة جدا فى صعيد مصر (سواء حلب او غجر أو نور) هو « حلب » ، بينما تطلق كلمة غجر على اى جماعة غجرية فى الوجه البحرى • كما تطلق كلمة غجر على جماعات نورية فى بعض المناطق: فنور طهواج والمحلة والاسكندرية يعرفون بالغجر • كما يعرف غجر شبين القناطر بالغجر بينما يطلقون هم على انفسهم لفظ غجر وحلب ، على أساس ان اصلهم يرجع الى الصعيد • وبهذا يمكن القول بأن التسمية الاجتماعية السائدة تعطى للجماعة الواحدة اكثر من مفهوم • ومع ذلك فهناك بعض الجماعات التى تسمى بنفس المصطلحات التى تنطبق عليها بالمفهوم الذى حددناه للكلمات حلب وغجر ونور • فالنور فى مغاغة يطلق عليهم نور ،والغجر فى مناطق كثيرة من الفيوم يعرفون بالغجر •

مما تقدم يمكن القول بأن التفرقة بين الثلاثة جماعات سالفة الذكر اصبحت صعبة ، وخاصة التفرقة بين جماعتى الغجر والحلب وذلك على كل من مستوى المفهـوم الاجتماعى ومستوى البحث العلـمى نظرا للتشابه والتداخل بين هاتين الجماعتين من جوانب متعددة كما سيتضح فيما بعد • وقد ادت هذه الصعوبة الى متاعب كثيرة خاصة عند محاولة وضع تصنيف لهذه الجماعات والفصل بين الظواهر المرتبطة بكل جماعة فقد اتضح ان الاسم الذى يطلق على الغجر فى مناطق معينة لا يمكن ان ينطبق على الجماعة • فعلى الرغم من ان الغجر الذين يعيشون فى طامية يسمون « غجر » الا ان ما يقومون به من مهن وكذلك نمط الحياة التى يعيشونها اقرب الى الحلب منه الى الغجر •

ويجدر بنا ان نوضح – فى هذا المجال – ان تقسيم جماعات الغجر الى الجماعات الثلاث الاساسية فى هذه الدراسة لم يستند الى عامل واحد ، اذ ان ذلك لا يمكن من الوصول الى تصنيف جيد ودقيق لكل جماعة من هذه الجماعات • فالاستناد مثلا الى عامل المهنة والنشاط الاقتصادى – على الرغم من قوة تاثيره فى جوانب متعددة من البناء الاجتماعى – لم يكن يؤدى الى

التصنيف الدقيق ذلك ان المهنة الواحدة يمكن ان يمارسها افراد اكثر من جماعة (مثل مهنة تدريب الثعابين التى يمارسها بعض الغجر وبعض الحلب)، والجماعة الواحدة يمكن ان تمارس مهنا ترتبط بجماعة اخرى ، بل اكثر من ذلك فان بعض الجماعات الغجرية لا تمارس الرقص والغناء الذى يعتبر مهنة اساسية لأفراد جماعة الغجر • كما يمكن القول بان الاعتماد على التسمية السائدة فى المنطقة غير مامون ايضا نظرا للتداخل واختلا فالتسمية بالنسبة للجماعة الواحدة كما سبق وذكرنا •

ولذلك فان تقسيمنا لهذه الجماعات قد استند الى اكثر من عـامل فقد اخذ فى الاعتبار الاسم الذى يطلق عن الجماعة والمفهوم السائد عنها ، والاسم الذى تطلقه الجماعة على نفسها اذا كان هناك اختلاف بين ما تطلقه الجماعة على نفسها وما يطلقه عليها الناس • كما اخذ فى الاعتبار نمط البدوية او الاستقرار ، وشكل التجمع ، والروابط القرابية التى تربط بينهم وبين أى جماعة غجرية أو حلبية او نووية فى المنطقة او خارجها ، كذلك استند التقسيم الى نوعية كل من النشاط الاقتصادى والمهنى وما الى ذلك من عوامـل •

واذا كان هذا التقسيم هو تقسيم مقترح ، الا أن ما يعطيه درجة عالية من الثقة هو أنه استند الى ثلاثة متغيرات اساسية على الأقل ، هى :

١ – الواقع : فهذه الاقسام الثلاثة لجماعات الغجر معروفة لدى المجتمع، وان كان هناك خلط فيما يتعلق بتحديد كل جماعة ، فعلى الأقل يعرف مختلف الناس أن هناك غجرا وحلبا ونورا ، وأنهم يعتبرون جميعا غجر ، وقد عبر اخباريون كثيرون – دون سؤال مباشر – الى ان المفاهيم الثلاثة تعبر عن جماعة واحدة تتنوع أشكالها • وهذا ما يعطى قوة للفرض القائل بان هذه الجماعات تنتمى الى أصول واحدة •

٢ – التراث النظرى : فقد تضمن نفس التقسيمات ، وان كان لم يتضح

التقسيم بصورة جلية الا عند ووكر ـ كما ذكرنا ـ الا ان اسم الجماعات الثلاث قد ورد فى الكتابات المختلفة (٢٨) ٠

٣ ـ **الدراسة الميدانية** : حيث تمت ملاحظة هذه الجماعات والظواهر المرتبطة بها ، كما تم التصنيف استنادا الى المتغيرات السابق الاشارة اليها بناءا على التماثل (٢٩) ٠

ثانيـــا

الجمـــاعات شبه الغجرية

فى الوقت الذى نوهت بعض المراجع الى أن هناك جماعات تعيش فى مصر وتعتبر جماعات غجرية ، نجد أن مراجع أخرى قد انكرت ذلك ، وعلى الرغم من ان البعض قد ذكر انتساب جماعات أخرى الى الغجر ، الا ان هناك بعض الشـك الـذى يدور حول تصديق هـــذا الافتراض ، الأمـر الـذى يجعلنا نطلق عليها جماعات شبه غجرية ٠ **وسوف نعرض للخصائص العامة لهذه الجماعات ، والآراء التى ذكرت حول انتسابها للغجر ، ثم نبدى الرأى من واقع تحليل المادة النظرية ومن واقع الخبرة الميدانية ٠**

---

(٢٨) أوردت أيضـــا دائرة المعـــارف الاســـلامية (1936. p. 963) تقسيم غجر مصر الى ثلاث جماعات (حلب ـ غجر ـ نور) غير أن ذلك لا يعد اضافة نظرا لأن هذه الدائرة ذكرت أن كاتب هذه الفقرة هو جون ووكر الذى سبق ونشر تقسيمه هذا فى مؤلفه السابق الاشارة اليه ٠

(٢٩) بناء على هذه الاعتبارات تم تصنيف الجماعات التى قمنا بزيارتها فى مختلف المناطق ويلاحظ أن التصنيف الذى وضعناه لهذه الجماعات الثلاث (وبالتالى الاسم الذى أطلقناه عليها) قد اختلف فى بعض الاحيان عن الاسم الذى يطلق عليها فى المنطقة ٠ وقد اعتمدنا على تصنيفنا فى تسمية الجماعة التى نتناولها مثلما هو الحال بالنسبة لجماعة طهواج ، اذ يسمون « غجر » ، ولكنهم حسب هذا التصنيف « نور » ٠

١ ـ الفــوازى :

تعددت الآراء فى مسالة انتساب هذه القبيلة الى الغجر ٠ فقد ذكر كريمر انها كثيرة العدد وأن نساءها ينتشرون فى كل مدينة وقرية كبرى ٠ وانهن متمرسات فى فنون الاغراء لدرجة أن هناك خطرا على الناس من جمالهن (٣٠)

وتعنى كلمة « غازى » فى اللغة العربية « الشخص الذى يكافح من اجل الايمان » أو « غازى الكفار » ٠ غير ان هذا الاسم يستخدم اليـوم بمعنى مخالف تماما ٠ فيقول بورتون أن بعضـا ممن يعتبرون حجة فى الموضوع يرون أن الغجر المصريين قد اخذوا هذا الاسم ليشبعوا رغبتهم الشرقية فى التعظيم والتفخيم ٠ وان هذا الاسم يعنى فى اللغة الايرانية راقصة شعبية rob-dancer أو محظية Courtisan (٣١) ٠ كمـا يلاحظ بصفة عامة أن كلمة غازى لا تطلق فى مصر الآن على أزواج الفوازى ، كما أن كلمة « غوازى » تطلق فى مصر الان على الراقصات الشعبيات بصرف النظر عما اذا كانوا غجرا أم مجرد راقصات شعبيات من عامة الشعب ٠

ولا يتوفر لدينا وصف شامل للحياة الاجتماعية لهذه الجماعات ، خاصة وأن الوصف الذى قدمه لين للغوازى (٣٢) قد انصب أساسا على وصف عملية الرقص مع بعض التنويهات الى جوانب أخرى من حياتهم ٠ كذلك فانه لم يقم بدراستهم كجماعة غجرية ٠ وكل ما لدينا هو بعض الاشارات المتفرقة الى بعض الظواهر المرتبطة بهم ، فقد ذكر كريمر أن افراد هذه القبائل يعيشون حياة بدوية يقيمون فى الخيام ويتواجدون فى الأسواق ٠ كما أن كل البنات الغازيات يعملن راقصات ، وأن نساءهم المتقدمات فى السن يعملن فى رؤية الطالع ، وهن لا يتزوجن الا بعد تكوين قدر كاف من المال حتى تستطيع كل منهن أن تختار من تعتبره صالحا ليكون زوجا لها ٠

---

(٣٠) Kremer., Op. Cit., p. 265.

(٣١) Burton., Op. Cit., p. 236.

(٣٢) دوارد وليم لين ، المرجع السابق ، ص ص ٢٨٠ ـ ٢٨٤ ٠

فزوج الغازية ليس اكثر من خادم • فهو يلعب على الصفارة او يطبل اثناء رقص الغازية ، كما يمكن ان ياتى لها ايضا بالرفقاء • وهناك امثلة لغوازى تزوجن مشايخ بعض القرى ، وقد كن شديدات الحرص على الأمانة الزوجية بقدر ماكان التسيب سائدا فى حياتهم قبل الزواج (٣٣) • ويطلق الغوازى على انفسهم اسم « البرمكية » (٣٤) ويقولون انهم ينتسبون الى عائلة البرمكية التى كانت تشغل المناصب العليا لدى الخلفاء ، وقام الخليفة هارون الرشيد بالقضاء عليهم (٣٥) • ويقال ان هذا المصطلح يرجع الى اصل ايرانى jeu de mots فبرمكى تعنى سقا • ويقال ايضا ان هذه الكلمة هى التى نطق بها جعفر البرمكى عندما تسبب خاتمة المتلىء بالسم فى وقوع الحجارة على ذراع الخليفة الأموى عبد الملك ، فابتدا يثرثر بالخرافة العامة والشعبية • كما يحتمل جدا ان تكون هذه الاسرة منتمية الى قبيلة غجرية معروفة فى ايران (٣٦) • ويرى ابن خلكان ان الجد الأكبر كان هو رئيس او مؤسس جماعة من الرهبان فى بلخ فى دير يسمى « نان بوهار » Nan-buhar (الربيع الصغير) ، وهو تحوير لكلمة نافا بيهارا Nava-bihara ، وتعنى

---

(٣٣) Kremer., Op. Cit., p. 265.

(٣٤) يقول احمد امين ان كلمة (برمكى وبرامكة) تطلق على الذين فقدوا الغيره واتوا اعمالا جنسية مشينة • مع ان البرامكة كانوا فى عهد الرشيد من خيار الناس ، وكانوا أبعد عن هذا المعنى • ولكن يظهر أن الرشيد لما نكل بهم كان اتباعهم يختفون ويتبرءون منهم ، ومازالوا كذلك يتناسلون حتى سقطوا فى الرذائل • وسبب آخر هو أن البرامكة كان لهم مغنون ومغنيات أيام عزهم فلما نكبوا تسكع رجالهم ونساؤهم على البيوت للايجار فسقطوا من اعين الناس ورموا بهذه الشنائع » • قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ، لجنة التاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٥٣ ، ص ٨٧ •

(٣٥) Kremer., Op. Cit., p. 265.

(٣٦) ذكرت دائرة المعارف الاسلامية ان غجر مصر بصفة عامة يعتبرون انفسهم نسل البرامكة مثل الغوازى ، لكنهم ينتمون الى فرع آخر غير الغوازى Encyclopedia of Islam., Op. Cit., p. 40. ولكن لم تظهر نتائج الدراسة الميدانية صحة هذا الافتراض •

فى اللهجة السنسكريتية « الدير الجديد » (٣٧) •

اما من جهة تصنيف الغوازى على انهم غجر • فقد ذكر ليلاند ان كلمة غوازى تطلق على احدى طبقات الغجر وهم الداحين والبرمكية (٣٨) • كما يرى لين ان عادات هذه القبائل تماثل عادات الغجر ، وان البعض يظن انهم من اصل مصرى (٣٩) • كما ان الغوازى المعاصرات ينحدرن من طبقة الراقصات اللائى كن يسلين المصريين فى عهد الفراعنة الأولين (٤٠) • كما يذكر لين ايضا ان الغجر يدعون بأنهم ينحدرون من احد فروع العائلة التى تنتسب اليها الغوازى • غير ان دعواهم ما برحت اقل اعتبارا من دعوى الآخرين ، اذ انهم لا يجمعون على هذا الراى (٤١) •

وقد سال ليلاند أحد الامريكيين الذين كانوا يعيشون فى مصر لفترة طويلة عما اذا كانت جماعة الغوازى فى مصر تعتبر غجرا أم لا ، فاجاب ان هناك سيدة انجليزية عاشت فى مصر فترة طويلة أيدت ان هذه الجماعة غجرية • غير ان ليلاند يقول انه عندما سال الفتيات الراقصات بنفسه وجد انهن لايعرفن الا اللغة العربية ويجهلن تماما اى شىء يتعلق بلغة الرومنى Rommany • ويقول ان الغازيتان اللواتى رآهن يتميزن بالعيون البراقة والشكل الغجرى ، اما بقية من رآهن فيبدو وانهن عربيات مصريات • وعندما سال هذه الفئة الأخيرة وجد ان احداها كانت فلاحة قبل فترة سبعة شهور ، والأخرتين كانتا تعملان فى العمل الزراعى والرقص بالتبادل (٤٢) •

وخلاصة هذه الآراء انه يعتقد ان عائلات طبقة الراقصات الشعبيات

---

(٣٧) Burton., Op. Cit., p. 236.

(٣٨) Leland., Op. Cit., p. 198.

(٣٩) ادوارد وليم لين ، المرجع السابق ، ص ٢٨٣ •

(٤٠) المرجع السابق ، ص ٢٨٢ •

(٤١) المرجع السابق ، ص ٢٨٣ •

(٤٢) Leland Op. Cit., pp: 192-193.

التى يطلق عليها « غوازى » تنتسب الى دم غجرى ، غير أن هذه المسألة مشكوك فيها (٤٢) .

ويذكر الباحث فى هذا المجال أنه يمكن أن نقرر – عند الاحتكام الى واقع الجماعات التى يطلق عليها غوازى فى مجتمعنا المصرى اليوم – أنه ليس كل من يطلق عليها « غزية » هى امرأة غجرية طالما يطلق هذا الاسم على الراقصات الشعبيات بصفة عامة بالاضافة الى أن هناك جماعات – تعيش فى مجتمعنا المصرى – تعمل نساؤها راقصات (غوازى) كما يعمل رجالها فى أعمال ترتبط بالرقص أو فى أعمال أخرى ، وقد لا يعملون على الاطلاق ، وتعيش هذه الجماعات حياة شبه مستقلة فى وسط المجتمعات المحلية التى توجد داخلها ، وهى تعرف بالغجر بجانب كلمة غوازى وتعيش نمط حياة أشبه بنمط الحياة الغجرية . ويمكن أن نعتبر هـــذه الجماعات غجرا وأن نصنفها ضمن جماعة الغجر وليس الحلب أو النور . ويعتبر النموذج المثالى للغجر الغوازى وأشهر تجمع هو العائلة الكبيرة التى تعيش فى قرية سنباط والتى يطلق عليها غجر وغوازى فى نفس الوقت .

٢ – الشاعلية :

يرى د. فينر Wiener أن هناك وجها للمقارنة بين الغجر وبين جماعة وجدت بمصر تسمى بـ « الشاعلية » . وعلى الرغم من أن بعض الكتاب قد ذكروا هؤلاء الشاعلية فى كتاباتهم الا أنهم لم يقدموا لنا الكثير عنهم إذ ذكروا ان هذه القبائل كانت تحترف المهن المحتقره وكانوا يدفعون نسبة معينة للضرائب ، كما كانوا يمارسون أشق الأعمال الخيفة . وعندما كان يصدر حكم المحكمة على المجرم بأن يجر فى الشوارع وأن يثبت جسمه بمسامير على لوح خشبى يحمله جمل ، كانت الشاعلية تمشى أمامه وهى تصيح « هذا هو العقاب العـــادل لمن يثور ضد ارادة السلطان » ، كمـا كان الشاعلية يحترفون مهنة المنادين العموميين . فقد كانوا مكلفين فى بعض

(٤٢) Encyclopedia of of Islam., Op. Cit., p. 962.

الأحوال بأن يجربوا المدينة اثناء الليل وان ينادوا بصوت عال السكان لكى يخرجوا من منازلهم قبل طلوع النهار . وعند ابرام اتفاقية سلام كان عليهم أن يعلنوا ذلك فى كافة احياء المدينة .

ويرى فينر ان الأعمال التى يمارسها المشاعلية تشبه تلك التى يمارسها البوهيميون (جماعات غجرية) ولهذا فهو يعتقد ان كلا الاسمين « المشاعلية » و « البوهيميين » اسمان يصفا نوعية واحدة من الأشخاص على مستوى اجتماعى واحد . ويرى ان العلاقة بين المشاعلية والغجر تكمن فى ان كلمة مشاعلية مشتقة من « مشعل » وهو يرتبط بالنور او النار ، كما ان كلمة نور ترتبط ايضا بالنور كما سبق واشرنا (٤٤) .

٣ – الرمادية :

وجدت هذه القبيلة فى مصر فى عصر الفاطميين ، وكان رجالها يمارسون نفس أعمال البوهيميين ، كما كان لهم نفس مظهرهم . وقد شوهدوا فى شوارع العاصمة وهم يلونون وجوههم بالوان متعددة ويقومون بكل أنواع التهريج والأحاديث الفاضحة القبيحة . وقد كانت هذه الحركات تؤدى الى ان يصل المشاهدون – ذكور واناث – الى أقصى درجات السرور .

ويذكر انه نظرا لأنه لم يوجد بين القبائل العربية من يحمل اسم « الرمادية » فمن ثم فالرمادية جزء من ذلك الشعب الغجرى المتميز وذلك لأن أعمال التهريج التى يقومون بهـا هى احـدى المهن التى يمارسـها البوهيميون (٤٥) .

ويمكن القول أن فينر فى رأيه هذا والذى يحاول فيه الربط بين المشاعليه او الرمادية وبين الغجر يماثل تلك الآراء العديدة التى تقرن بين الغجر وبين جماعات أخرى (خاصة فى مجال دراسة أصول الغجر بصفة عامة)

(٤٤) Winstedt., Op. Cit., pp. 76-77.

(٤٥) المرجع السابق ، نفس الصفحات .

لم يقدم لنا دليلا قويا يمكن الاستناد اليه • فالاستناد الى فكرة ارتباط كلمة النور وكلمة المشاعلية بالنور او النار ليس دليلا كافيا ، كما ان المقارنة بين المشاعلية والرمادية وبين الجماعات الغجرية التى تسمى بالبوهيميين لا تستند الا الى التشابه المهنى وهذا ليس كافيا • وفى هذا الصدد يمكن أن نقتبس رأى ، ونستد ، Winstedt الذى علق به على هذه المقارنة والذى يقول : « لابد من وجود دليل اكثر من مجرد تشابه المهن قبل ان نقبل الرأى السابق كاثبات للفكرة • فالمشعوذون قد مارسوا الشعوذة ، والراقصون قد مارسوا الرقص ، ومن المقطوع به أن الشوارع تم كنسها ، والنداءات قيلت او نوديت ، والرقاب قطعت منذ آلاف السنين قبل ان يخطو الغجر باقدامهم مصر • وكل ما سبق يوضح أن هذه المهن ساعدت على تكوين طبقة معينة ترتبط بنظام الطائفة فى الشرق • ولكن هذا لا يثبت ان هذه الطبقة تكونت بالضرورة من الغجر ، خاصة أن الغجر فى كل مكان يتبنون – ولكنهم نادرا ما كانوا يحتكرون – مهنا موجودة قبل قدومهم » (٤٦) •

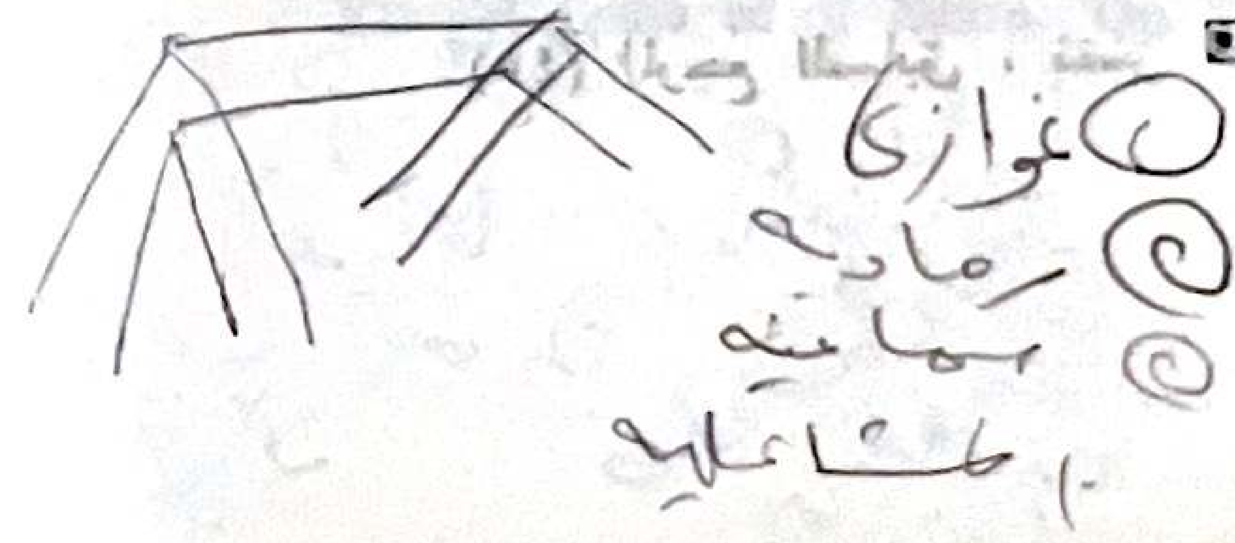
مما سبق فان اثبات وجود علاقة بين الغجر وبين هاتين الطائفتين فرض يحتاج الى ما يؤيده من واقع دراسة نظرية تاريخية واجتماعية تقرن بين تاريخ الجماعتين واصولهما واوضاعهما الاجتماعية وبين الغجر فى مصر او فى مناطق اخرى خارج مصر •

٤ – السماعنة او السماعنية :

كشفت الدراسة الميدانية عن جماعة تعدادها حوالى ٣٠٠ فرد يطلق عليها هذا الاسم تتمثل فى مجموعة من الأسر التى تربط بينها روابط قرابية • وقد قرر بعض الأهالى المحيطين بهم من أن هذه الجماعة تعتبر غجرا • ويقال انه اطلق على هذه الجماعة اسم « سماعنة » او « سماعنية » ، لانهم وفدوا من بلدة السمعانية بجهة فاقوس محافظة الشرقية •

---

(٤٦) المرجع السابق ، ص ٧٨ •



ويذكر هؤلاء الأهالى ان اصول هذه القبيلة ترجع اصلا الى احدى القبائل المهاجرة من الجزيرة العربية • وبعد ان تركزت هذه القبيلة فى احدى المناطق بمصر حاولت الدولة ان تمنحهم الأراضى فى مقابل ان تحصل منهم على ضريبة مما ادى الى هجرتهم من هذه المنطقة الى مناطق متفرقة من مصر ، كما هرب بعضهم الى الشام • وقد زاول بعضهممن تفرقوا فى مصر انواعا مختلفة من التجارة مثل تجارة الألومنيوم ، كما عمل بعضهم فى الزراعة والشتل وعمل البعض الآخر بالغناء والتسول • وقد تزوج بعضهم من بنات تلك المناطق •

ويعتبر الاستجداء بصوره المختلفة اهم الأنشطة التى يقوم بها السماعنة وخاصة النساء ، فيما عدا تلك النماذج التى ارتبطت باعمال أخرى • وينتشر بين السماعنة شعار « السرح فرح » بمعنى أن الخروج للاستجداء « لسرح » يجلب المال وبالتالى السعادة • غير ان بعض الرجال يقومون باعمال أخرى مثل بيع الملح فى مقابل الدقيق والردة ، ويجنون من وراء ذلك ربحا كبيرا • كما ان بعض ابنائهم نالوا حظا من التعليم الأمر الذى سيؤثر فى الموقف الاجتماعى لهذه الجماعة بصفة عامة فى المستقبل •

ويشعر افراد هذه الجماعة بنوع من الاستعلاء حتى ان البعض أضاف فى بطاقته الشخصية لقب « السماعنى » فى نهاية اسمه • ويقول افراد الجماعة أن بعض العائلات الأخرى التى تسكن المنطقة مثل « الفراغله » (٤٧) تحاول الانتساب اليهم وتدعى انها من عائلة السماعنة •

اما فيما يتعلق بتصنيف السماعنة على انهم غجر فان ذلك يمكن مناقشته فى النقاط الآتية :

---

(٤٧) **الفراغلة** : جماعة تسكن نفس المنطقة التى يعيش فيها السماعنة ، وتمارس نساؤهم ايضا التسول • فتدعى بعضهن انهن مهاجرات وليس لهن مورد رزق ، كما تدعى الأخريات انهن أرامل •

١ ـ من حيث المفهوم السائد عن هذه الجماعة : فان البعض من اهالى المنطقة التى يعيشون فيها يقررون ان هذه الجماعة غجر ، غير ان السماعنة انفسهم يرفضون هذا الاسم ، كما ترفضة بعض الجماعات الغجرية .

٢ ـ من جهة نمط معيشة هذه الجماعة : يشبه هذا النمط الى حد كبير حلب الصعيد ـ خاصة فيما يتعلق بالمهن ـ مع بعض الاختلافات فى نمط السكنى نتيجة اختلاف مستوى المعيشة وتوفر عامل الاستقرار . واذا كان هناك رأى يفترض ان أصول الجماعة ترجع الى شبه الجزيرة العربية ، فان هناك رأى يفترض ايضا أن بعض جماعات الغجر وفدت من نفس المنطقة .

٣ ـ من جهة الكلمات التى تستخدمها هذه الجماعة : أوضحت الدراسة ان السماعنة يستخدمون بعض الكلمات الخاصة سواء فى التعامل او عملية الاستجداء . فقد تبين ان بعض هذه الكلمات مستخدمة لدى جماعات غجرية فى مصر مثل كلمة « شنوب » وتعنى « عيش » وهى كلمة شائعة لدى معظم غجر مصر ، وكلمة « بيانو » بمعنى « اصمت » ، وهى كلمة شائعة بين افراد جماعة الغجر وخاصة الغجر الغوازى . وتبين أيضا انهم يستخدمون كلمة رومنية « للمرأة » وهى الصيغة المؤنثة من كلمة « رومنى » (رجل) التى يستخدمها الغجر فى البلاد الاوروبية لتعنى رجل (٤٨) .

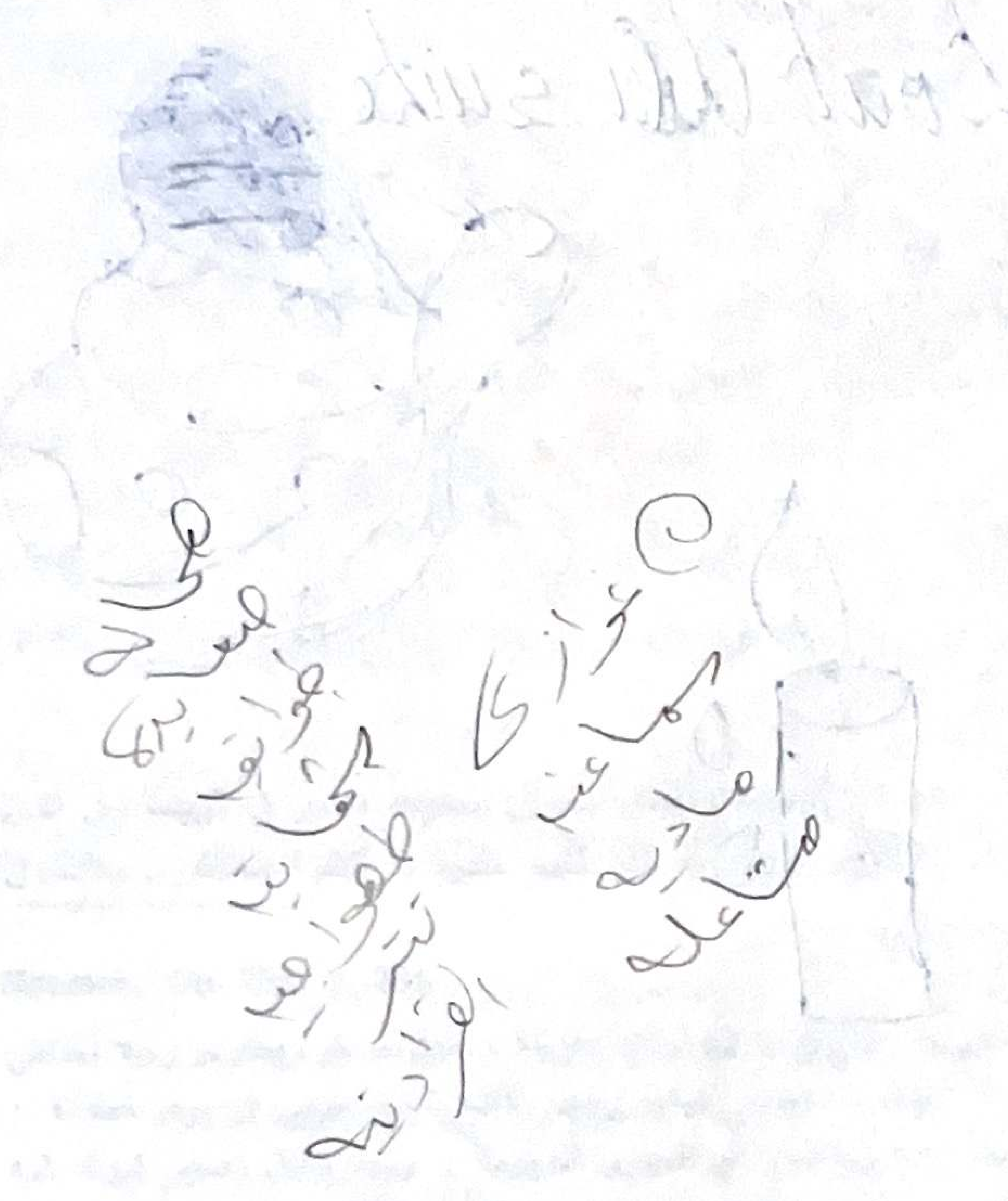
٤ ـ من حيث المهن التى تزاولها هذه الجماعة : يقال أن السماعنة يقومون بالوشم فى مولد الست جميانة ببرارى بلقاس ، كما يقومون بروئية الطالع . وهذه المهن مرتبطة ايضا بالغجر ان لم تكن قد اقتصرت عليهم .

وفى ضوء ما تقدم نجد ان لدينا بعض الأدلة التى عن طريقها يمكن **تصنيف هذه الجماعة كغجر ، غير ان هذه الادلة ليست كافية ، وربما تؤدى دراسات اكثر تكثيفا على هذه الجماعة الى تاكيد تصنيفها كغجر او رفض**

---

(٤٨) ولكن يلاحظ أن السماعنة لديهم كلمة أخرى للرجل ، هى « مورش » .

ذلك . والشك الذى يساورنا هو ان اعضاء هذه الجماعة لم يقرروا وجود اية راوبط قرابية مع جماعة غجرية اخرى . ولكن هناك احتمال ان هذه الروابط لم تظهر بسبب قصر فترة العمل الميدانى مع هذه الجماعة . وبصفة عامة يحتاج تصنيف هذه الجماعة تصنيفا دقيقا الى تتبع تاريخى ، والى دراسة متعمقة لنمط الحياة الاجتماعية ، والى محاولة للبحث عن صلات قرابية بجماعات غجرية اخرى . هذا ونود ان نبين أن رأى غير الغجر الذين **يعيشون فى المنطقة بان السماعنة غجر مع الادلة التى ذكرت هنا ماهى** الا فروض وادلة تحتاج الى مزيد من الدراسة والبحث .



الفصل الرابع

البداوة والاستقرار

تشير معظم الكتابات المبكرة الى أن التجوال هو النمط المميز لغجر مصر، فمعظم الجماعات كانت تمارس التجوال ، حيث حصلت على تصريح أو ترخيص بذلك من البوليس ومن شيخ طائفة الدراويش الرفاعية (١) • وقد كتب مستر ريكاردز عن مرسوم صدر عام ١٨٤٧ كان له أثر على عملية تجوال الغجر فى مختلف أنحاء البلاد • فقد أصدر أحد الباشوات مرسوما استبداديا يأمر فيه كل من لا يعيشون فى قراهم الأصلية بالعودة اليها • وكانت الآثار الناجمة عن تنفيذ هذا المرسوم سيئة للغاية • فقد قاد العسكر الرجال والنساء والاطفال معا من القاهرة الى قرى بعيدة لا تتوفر فيها فرص للعمل ، وبالتالى لم يتمكنوا من تزويد أنفسهم بالمؤن الا بما يرد اليهم عن طريق الاحسان • ولقد أدى هذا الى أن غادر الكثير من الغجر الأماكن المعتادة التى كانوا يعيشون فيها ، اذ ربطوا خيامهم وأمتعتهم ليلا واختفوا تماما (٢) •

وقد سجلت الكتابات المختلفة تجوال جماعات الغجر فى الريف وفى المدن المصرية • واذا كان ليلاند قد ذكر أنهم نادرا ما كانوا يخاطرون بالدخول

---

(١) Kremer., Op. Cit., p. 264.

(٢) وبعد هروبهم بفترة ليست طويلة ، قابل مستر ريكاردز رجلا يمتطى جوادا بهيا ويرتدى أحسن الثياب ويبدو كأنه شيخ عربى فى يوم خطبته • وعندما نظر اليه ريكادرز لمح العيون الغجرية : وبعد تأمل قصير أدرك أنه صديقه الغجرى الشيخ هريدى فى ملابس تنكرية كاملة •

الى المدن حتى لا يتعرضوا للاهانة والمعاملة السيئة من الناس (٣) ، الا ان كريمر ذكر انهم يتجولون بخيامهم (الخيش) حول الأراضى الزراعية فى الصيف ، ويلجاون الى حدود المدن فى فترة الشتاء . وذكر على سبيل المثال انهم كانوا يوجدون بجوار مدينة القاهرة فى مواسم معينة خلال فترة الربيع والشتاء . واضاف ان المكان المفضل لاقامتهم لعدة سنوات كان طريق شبرا ـ القاهرة . كما ذكر نيوبولد ان مكان اقامتهم كان قرية بعينها على يمين الطريق من القاهرة الى شبرا (٤) . كما سجل ايضا نيوبولد تواجدهم فى المدن ، فاوضح انهم يعيشون فى مكان قذر يطلق عليه « حوش الغجر » خلف جامع الحسين الشهير تحت صخرة القلعة ، وفى مصر القديمة بجوار جامع عمرو (٥) .

هذا ، ولم يكن تجوال الغجر يمتد الى الصحراء الا نادرا حينما كانوا يذهبون لمقابلة الحجاج وهم فى طريق عودتهم من مكة ، وذلك بحجة التحايل على علاج حيواناتهم التى انهكت اثناء العودة ، او يبيعون لهم ادوية الماشية . وكان القليل منهم يصطحبون الحجاج فى كل الرحلة الى مكة (٦) .

ويعيش الحلب خلال فترة تجوالهم فى خيام او خيش قابلة للحمل والنقل يقربونها على حدود القرى الكبرى او المدن . وقد قدم نيوبولد وصفا لخيمة حلبية عندما واتته الفرصة ان يلقى نظرة عما بداخلها . فذكر ما ياتى : « تشبه هذه الخيام خيام بدو الصحراء ، مع بعض البرادع الرثة للحمير او الخيل وبعض الأوانى . وكل شىء فى الخيمة يدل على الفاقة ، فيما عـدا الكميات الكبيرة من طعام الدواجن ولحم الضان والخضروات ذات الرائحة الواضحة التى تغلى فوق النار المقادة من الخشب » (٧) .

---

(٣) Leland., Op. Cit., p. 191.

(٤) Newbold., Op. Cit., p. 287, Walker., Op. Cit., p. 287.

(٥) Newbold., Op. Cit., p. 191.

(٦) المرجع السابق ، ص ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

(٧) المرجع السابق ، ص ٢٨٩ .

وعموما فان ما يتوفر لدينا من معلومات عن الظواهر المتعلقة بتجوال واستقرار جماعات الغجر فى مصر قليل جدا ومن ثم فهذه المعلومات قاصرة تماما عن ان تشمل جميع الجماعات الموجودة ، فلا يوجد مثلا اية معلومات عن تجوال او استقرار جماعة النور . بالاضافة الى ان صدق بعض هذه المعلومات امر مشكوك فيه . وعلى سبيل المثال ذكر بورتون : « ان رجال ونساء الحلب يمارسون الحياة البدوية المتنقلة ، ولكنهم يعودون الى المدن فى فترات محددة ، وان دائرة تجوالهم تنحصر فى الريف وفى وادى النيل وفى الدلتا وخاصة فى الأسواق المحلية واسواق القرى » (٨) . ومثار الشك فى هذه العبارة ان كلمة حلب غير معروفة فى الوجه البحرى على الاطلاق ، فهى كلمة تطلق على الغجر فى صعيد مصر كما سبقت الاشارة . وهناك احتمال ضعيف يتعلق بصحة ما ذكر من ان جماعات حلبية قد عاشت فى القاهرة ومدن الوجه البحرى فى وقت مضى ، ولكن ذلك يفترض ان تكون هناك دراية بسيطة لأهالى الوجه البحرى بهذا الاسم .

وما يوجه اليه النقد ايضا هو ما كتبه ماسينيون من ان الغجر فى مصر جماعات شبه مستقرة لا يتركون القاهرة ، كما لا يوجدون فى اى مكان آخر فى العاصمة المصرية . فهم يعتبرون بدوا متنقلين داخل هذه الحدود (٩) . وعلى الرغم من ان ما ذكره ماسينيون يعد أحدث ما نشر عن غجر مصر الا ان ماذكـــره قد جانبه الصواب فتجوالهم ليس مقصورا على القـــاهرة فحسب ، بل امتد الى مناطق مختلفة خارج القاهرة ويلاحظ أن تجوالهم عادة مايكون خارج حدود المدن وليس ، داخلها .

هذا ويعيش الغجر اليوم فى مصر فى شكل تجمعات حيث يضم كل تجمع عددا من الأسر . وهناك بعض الأسر الغجرية التى تعيش حياة مستقلة كما سنذكر فيما بعد . وتتباين اعداد الغجر فى كل تجمع تباينا شديدا ، فهناك

---

(٨) Newbold., Op. Cit., p. 238.

(٩) مرجع سابق ، ص ٤٦ .

التجمعات الكبيرة التى تضم مئات الأسر ، وهناك تجمعات متوسطة تضم عشرات الأسر ، وهناك تجمعات صغيرة تتراوح فيها عدد الأسر بين أسرتين وعشرة أسر • ففى قرية طهواج يعيش ما يزيد عن ٥٠٠ غجرى فى شكل تجمع يضم عددا كبيرا من الاسر • ويسكن غجر هذه القرية فى منطقة يفصل بينها وبين بقية المنطقة السكنية شارع رئيسى ، وتسمى المنطقة التى تضم التجمع « عزبة الغجر » • كما يقطن مدينة شبين القناطر ما يقرب من خمسين أسرة غجرية بخلاف الغجر القاطنين بالقرى التابعة ، وهم يقطنون منطقـــة وســط المدينة • أمـــا مركز طـامية بالفيــوم فيضم عـددا صغيرا من الأسر يتراوح بين سبع وثمانى أسر تربط بينهم روابط قرابية ويعيشون فى شارع واحد • وبالمثل فان التجمعات الموجودة فى المحلة الكبرى وبياهمو وسنورس بالفيوم وقرية بنى غنى بالمنيا تضم كلها أسرا تقترب من العشرة أسر • وهناك قرى كثيرة تضم أسرة أو أسرتين على الأكثر مثل قرية طمبضى وآبة الوقف بمغاغة ، وعزبة الاهالى بالقناطر الخيرية ومنطقة جامع المرادنى بالفيوم (١٠) •

وسوف نتناول هذه الجماعات فى ضوء تقسيمها الى جماعات متنقلة واخـــرى مستقرة :

الجماعات المتنقلة وشبه المستقرة :

هناك تجمعات كثيرة من غجر مصر مازالت تعيش حياة التنقل الدائم • ويتركز وجود هذه الجماعات فى القرى المصرية ، اذ انها تجوب القـــرى بحثا عن الرزق • وينتشر هذا النمط على وجه الخصوص فى الوجه القبلى بين الجماعات الحلبية التى تنتشر فى صعيد مصر (١١) ، والتى تمارس

(١٠) هذه مجرد أمثلة للاحجام المتفاوتة للتجمعات ، هذا بخلاف الامثلة الاخرى للجماعات التى سيرد ذكرها عند التعرض لموضوعات اخرى فى هـــذا الفصـــل •

(١١) أشار بورتون الى ان الحلب يعيشون حياة بدوية شريدة فهم يقيمون خيامهم على مشارف المدن والقرى الكبيرة • وهم يشبهون البدو =

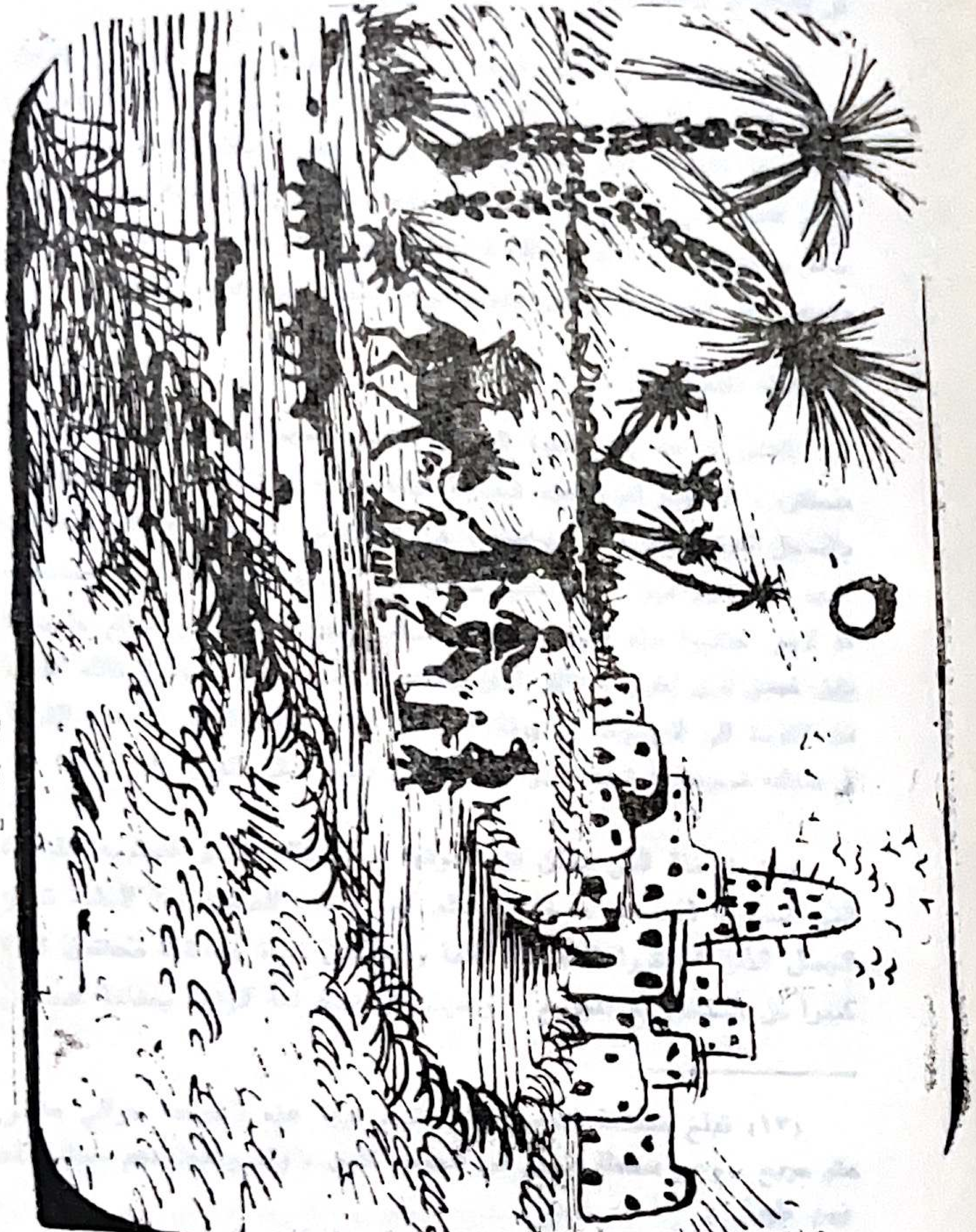
I don't know why you said good Irry

الاستجداء كمهنة أساسية • غير ان هناك جماعات كثيرة تمارس التجوال ايضا فى الوجه البحرى • وتنتمى الجماعات المتجولة خاصة الى جماعة الحلب وجماعة الغجر •

ومن أمثلة هذه الجماعات جماعة غجرية بالفيوم مقرها الرئيسى قرية الروبيات تضم حوالى سبع أسر يتراوح عدد أفراد كل أسرة بين سبعة وثمانية أفراد • وعلى الرغم من ان كل أسرة تحيا حياة شبه مستقلة ـ فيما يتعلق بالمأكل والمشرب ، وتعيش فى خيمة مستقلة ـ الا أن هناك نوعا من التعاون يتطلبه التنقل المشترك والظروف الواحدة التى يواجهونها فهم يشعرون انهم عائلة واحدة • وتتحدد دائرة التجوال بالنسبة لبعض هذه الجماعات فى حدود قرى مركز واحد • وهناك جماعات أخرى تتعدى حدود المركز لتتجول بين عدة مراكز داخل المحافظة الواحدة • فهناك أسر غجرية اتخذت دائرة تجوالها ابتداء من محافظة سوهاج حتى محافظة الجيزة • وهى ـ فى انتقالها من مكان الى آخر ـ تستجدى من القرى المختلفة وتستقر لفترة معينة فى بعض القرى خاصة فى فترات الحصاد أو فى مناسبات الموالد • غير ان البحث الميدانى لم يكشف عن اية جماعات غجرية تعيش فى صعيد مصر وصلت فى تجوالها الى الوجه البحرى ، ولا الى جماعات تعيش فى الوجه البحرى وصلت فى تجوالها الى قرى الوجه القبلى •

ويلاحظ ان تجوال هذه الجماعات تجوالا رشيدا ، فهم لا ينتقلون من مكان الى آخر تنقلا عرضيا ، بل أنهم يدركون اطار دائرة التجوال ويهدفون الى تحقيق النفع الاقتصادى • فالجماعات التى تدور فى نطاق جغرافى ضيق تدرك أن تكرار التردد على قرى محددة يتيح فرصة لأهالى المنطقة أن يتعاطفوا معهم خـاصة اذا كانوا يستجدون ، أمـا اذا كانوا يمارســـون بعض المهن كالسمكرة ورؤية الطالع أو بيع الأدوات المنزلية او اية اعمال اخرى ، فهم

= شديدى الفقر من كل الوجوه فكل شىء لديهم يدل على البؤس والفاقة •
Burton., Op. Cit., p. 238.



تجوال الغجر بين القرى

يرون ايضا ان النطاق الجغرافى المحدود يتيح لهم الفرصة لتكوين « زبائن » .
اما الجماعات التى تتجول فى نطاقات جغرافية أوسع فهم غالبا ما يرتبطون بانشطة اقتصادية فى مناطق متفرقة وهى ايضا تكون من قبيل الأعمال الوسمية .

وهناك ايضا بعض الجماعات التى يمكن أن نطلق عليها **جماعات شبه مستقرة وهى تلك الجماعات التى تمارس التنقل الوسمى** ، وفى هذه الحالة يكون للاسرة مكان استقرار محدد ثم تنتقل للمعيشة فى منطقة أخرى بهدف ممارسة النشاط الاقتصادى فى هذه المنطقة . وهذه الأسر تنتقل بأفرادها وتحمل خيامها وأمتعتها البسيطة على الحمير مارة بعدد من القرى حيث تصل الى المكان الذى تهدف الوصول إليه . وبعد أن يتحقق هدفها تنتقل الى مكان آخر تستقر فيه فترة أخرى لنفس الهدف .

ويمكن أن نطلق على القرى التى تمر بها هذه الأسر « قرى العبور » حيث يقضى الغجر فى مداخلها ليلة او ليلتين ثم يغادرونها الى المكان الذى يقصدونه . وتختلف قرى العبور فى هذه الحالة عن القرى التى يقضون فيها فترة طويلة بهدف العمل أو الاشتراك فى الموالد . فالأهالى فى قرى العبور ـ عادة ـ لا يخالطون الغجر ، ونادرا ما يعرفون شيئا عنهم أو عن موطنهم او مقصدهم (١٢) . وعادة يكون للأسر شبه المستقرة مكان يعتبرونه مستقرهم الأساسى يعودون اليه بعدد دورة التجوال . فقد وجد فى منطقة جامع المرادنى بالفيوم جماعة مكونة من سبع أسر فى خيام وتمتلك مجموعة من الحمير ، وتنتقل من مكان الى آخر . وقد اعتبرت هذه الجماعة المنطقة منطقة

---

(١٢) هناك اسباب أخرى تدعوهم للسكنى أثناء تجوالهم فى الحقول واطراف القرى مثل تعودهم على الاقامة فى الخلاء . فهم يفضلون هذه الحياة فى الخلاء عن السكنى داخل منازل حتى لو دعاهم الناس اليها . وقد أصرت عائلة غجرية فى قرية جوادة بسمالوط على اقامة أحد أفراحها فى الخلاء رغم دعوة الاهالى لهم لاقامة الفرح فى بيوتهم . وقد ذكروا أنه من العار اقامة الفرح داخل منازل اذ أن ذلك علامة على البخل .

استقرار أساسى لها اذ لوحظ ان الجماعة عندما تغادر المكان تترك اسرة او اثنين فى المنطقة لحراسة المنطقة وحمايتها (١٣) ·

وتعد الخيمة هى مأوى الغجر فى حالة التجوال سواء كانوا من الغجر الرحل أو شبه المستقرين · وفى العادة تصنع الخيمة من الاقمشة او اكياس البلاستيك القوية (التى تعبأ بها الأسمدة) · وهى تختلف اختلافا كبيرا عن خيام البدو التى تصنع من الشعر فهى أصغر حجما وأقل متانة · وقد يصل صغر حجمها الى ان الفرد لايمكنه التحرك بداخلها الا وهو جالس على الأرض · وتوجد هذه الخيام فى أماكن كثيرة حيث تنتشر الجماعات المتنقلة ·

الجماعات المستقرة :

تعتبر جماعة غجر طامية السابق الاشارة اليهم نموذجا لجماعة غجرية مستقرة ، اذ يقيم افراد هذه الجماعة اقامة دائمة فى المكان · وهم مسجلون بالسجل المدنى مثل باقى المواطنين على الرغم من ان بقية الأهالى ينظرون اليهم على أنهم غجر · كما تعتبر جماعة غجر الروبيات ايضا جماعة مستقرة اذ أنهم اختاروا هذه القرية كمستقر أساسى لهم لوقوعها فى موقع متوسط بين خمس قرى أخرى ، الأمر الذى يمكنهم من ممارسة أعمالهم فى تلك القرى ثم العودة الى الروبيات بسهولة · وتقع أماكن اقامة الغجر فى هذه القرية فى منطقة فسيحة لا تبعد كثيرا عن مساكن بقية أهالى القرية ·

ومن الأمثلة التى يمكن أن نسوقها أيضا تلك الأسر الحلبية الكثيرة التى استقرت فى صعيد مصر ، فيتكلم غجر وحلب الصعيد عن الحلب تجار الجمال الذين استقروا فى مدينة المنيا ويعيشون حياة مستقرة محققين قدرا كبيرا من التكامل مع المجتمع · ويعيش فى قرية آبة الوقف بمغاغة عدد من

---

(١٣) تبلغ مساحة الارض التى تقيم فيها هذه الجماعة حوالى مائتى متر مربع ، وهى محاطة بسور من الطوب اللبن ، وقد وهبت لهم مجانا منذ زمن طويل ·

الأسر الحلبية معيشة مستقرة وتقطن منازل تقع بين منازل أهالى القرية ، كما تعيش فى قرية « بنى غنى » بالمنيا بصفة دائمة سبع أسر حلبية على قطعة ارض منحها لهم عمدة القرية ٠

ومن الاسباب والعوامل التى ساعدت على استقرار هـذه الجماعات بالقرية سماح السلطة فى القرية لهم بالاستقرار ٠ ويتوقف استقرارهم فى القرى على رضى العمدة ٠ فقد استقر الغجر فى احدى القرى لفترة طويلة . غير انه بعد وفاة العمدة حذر الأهالى ابنه الذى أصبح عمدة من بعده من التساهل مع الغجر خشية حدوث اية متاعب منهم الأمر الذى ترتب عليه ان قام العمدة الجديد بطردهم من القرية وحرمانهم من المرور بالقرية . وتختلف نظرة واتجـاه عمد القرى نحو مسألة استقرار الغجر فى قراهم . فبعضهم من ذوى القدرة والنفوذ لا يخشون التصريح للغجر بالاقامة فى قريتهم اذ ان فى امكان العمدة مراقبة سلوكهم ٠ ولكن هناك نماذج من العمد الفقراء الذين لا نفوذ لهم فى قراهم ينكرون انهم يأوون غجرا فى قراهم خشية ان يتهموا بايواء من يشتبه فى سلوكهم ٠

وقد تحايلت جماعات غجرية على عمد بعض القرى فحاولت اقناعهم بانهم جماعة من الناس تنتمى الى عائلات كبرى فى مناطق أخرى ٠ فمنهم من قال انهم « الصقاروة » الذين يتبعون عائلة صقر ، أو « الشهابيون » الذين يتبعون عائلة شهاب وانهم مهاجرون ويودون الاستقرار فى القرية ، وبعد ان سمح لهم بالاستقرار اتضح بعد ذلك أنهم غجر ٠

وقد وجدت بعض الأسر الحلبية فى قرى الصعيد فرصة للاستقرار فى القرى التى يعيش سكانها فى مستوى معيشى مرتفع ٠ فقد قبل الأهالى كثيرا من الحلب لكى يقيموا فى القرية على أنهم فقراء حيث يعيشون على ما يجود به الأهالى عليهم من هبات ٠

ويلاحظ ان العامل المشترك الذى ساعد كثيرا من الجماعات على الاستقرار فى مكان واحد ولفترة طويلة هو عدم حدوث سرقات أو اى عمل من اعمال

العنف فى القرية التى يقيمون فيها او التى يقيمون بجوارها ٠ ويقول بعض أهالى القرى ان الأراضى التى يعيش عليها الغجر بصفة دائمة قد اخذت بوضع اليد ، غير أن الغجر يؤكدون انهم قد امتلكوها عن طريق الشراء ، وهناك اراضى قد وهبت لهم عن طريق عمد القرى ٠ غير ان ـ هناك جماعات من الغجر وخاصة النور قد قاموا بشراء الأراضى وتشييد المساكن فوقها ٠ وربما يرجع ذلك الى عاملين اولهما انه من الصعوبة بمكان ان يهب اى انسان للغجر ـ وخاصة النور ـ قطعة ارض نظرا لأنهم اشد الجماعات الغجرية خطورة ٠ وثانيهما هو مقدرة النور المادية على الشراء ٠ وقد وصل حرص بعض الجماعات النورية على شراء الأراضى الى ما يشبه الاتجاه نحو السيطرة على منطقة متكاملة ٠ فقد حاول النور فى احدى القرى شراء الأراضى الزراعية من الفلاحين ، وقد استطاعوا ان يدفعوا فى الفدان الواحد ٢٢٠٠ جنيه بدلا من ٩٠٠ جنيه ، وقد اغرى ذلك الكثير من الفلاحين الى بيع ما لديهم من اراضى وشراء اراضى اخرى فى منطقة اخرى بحصيلة البيع ٠ وقد شيد النور منازلهم على هذه الأراضى الزراعية مستخدمين الطوب الأحمر والمسلح فى البناء ٠

ويرى الأهالى الذين مازالوا يقيمون فى القرية بان هذا الاجراء الذى يتبعه النور هو محاولة من جانبهم للسيطرة على القرية وذلك بامتلاك معظم اراضيها بطريقة مشروعة ولهذا يعيش فلاحو هذه القرية فى قلق لشعورهم بانهم مهددون يوما بعد يوم بالطرد من القرية او مواجهة صعوبات فى المعيشة مع جماعة تمارس أعمالا غير مشروعة ٠

وفى الغالب يعيش الغجر المستقرون فى مساكن تتناسب مع المنطقة التى يعيشون فيها ومع مستواهم المادى ٠ فبعضهم يملك المسكن الذى يعيش فيه ، والبعض الآخر يستأجره ، كما أن بعض هذه المساكن مشيده من الطوب اللبن وبعضها الآخر من الطوب الأحمر (١٤) ٠

---

(١٤) أحيانا تحتفظ بعض العائلات داخل المنزل بالخيمة التى قد تستخدم فى الترحال ٠ وأحيانا يجلسون تحتها خارج المنزل وقت النهار ٠ وتعتبر هذه الظاهرة اثرا من آثار حياة التجوال ٠

وتعيش كثير من الأسر الحلبية فوق قطعه أرض احاطوها بسور صغير مشيد بداخلها حجرات صغيرة الحجم من الطوب اللبن وبعضها من القش والبوص تشبه فى شكلها العشة الصغيرة • ويتوسط هذه الحجرات حوش متسع توجد به الأغنام والماعز والحمير التى تغطى بخرق لحمايتها من البرد • ويحرس هذه الأغنام الكلاب التى تعتبر ملازمة للحلب أينما ذهبوا • ويبرر الحلب عدم اقدامهم على بناء كل الحجرات بالطين أو الطوب الى عدم القدرة المادية • أما محتويات المنزل فلا تزيد عن بعض المعدات الضرورية مثل الموقد وقليل من الأطباق ، والمقاطف وبعض الأغطية القديمة •

ويلاحظ ان هذا المظهر الذى يتصف بالفقر لا يرجع الى الفقر فى حد ذاته بقدر ما يرجع الى عدم تأصل فكرة الاستقرار عند بعض هذه الجماعات على الرغم من استقرارهم منذ عدة سنوات • واذا كان تشييد المسكن دليلا على نمو الرغبة فى الاستقرار ، فان عدم استكمال الأثاث واللوازم الأساسية دليل قوى على امكان هجرة الجماعة للمكان وقت الضرورة •

اما النور المستقرون فيعيشون فى منازل فاخرة شيد معظمها من المسلح والطوب الأحمر ، وظهر فى بعضها الفن المعمارى الحديث • كما ان المنزل مزود بالأثاث الفاخر والكماليات ، والحجرات مدهونة بالوان زاهية وتتدلى الستائر على نوافذ الحجرات • وتضاء معظم هذه المنازل بالكهرباء • كما ان لدى معظم جماعات النور الأجهزة الحديثة كالتليفزيون واجهزة التسجيل والبيك آب، كما شوهد لدى بعضهم حقائب سفر فاخرة •

واذا كانت الظاهرة المميزة للغجر بصفة عامة الميل للسكنى فى اطراف القرى ، فان هذه الظاهرة تظهر بصورة واضحة لدى النور • ولعل السبب فى ذلك يرجع الى عدم رغبتهم فى الاختلاط بالأهالى ، والى ابعاد الأنظار عن انشطتهم وتحركاتهم • ولهذا تختار هذه الجماعات ان يكون موقع منازلها على الطريق العام الذى يربط القرية بالقرى والمحافظات الأخرى لكى يسهل

التحرك الى اماكن اخرى لممارسة النشاط دون المرور فى وسط القرية • كما ان هذا الموقع يتيح لهم فرصة مراقبة الطريق حتى يمارسوا اعمالهم من خلال دراستهم لنوع الحركة على الطريق ، ولطبيعة المسافرين وانشطتهم • ويدل تجميع مساكنهم فى مكان واحد على مدى تضامنهم وتعاونهم سواء فيما يتعلق بالنشاط الاقتصادى او فى حماية بعضهم البعض حينما يتعرضون لأية اخطار خارجية سواء كانت من الأهالى او من رجال الأمن كما سنشير فيما بعد •

الهجرة والحراك المكانى بالنسبة للجماعات المستقرة :

على ان بعضا من الغجر المستقرين الآن فى مناطق محددة قد مارسوا الهجرة قبل الاستقرار فى هذه الأماكن ، كما ان البعض الآخر مازال يمارس الهجرة بحثا عن اماكن اخرى يستقر فيها • فقد ذكرت حكمت يوسف فى دراستها لمستعمرة الغجر بالشرقية أن الجماعة التى تعيش فى هذه المنطقة قد وفدوا من اماكن متفرقة بالقطر المصرى وبصفة خاصة من مديرية كفر الشيخ والمديريات الغربية (١٥) • وهناك عدد كبير من الغجر الذين يقيمون بصفة دائمة فى محافظة الجيزة وفدوا اساسا من محافظتى المنيا وبنى سويف ، وعلى الأخص محافظة بنى سويف • ويرجع غجر قصر رشوان بالفيوم الى ابشواى ببنى سويف ، وغجر شبين القناطر الى مركزى بنى مزار ومطاى • كما أن غجر سنورس بالفيوم لم يستقروا فيها الا منذ عام ١٩٥١ •

(١٥) حكمت يوسف ، المرجع السابق ، ص ٤٣ •

الفصل الخامس

الحرف والأعمال

يتضمن التراث المدون عن جماعات الغجر فى مصر بعض التقارير عن المهن والأعمال التى يمارسونها (١) · فقد أشار سيتزن الى انهم كانوا يعملون فى صناعة المناخل من شعر الخيل ومن الجلود ، وعمل المسامير الحديدية وغيرها من الأدوات الحديدية الصغيرة ، كما يقومون باصلاح والأباريق (٢) · ويذكر كريمر العديد من الأعمال التى تمارسها الجماعات المختلفة من الغجر دون تخصيص جماعة محددة منها ، فيوضح أن الغجر يعملون فى أعمال السمكرة ، والرقص الشعبى ، وتركيب الحدوة للحمير ، كما يعملون أيضا كحواة للثعابين· أما النساء فتعملن فى رؤية الطالع كما أنهن بغيات أيضا · ويقول كريمر انه حصل على معلومات من جهات متعددة تؤكد أنه بجانب تجارة الغجر فى الحمير الصغيرة ، والخيول والجمال ، فان معظم التجـارة فى يد الغجـر المتجولين (Bad daah)فهم يقومون بعملية البيع والشراء فى القاهرة حيث أنهم معروفون تماما لتجارها · وهم يتواجدون لهذا فى السوقين الكبيرين فى طنطا مرتين فى العام ، وفى المولد الكبير الذى يقام فى العيد السنوى للشلقانى ، مولد الشلقانى Mouled esh-shikani فى شهر مايو ، وعلى الرغم من أنهم

---

(١) يلاحظ فى تقارير الكتاب عن مهن وأعمال غجر مصر جاءت مجملة اذ لم تشر الى الأعمال التى تمارسها جماعة دون غيرها الا نادرا · وسوف نحاول هنا تنظيم هذه المادة لكى تعرض بطريقة منظمة ، وهى ذات أهمية اذ أنها تمثل البعد التاريخى للجانب المهنى لهذه الجماعات ·

(٢) Leland., Op. Cit., p.194.

يكسبون مالا وفيرا الا ان الأغنياء فيهم قليلون (٣) • وبينما يعمل بعض من افراد القبيلة فى التجارة يعيش البعض الآخر منها فى القاهرة ويعملون فى استخراج الثعابين من البيوت ، وهؤلاء يسمون « بالرفاعية » (٤) • ويقول كريمر ان من يرى اعمالهم لا يستطيع انكار ان الدراويش غجر متنكرين • وتتصل هذه الفئة من الغجر بالمسافرين الأوروبين ، كما تقدم خدمات جليلة للعاملين فى مجال العلوم الطبيعية ، اذ دائما يبيعون لهم الثعابين السامة وغير السامة وابن آوى والسحالى والذئاب وما شابه ذلك (٥) •

ويقوم كثير من الغجر ايضا بتدريب القرود ، وخاصة من يسكنون منهم منطقة الأزبكية كما يقدمون اشكالا مختلفة من الألعاب كالمصارعة ، واعمال البهلوانات،ولهذا يأتون الى القاهرةفى اعداد كبيرةفى عيد Id-ed-d'ay ijjeh (٦) (ربما يقصد عيد الضحية) كذلك ذكر نيوبولد ان الغجر يمارسون أعمال السمكرة والحدادة ، وبيع الأقراط والأحجبة والاساور والادوات الحديدية والنحاسية ، وخاصة هؤلاء الذين يسكنون منطقة « حوش الغجر » التى تقع خلف جامع الحسن الكبير اسفل القلعة بمحافظة القاهرة • كما يؤيد كريمر اشتغالهم باعمال البهلونات وتدريب القرود وما شابه ذلك • ويضيف نيوبولد تفصيلا اكثر مما قدمه كريمر عن اعمال النساء ، فيقول أن معظمهن راقصات

---

(٣) Kremer., Op. Cit., p. 263.

(٤) تتظاهر هذه الفئة بان لديها قدرة على شم الثعابين واستخراجها من الشقوق فى البيوت وطريقة الرفاعى هو ان يضرب بعصا فى يده عدة ضربات على الارض أو على الباب ، ثم يعزف قطعة موسيقية صغيرة على الغابة التى يحملها فتظهر الثعابين • ويقال أن معظم المنازل بالقاهرة كانت بها ثعابين ، ولكن معظمها ليس ضارا ويخشى السكان خطر هذه الثعابين بدرجة كبيرة ، لهذا غالبا ما يرفض اى شخص النوم فى حجرة لم يطهرها الرفاعى من الثعابين • (كريمر ، المرجع السابق ، ص ٢٦٣) •

(٥) المرجع السابق ، نفس الصفحة •

(٦) المرجع السابق ، ص ٢٦٥ •

ماهرات ، وبعضهن موسيقيات يلعبن على الطبلة والصنوج (الصاجات) بصفة اساسية • وتقوم بعضهن بالوشم وثقب الآذان • والغجر ينقسمون الى فئات متميزة مثل الداحين والـ Ghurradin والبرمكية ، والولد ابوتنه Waled Abut Tenna ، وبيت الرفاعى والحملى Hemmeli ورومانى Romani ... الخ (٧) •

اما نساء الغجر فهم عادة ما يشاهدون فى الدكاكين والموالد التى تقام بالمدن الكبرى وهن سافرات الوجه وقد زين وجوههن بلون برونزى ، كما انهن يجلن من قرية الى اخرى وهن يرددن عبارات « تعالى ياللى عايز تشوف بختك ٠٠٠٠ الماضى والمستقبل هيتكشف امامك » ، او فى عبارة اخرى اكثر اختصارا « تعالى وشوف حظك » (٨) • وقد وصف لنا ليلاند كيف تقوم المراة الغجرية فى الصعيد بالتنبؤ وروية الطالع • فهى تحمل بعض الأصداف فى حقيبة جلدية على كتفها ، وتتنبأ من خلال الطريقة التى يتجمع بها الصدف بعد ان تنثره بيدها • وهن يتجمعن فى شوارع القاهرة فى فصل الصيف حيث انهن معروفات بالحقيبة الجلدية التى يحملنها على ظهورهن ، وبالنداء الذى يشتهرن به « نبين زين » ، اى « نخبر بالأشياء السارة » ، او بنداء آخر هو « ندمر الغايب » اى نحضر الأشراء المفقودة • ويوجد عدد كبير منهن فى القاهرة تحاولن استغلال بساطة نساء القاهرة •

وتعيش النســـاء فى منطقة تسمى « حوش بردق » الذى يقع تحت القلعة فى مواجهة جامع السلطان حسن • وينافس هؤلاء جماعة المغاربة المنجمون والعرافون الذين اتوا من داخل افريقيا من دارفور • ويمكن رؤيتهم جالسين على جانبى الطريق يحاولون التنبؤ عن طريق الكوتشينه والرمل ، والمعروف أن التنبؤ باستخدام الرمل ممارسة شرقية قديمة (٩) • وقد تقدم

---

(٧) Newbold., Op. Cit., p. 292.

(٨) المرجع السابق ، ص ٢٨٥ •

(٩) Kremer., Op. Cit., p. 264.

ليلاند وصفا لامراة غجرية كانت تبيع الخرز فى سلال ، وتبيع الأقراط الزجاجية وبعض الحلى (١٠) ·

وتؤكد معظم الكتابات التى تناولت غجر مصر قيام الغجر – وخاصة النساء – بعملية الوشم فقد ذكر كل من ليلاند ولين ذلك (١١) · وعلى الرغم من أن البعض اشار الى أن البدو يفعلون ذلك ايضا الا انه نفى وجود دليل منشور يؤكد ذلك (١٢) · أما سان كلير الذى كتب مقالا مطولا عن الوشم ، حيث زار كثيرا من البلدان ودرس هذه الظاهرة بها ، فقد ذكر أن معظم من تقابل معهم من الأشخاص الموشومين قرروا أن الغجر هم الذين يقومون بعملية الوشم فى القدس ومكة والمدينة (١٣) · ويقول أن بعض البحارة الغربيين الذين عاشوا فى الشرق كانوا على علم بأن الغجر فى مصر وسوريا يمارسون الوشم ، وقد قاموا بوشم الكثير من هؤلاء البحارة (١٤) · وقاموا بعرض هذه التصميمات · ويضيف بانه فى مصر والجزيرة العربية تخصص الغجر فى فنون الوشم ، وحيثما يذهب البدو ويذهب وراءهم الغجر الذين يقومون بوشمهم (١٥) · بل اكثر من ذلك فان معظم من قابلهم سانكلير يؤكدون أن الغجر يمارسون نوعا من الوشم السرى (١٦) ·

وبعض الغجر الذين يعيشون بيننا اليوم مازالوا يمتهنون المهن التقليدية للغجر سواء تلك التى ذكرت فى المادة السابقة أو لم تذكر ، كما أن بعضهم قد هجر هذه المهن تحت تاثير الاستقرار والارتباط بمجتمعات محلية مستقرة أو تحت تاثير التعليم أو الاقامة فى مناطق لحقها التطور ·

---

(١٠) Leland., Op. Cit., p. 191.

(١١) المرجع السابق ، ص ١٨٩ ·

(١٢) Sinclair., ., Op. Cit., p. 363.

(١٣) المرجع السابق ، ص ص ٣٦٥ ، ٣٦٦ ·

(١٤) المرجع السابق ، ص ٣٦٨ ·

(١٥) المرجع السابق ، ص ٣٦١ ·

(١٦) المرجع السابق ، ص ٣٦٦ ·

وسوف نتناول هنا الحرف والمهن التى تقوم بها كل جماعة غجرية على حدة ، ثم نورد بعض التعليقات الضرورية ·

يقوم بعض رجال الغجر بكى الحمير والجمال ، والبعض الآخر – على وجه الخصوص تلك الجماعات المقيمة فى محافظة الفيوم – باصطياد الثعابين لبيعها لكليات الطب وسلاح الصاعقة أو بعض الجهات الأخرى · وقد قيدت هذه المهنة فى بعض البطاقات الشخصية أو العائلية التى يحملها الغجر تحت اسم « صياد حشرات » · ويعتبر الغجر هذه المهنة من المهن المقبولة فى المجتمع مثلها مثل اى مهنة اخرى · ويعمل البعض الآخر فى استخراج الثعابين من منازل الفلاحين · فالغجرى يدعى بان له قدرة على اخراج الثعابين المخباة فى شقوق حوائط المنازل عن طريق التعزيم عليها · وهناك من يرى ان هذه القدرة موروثة ، اذ ذكر أحدهم بانه ورثها عن جده السابع ، وأن جده قد أخذ عهدا عليه بالا يسلمها الى غيره (١٧) · وهذه القدرة تتضمن القدرة على شم رائحة الثعبان اذا كان فى المنزل وفى نفس الوقت استخراجه مهما كان الثعبان عاصيا · وللغجرى الذى يعمل فى هذه المهنة قرى معروفة يمر بها دوريا

---

(١٧) ويقولون أن هذه المهنة تورث ابا عن جد · وهى تورث للابناء فقط ، وتحمى الشخص من اذى الثعابين ، اذ يسقى الأب ابنه وهو صغير من « الترياق » فيحصنه ضد سم الثعابين · ويقوم الرفاعى باصطياد الثعابين من منازل الفلاحين عن طريق ان « يصفر » للثعابين بصفارة خاصة فتخرج على الفور ، اما اذا كان الثعبان عاصيا فيستخدم الرفاعى البخور · ويتلو الرفاعى هذه التعويذة لاخراج الثعبان :

« اللهم صلى وسلم وانعم وتفضل على بدر التمام ، مفتاح الظلام ، الملك العلام الذى حكم ورسم ، واطاع الانس والجن والدبيب الهجان ، والبرص السعران ، اذا كانت حية أو ثعبان فى المكان تظهر وتيجى · حكمت بينك وبينى ، حض الله ، وبعرش الله ، والمؤمن يامن بالله ويذكر الله ، وبحض الله · وبعرش الله ، والمؤمن يذكر الله » · ثم يصفر له بالصفار المعروفة ، فيخرج فى الحال ·

وتدعوه الفلاحات لتنظيف المنازل من الثعابين · ومن الطبيعي أن هذه المهنة مرتبطة ارتباطا شديدا بالتواجد أو على الأقل ممارسة المهنة في مجتمع قروي · على أن هناك بعضا ممن يصطادون الثعابين يقومون بتدريبهم وجمع المال ممن يشاهدونهم أثناء اللعب بالثعابين ·

ويعمل بعض غجر طامية في بيع العطارة ، كما أن بعضهم يتاجرون في الودة والملح · ويقوم البعض الآخر بأعمال حرفية مثل عمل البرادع واصلاح مواقد الكيروسين (بوابير الغاز) ، أو الكوالين أو الغناء على الربابة في مقابل المال ، والبعض من الرجال يستجدي ·

وقد شوهد بعض أطفال الغجر يجوبون الشوارع والحواري يجمعون الزجاج والصفيح الكسر لبيعه (١٨) ·

وتمارس نساء الغجر أعمالا متعددة فهن راقصات شعبيات وتعمل الكثيرات منهن في ضرب الودع ورؤية الطالع أو العلاج الشعبي · وعلى سبيل المثال تدعي الغجرية أن سبب الصداع وجود دود في أذن المريض ، وهي تعالجه بما لديها من قدرة على استخراج الدود من الأذن (١٩) · كما تقوم غجريات أخريات ببيع الكحل والخيط والصابون وما الى ذلك في المناطق الريفية · كما تمارس أخريات عملية الوشم وتمارس نساء الغجر ايضا الاستجداء بصور متعددة · فمنهن من يستجدين بطريقة مباشرة ومنهن من يستجدين بطريقة غير مباشرة عن طريق الغناء على أبواب المنازل او ارضاع أطفال غير الغجر مدعيات ان ذلك يطيل عمر الطفل · وتحرص بعض الغجريات على الاستجداء من مناطق بعيدة عن مكان سكناها لكي لا يعرفها أحد ولكي

(١٨) يحمل الصبي صفيحة مربوطة بسلك رفيع ومدلاة من على كتفه يجمع فيها الزجاج ·

(١٩) تحتفظ الغجرية في الغالب ببعض الدود للتظاهر بأنها استخرجته من الأذن ·

يشفق الناس عليها كغريبة · ولهذا تستفسر الغجرية – قبل دخول القرية – عن احتمال وجود أي عائلات لها صلة بالقرية التي تسكنها الغجرية · وعندما تطمئن الى عدم وجود من يعرفها بهذه القرية تتظاهر بأنها غريبة وفي حاجة الى مساعدة ·

اما الحلب الذين يوجدون في صعيد مصر فمنهم من يقومون بأعمال التجارة فأغنياؤهم يتاجرون في الجمال والبقر والعجول ، أما الأقل ثراء فيتاجرون في الأغنام والحمير وهم متخصصون في اخفاء عيوب الحمير وبيعها في الأسواق على أنها سليمة تماما ·

ويمارس بعض الحلب مهنا أخرى مثل اصلاح الاقفال والابواب والصناديق في القرى والأسواق · ويعمل بعضهم في مهنة اللعب بالثعابين مثلهم مثل الغجر · كما سجل عن بعضهم أنهم يعملون في مناطق معينة في صناعة القاطف كما يقومون بمسح الأحذية ·

وعلى الرغم من وجود مهن أخرى كثيرة يقوم بها الحلب ، الا ان الاستجداء هو الظاهرة الأساسية التي يشتهرون بها والتي يقوم بها الرجال والنساء على السواء · غير أن هذه المهنة تعتبر عملا خاصا بالنساء بصفة أساسية · اذ تخرج النساء في الصباح ويعدن عند الغروب وهن محملات بما حصلن عليه من مال ومؤن · ومن المظاهر المألوفة في صعيد مصر ركوب الحلبية حمارا يتدلى من على جانبيه خرجان تضع فيهما الحبوب والغلال والطعام الذي تجمعه · ونظرا لانتشار هذه الظاهرة بين النساء فانه من النادر أن توجد حلبية في بيتها صباحا · واذا سأل أي شخص عنها فيقال له أنهـا (تسرح) ، وكلمة السرح عندهم تعني الخروج بهدف الاستجداء ·

وأحيانا تستجدي النساء عن طريق رؤية الطـالع · وهن يتميزين بالحاحهن الشديد على الزبائن الذين يتقابلون معهن للحصول على نقود في مقابل رؤية الطالع · وعلى الرغم من أن الغجرية تدرك تماما عدم معرفتها اى شيء عن الغيب الا أنها تستخدم هذا الفن كبديل للاستجداء · وقد قالت

احدا من ، كله اكل عيش .. هو فيه عبد يعرف الغيب .. معرفة الغيب هى لله وحده .. الست بدل ما تشحت تقول كلمتين .. فينظر اليها على انها عاملة مش متسولة » .

وهناك اسر حلبية كثيرة تعتمد على استجداء المراة كمصدر وحيد للدخل ويلاحظ أن النساء يخرجن فى الصباح للتسول بينما يظل الرجل فى البيت ينتظر عودتها بالنقود والمؤن . وقد عبرت احدى الغجريات على اعتماد الاسرة على ما تاتى به من مؤن بقولها : « احنا ان ما سرحناش ما ناكلش » . ويتردد بين اكثر من جماعة حلبية أن الرجل احيانا يفرض على زوجته قدرا معينا من الغلال لا تاتى الا بعد ان تجمعه . ويفتخر الرجل بأن زوجته قد عادت بنصف اردب من الغلة . ويقال ايضا أن بعض الرجال لا يعاشر زوجته جنسيا اذا لم تجمع القدر الكاف ، واذا كان متزوجا باكثر من زوجة فهو يعاشر من اتت له بكمية اكبر . ونظرا لانهم يجمعون الكثير من الحبوب فانهم يحتجزون جزءا منه لطعامهم ، ويبيعون الجزء الآخر لسداد ايجار المنزل (٢٠) .

ويشير التراث المتوفر عن أعمال النور أن هذه الجماعة قد اشتهرت بالسرقة بطرق متنوعة . اذ يحاول النور اخفاء نشاطهم الاساسى بالتظاهر بالانشغال فى اى عمل تجارى أو بيع بعض الأدوات البسيطة .

وقد ادى ارتباط هذا الاسم بهذه الجماعة الى أن اكتسب هذا الاسم معنى اللصوصية والاحتيال فى اللغة العربية فلفظ « نورى » يعنى لص او محتال حتى ولو اطلق على اى من غير الغجر ، كما ذكرنا قبل ذلك .

ويعد كريمر الكاتب الوحيد الذى ذكر أن النور يعملون صياغا حيث

(٢٠) يجمع الغجر كميات وفيرة من القمح ، وقد علق فرد من غير الغجر على ذلك بانه يوجد فى منازل الغجر كميات من الغلال اكثر مما يوجد لدى الفلاحين وذلك بسبب انهم يستجدون من كل بيت .

قال : « أن الغجر المتجولين الذين يعملون كصياغ يسمون نور » (٢١) . ولكن المصدر الذى استقى منه كريمر هذه المعلومات غير معروف ، اذ ان هناك شكا فى ان احدا قد ذكر ذلك . كما ان الشواهد لا تدل على انهم كانوا يشتغلون بالذهب منذ زمن قريب . ويبقى هناك احتمال ان يكون بعضهم قد عمل فى هذه المهنة منذ زمن طويل ، او انهم استخدموها كمهنة ظاهرية لاخفاء اعمالهم الأساسية ، او ان كريمر قد حصل على هذه المعلومات بطريقة خاطئة .

وفى الدراسة السابق الاشارة التى اجراها المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ولتى نشرت تحت عنوان « دراسة لظاهرة الجريمة فى قرية طهواى » اشار الدكتور احمد المجدوب ان الاحصاءات ابرزت ارتفاع نسبة جرائم السرقة التى ابلغت للشرطة فى محافظة الدقهلية وبعض المحافظات المجاورة دون ان يتم التعرف على مرتكبيها ، مما جعل رجال الشرطة بها يعترفون بانهم أوشكوا أن يعلنوا عجزهم عن مواجهة الموقف بالغ التعقيد الناشىء عن وجود من يسمون بالغجر (النور حسب تصنيف هذه الدراسة) الذين يرتكبون جرائم السرقة حيث يتخذون من السرقة حرفة لهم . وقد اجادوا هذه الحرفة الى حد جعل ضبطهم من الصعوبة بمكان . وبالرغم من تاكد رجال الشرطة من انهم مرتكبو هذه الجرائم الا انهم لم ينجحوا فى الحصول على اى دليـل يكفى لاثبـات التهمـة عليهم وتقديمهم للمحاكمة وادانتهم (٢٢) .

وعلى الرغم من ذلك فان بعض النور يحاولون اخفاء انشطتهم الاجرامية بممارسة بعض الأعمال التجارية كافتتاح متاجر صغيرة . والبعض الآخر قام بشراء سيارات أجرة يعملون عليها بانفسهم ، ويستخدمونها ايضا فى قضاء مصالحهم . ويقال أن هناك نسبة من النور قد هجرت الأعمال الاجرامية ،

(٢١) Kremer., Op. Cit., p. 263.

(٢٢) د . أحمد المجدوب ، المرجع السابق ، ص ١٦٣ .

وارتبطت بمهن اخرى فى المجتمع ، على ان بعض الزوجات مازلن يمارسن النشل (١).

ويقوم النور بعمليات السرقة خارج نطاق المنطقة التى يعيشون فيهـا حتى لا يشتبه فيهم أحد ، وحتى يأمنوا جانب السلطات اذ انهم احيانا يتعرضون للطرد عند حدوث سرقات فى المنطقة .

واذا كان عامل عدم الاستقرار يؤثر على ظاهرة تعليم ابناء الجمـاعات المتنقلة ، فان عامل المهنة وما تدره من دخل يعد عاملا أساسيا فى عدم اقبال ابناء النـور على التعليم . ويمكن ان يرسل النور ابناءهم الى المدرسة الابتدائية . ورغم ان لدى بعض الآباء رغبة فى تعليم ابنائهم الا أن نسبة التعليم مازالت منخفضة . فقد ترك الكثيرون المدرسة بعد المرحلة الابتدائية مباشرة . أما البنات فلا تتعلمن على الاطلاق ، ويرجع سبب ذلك الى أن تبدأ الفتاة فى ممارسة النشل فى سن مبكرة . ولكن فى احدى القـرى انتظمت بعض نساء النور فى مشروع محو الأمية لفترة بسيطة .

وهناك بعض الملاحظات التى نود ان نبديها فى مجال مهن الغجر ،

١ ـ ان هناك تداخلا بين المهن والحرف التى يقوم بهـا الغجـر وتلك التى يقوم بهـا الحلب . وقد وضح ذلك من العرض السابق لمهن الجماعتين . وقد كان ذلك عاملا أساسيا من عوامل الخلط بين جماعة الغجر وجماعة الحلب .

٢ ـ على الرغم من انتشار المهنة الواحدة بين افراد الأسرة الواحدة لدى الغجر غير انه قد وجدت نماذج للتنوع المهنى داخل الأسرة الواحدة . ففى احدى الأسر الغجرية بالفيوم كان احد الأشخاص يحترف الغناء والضرب على الرق فى حفلات الزواج بينما يعمل أخوه الثانى عربجيا ، اما الأخ الثالث فقد سافر الى ليبيا بغرض العمل .

٣ ـ اذا كانت ظاهرة السرقة مرتبطة بالنور بصفة خاصة لا أن المفهوم

الاجتماعى السائد عن الغجر بصفة عامة يتضمن ان تصور الناس للغجر يرتبط بالسرقة ولو بدرجات متفاوته . فبعض الناس يشعرون أن الحلبية يمكن ان تسرق دجاجة من حوارى القرية اثناء استجدائها اذا واتتها الفرصة .

٤ ـ الظاهرة الشائعة بين الغجر هو **عدم الرغبة فى الارتباط باعمال حكومية** . وحتى هؤلاء الذين هجروا المهن الغجرية التقليدية حاولوا الارتباط بمهن حرة معظمها لها الطابع التجارى ، وربما يكون ذلك بسبب ادراكهم للفائدة المادية المرتبطة بهذه المهن . وتبدو هذه الظاهرة واضحة حتى مع من امضوا فترة الخدمة العسكرية وحاولت الحكـومة توظيفهم ، اذ رفض بعضهم الوظيفة . ويقول بعض الاهالى انهم كانوا يتقدمون بطلبات لبحث حالتهم وايجاد وظائف لهم ولكنهم يرفضونها حاليا ولا يوجد الا القليل منهم قد ارتبط بوظائف حكومية (٢٣) .

(٢٣) هناك نماذج تركت المهن الغجرية وارتبطت باعمال أخرى حتى مع غير الغجر . وسوف نوضح امثلة وتفصيلات عن هذه النماذج فى الباب الرابع المخصص لدراسة الغجر فى « ست جيرانها » .

الفصل السادس

اللغــــة

توفرت لدينا بعض قوائم الكلمات التى ارفقها الكتاب بما نشروه عن غجر مصر (١) . وهذه القوائم تتضمن الكلمات الغجرية ومقابلها باللغــة العربية أو باللغة الانجليزية . وكان من أهم الكتاب الذين اهتموا بهذه القوائم كريمر ونيوبولد وبورتون . وحاول بعضهم أن يؤكد دقته فى جمع قوائم الكلمات . فقد ذكر كريمر مثلا أنه جمع هذه الكلمـــات من أفـــراد عديدين ، ولكنه اعتمد اعتمادا أساسيا على شخص واحـــد هو الشيخ هريدى الملقب « بشيخ الرفاعية فى مصر » (٢) . واذا كان كريمر قد قدم اسهاما بقائمة الكلمات التى زود بها مقالته فان اسهامه الأكبر تمثل فى تحليلاته التى أعقبت قائمة كلماته (٣) . فقد حاول تتبع أصول الكلمات معطيا أمثلة كثيرة للكلمات التى لاترجع الى أصول عربية ، وأمثلة اخرى كثيرة للكلمات التى ترجع الى أصول أجنبية . وزيادة على أنه تحرى دقــة لا بأس بها فى تسجيل الكلمات ، فقد أحاط نفسه بتحفظات كثيرة تأمينــا لنفسه ضد الانزلاق فى الأخطاء ، وكان أمينا فى أنه أشار الى عدم تيقنه من اصول بعض الكلمات . كذلك يدل رجوعه الى بعض القواميس العربية (مثل

---

(١) تعد المادة المتوفرة عن لغة غجر مصر بمافيها قوائم الكلمات والتحليلات المرتبطة بها مادة غنية نسبيا بالمقارنة بما أسهم به الكتاب فى مجالات أخرى وسوف نقدم فى هذا الفصل ما يوضح طبيعة هذه اللغة ثم نحاول تحليلها للوصول الى بعض الفروض المتعلقة بأصولها .

(٢) Kremer., Op. Cit., p. 265.

(٣) أنظر ص ص ٢٦٦ ، ٢٦٧ .

الفيروزبادى) للبحث عن الاشتقاقات الى جديته خاصة وان لغته الأصلية لم تكن العربية . وقد اهتم كريمر ايضا بأن يكتب الكلمة كما تنطق فى اللغة العربية بأحرف انجليزية ، ولكنه لم يحاول — كما فعل نيوبولد — ان يكتب الكلمة بأحرف عربية .

اللغـــة الغجـــرية :

لم يستدل اى كاتب على وجود لغة مكتوبة للغجر ، وقد اكد الكتاب امية الغجر وعدم قدرتهم على كتابة وقراءة اللغة العربية ، ولكنهم اكدوا وجـــود لغة سرية يتكلمها الغجر ، ولكنها تختلف من جماعة غجرية الى اخرى . اذا كان البعض يفترض ان جماعات الغجر فى مصر ترجع الى اصل واحـــد فان اختلاف اللهجة التى يتكلمها الغجر من جماعة الى اخرى ترجع الى طول فترة اقامتهم فى البلاد التى مروا بها (٤) . وقد اطلق بعض الكتاب على هـــذه اللغة او اللهجة السرية اسم « سيم » (٥) وتستخدم هذه اللغة السرية فى المجالات التى لايود الغجر غيرهم ان يعرفوا ما يقولونه ، وطالما ان هذه اللغة سرية ولا تستخدم الا لاغراض خاصة ، فان الغجر يستخدمون اللغة العربية العامية كلغة تخاطب بينهم وبين انفسهم فى حياتهم اليومية (٦) .

اما بخصوص اختلاف اللهجات الثلاثة التى تتكلمها الثلاث جماعات الغجرية الرئيسية فى مصر فقد ذكر نيوبولد ان لهجة جماعة الغجر تعتبر اكثر

(٤) نيوبولد ، المرجع السابق ، ص ٢٩٦ .

(٥) لا ينفرد غجر مصر وحدهم باستخدام لغة سرية ، فهـذه ظاهرة متكررة لدى الجماعات الغجرية فى العالم كله . وعلى سبيل المثال يستخدم غجر اسبانيا لهجة تسمى Germania ، وهى لاتعنى اللغة الغجـــرية الحقيقية بل تعنى عامية الزنادقة او لاتينية اللصوص . اما لهجة الغجـــر فى فرنسا فيطلق عليها argot ، وهى تعرف باللاتينية بـــ gorgo

(٦) انظر : Burton., Op. Cit., p. 233.
Kremer, Op. Cit., p. 266.

تماثلا للغة الكربات فى سوريا (غجر سوريا) ، وللهجة الغجر التى ذكرت فى اعمال بورو Borrow ، وهى تتضمن ايضا كلمات من اصل هندى اكثر بما تتضمنه لهجة الحلب أو النور . وقد اكد نيوبولد ان الكلمات التى جمعها من غجر مصر تماثل الكلمات التى يستخدمها الكربات فى سوريا . اما كلمات حلب مصر فتحتوى على قدر كبير من الكلمات العربية ، وقدر قليل من الكلمات الايرانية والهندية والتركية ، وبعض الكلمات التى يستخدمها غجر اوروبا . وعلى سبيل المثال فان كلمة هوزنو Husno يستخدمها حلب مصر بنفس المعنى الذى تستخدم به كلمة بوزنو Busno لدى غجر اوروبا . وهى التسمية التى يطلقونها على كل انسان غير غجرى ، وعلى الجماعات غيـــر الغجرية ايضا . اما كلمة كالو Ag التى تطلق على اللص ، وكلمة اج Ag التى تطلق على النـــــار (وكذلك كلمة ياج Yag) ، وكلمـــــة بانى ين pani yen التى تطلق على الماء فهى ايضا مستعارة من لغة غجر اوروبا . اما الأعداد التى يستخدمونها فهى ناقصة وغالبا مستعارة مـن الأعداد الهندية والايرانية (٧) .

ويرجع نيوبولد وجود كلمات عربية فى لهجة الحلب الى الفترة الطويلة التى قضتها هذه الجماعة فى اليمن وفى اجزاء اخرى من شبه الجزيرة العربية اما الأعداد كلا الحلب والغجر فهى تحمل سمات تؤكد بشدة انها ترجع الى الهندية او الايرانية . وعلى الرغم من أن الحلب يستخدمون الأرقام العربية العامية فى تعاملهم ، الا أن هناك قائمة سرية للاعداد يستخدمونها حينما تتطلب الضرورة ذلك (٨) .

اما بالنسبة لعلاقة لغة غجر مصر بلغة الرومنى (لغة خاصة بمعظم الجماعات الغجرية فى اوروبا) فقد اكد الكتاب ان غجر مصر لا يتكلمون هذه اللغة ، فقد اكد ليلاند على سبيل المثال بعد ان التقى بغجرية فى سوق

(٧) Newbold., Op. Cit., p. 290.

(٨) المرجع السابق ، ص ٢٩٥ .

بولاق انهم لايتكلمون هذه اللغة (٩) : غير ان ليلاند يفترض وجود مصدر آخر مجهول للغة غجر مصر (وذلك مما ذكرته له الغجرية التى التقى بها فى السوق) ، فقد أخبرته هذه الغجرية أن غجر مصر يدركون أن غجر المجر مازالوا يحتفظون بلغتهم الأصلية ، تلك اللغة التى كان يستخدمها الغجر فى مصر ·

اما سيتزن Seetzen فيرى أن كلمات غجر مصر تحتوى عى كلمات عديدة من اللغة العربية والتركية وبعض الكلمات اليونانية · كما توجد بعض الكلمات من لغة رابعة ـ لايتذكر اسمها ـ يفترض أنها هى لغة الغجر الأم ·

ومع تاكيد كريمر على وجود كلمات عربية فى لغة الغجر أكد أيضا على وجود كلمات أجنبية فيها · ويرى أن هذه الكلمات ربما وفدت من الغرب مع الجماعات الغجرية التى هاجرت الى مصر · ومن أمثلة هذه الكلمات زويل Zuell وتعنى « جحش » ، واشوم ashum وتعنى « روح » ، وبيتوج bitug وتعنى فضة أو نقود ، اتريشنت atrreshent وتعنى اللبن الرائب (وهذه الكلمة ذات نغمة قبطية) ، كذلك هناك كلمة صانو Sanno وتعنى « كلب » ، وهنداويل handawil وتعنى « الأنر الشامى » وهى كلمة يستخدمها الفلاح المصرى أيضا · وهناك أيضا كلمة هانتيف hantif وتعنى « الجمل » ، وبارواه baruah وتعنى « السمنة » ، وبوهوز buhos وتعنى فول (اولوبيا) ، وكلمة دامانى damani وتعنى « لص » · وكل هذه الكلمات كلمات غربية رغم ان

---

(٩) كان ليلاند هو المصدر الوحيد الذى اشار الى وجود كلمات « رومنيه » فى لهجة جماعة النور على وجه الخصوص ، لكنه عاد ونبة الى حقيقة هامة وهى انه اذا كانت هناك كلمات من لغة الرومنى فى لهجة النور بالذات فان لغة الرومنى نفسها تحتوى على بعض الكلمات العربية ·
انظر : Leland, Op. Cit., pp. 195-196.

نطقها يشبه نطق الكلمات العربية · ويرى كريمر أنه على الرغم من اننا لانستطيع ان نؤكد مصدر هذه اللغة لكن يبدو له أنها ترجع الى لغة البربر ·

ويؤكد كريمر دهشته من أن الغجر يستخدمون بعض الكلمات العربية الكلاسيكية التى بطل استخدامها فى الحياة اليومية ، فهم يستخدمون مثلا كلمة « هبج » بمعنى « ضرب » ، وهذه الكلمة موجودة فى قاموس الفيروزبادى القديم · وكلمة « شفر » وتعنى « قطع » ، وهى مأخوذة من الكلمة العربية القديمة « شفره » وتعنى سكين ·

وعلى الرغم من أن كريمر قد أوضح انه لم يحاول ان يقدم اى استنتاجات خاصة بفلسفة اللغة بسبب نقص المعلومات التى تمكنه من الاستدلال ، الا انه يفترض ان غجر مصر كانت لديهم كلمات واسماء ، وانهم استخدموها فى الماضى ، ولكنهم نسوها الآن ، ويؤكد ذلك عدم وجود كلمات غجرية خاصة ببعض الأشياء والظواهر مثل الالوان ، والشمس ، والقمر ، والارض ، والنار ـ الخ ولهذا استخدموا بدلا منها الكلمات العربية (١٠) ·

نستخلص من مطالعة هذه الآراء أن الكتاب حاولوا ان يضعوا بعض الفروض الخاصة بلغة الغجر فى مصر · ولكن الآراء التى قدموها والفروض التى حاولوا التوصل اليها لم تكن دقيقة وواضحة نتيجة عدم تخصص بعضهم فى دراسة اللغة ونتيجة عدم توفر مادة كافية · ولكن ما يمكن استخلاصه من قضايا عامة هو أن المادة المتوفرة تؤكد وجود كلمات غير عربية فى لهجة غجر مصر ·

على أن هذه الدراسات والآراء التى سجلت منذ فترة زمنية طويلة كانت تحتاج الى نوع من الاختيار ونوع من المتابعة التى تؤدى الى التعرف على

---

(١٠) Kremer., Op. Cit., pp. 266-267.

مدى صدق المعلومات الواردة فى هذه الكتابات من ناحية ثم التعرف على مدى التغير الذى لحق لغة الغجر من ناحية أخرى وهذه المحاولة هى التى تمكن كاتب هذه السطور من القيام بها أثناء دراسته للدكتوراه · فقد استطاع ـ بفضل طول فترة الاحتكاك بهذه الجماعات ـ أن يتعرف على الوضع الراهن للغة الغجر ، وطبيعة وكثافة استخدام الغجر لها · وعلى ذلك فالجزء التالى هو عبارة عن محاولة لتقديم وصف بسيط لأهم خصائص لغة الغجر ، مع الاهتمام بتحليل بعض المتغيرات الاجتماعية الخاصة بمجالات استخدام لغة الغجر فى الحياة اليومية ، ودورها فى التأثير فى العلاقات الاجتماعية السائدة بين الغجر وغير الغجر (١١) ·

وصف اللغـــة :

(ا) تتضمن لغة الغجر بعض الكلمات المأخوذة من العربية :

فهناك الكثير من الكلمات مأخوذة من اللغة العربية سواء الفصحى أو العامية ، ولكن أدخل عليها الغجر بعض التعديلات ، أو استخدموها بطرق خاصة تختلف عن طرق استخدامها فى اللغة العربية ، وسوف يتضح ذلك من الأمثلة التى سوف نسوقها · وإذا كانت التعديلات التى أجريت على هذه الكلمات العربية تؤدى إلى صعوبة تعرف الشخص غير الغجرى عليها ، إلا أن الشخص المدقق ذو الخبرة البسيطة بهذا الموضوع يمكنه استنتاج معانى الكثير من الكلمات · ومن أمثلة هذه الكلمات ما يأتى : ـ

---

(١١) على أننا نود أن نوجه النظر إلى أن الأعمال العلمية التى أشرنا إليها تحتوى على توائم كلمات ، وعلى بعض التحليلات المفيدة التى تحتاج إلى دراسة ميدانية موسعه تهدف إلى المقارنة بين اللغة المستخدمة اليوم لدى الغجر وبين ماورد فى هذه التوائم · وما نرجوه أن ينال موضوع دراسة لغة غجر مصر اهتمام بعض الدارسين فى المستقبل ليس فقط بهدف تحليل اللغة فى حد ذاتها بل بهدف التعرف على أبعاد اجتماعية أعمق ·

كلمـــة شانى : فى العاميـــة تـــانى وفى الغجرية « تونى » ·

كلمة نور أو نار : فى العامية نور أو نار وفى الغجرية « مانورة » ·

كلمـــة قـــوى : فى العاميـــة اوى وفى الغجرية « او » ·

كلمـــة قليـــل : فى العاميـــة اليـــل وفى الغجرية « الا » ·

كلمـــة صبـــاح : فى العاميـــة صبح وفى الغجريه « مأصبح » ·

كلمـــة مســـلم : فى العاميـــة مسلم وفى الغجرية « مسليمى » ·

كلمـــة صـــغير : فى العاميـــة صغير وفى الغجرية « مأصغير » ·

كلمـــة كـــبير : فى العاميـــة كـــبير وفى الغجرية « ماكير » ·

(ب) وهناك مجموعة أخرى من الكلمات تصرف فيها الغجر بأن اختاروا صفة معينة من صفات الشىء واستبدلوها باسم هذا الشىء ويتضح ذلك من الأمثلة الآتية : ـ

يعبرون عن كلمة « بيض » بكلمة « مدحـــرج » وذلك لأن البيض من صفاته أن يتدحرج · وكلمة « يد » يقولون عليها « شمالة » وهى مأخوذة من الفعل « شمل » وربما تستخدم لأن « اليد يمكن أن تلتف لتشمل » · أما كلمة « جلباب » فيعبرون عنها بكلمة « خوامة » أو « لفلافة » · ويبدو أن كلمة « خوامة » مأخوذة من كلمة « خيمة » وهى مع كلمة « لفلافة » تعنى الشىء الملفوف الذى يحيط بأى شىء · والجلباب قريب من هذا الوصف ، فالجلباب عبارة عن قطعة من القماش تلف حول الجسم ·

● ويقولون كلمة « بصاصات » وهى مأخوذة من الكلمة العامية يبص، ومعناها ينظر · أما كلمة فم فهى بلغة الغجر « ملام » وهى آتية من الفعل اليومى « يلتهم » بمعنى يبتلع ونظرا لأن الابتلاع خاصية من خصائص الفم

● أما العملة الفضية فئة عشرة القروش فيقولون عليها « أبيضة » وهى تعنى القطعة البيضاء ، نظرا لأن لون العملة أبيض ·

● اما الفعل « يشرب » فى اللغة العربية فهو فى لغة الغجر « يموج » لأن من صفات الماء التموج ، وهم يطلقون كلمة « موجة » على كل شىء يتصل بالماء ، فيطلقونها على المطر والخمور والماء الساخن ·

● اما كلمة شعر فتعبر عنها كلمة « سبسباب » فى لغة الغجر وهى آتية من الفعل « يسبسب » بمعنى يصفف الشعر ·

● ويطلق الغجر على « الجاموسة » اسم « نفاخة » نظرا لأنها ضخمة ومنفوخة ·

● ويسمون الخروف « مىء ماء » وهى آتية من الكلمة العامية « ما ما » تلك التى تطلق على صوت الخروف المتميز ·

● اما السيجارة فهى « تفتافة » وهى ماخوذة من الكلمة العامية «تفتف» بمعنى نفخ الدخان ·

● اما الفعل « يتكلم » فيقول عنه الغجر « يتلغ » ذلك ان الكلام مرادف للغة · وكلمة « يتلغ » ماخوذة من كلمة لغة ·

(جـ) تحتوى لغة الغجر على كلمات لاتشبه كلمات اللغة العربية الفصحي او العـــامية :

فالغجر يقولون على الانسان « كيرة » ، ويسمون الرجل « برغة » أو « اروب » ، والمراة « كوديانة » ، والولد « سما » ، والبنت « سماونة » · ويطلقون على المسيحى اسم « اناوى » ، وعلى غير الغجرى اسم « خشنى » ، وعلى العسكرى اسم « دازى » ·

وهم يسمون الكلب « صانوة » ، والحمار « زويل » ، والقرد « شمول » ، والدجاجة « شورية » ، والسمك « مرعاو » ، ويطلقون على الخبز كلمـــة

« شنوب » ، وعلى الأرز كلمة « مرزان » ، وعلى الحشيش (مخدرات) بكلمة « ســـوجة » ·

وهم يعبرون عن الشىء الجميل بانه « صهين » او « بهيل » ، والشىء القبيح أو السىء بانه « شلف » · ويسمون القرية « انتة » ، والبيت «موكنة» ، والليل « غلموس » ، والحذاء « الزة » (١٢) ·

(د) يشوب لغة الغجر الكثير من جوانب القصور بحيث تعتبر لغة ناقصة على الأقل فى وقتنا الحاضر :

* فكثير من الكلمات والمعانى لايوجد لها مقابل فى هذه اللغة وهم لهذا : **يستخدمون كلمة واحدة للتعبير عن اكثر من شىء (١٣)** ·

فكلمة « ماخ » تطلق على كل شىء ليس له مقابل فى لغة الغجر ، فهى تطلق على الارض والبحر والشجرة والجبل ، كما تطلق على الباب والكرة

---

(١٢) يمكن ان يلقى تحليل هذه الكلمات ومعرفة أصولها ضوءا على أصول الغجر وعلاقاتهم السابقة بجماعات أخرى · ويجب أن يتم مقارنة كل كلمة بمقابلها فى اللغة المصرية القديمة « الهيروغليفية » ، واللغة القبطية على اعتبار انها كانت لغات مستخدمة فى مصر ، ومازالت اللغة العربية تحتوى على قدر من الكلمات التى تنتمى الى هذه اللغات · ذلك انه من المحتمل أن تكون هذه الجماعات قد استبقت لنفسها بعض الكلمات لتستخدمها فى الوقت الذى لاترغب فيه فى التحدث باللغة العربية التى يتكلمها المصريون · كما يجب أن تقارن باللغة التركية · على ان هذه المقارنة يجب أن تتم قبل اية محاولة للمقارنة بين لغة الغجر ولغات شعوب أخرى أو لغات جماعات غجرية أخرى ·

(١٣) ليس معنى هذا ان الكلمة الغجرية غنية بحيث تستخدم لتعنى اكثر من شىء ، فالواقع انها تستخدم لتدل على اكثر من شىء بسبب عدم وجود كلمات كافية تعبر عن هذه الأشياء ·

الباب او مفتاح الباب اذ يقولون « ماخ الماخ » ، ويقال على البئر « ماخ الموجة » بمعنى بئر الماء · والأكثر من ذلك ان كلمة « ماخ » تستخدم كفعل ومعناه « عمل كذا » · كما ان كلمة موجة تستجدم للتعبير عن الماء والمطر والبحر والمشروبات الكحولية · كما انها تحول الى فعـول ، فيقولون « يموج » بمعنى يشرب كما ذكرنا قبل ذلك · وكلمة « انتة » تطلق على القرية وعلى المدينة اذ يقال على المدينة « الأنتة الكبيرة » وعلى القرية « الأنتة الصغيرة » · وكلمة « مانور » مشتقة من الكلمة العربية « نور » ، وتستخدم للتعبير عن الشمس او القمر او النجوم او النور او النار ، او الأسلحة النارية · والغجر ليس لديهم من الكلمات ما يقابل الطرق المتعددة التى يلقى بها الانسان حتفه ، فكلمة « انطنى » تعنى مات او قتل ·· الخ · ويطلقون كلمة « مرزان » على الارز والذرة فى آن واحد · كما يطلقون على اى شىء يلبس كالجلباب « خوامة » ·

*** يستخدم الغجر بعض التعبيرات لتدل على كلمة واحدة :**

وعلى سبيل المثال : نظرا لعدم وجود ما يقابل كلمة صياد فى لغتهم فهم يقولون « البرغة اللى بيكيف المرعاو » وتعنى « الرجل الذى يصيد السمك » · وعن العراف « البرغة او الكوديانة اللى بيحصحص المبخيتش » وهى تعنى الرجل او المراة التى تخبر بالطالع « تشوف البخت » ·

*** يلجا الغجر نظرا لهذا القصور الى اجراء بعض التركيبات لالفاظ من اللغة العربية واخرى من لغة الغجر للتعبير عن شىء معين :**

فهم يقولون مثلا عن الله « ماكبر البراغنة » وتعنى فى الترجمة الحرفية « الأكبر من الناس » نظرا لان كلمة « ماكبر » تعنى كبير وكلمة « براغنة » تعنى « الناس » فى اللغة الغجرية · ونفس الشىء بالنسبة « للقس الذى يسمونه منه « ماكبر الأننوه » وتعنى كبير المسيحيين · امـا البطريرك فيقولون عنه « ماكبر ماكبر الأننوه » وتعنى كبير كبار المسيحيين · اما الملك أو الرئيس فيقولون عنه « البرغة الأو » وتعنى « الرجل القوى » ·

ويعبرون عن اى رجل يعمل بالبوليس او الادارة بكلمة « دازى » ويفرقون فى ذلك بين الرتب العالية والرتب الدنيا فيقولون « الدازى الماكبر » و « الدازى الاصغر » ·

*** يستخدم الغجر بعض الكلمات العربية دون تعديل ، لكنهم يضيفون الى بداية بعض الكلمات حرف « م » والى نهاية كل كلمة المقطع « ايش » · ومثال ذلك الكلمات الآتية :**

برد او ثلج : فى العربية العامية صقعة وفى الغجرية مصقيعش ·
ياتى بـــ : فى العربية العامية يجيب وفى الغجرية ميجيبش ·
اصبـع : فى العربية العامية صباع وفى الغجرية مصبيعش ·
خـــاتم : فى العربية العامية خاتم وفى الغجرية مختيمش ·
ذهـــب : فى العربية العامية دهب وفى الغجرية مدهيبش ·
دهـــن : فى العربية العامية دهن وفى الغجرية مدهينش ·
اخضـــر : فى العربية العامية اخضر وفى الغجرية مخضيرش ·
اصفـــر : فى العربية العامية أصفر وفى الغجرية مصفيرش ·
اســـود : فى العربية العامية اسود وفى الغجرية مسويدش ·

وهكذا بقية الالوان ·

(هـ) معظم قواعد النحو فى لغة الغجر ماخوذة من قواعد اللغة العربية :

فطريقة الجمع فى هذه اللغة تشبه طريقة الجمع فى اللغة العربية الفصحى والعامية · ويمكن للباحث الذى له دراية باللغة العربية الفصحى والعامية ان يدرك هذا التشابه · وسوف نسوق هنا بعض الامثلة التى توضح ذلك · فكلمة مسيحى تعنى « اناوى » ، ومسيحيون « أننوه » · ويقولون عن القريـة « انتة » وجمعها « اناتى » ، ويطلقون على غير الغجرى « خشنى » وجمعها « خشانة » ، ويجمعون كلمة « شنب » وتعنى رغيف « شنوب » وتعنى عيش أو ارغفة ·

ويتبع المذكر والمؤنث نفس طريقة التذكير والتأنيث فى اللغة العربية.
كلمة « جميل » فى اللغة العربية مؤنثها « جميلة » وهى فى اللغة الغجرية « بهيل » ومؤنثها « بهيلة » . كذلك تستخدم كلمة « صهيل » ومؤنثها « صهيلة » لتعنى نفس الشئ .

أما قواعد الملكية فى اللغة الغجرية فهى مأخوذة من نفس قواعد التعبير عن الملكية فى اللغة العربية الفصحى أو العامية .

يوضح ذلك الأمثلة الآتية :
ذكرنا أن كلمة « كوديانة » تعنى امرأة ، وكلمة « كوديانتى » تعنى امرأتى أو زوجتى . و « كوديانتك » يعنون بها زوجتك .. وهكذا .

أصول اللغة الغجرية :

ويمكن أن نستنتج من تحليلنا لمفردات اللغة الغجرية أن لغة الغجر لغة ناقصة بل هى – فى وضعها الحالى – عبارة عن مجرد مجموعة من الأسماء والأفعال والصفات المختلطة بمثيلتها من اللغة العربية . وعلى ذلك فان هناك احتمالين :

الاحتمال الأول :

أن تكون الكلمات غير العربية المتوفرة فى لغة الغجر هى بقايا لغة أصلية خاصة بالغجر ، أو بقايا للغة اكتسبوها من الشعوب التى مروا بها وعاشوا بينها وهم فى طريقهم الى مصر ، ونحن نضع كل هذه الاحتمالات نظرا لأننا لم نتوصل بعد الى تحديد أصول غجر مصر وتحديد معالم تاريخهم المبكر على وجه الدقة .

واذا افترضنا وجود لغة غجرية متكاملة فى زمن سابق فان الاقتباسات الحالية من اللغة العربية وأوجه الشبه بين قواعد النحو فى اللغة العربية

واللغة الغجرية يمكن أن يفسر على أن الغجر قد فقدوا – خلال تاريخهم الطويل – أساسيات لغتهم – وأهمها قواعد النحو – واستعاروا بديلا لها من اللغة العربية . هذا اذا كان للغجر أساسا لغة مستقلة متكاملة . أما اذا كانوا اكتسبوا بعض الكلمات من لغات الشعوب التى مروا بها فيحتمل أن يكونوا قد اكتسبوا الكلمات دون قواعد النحو .

الاحتمال الثانى :

أن تكون الكلمات الغريبة عن العربية فى لغة الغجر ليست بقايا للغة متكاملة ، ولكنها مجرد كلمات اكتسبها الغجر (بالطرق السابق شرحها) ، وحافظوا عليها لكى تستخدم كلغة سرية يتفاهمون بها فى وجود غير الغجر . وفى هذه الحالة تكون لغة الغجر هى مجرد « سيم » وليست لغة أساسية (١٤) .

ويحتاج اثبات هذه الفروض ، والتعرف على أصول هذه اللغة الى دراسة تاريخية لغوية متخصصة تهتم بتاريخ الجماعة المبكر أو أصولها . فان التعرف على التاريخ والأصول يساعد على التعرف على أصول وتاريخ اللغة والعكس صحيح .

الوظيفة الاجتماعية للغة الغجرية :

أ – لاتعتبر لغة الغجر لغة رسمية ، ولايعتبرها المجتمع أيضا لغة رسمية خاصة بالغجر .

وهى ليست لغة للتخاطب اليومى بين الغجر ، اذ أنهم يتكلمون اللغة العربية الدارجة (العامية) التى يستخدمها من حولهم . ولكنهم يستخدمونها

---

(١٤) يميل بعض الكتاب الى عدم اطلاق كلمة لغة على مجموعة الكلمات والتعبيرات الغجرية المستخدمة – فهم يميلون الى استخدام كلمة « رطان » أو « سيم » ، ويطلق بعض الغجر أيضا على لغتهم كلمة « رطان » .

في مواقف خاصة ، ويعلمونها للاطفال لكى يستطيعوا ان يستخدموها في نفس هذه المواقف ·

وتستخدم لغة الغجر في المواقف الاجتماعية والاقتصادية التى يوجد فيها الغجر وغير الغجر حينما يود الغجر الا يعرف غير الغجر مضمون الحديث الذى يدور بينهم · وعلى سبيل المثال حينما يتواجد غير الغجر في مناسبات اجتماعية خاصة بهم ، ويود الغجر مناقشة أمور مادية أو خاصة بكيفية معاملة الضيف ، او نوعية الطعام الذى يقدم له ، او عندما يفكرون فى طريقة تجبره على مغادرة المكان لأى سبب فان الغجر يستخدمون لغتهم الخاصة · ويعرف الغجر متى يستخدمون لغتهم الخاصة ، ومتى يستخدمون اللغة العربية ، التى يجيدونها تماما كما يجيدها غيرهم من المصريين ·

وعلى ذلك فالغجر يستخدمون لغتهم فى المواقف التى يرون ان هناك فائدة خاصة من استخدامها لكسب الموقف ، ولكنهم يحرصون فى المواقف الأخرى ان يظهروا مثلهم مثل بقية المصريين ·

ويقرر الغجر ان استخدامهم للغتهم الخاصة فى الماضى كان اكثر كثافة من استخدامهم لها فى هذه الايام · ويرجع هذا الى محاولة الجماعة ان تظهر على انها جماعة متكاملة مع المجتمع · ومن المعروف ان تكلم الجماعة للغة خاصة لايساعد على تحقيق هذا الهدف · وقد كانت الحاجة ضرورية لاستخدام اللغة بطريقة مكثفة حينما كانت هذه الجماعات تعيش معزولة وغير مندمجة مع المجتمعات المحيطة كما هو الحال الآن وخاصة عندما كان بعض من غير الغجر يقتربون من الاماكن التى يعيشون فيها لمغازلة نساء الغجر او لاستراق النظر الى غجرية تستحم فى الترعة ·

٢ – يحقق الغجر عن طريق استخدامهم للغتهم الخاصة مصالح مهنية :

فاذا اخذنا على سبيل المثال الرقص والغناء فاننا نجد أن هذه المهنة تتطلب تفاهما سريا بين الغجر كفريق للعمل وبين غير الغجر (الزبائن)

الذين يدعونهم الى حفلاتهم ، ويتعلق هذا التفاهم بمسائل متعددة مثل الموافقة على قبول العمل فى حفلة معينة ، او الموافقة على المبلغ المدفوع ، او الاتفاق على انهاء العمل اثناء الوجود فى الحفل او فى الفرح متى وجدوا ذلك مناسبا · ونظرا لانهم يهتمون اهتماما شديدا بالرقص وحركات الجسم فقد تضمنت لغتهم كلمات تتعلق بالجنس يستخدمونها عند المزاح (كنوع من النكات) او عندما يستهزؤن بالزبون ·

٣ – يفترض استخدام اللغة تحقيق فهم متبادل بين الغجر من جهة ، ويؤدى الى تعميق هذا الفهم من جهة اخرى :

فكما يقولون انهم وان كانوا يستخدمون عددا قليلا من الكلمات ، وفى بعض الاحيان كلمة واحدة أو الماحة ، فان من يسمعها منهم يعرف جيدا ما يقصده قائلها · ذلك أن كل غجرى يكون على دراية بالاهداف والاتجاهات العامة للغجر ، وبخصائص الموقف الأمر الذى يجعل الكلمات المختصرة كافية للوفاء بالمعنى · وعلى سبيل المثال فهم يستخدمون كلمة « ماخ » لتعنى « شىء » · ويستخدمونها لكل شىء ليس له اسم فى اللغة الغجرية ، ولكن الغجرى الذى تقال له الكلمة يعرف ماهو الشىء المقصود · فاحيانا يقول غجرى للآخر « ميخ » اى « افعل كذا » أو « احضر الشىء » وتكفى هذه الكلمة المبهمة لايضاح المعنى ·



وطالما ان استخدام هذه اللغة يرتبط بفكرة السرية ، فان ذلك يعطى للغة اهمية اكبر كاداة لخدمة مصالحهم اذ انهم يشعرون انهم يملكون شيئا يؤدى الى تسهيل التعامل لايملكه غيرهم · وبالتالى لايعرف الاخرين ماذا يقولون أو ماذا يقصدون ·

٤ – يؤدى استخدام الغجر لهذه اللغة الى تقسيم الناس فى الموقف الاجتماعى الى فريقين ، وهذا يؤثر على التفاعل فى الموقف ·

ذلك ان الغجر عندما يحولون المناقشة من اللغة العربية الى الغجرية ،

فان ذلك يعنى انهم يقسمون الناس الى فريقين غجر وغير غجر ، ويحققون التفاعل بين فريق الغجر بهدف تحقيق فهم افضل • وفى نفس الوقت فهم يوقفون التعامل مع غير الغجر عن طريق تداول الفاظ غير مفهومة لغير الغجر • وبمعنى آخر فهم يسمحون بوجود قنوات اتصال - لغوى - بينهم وبين بعضهم لتحقق اهدافهم ، فى الوقت اللذين يقيمون فيه حواجز بينهم وبين غير الغجر • واذا نظرنا الى ما وراء هذه الحواجز اللغوية نجد ان غير الغجر الموجودين فى الموقف يشعرون انهم غرباء ، او ان الغجر يودون خداعهم ، وبالتالى يؤثر ذلك على السياق الطبيعى للموقف الذى يوجد به الغجر وغير الغجر سواء كان موقفا اجتماعيا او اقتصاديا • اما عندما تستخدم لغة الغجر فى وقت المشاجرات بين الغجر وغيرهم فان استخدامها يهدف الى تحقيق التكاتف الغجرى ضد العدو المشترك ، وتحقيق بعض استراتيجيات الدفاع •

٥ - يحقق الغجر قدرا من الحرية عندما يستخدمون لغتهم :

عادة ما يرغب غير الغجر فى التعرف على طبيعة النشاط الاقتصادى والعمليات التجارية التى يقوم بها الغجر ، وما يحققونه من ربح من وراء ذلك • ويستطيع الغجر باستخدامهم لهذه اللغة ان يحققوا قدرا من التحرر من مراقبة غير الغجر لهم • وفى مواقف التعامل التجارى بين الغجر وغير الغجر يتفاهم ايضا فى حرية ، على الرغم من الوجود الفيزيقى لغير الغجر فى الموقف ، وعلى الرغم من تعمدهم الانتباه الى ما يقوله الغجر • ويوضح هذا كيف ان تاثير الظواهر الثقافية يفوق تاثير الظواهر الفيزيقية • ويعد وجود كثير من الافعال فى لغة الغجر وسيلة هامة تجعلهم يقررون ما يودون القيام به متحررين من مراقبة من هم فى نفس الموقف •

٦ - يؤدى استخدام هذه اللغة الخاصة الى تقسيم الناس الى « نحن » و « هم » - وما يترتب على ذلك من اوجه تفرقة •

فالغجر ينظرون الى الشخص الذى يتكلم هذه اللغة على انه ، واحد

منا ، ومن لا يتكلمها على انه « واحد منهم » (١٥) او على انه « الغريب » • ومعرفة اللغة تعطى للشخص اهمية خاصة طالما انه يفهم ويستجيب بالطريقة التى يرغبها الغجر ، وطالما انه - عن طريق فهمه للغة ايضا - قادر على ان يتخلص من المواقف الحرجة عن طريق الاتصال اللغوى مع غيره لتحقيق الأهداف المطلوبة ذلك ان الكلمة الغجرية تحمل من المعانى اكثر مما تحمله الكلمة العربية المرادفة •

وبناء على ذلك فعندما يستخدم الغجر لغتهم فى الموقف ، فان ذلك يعنى احد الاعتبارات الآتية : -

(أ) ان الشخص الذى يتكلمون فى وجوده غير غجرى ، وبالتالى فهو غريب • وفى هذه الحالة اما ان يكون هو نفسه موضوعا للحديث فلا يجب ان يعرف ما يقولونه عنه ، واما أن يكون الحديث عن امر لايودون ان يعرفوه اياه او يودون اخفاء احد جوانبه •

(ب) ان هناك تفاهما خاصا بالتعامل المادى والتجارى ، وان الشخص غير الغجرى الذى يوجد فى الموقف لا يجب ان يعرف ما يودون الاتفاق عليه • ويحدث هذا فى مختلف المواقف التى يتم فيها تحديد اسعار السلع التى يتعامل فيها الغجر ، او فى حالة اتفاق الراقصات على السعر الذى سيدفعه الزبون نظير قيامهن باحياء الحفل او الفرح •

(جـ) ان الشخص غير الغجرى الموجود فى الموقف ضحية او موضوعا للمزاح • ويحدث هذا عندما يحاول الغجر خداع اى شخص غير غجرى ، او عندما يتناولون غير الغجر كأغبياء •

---

(١٥) على أن معرفة اللغة منفردة وبعيدة عن الاعتبارات الاجتماعية الأخرى لايمكن أن تجعل غير الغجرى « واحد منا » ، فهناك اشخاص خالطوا الغجر ، وتعلموا لغتهم ومع ذلك ظل الغجر ينظرون اليهم على أنهم غرباء •

(د) ان الشخص او الأشخاص غير الغجر الموجودين فى الموقف أعداء ، ولهذا فعلى الغجر استخدام لغة غير مفهومة يقررون بها ماذا يفعلون لكسب الموقف .

واذا كان هذا من ناحية الغجر ، فمن ناحية غير الغجر ينظرون الى الغجر عندما يستخدمون لغتهم على انهم جماعة غريبة ، وانهم يحاولون خداعهم ، او التندر بهم ، ولا شك أن هذا يباعد المسافات بين الجماعتين.

نطاق استخدام اللغة الغجرية فى الوقت الحاضر :

على ان هذا التحليل لوظيفة اللغة وتاثيرها على التامل بين الغجر وغير الغجر لا يجب ان ينسينا الحدود التى تستخدم داخلها اللغة ونطاق استخدامها ، اذ أن ذلك يعكس لنا حقيقة وزنها كعامل من عوامل التمايز بين الغجر وغير الغجر .

وقد ذكرنا قبل ذلك ان اللغة الغجرية ليست هى اللغة الرسمية فى تعامل الغجر مع غير الغجر ، كما انها ليست لغة التخاطب اليومى ، بل هى لغة يستخدمها غجر ست جيرانها فى اضيق نطاق بالمقارنة بجماعات غجرية اخرى . واذا كان الغجر قد استخدموا اللغة باكثر كثافة فى الماضى ، فانهم لايستخدمونها الآن بنفس القدر ، ويرجع ذلك الى الأسباب الاتية : -

(أ) لا تستخدم اللغة الغجرية فى أداء اية شعائر دينية خاصة بالغجر ، وليست لها اية اهمية طقوسية . ويعتبر هذا العامل من اقوى عوامل اضعاف اللغة خاصة على المدى الطويل .

(ب) اذا ذكرنا ان استخدام اللغة يؤدى بغير الغجر الى ان ينظروا للغجر على انهم غرباء ، فان رغبة الغجر فى عدم الظهور بمظهر التمايز عن بقية اعضاء المجتمع جعلتهم يقصرون استخدامها على المواقف الضرورية .

(ج) يقرر الغجر ان تكرار استخدامهم لبعض الكلمات فى مواقف محددة

مع وجود احتكاك بين الغجر وغير الغجر ادى الى تعرف غير الغجر على هذه الكلمات ، وعلى ما تعنيه هذه الكلمات وبالتالى فقدت وظيفتها .

(د) يعتبر غزو اللغة العربية لحياة الغجر - بحيث حلت محل اللغة الغجرية فى الاستخدام اليومى - عاملا اساسيا من عوامل التاثير على اللغة الغجرية وعلى استخدامها .

ويمكن ان نقرر فى ضوء ذلك أن عدم وجود أهمية طقوسية للغة - بجانب الاعتبارات الاجتماعية - قد أدى على المدى الطويل الى فقدان اللغة لكثير من مكوناتها . ويقصد بالاعتبارات الاجتماعية العلاقات والمواقف الفعلية للجماعة مع المجتمع المحيط ، تلك التى أدت الى ان تتمثل الجماعة الغجرية لغة الحياة اليومية للمجتمع المحيط ، وقد تم ذلك من خلال فترة طويلة من الزمن عاشتها الجماعة فى المنطقة . واذا قارنا بين هذه الجماعة وجماعات غجرية اخرى نجد أن درجة التكامل التى وصلت اليها هذه الجماعة مع المجتمع المحيط ، والتى تمثلت فى جوانب متعددة - سبق شرحها فى الفصول السابقة - قد أدت بهم الى التخلى عما يمكن أن يثير حولهم الشكوك مثل استخدام لغة خاصة فى مواقف التعامل اليومى .

الفصل السابع

العلاقات الاجتماعية والتكامل

يتناول هذا الفصل اللعلاقات الاجتماعية السائدة سواء بين الجماعات الغجرية المختلفة ، أو تلك التى تسود بين الغجر وغير الغجر • كما يهتم أيضا بايضاح طبيعة تكامل جماعات الغجر مع المجتمعات المحلية المحيطة بها (١) • وسيتم مناقشة الموضوع حسب التصنيف الآتى :

أولا : العلاقات بين أعضاء الجماعة الغجرية الواحدة •

ثانيا : العلاقات بين أعضاء الجماعات الثلاث •

ثالثا : العلاقات مع الأهالى والتكامل مع المجتمع المحيط •

« أولا »

العلاقات بين أعضاء الجماعة الواحدة

على الرغم من أن العلاقات بين أفراد الجماعة الغجرية الواحدة تتسم بالقوة ، وتتصف بأنها علاقات وطيدة الا أنها تتباين فى درجة قوتها وفقا لعوامل متعددة مثل درجة الاستقرار ، وطبيعة النشاط الاقتصادى ، ودرجة العلاقات القرابية ، وما الى ذلك •

---

(١) يهدف هذا الفصل الى القاء الضوء على العلاقات والتكامل بالنسبة للجماعات المختلفة فى صورة مجملة وسريعة ، وسوف يتم وصف العلاقات والتكامل بالنسبة لجماعة غجرية واحدة بطريقة تفصيلية فى الباب الثالث من الكتاب •

ففى حالة جماعات الغجر او الحلب التى مازالت تمارس التنقل يسود بين افراد التجمع الواحد علاقات وطيدة ، سواء كان التجمع صغيرا يضم عددا قليلا من الأسر او تجمعا كبيرا يحوى عديدا من الأسر . وعلى الرغم من ان كل أسرة تحتفظ لنفسها اثناء فترة التجوال بمعيشة مستقلة - من حيث تجمع افرادها فى خيمة واحدة ، ومن حيث امتلاكها لما تكسبه من مال ومؤن نتيجة جهود افرادها - الا ان هذه الأسر شديدة التعاون مع بعضها ، وعلاقاتها تعد علاقات وثيقة . وعلى الرغم من وجود مثل يدور بين افراد هذه الجماعات المتنقلة يقول : « اللى بيصيف يصيف فى جلابيته » ، وهو يعنى ان لكل شخص معيشته الخاصة ، الا ان كل منهم يمكن ان يقرض الآخر ويقترض منه المال والطعام ، ويظهر التعاون بصـورة واضحـة بين هذه الاسر عندما يتعرض شخص او اسرة من هذه الأسر لأى شدة مثل الطرد من المنطقة . ففى هذه الحالة يدافع عنه افراد الأسر الأخرى ، او يغادرون المنطقة معه .

ويلعب **عامل الوقت** الذى يتاح لافراد هذه الجماعة للتواجد معا دورا هاما فى توطيد العلاقات بينهم . فهم وان كانوا يتفرقون فى الصباح بحثـا عن الرزق ، فهم يعودون عند غروب الشمس حيث يقضون المساء معـا يتحدثون عن شئونهم وعلاقاتهم اليومية مع مجتمع غير الغجر . واذا كانت ليالى الصيف تشجعهم على السهر فى الخلاء ، فان ليالى الشتاء لا تمنعهم من التجمع معا وهم يشربون المشروبات الساخنة المختلفة ، ويتبادلون الاحاديث ، ولا يخفى تاثير ذلك على توطد علاقاتهم ببعضهم البعض .

ولكى لا يجب أن ننظر الى العلاقات اليومية على أنها أسباب اوليـة تؤدى الى توطيد العلاقات ، وانما على انها متسببه من عوامل اولية مثل المعيشة المشتركة ، ووجود قدر من المشاركة الاقتصادية فى أعباء المعيشة (ولو فى شكل تبادل المنافع الاقتصادية كما سبق واشرنا) ، ووجود بعض الملكيات المشتركة بين اكثر من أسرة مثل ملكية دواب يحملون عليها المتاع،

يستخدمونها فى تنقلهم من قرية الى أخرى . كذلك فان عامل القرابة يعتبر من العوامل الأولية التى تساهم فى توطيد العلاقات ، ويؤدى الى استمرار ارتباطهم ببعض وتماسكهم اكثر فاكثر . واذا كانت العلاقات القرابية تؤدى الى تقوية التماسك ، فان كثافة العلاقات فى حالة التماسك تؤدى الى تقوية العلاقات القرابية عن طريق حدوث حالات زواج حديثة . وعلى ذلك فان علاقات التعامل اليومى التى سبق الاشارة اليها ، والتى تتوطد عبر الزمن هى عوامل وليدة ناتجة عن عوامل اخرى اكثر أهمية .

اما بالنسبة للجماعات المستقرة فان عاملى القرابـة والقرب المكانى يلعبان دورا أساسيا فى تقوية العلاقات السائدة بينهم . فهناك علاقات قوية تسود بين افراد جماعة الغجر ، أو افراد جماعة الحلب تتعدى حدود القرية الواحدة . فعلى سبيل المثال تربط بين الحلب المقيمين فى قرية بنى غنى وهؤلاء الذين يقطنين قرية داجوف وبين حلب سمالوط علاقات قوية نتيجة وجود روابط قرابية على الرغم من التشتت فى قرى مختلفة . وقد لوحظ وجود علاقات قوية بين جماعات غجرية فى الفيوم بسبب عوامل القرابة على الرغم من اختلاف المستوى المادى بين هذه الأسر . وأجلى مثال على ذلك مجموعة الأسر الثرية التى تسكن مركز طامية ، والتى تتعاطف تعاطفا شديدا مع عدد من الأسر الفقيرة التى تسكن نفس المركز من الأقارب .

وتسود بين مختلف الجماعات المتجولة والمستقرة ظاهرة تعكس العلاقات وهى المشاركة فى مناسبات الافراح والاحزان فهم يأتون من مسافات بعيدة للمشاركة . وتتم المشاركة بالتواجد وبالوفاء بالالتزامات المادية والمعنوية وتعتبر هذه المناسبات مجالات للتجمع يتعرفون فيه على أحوالهم الخاصة . وكثيرا ما أدت هذه المناسبات الى حدوث زيجات نتيجة ان بعض الأسـر تقضى فترة طويلة مقيمة لدى أسر اخرى . فقد لوحظ ان الحلب الذين يقطنون عندهم فترات طويلة ، كما ان حلب جوادة يبادلونهم نفس الزيارات .

اما **النور** فان العلاقات القوية التى يرتبطون بها معا ترجع الى عوامل

قرابية ، والى المصالح المشتركة حيث ان انشطتهم ـ السابق الاشارة اليها ـ تتطلب نوعا من الاتصال والعلاقات التعاونية · فتوضح دراسة د · احمد المجدوب ان النور يسود بينهم نوع من التعاون تدفع اليه طبيعة النشاط الذى يقومون به · فقد تبين انهم يميلون الى ارتكاب جرائمهم فى شكل جماعات تتكون من ثلاثة افراد او اكثر وذلك حتى يمكنهم ان يتعاونوا فى العمل ، فمنهم من يراقب المكان ، ومنهم من يقوم بالسرقة ، والبعض الآخر يرتكب جريمته بالاشتراك مع الآخرين اذ يقوم بتغطية عملية انسحاب السارق حتى لاينكشف امره ويقبض عليه (٢) ·

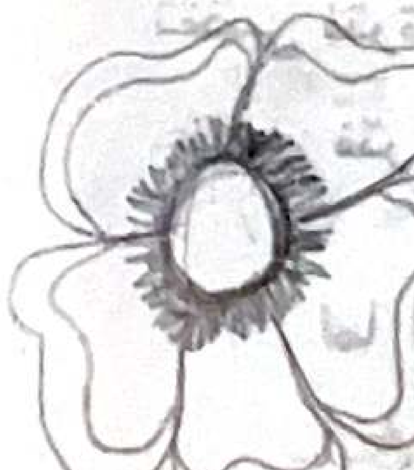
وقد ذكر عدد من أفراد عينة د · احمد المجدوب انهم يمارسون جرائمهم مع اقارب لهم ، بينما ذكر عدد آخر انهم يمارسون مع اصدقاء او بلديات (٣) · ويبدو التعاون شديدا بين النور حينما يقبض على احدهم أو حينما يحكم عليه بالسجن اذ يتولى الاقارب والأصدقاء الانفاق على اسرة المسجون ، وبهذا يمتد التعاون الى المساعدة فى الحالة التى يعجز فيها عن الحصول على المال بواسطة السرقة (٤) ·

وهناك ظاهرة تميز النور المقيمين فى المدن عن النور المقيمين فى المناطق الريفية ، فالنور الذين يعيشون فى المدن قد نسوا التقاليد التى يتصف بها نور الريف مثل التعاون فى صوره المختلفة كالتستر على بعضهم البعض ، ومحاولتهم حماية بضهم خاصة فى مجال الأنشطة التى يقومون بها ، وقد ادى تاثرهم بحياة المدينة الى ضعف روابطهم القرابية ، فاصبحت علاقات ثانوية · ونظرا لأنهم يعيشون فى المدينة فى وسط غير الغجر الذين يختلفون فى طباعهم وعاداتهم عن أهل الريف ، فان النورى يحرص على الا يظهر ارتباطه

(٢) د · احمد المجدوب ، المرجع السابق ص ١٨٨ ·

(٣) المرجع السابق ، ص ١٨٩ ·

(٤) المرجع السابق ، ص ص ١٩٣ ، ١٩٤ ·



بنورى آخر يعمل فى مجال السرقة والنشل مثله · ولهذا فهم يمكن ان يتنكروا لبعضهم البعض ·

ويقول اصحاب هذا الراى ايضا أن النور فى المدن قد خالطوا جماعات اجرامية (وخاصة اللصوص) غير غجرية ، وبالتالى تغيرت طرقهم التقليدية فى السرقة ، وابتدأوا يمارسون النصب والاحتيال بالطرق التى يتبعها غيرهم من لصوص المدن ، وظهرت لديهم الأنانية · وقد ادى التواجد فى بيئة المدينة ايضا الى فقدان التماسك الغجرى الذى يميز تجمعات النور فى المجتمعات الريفية ، فقد تخلى نور المدن عن التزامهم بالتكافل الاجتماعى فى صوره المختلفة كالالتزام برعاية أسرة النورى المسجون ، أو الدفاع عنه بل امتد الأمر الى أكثر من ذلك ، فقد اصبح نور المدن اليوم لا يتورعون عن أن يبلغوا الشرطة عن الجرائم التى يقترفها غيرهم من النور تخلصا منهم نتيجة أنهم يشكون فى بعضهم البعض · والنورى فى المدينة على استعداد ان يلصق التهمة بنورى آخر اذا كان ذلك يؤدى الى براءته من تهمة ما · ويقرر هؤلاء الاخباريون ايضا أن الانتماء الأسرى ضعيف عند نور المدن (٥) ·

(ثانيـــا)

العـــلاقات الاجتماعية بين الجماعات الثلاث

على الرغم من وجود وعى سائد بين أعضاء الجماعات الغجرية الثلاث انهم ينتمون الى عائلة واحدة · وأنهم رغم وجود تباين بينهم يكونون معا جماعة الغجر فى مصر ، الا أن العلاقات السائدة بين الجماعات المختلفة

(٥) والواقع ان هذه الظاهرة جديرة بمزيد من الاهتمام ، وبمزيد من الدراسة والبحث ، فمن المهم التعرف على أسباب انتقال هذه الأسر النورية الى المدن ، علما بان مكان الاقامة المعتاد للنور هو القرى حتى اذا كانوا يمارسون أعمالهم فى المدن · كذلك من المهم دراسة العلاقات الأسرية ، وطبيعة العلاقات السائدة مع غير الغجر فى مجتمع المدينة ·

تعتبر معدومة . واذا كانت بعض انواع العلاقات من الممكن ان توجد بين الحلب والغجر نظرا لأوجه التشابه الموجودة بينهما ، الا ان هذه العلاقات تكاد تكون معدومة تماما بين النور وبين افراد الجماعتين الأخريتين .

ويرجع ذلك الى وجود نظرة احتقار ونظرة استعلاء من قبل كل جماعة تجاه الجماعة الاخرى ، وان كانت تختلف فى مضمونها عن نظرة الاستعلاء التى ينظر بها الغجر الى غير الغجر . وقد ادى ارتباط كل جماعة بمجموعة متميزة من الأنشطة الاقتصادية – وما يرتبط بها من ظواهر – الى ايجاد فرصة لكل جماعة لان تتصيد ما تتخذه حجة لتبرير تباعدها ونفورها من الجماعة الأخرى الامر الذى ادى فى النهاية الى ان تنكر جماعة من هذه الجماعات صفة الغجر على جماعة أخرى كما سنوضح فيما بعد .

والوضع القائم اذن هو ان كل جماعة تحاول التنكر للجماعة الأخرى . فيحاول الحلب فى نظرتهم الى النور التنصل من الانتساب اليهم ، ويقررون انهم (اى الحلب) من سلالة عربية بدوية اصيلة دون النور (٦) ، وهذا يعنى التنصل من الانتساب الى الجماعة التى تتصف بالاجرام والتوحد مع جماعة اخرى لا تتصف بهذه الصفة . والغريب ان الحلب وهم اقل الجماعات استقرارا ينعتون النور بانهم قوم رجل وليس لهم مستقر . ويرجع حرص كل جماعة على وصف نفسها بانها جماعة مستقرة ووصف الجماعة الأخرى بانها غير مستقرة الى ان الاستقرار يعنى لديهم الانتماء ، اما التنقل فيعنى التشرد وعدم الانتماء ، ويعنى ايضا الارتباط باعمال اجرامية اذ ان الجماعة المتنقلة ليس لها ضابط ، وبالتالى يمكن ان تقوم بالسرقة . وعلى ذلك فان

---

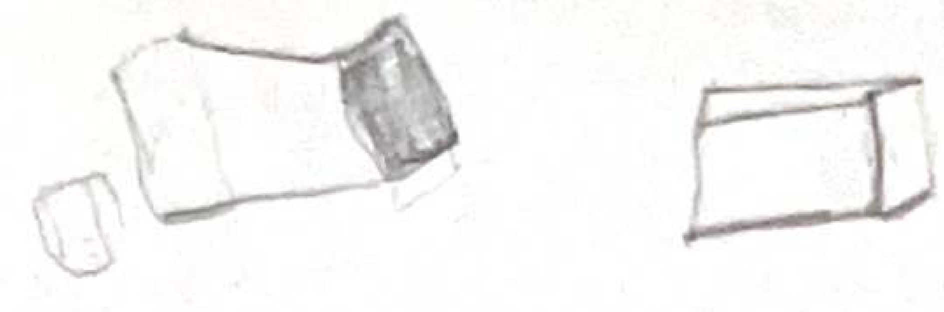
(٦) اذا كان الحلب يحاولون الانتساب الى البدو بما يتصفون به من شجاعة وكرم لكى يتخلصوا من ارتباطهم بالنور فان هناك بعدا آخر هو ان الحلب نسبوا انفسهم الى جماعة فرعية فى المجتمع المصرى ولم ينسبوا انفسهم الى ابناء الوادى الذين يمثلون اغلبية المجتمع المصرى ، وربما يترجم ذلك عن احساس عميق فى داخلهم قوامه انهم غرباء .

ادعاء الاستقرار هو من قبيل اتقاء شر التهم التى تلصق بمن ليس لهم مستقر او موطن ينتسبون اليه . وفى ضوء ذلك يهدف الحلب من رمى النور بعدم الاستقرار الى تاكيد عدم ارتباطهم بنشاطاتهم الاجرامية . فقد ذكر بعض منهم انه اذا علم بوجود نورى فى القرية فان يبلغ عنه العمدة حماية القرية ، وحماية لهم لكى لايشتبه فيهم فى حالة حدوث سرقات .

وينظر النور ايضا الى الحلب نظرة استعلاء ، فهم يحتقرونهم كفقرا وكمشردين ليس لهم عمل الا الاستجداء ، والغريب ان النور وهم جماعة تتصف باعمال لصوصية ينعتون الحلب بانهم مشردون وأنهم يقومون فى حالة تجوالهم فى القرى المختلفة بالسرقة ويلاحظ ان النور لا يجراون على المجاهرة دائما بذلك اذ أن المناخ الاجتماعى والمفهوم الاجتماعى السائد عنهم (عن النور) لا يسمح لهم بتاكيد هذه المغالطة .

وترجع نظرة الاحتقار التى ينظرها النور الى الحلب الى أن النور يعيشون فى مستوى معيشى مختلف كثيرا عن الحلب . فالنور يلبسون ثيابا فاخرة ويسرفون فى الاكل والشراب . ويعد الاسراف فى مجال الملبس ظاهرة مرتبطة بالنور دون غيرهم من الجماعات الغجرية . ويشاع ذلك عن النور بين الغجر وغير الغجر على السواء . وقد عبر أحد الاخباريين عن ذلك بقوله « أن اهيف نورى لابس ساعه سيكو » . كذلك فان مساكنهم واثاثها يدل ايضا على الثراء . ويسرف النور فى افراحهم وفى احتفالاتهم اسرافا شديدا ، كما ان منهم من يمتلك السيارات . اما معظم الحلب فهم على عكس ذلك اذ يبدون فى مظهر الفقر فى ملابسهم المتسخة والممزقة فى بعض الأحيان ، وهذا مما شجع النور على احتقار الحلب . وذلك بالاضافة الى الفكرة السائدة عند النور من ان السرقة هى مهنة كأى مهنة أخرى ، ولذلك فهم أرقى شأنا من الحلب الذين يعيشون على الاستجداء .

اما نظرة الحلب الى الغجر فهى ايضا نظرة احتقار وان كانت اقل حدة من نظرتهم الى النور . فالحلب ينظرون الى نساء الغجر على أنهن فاسدات



طالما ان معظمهن يمارس الرقص . وينظرون الى رجال الغجر على انهم « يتسترون على نسائهم » . وفى ضوء ذلك يشعر الحلب انهم اكثر حفاظا على الشرف من الغجر . وينظر الغجر الى الحلب نفس نظرة النـور الى الحلب .

ويرى الغجر ـ مثلهم مثل الحلب ـ ان النور لصوص ، ومن ثم لا يجب التعامل معهم ، ولا يجب اعتبارهم غجرا على الاطلاق ، ولهذا فهم يتبراون منهم . أما النور فيعتبرون أن الغجر فاسدون بسبب احترافهم الرقص . وبسبب سوء سلوك زوجاتهم . وينعتون الرجال بأنهم احيانا يرقصون كالنساء ولهذا فهم ليسوا رجالا .

وقد ادى هذا التصور السائد لدى كل جماعة عن الجماعة الأخرى الى ظهور عوائق تحول دون وجود علاقات بين اعضاء الجماعات الثلاث حتى ان كل جماعة تقوقعت على ذاتها ومارست الزواج الداخلي ولم تتزاوج مع اعضاء الجماعتين الأخريين الا فى حالات خاصة ممازاد من اتساع الهوة بين أفراد هذه الجماعات . ويسجل لنا التاريخ المدون عن الجماعات الثلاثة وجود حواجز تعوق التزاوج الحر بين اعضائها ، فيقول نيوبولد أن الحلب يتزوجون نساء الغجر لكنهم لا يعطون بناتهم زوجات لرجال الغجر (٧) . وذكر أيضا أن النور ليس لهم الا علاقات ضئيلة جدا مع الحلب والغجر (٨) . ويمكن أن يستنتج من ذلك عدم وجود علاقات زواجية اذ ان ذلك يتطالب وجود روابط وعلاقات اجتماعية قوية تؤول الى التزاوج . وقد سجلت البحوث الحديثة ايضا نفس الظاهرة اذ اشار د. احمد الجدوب فى دراسته السابق الاشارة اليها الى انه ليست هناك علاقات زواج بين جماعة النور التى درسها وبين جماعات غجرية أخرى . فقد ذكر ان زواج الأقارب هو الزواج المفضل عند هذه الجماعة ، فالمجتمع يمنح للذكور من الأقارب الاولوية فى الزواج من البنت

(٧) Newbold., op. cit., p. 293.

(٨) المرجع السابق ، ص ٢٩٤ .

التى بلغت سن الزواج ، فاذا لم يكن هناك ذكورا من الأقارب لم يتزوجوا حق لأى نورى آخر ان يتزوج البنت التى بلغت سن الزواج (٩) .

وقد أوضحت نتائج العمل الميدانى نفس ما ذكره المؤلفون السابقون ، غير ان هناك بعض الزيجات التى تمت فى ظروف خاصة ـ كما سبق واشرت ـ بين النماذج الغجرية التى هجرت المهن التقليدية من الغجر (خاصة مهنة الرقص) والنماذج الحلبية التى هجرت ايضـا مهنها التقليدية (خاصة الاستجداء) وحققت قدرا من الاستقرار نتيجة الارتباط بمهن اخرى . هذه النماذج ارتضت أن تقترن بعلاقات زواجية مع أفراد من جماعات غجرية أخرى بفعل عوامل متعددة مثل الجوار والمصالح المشتركة ، بجـانب الاحساس بالانتساب الى أصل واحد هو الأصل الغجرى . وهذا ما يؤكد الحقيقة التى ذكرت قبل ذلك وهى انه برغم وجود انماط للتجنب ووجود حواجز بين افراد الجماعات المختلفة ، وبرغم تأكيد جماعة معينة (كالغجر) على ان جماعة أخرى (كالنور) لاتنتسب الى الغجر فان ، هناك احساسا مشتركا ـ لا يعلن دائما ـ بأنهم جميعا غجر .

(ثالثـا)

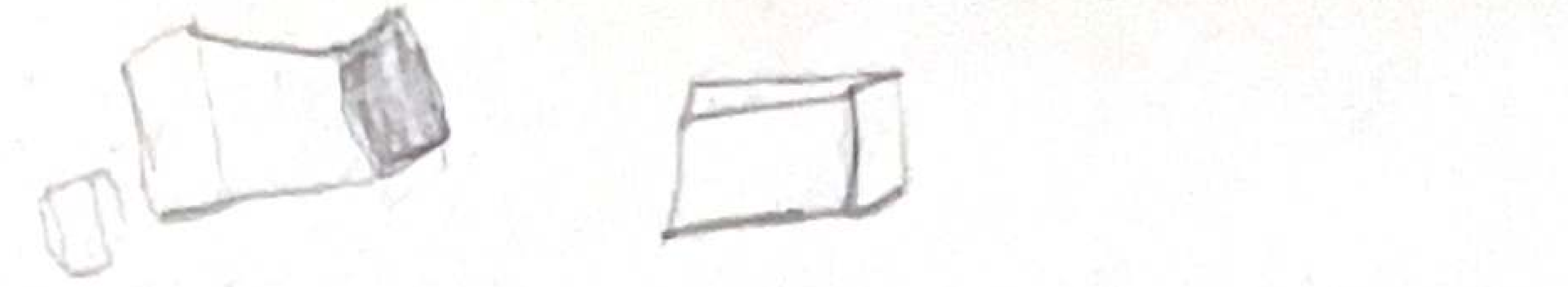


العلاقات مع الأهالى والتكامل مع المجتمع المحيط

من المتوقع ان ترتبط جماعات الغجر المختلفة بعلاقات متباينة ـ بسبب تعددها وتشتت توزيعها فى مصر ـ مع المجتمعات المحلية المحيطة بها . واذا كانت هذه العلاقات تتنوع وتتباين فى درجة قوتها وتعقدها فهى تتباين فى درجة تكاملها مع المجتمع .

وقد اتضح من الدراسة أن هناك عاملين اساسيين قد اثرا فى ظاهرتى العلاقات والتكامل بين كل جماعة وبين المجتمع المحيط . هذان العاملان هما

(٩) د . احمد الجدوب ، المرجع السابق ، ص ص ١٧٥ ، ١٧٦ .



طالما ان معظمهن يمارس الرقص . وينظرون الى رجال الغجر على انهم « يتسترون على نسائهم » . وفى ضوء ذلك يشعر الحلب انهم اكثر حفاظا على الشرف من الغجر . وينظر الغجر الى الحلب نفس نظرة النـور الى الحلب .

ويرى الغجر ـ مثلهم مثل الحلب ـ ان النور لصوص ، ومن ثم لا يجب التعامل معهم ، ولا يجب اعتبارهم غجرا على الاطلاق ، ولهذا فهم يتبراون منهم . أما النور فيعتبرون أن الغجر فاسدون بسبب احترافهم الرقص . وبسبب سوء سلوك زوجاتهم . وينعتون الرجال بأنهم احيانا يرقصون كالنساء ولهذا فهم ليسوا رجالا .

وقد ادى هذا التصور السائد لدى كل جماعة عن الجماعة الأخرى الى ظهور عوائق تحول دون وجود علاقات بين اعضاء الجماعات الثلاث حتى ان كل جماعة تقوقعت على ذاتها ومارست الزواج الداخلى ولم تتزاوج مع اعضاء الجماعتين الأخريين الا فى حالات خاصة ممازاد من اتساع الهوة بين افراد هذه الجماعات . ويسجل لنا التاريخ المدون عن الجماعات الثلاثة وجود حواجز تعوق التزاوج الحربين اعضائها ، فيقول نيوبولد ان الحلب يتزوجون نساء الغجر لكنهم لا يعطون بناتهم زوجات لرجال الغجر (٧) . وذكر ايضا ان النور ليس لهم الا علاقات ضئيلة جدا مع الحلب والغجر (٨) . ويمكن أن يستنتج من ذلك عدم وجود علاقات زواجية اذ ان ذلك يتطلب وجود روابط وعلاقات اجتماعية قوية تؤول الي التزاوج . وقد سجلت البحوث الحديثة ايضا نفس الظاهرة اذ اشار د. احمد المجدوب فى دراسته السابق الاشارة اليها الى انه ليست هناك علاقات زواج بين جماعة النور التى درسها وبين جماعات غجرية أخرى . فقد ذكر ان زواج الأقارب هو الزواج المفضل عند هذه الجماعة ، فالمجتمع يمنح للذكور من الأقارب الاولوية فى الزواج من البنت

(٧) Newbold., op. cit., p. 293.

(٨) المرجع السابق ، ص ٢٩٤ .

التى بلغت سن الزواج ، فاذا لم يكن هناك ذكورا من الأقارب لم يتزوجوا حق لأى نورى آخر ان يتزوج البنت التى بلغت سن الزواج (٩) .

وقد اوضحت نتائج العمل الميدانى نفس ما ذكره المؤلفون السابقون ؛ غير ان هناك بعض الزيجات التى تمت فى ظروف خاصة ـ كما سبق واشرت ـ بين النماذج الغجرية التى هجرت المهن التقليدية من الغجر (خاصة مهنة الرقص) والنماذج الحلبية التى هجرت ايضـا مهنها التقليدية (خاصة الاستجداء) وحققت قدرا من الاستقرار نتيجة الارتباط بمهن أخرى . هذه النماذج ارتضت ان تقترن بعلاقات زواجية مع افراد من جماعات غجرية أخرى بفعل عوامل متعددة مثل الجوار والمصالح المشتركة ، بجـانب الاحساس بالانتساب الى اصل واحد هو الأصل الغجرى . وهذا ما يؤكد الحقيقة التى ذكرت قبل ذلك وهى انه برغم وجود انماط للتجنب ووجود حواجز بين افراد الجماعات المختلفة ، وبرغم تأكيد جماعة معينة (كالغجر) على ان جماعة أخرى (كالنور) لاتنتسب الى الغجر فان ، هناك احساسا مشتركا ـ لا يعلن دائما ـ بأنهم جميعا غجر .

(ثالثـا)



العلاقات مع الأهالى والتكامل مع المجتمع المحيط

من المتوقع ان ترتبط جماعات الغجر المختلفة بعلاقات متباينة ـ بسبب تعددها وتشتت توزيعها فى مصر ـ مع المجتمعات المحلية المحيطه بها . واذا كانت هذه العلاقات تتنوع وتتباين فى درجة قوتها وتعقدها فهى تتباين فى درجة تكاملها مع المجتمع .

وقد اتضح من الدراسة **ان هناك عاملين اساسيين قد اثرا فى ظاهرتى العلاقات والتكامل بين كل جماعة وبين المجتمع المحيط . هذان العاملان هما**

(٩) د . احمد المجدوب ، المرجع السابق ، ص ص ١٧٥ ، ١٧٦ .

درجة الاستقرار ، ونوعية المهنة · فقد لوحظ انه كلما قلت درجة الاستقرار كلما قلت كثافة العلاقات بين الجماعة وبين الاهالى · فالجماعات المتنقله لا تتمتع بعلاقات قوية نظرا لأن فترة تواجدها فى كل منطقة لا تتيح لهـا فرصة تكوين علاقات قوية مع الاهالى · ويؤدى عدم الاستقرار الى استحالة انتظام ابناء الغجر فى التعليم الالزامى ، وبالتالى يصبح هؤلاء الأشخاص اميين ، ولهذا يستمرون يمارسون نفس المهن التى يمارسها آباؤهم وهى تتطلب التنقل المستمر · ولهذا فان العلاقة دائرية بين عدم التعليم وعـدم الاستقرار اذ يؤدى كل منهما الى الآخر · ويؤدى ايضا التجوال المستمر الى عدم الافادة من خدمات المجتمع اذ ان ذلك يتطلب فى معظم الأحيان الارتباط بمكان · ويؤدى عدم الرغبة فى الافادة من خدمات الصحة والتعليم وغيرها بدوره الى عدم الارتباط بمكان محدد ، وبالتالى عدم التفكير فى الاستقرار ، وهكذا تصبح العلاقة دائرية ·

اما الأسر شبه المستقرة – مثل مجموعة الأسر التى تعيش فى جوادة فى سمالوط وتمارس التنقل الوسمى – فلها علاقات مع المجتمع المحيط فى المنطقة التى تعتبرها مستقرا اساسيا بالنسبة لها (وهى قرية جواده) وهذه العلاقات تتباين وتتنوع ، فهناك العلاقات الاجتماعية مع الاهالى المحيطين ، وهناك العلاقات التجارية التى تنشا بين الغجر وبين البقال والجـزار والمسئولين فى القرية ، وهناك علاقات تنشا بحكم نشاط الغجر الاقتصادى كعلاقاتهم مع زبائنهم ·

اما الغجر المستقرون فمعظمهم يكون علاقات مع المجتمع المحيط ، وان كانت هذه العلاقات تبقى فى اضيق نطاق بالنسبة لمعظمهم نظرا لوجود الرغبة فى التجنب بين اعضاء كلا الجماعتين · ومع ذلك فهناك من الغجر المستقرين من ارتبطوا بعلاقات تجارية واقتصادية مع غير الغجر · وبقيت جماعات اخرى تعيش فى امن وسلام وسط جماعات غير غجرية دون ان تصل هـذه العلاقات الى مستوى الارتباط بمصالح مشتركة او الى الزواج · وقد سادت

فى هذه المناطق بين الغجر وغير الغجر عـلاقات خـاصة مثل المجاملـة فى المناسبات ، وظل غير الغجر ينظرون الى الغجر فى هذه المناطق على انهم اقلية خاصة تحتفظ لنفسها بقدر من الانغلاق على الرغم من تواجدها وسط غيـر الغجـر ·

وتؤثر **المهنة** ايضا – بجانب عامل الاستقرار – فى طبيعة العلاقات السائدة بين الغجر وغير الغجر ، وبالتالى على عملية التكامل مع المجتمع المحيط ، فالغجر الذين بداوا يهجرون المهن التقليدية الى مهن غير غجرية قد مالوا الى تكوين علاقات اقوى مع المجتمع المحيط ، خاصة وان معظم هؤلاء قد ارتبطوا باعمال مع غير الغجر ، ومثال ذلك بعض ممن سرحـوا بعد آداء فترة الخدمة اللعسكرية اذ قامت الحكومة بتشغيلهم فى المكاتب والمؤسسات ، كما عمل بعضهم مع مقاولين ·

وقد ادى عاملا المهنة والاستقرار معا الى تشجيع وجود علاقات اقوى فى حالة قيام الغجر بمهن تعد من قبيل الخدمات التى تؤديها الغجر للمجتمع المحيط مثل من يعملون فى السمكرة او الحدادة · ومثل التجار الحلب الذين يتاجرون فى الجمال والأغنام فى صعيد مصر · وقد ترتب على ذلك توطد العلاقات بينهم وبين المجتمع المحيط بسبب ثقة الناس بهم التى توطدت بفعل عامل الزمن الذى ثبت من خلاله عدم ارتباط اعضاء الجماعة باى اعمال غير شرعية ، وبفعل طبيعة النشاط الذى يعملون به ، والـذى يتطلب الاحتكاك المستمر بين الغجر وغير الغجر · وقد تميزت هذه الجماعات بدرجة اعلى من التكامل مع المجتمع المحيط اذ ارتبط ابناؤهم بالتعليم · وهـذا سيؤدى الى ارتباطهم بمهن غير غجرية · هذا كما انه ينظر الى التجار من الغجر – على الاقل رسميا – على انهم تجار مثلهم مثل التجار من غيـر الغجر ، فهم فى تعاملهم مـع الجهات الرسمية يعاملون معاملة تتسـم بالمساواه وعلى المستوى غير الرسمى يعتبـرون ايضـا مقبولين للاسباب التى سبق ذكرها ، ونظرا لما يمتازون به من مهارة فى الأعمال التى يمارسونها الأمر الذى يشجع غير الغجر على الارتباط بهم والتعامل معهم ·

وقد قاد التفاعل الاجتماعى الذى ترتب على وجود علاقات تعامل اقتصادى وتجارى بين الغجر وغير الغجر – مع عامل الجوار – الى احداث **تغيرات اساسية تعتبر كسرا لأشد الحواجز المقامة بين الغجر وغير الغجر صلابة** ٠ والمثال على ذلك وصول اسرتين من غجر الفيوم الى درجة عاليه من التكامل مع المجتمع المحيط بسبب ان ابناء هذه الأسرة قد عملوا فى فلاحة الأرض مع الفلاحين ، وتزوج بعضهم من فلاحات ، ووافق رب كل اسرة من هاتين الأسرتين على تزويج بناته من شبان من غير الغجر ٠ واذا كانت هذه الحالات نادرة الحدوث الا ان تسجيلها من الأهمية بمكان نظرا لأن تكرارها يعنى اتجاها نحو التغير ٠

وبالمثل ادى اشتغال بعض الحلب فى صعيد مصر بتجارة الأقمشة الى مزيد من التعامل بين الأهالى والغجر ، وكان نتيجة ذلك ان زاد الاحتكاك بين الجماعتين ، وقاد ذلك الى التغلب على الجفاء والخوف والحذر الموجود بينهما ٠

وقد ادى ايضا احتياج بعض الغجر الذين يمارسون أعمالا فنية او تجارية فى الموالد او فى مناطق الاحتفالات الشعبية الى الاستقرار بجوار هذه المناطق ، والارتباط باماكن محددة الى تكوين علاقات بينهم وبين اهالى هذه المناطق وزاد ذلك من درجة تكاملهم مع المجتمع ٠

وقد كانت نظرة العطف التى ينظرها بعض الأهالى فى قرى معينة الحلب الفقراء عاملا من عوامل استقرارهم ٠ وقد ادى ذلك الى أن يتجرأ الحلب على اعتبار القرى التى يقيمون فيها وطنهم وأن يعتبروا أنفسهم ضمن الأهالى الأصليين المكونين للقرية ٠ ومن الطبيعى ان يؤدى ذلك بجانب حصولهم على المؤن والهبات والمساعدات من اهالى القرية والقرى المحيطة الى عدم تفكيرهم فى هجرة المنطقة ٠

وهناك ملاحظات ثلاثة جديرة بالاهتمام :

الأولى : هى ان احتكاك الغجر غير المستقرين بالنماذج المستقرة

– والتى حققت قدرا من النجاح فى العلاقات والتكامل مع المجتمعات المحيطة – ادى الى تشجيع جماعات اخرى على ان تحاول نفس التجربة ٠ فعادة ماتجد الغجر المتنقلين يتكلمون عن اقاربهم الذين استقروا وحققوا قدرا من النجاح فى حياتهم الاقتصادية والاجتماعية ٠ وهناك توقع ان تؤدى هذه الظاهرة الى ان تحاول جماعات غجرية غير مستقرة اتباع نفس المنهج ٠

والثانية : هى انه اذا كان الغجر بصفة عامة لايحبون ان تطلق عليهم كلمة غجر ، فان من حقق من الغجر قدرا من الاستقرار والتكامل يعتبر اكثر حساسية لهذه التسمية ٠ ومن المتوقع ان يؤدى ذلك – فى اجيال قادمة – الى ان تختفى هذه التسمية ، وذلك لاندماجهم فى نشاطات المجتمع ورغبتهم المستمرة فى الظهور بانهم ليسوا غجرا ٠

والثالثة : ان عامل المهنة احيانا تكون له اهمية تفوق اهمية عامل الاستقرار فى تحديد طبيعة العلاقات ودرجة التكامل بالنسبة لبعض الجماعات فعلى الرغم من التجاور الجغرافى لجماعات النور – التى استقرت منذ زمن طويل فى مناطق محددة – مع غير الغجر الا ان العلاقات السائدة بينهم وبين الأهالى تتراوح بين العلاقات الضعيفة والعلاقات العدائية ، او ما يمكن ان نطلق عليه « اللاعلاقات » ، وذلك بسبب النشاط الاجرامى الذى يقوم به النور ٠ ويمكن القول ان هذا الأمر ينطبق ايضا على علاقات النور مع السلطات ، فهم ينظرون لأصحاب السلطة فى القرية نظرة عدائية ٠

كذلك تتوقف المهنة فى ظهور اشكال من الهجرة حتى بين الجماعات المستقرة ، وبالتالى ادت الى التأثير على درجة تكاملها ٠ فقد اثبتت دراسة د ٠ احمد المجدوب ان اغلبية النور فى طهواج قد ولدوا فى محافظة الدقهلية ، وعلى الرغم من ان طهواج هى مستقر رسمى بالنسبة لهم فقد تبين انهم لايستقرون دائمة فى مكان واحد ، بل انهم يغيرون محال اقامتهم بعد فترة من الوقت قد تطول وقد تقصر ٠ ولعل السبب الرئيسى فى هذه الهجرة

الفردية هو تكوين خلايا ومراكز بجهات متفرقة تكون بمثابة اوكار لاخفاء المسروقات والاشخاص المتهمين فى جرائم اذا اقتضى الأمر ذلك (١٠) .

وبالمثل فان الأسر التى تعمل نساؤها كغوازى ، ويحترف رجالها الغناء والرقص غالبا مالا تتمتع بعلاقات طيبة مع الأهالى اذ دائما يوصفون بانهم منحطون اخلاقيا ، وان نساءهم فاسدات ، وهذا ما يجعل الأسر غير الغجرية تتحفظ من التعامل معهم ، خاصة وان الزوجات غير الغجريات تخشين على رجالهن من الغجريات .

مجالات ومظاهر العلاقات العلاقات بين الغجر وغير الغجر :

هناك مجالات متعددة تظهر فيها العلاقات بين الغجر وغير الغجر ، ذكرنا منها المشاركة فى المناسبات التى يمكن ملاحظتها بين الجماعات التى استقرت لفترة طويلة . وتبدو المناسبات الدينية فرصة لتبادل المجاملات ، ويلعب الدين كعامل مشترك بين الغجر وغير الغجر دورا هاما فى قبول وجود هذه العلاقات بين الطرفين . وفى حالة وجود جماعات غجرية فقيرة مستقرة مثل الجماعات الحلبية الفقيرة المستقرة فى صعيد مصر ، فان عامل الشفقة السابق الاشارة اليه يتدعم بفعل العوامل الدينية التى تستقيظ فى الناس فى هذه المناسبات .

ومن مظاهر العلاقات ايضا انواع التعامل الاقتصادى سابق الاشارة اليه كقيام الغجر بانشطة يستفيد منها غير الغجر . فبجانب ماذكرناه من هذه الانشطة ، يملك الغجر فى بعض المناطق سيارات اجرة ، وفى مناطق اخرى جرارات زراعية ، او يقومون بعلاج الماشية ، وكلها مجالات تؤدى الى ظهور انواع من العلاقات ذات المسحة الاقتصادية .

اما العلاقات مع الجهات الرسمية وممثلى السلطة فتتمثل فى العلاقات

(١٠) د . احمد للجدوب ، المرجع السابق ، ص ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

مع الوحدة الاجتماعية والمستشفى ... الخ . ، وهى تظهر فى صورة واضحة فى حالة الجماعات المستقرة التى تحرص على تسجيل نفسها فى منطقة معينة لكى ينظر الى افرادها على انهم مواطنون ضمن مواطنى المنطقة سواء كانت قرية ام مركزا . ومن الطبيعى ان يتبع ذلك التزام من جهة الغجر بالولاء للمنطقة التى سجلوا فيها ، والتزام فى السلوك والعلاقات بما يؤكد لغير الغجر انهم جادون فى انتسابهم الى المنطقة . ويترتب على التسجيل واستخراج بطاقات شخصية من مكان محدد ان يطلب الذكور للتجنيد ، وبالتالى توجد مجالات اخرى للعلاقات الاجتماعية مع غير الغجر خاصة وان فترة التجنيد يمكن ان تؤثر على اتجاهات الشخص نحو الغجر ونحو غير الغجر على نحو ما سنبين فى الباب الرابع من هذه الدراسة .

ولكن يجب ان نشير الى ان بعض العلاقات تكون مجرد مظاهر يحاول بها الغجر ان يثبتوا انهم قابلون للتعامل مع غير الغجر ، وكذلك الأمر ايضا بالنسبة لغير الغجر . وهذا ما يجعل هذه العلاقات تحد فى اضيق نطاق ، وما يمنع ايضا نموها المطرد ، وبالتالى يضع قيودا على عملية التكامل . ويمكن استنتاج ذلك اذا نظرنا نظرة متعمقة الى حدود العلاقات ولم نكتف بالسلوك الظاهر ، او بما يقوله الغجر او غير الغجر عن رغبتهم فى اقامة علاقات . وعلى سبيل المثال الغجر يبررون عدم زواجهم من غير الغجر بأن غير الغجر لا يقبلون الزواج منهم . ولكن ما كشف عن الحقيقة أن الغجر أنفسهم لايقبلون الزواج من غير الغجر ان احدهم اجاب على سؤال خاص بهذا الموضوع بقوله « ولانتجوزهم بسبع آلاف جنيه » وقد كانت هذه الاجابة التلقائية السريعة اكثر صدقا من عشرات الاجابات السابقة . كذلك فان الغجر احيانا يحاولون وضع قيود على العلاقات لكنهم دائما يبررونها ، فقد سئل احدهم عن سبب عدم دعوته لجيرانه من غير الغجر فى حفل زفاف ، فكانت اجابته بان كل شخص « جاره غفيره » بمعنى انه هو الذى يعلم كل شىء عنه ، ولهذا يمكنه حضور الفرح دون دعوة ، الا أن ذلك

كان يعد مجرد تبرير لعدم الرغبة فى اشراك غير الغجر رغم توفر عامل الجـــوار .

ويلاحظ ايضا بالنسبة للعلاقات مع الجهات الرسمية التى اشرنا اليها انها تظهر فى حالة الجماعات المستقرة اكثر مما تظهر فى حالـــة الجماعات المتنقلة . وهى احيانا تتم فى حالة الجماعات المستقرة فى اضيق نطـــاق وبحكم الضرورة . فالمستقرون طالما سجلوا اسماءهم فى قرية من القـــرى يضطرون بعد ذلك الى التعامل مع اكثر من جهة رسمية بحكم احتسابهم مواطنين فى القرية .

على الرغم من وجود عوامل ادت الى تشجيـــع تكامل بعض جماعات الغجر مع المجتمعات المحيطة ، فان هناك معوقات مازالت تؤثر على السير الطبيعى لهذه العلاقات فتمنعها من تحقيق مزيد من التكامل مع المجتمعات المحيطة . واذا كنا ذكرنا بعضا من هذه المعوقات بطريقة عرضية فى ثنايا عرضنا السابق ، فان هناك عاملا هاما جدير بالذكر والمناقشة ايضا ، وهو ما يمكن ان نطلق عليه المفهوم الاجتماعى السائد عن الغجر ، فنظرة الناس الى الغجر بصفة عامة سواء كانوا غجر او حلب او نور نظرة قوامها **الشك والريبة** خاصة وان مدلول كلمة غجر نفسها قد اكتسب ما يبعث على الشك والريبة . وعلى الرغم من تمتع جماعتى الحلب والغجر بسمعة أفضل مما يتمتع به النور ، وعلى الرغم من طول فترة اقامة بعض اسر من هذه الجماعات فى مناطق معينة دون حدوث اشكالات او سرقات تثير الاهالى او المسئولين ضدهم ، الا ان الشكوك مازالت تحيط بافراد الجماعتين نتيجة أن المفهوم السائد عن النور احيانا ينسحب على الغجر والحلب ايضا ، ويساعد على ذلك الخلط السائد فى اذهان العامة من الغجر وعدم وجود دراية بجماعاتهم الاساسية ، وعدم وجود مفهوم محدد لكل جماعة من الجماعات الثلاث . وقد ادى ذلك الى سرعة اتهام افراد هذه الجماعات فى حالة حدوث سرقات فى المناطق التى يقطنونها . واذا كان ذلك قد ادى الى تباعد الاهالى عن الغجر والحلب ، فقد قاد ذلك الحلب والغجر ايضا الى ممارسة اشكال من التباعد

الاجتماعى والجغرافى عن اهالى القرية تجنبا لهذه الاتهامات ، ففى قرية جواده بسمالوط – على الرغم من وجود علاقات بين الحلب والاهالى – قام الحلب باقامة طلمبة مياه قريبة من منازلهم لكى لاتختلط نساؤهم بنساء القرية اثناء ملا الجرار بالمياه . وذكر رجال الحلب انهم فعلوا ذلك لكى لايتهم اهالى القرية نساءهم بسرقة اى شىء ، او بانهن يضايقن نساء القرية الأخريات .

وقد ادت نظرة الشك الى ان يشعر الغجر أن اقامتهم فى القرى اقامـة مؤقتة مهما طالت . فهم يمكن ان يتركوا القرية فى اى وقت ، وذلك عند حدوث سرقة . فالمعتاد – وخاصة بالنسبة للجماعات التى لم تستقر لفترات طويلة فى القرى – أن يطارد الغجر سواء ارتكبوا السرقة أم لم يرتكبوها ، مالم تثبت السرقة على غيرهم . وغالبا ما لا ينتظر الغجر حتى يتم طردهم من القرية اذ يغادرون المكان قبل شروق اليوم التالى .

والظاهرة التى تؤكد توقف هذه العلاقات عند حدود لاتتعداها هو عدم انتشار التزاوج بين الجماعات الغجرية المختلفة وبين غير الغجر . فالحواجز الخاصة بالزواج كانت قوية منذ زمن ومازالت حتى الآن ، فقد ذكر نيوبولد وبورتون أن الحلب لايتزوجون من الغرباء سواء المسلمين او الأقبـــاط المحيطين بهم ، وهـم شديدو التمســـك بهـذه القاعدة مثلهم مثـــل الهندوس Hindus (١١) . . ومازال هذا الحاجز قائما بين الجماعات الغجرية فى مصر وبين غير الغجر (١٢) ، الا فى بعض الحالات الاستثنائية

---

(١١) Newbold., op. cit., p. 289., Burton., op. cit., cit; p. 255

(١٢) تتكرر نفس ظاهرة عدم التزواج بين النور فى فلسطين وبين اى فئة أخرى من السكان ويفترض بولد نزبرج Boldensberg أن السبب فى ذلك ربما يرجع الى انهم فى القرون لم يكونوا مسلمين (Boldenseberg., op. cit., p. 271). واذا كان هذا التفسير يمكن أن يكون صادقا بالنسبة لنور فلسطين ، الاانه لايمكن أن نقبله بالنسبة لغجر مصر كسبب لامتناع كلا الغجر وغير الغجر عن التزواج من بعضهما ، ذلك أنه ليس لدينا دراسات =

مسالة الذكر . وقد اشار د . احمد المجدوب فى دراسته لنور طهوراج الى ان هذا المجتمع لايقبل انضمام اى غريب اليه لا بزواج الذكور من خاجه ، ولا بزواج الاناث من ذكور من غير الغجر . ويرى انه اذا كان هذا الاتجاه لدى الغجر انفسهم ، فانه موجود ايضا لدى غير الغجر ، فعلى حد قوله : « ان احدا من غير الغجر لايقبل – الافيما ندر – ان ينضم الى هذا المجتمع ، وقد تبين من الدراسات الاستطلاعية والمقابلات الشخصية التى اجريت فى بعض القرى انه فى الاحوال النادرة التى تم فيها زواج احدهم سواء كان ذكرا او انثى من خارج مجتمع الغجر كان جزاؤه الطرد من المجتمع وانكاره ومقاطعته تماما » (١٣) .

ويساهم كلا الغجر وغير الغجر فى تدعيم هذه الحواجز التى تمنع التزاوج بينهما على الرغم من وجود عوامل مشتركة تذكى وجود العلاقات الزواجية مثل الدين واللغة وغير ذلك . وحتى تلك الحالات التى اظهر العمل الميدانى وجودها كزواج فلاحات من بعض رجال النور ، فقد تمت هذه الزيجات بين نور اغنياء وفلاحات فقيرات . ويؤكد الأهالى أن عامل الفقر هو العامل الذى دفع هذه الأسر لتزويج بناتها للنور . ولهذا يبقى هذا الزواج فى اتجاه واحد (زواج نور ذكور من فلاحات اناث وليس العكس) (١٤) .

= كافية تؤكد ان غجر مصر لم يكونوا مسلمين فى القرون الماضية كما هو الحال الآن . لذلك يبقى هذا الراى مجرد اشارة الى احد العوامل التى يمكن ان تمثل سببا – ضمن اسباب اخرى – لعدم التزاوج بين الجماعتين . وبصفة عامة يحتاج اثبات هذه الفكرة الى دراسات تاريخية واجتماعية .

(١٣) د . احمد المجدوب ، المرجع السابق ، ص ص ١٧٥ ، ١٧٩ .

(١٤) سوف يتم شرح ابعاد الزواج بين الغجر وغير الغجر وأسبابه ، ومعوقاته بالتفصيل فى فصل « القرابة والزواج » بالباب الثالث .

الباب الثالث

الغجر فى ست جيرانها

دراسة للعلاقات والتكامل الاجتماعى فى جماعة غجرية

مقـــــدمة :

اذا كنا قد كرسنا الباب السابق لتقديم وصف شامل لجماعات الغجر فى مصر ، فاننا وجدنا أنه ـ لكى تكون هذه الدراسة مستكملة ـ يجب علينا أن نقدم دراسة مركزه لجماعة غجرية واحدة • وعلى ذلك فقد خصصنا هذا الباب لدراسة جماعة غجرية واحدة تعيش فى نطاق اقليم جغرافى محدود • وتهدف الفصول المكونة لهذا الباب الى تقديم وصف تفصيلى متعمق لبعض جوانب البناء الاجتماعى والحياة الاجتماعية لهذه الجماعة ، ثم للتعرف على ديناميات تكامل الجماعة موضوع الدراسة مع المجتمع المصرى • وقد تحقق هذا من خلال دراسة أنماط التداخل والتباعد ، والتشابه والاختلاف بين هذه الجماعة وبين المجتمع المحيط • وقد تطلب هذا أن نعرض بعض جوانب من الأنساق الاجتماعية والظواهر الثقافية ، والعلاقات السائدة بين أفراد الجماعة الغجرية وبين أفراد المجتمع الكبير بهدف التعرف على درجة توحد الجماعة مع المجتمع الأساسى • ويلاحظ أننا أولينا عناية خاصة لفكرة التصور النمطى السائد عن الغجر واثرة على التفاعل بين أعضاء الجماعتين •

وقد تم اختيار احدى الجماعات الغجرية التى تعيش فى نطاق جمهورية مصر العربية • واتفق على أن نطلق على هذه المنطقة اسما مستعارا هو « ست جيرانها » ، كما اطلقنا أيضا أسماء مستعارة على القرى والأشخاص • وراعينا أن الاسماء التى اطلقناها على أشخاص تناولتهم هذه الدراسة ليست من الأسماء الغجرية الحقيقية ، بل هى أسماء استعارية أيضا • ولقد كان الهدف هو الوفاء للمجتمع والافراد الذين ساهموا فى خروج هذا البحث فى صورته النهائية • واذا كان الباحثون لايعتبرون أن ما يكتبوه عن النسق العائلى والمشكلات المرتبطة به سرا خاصا الا اننى كنت اكثر حرصا على ما حصلت عليه من معلومات عن الغجر •

ونود ان نوضح ان الباحث لم يكن هو الباحث الوحيد او الأول الذى درج على هذا المنهج ، فقد سبقة الى ذلك كثيرون ممن اجـروا دراسـات عامية عن الغجر ، كما ان بعضا ممن الفوا كتبا عن الغجر حرصوا على ان تظل الجماعة بمعزل عن اى متاعب قد تتسبب لها من جراء بعض الفضوليين.

وقد كان فى مقدمة هؤلاء ان سذرلاند التى اختارت اسما وهميا للمنطقة وللأشخاص التى قامت بدراستهم ، كما حذرت اى باحث من تتبع اى منهم اذ ان الأسماء مضلله تماما (١) ٠

ونود ان نشير الى ان الاسماء التى تم اختيارها كاسماء وهمية قد اختيرت بحس خاص تولد لدى الباحث بعد فترة من معاشرة الغجر ٠ ولهذا يمكن القول ان سبب تسمية المنطقة « ست جيرانها » يرجع الى انها تضم جماعة غجرية تتصف بمميزات تجعلها افضل جماعة يمكن ان تحقق الهدف من الدراسة ٠ كذلك فان اختيار الاسم جاء تاثرا بالمثل القائل « الغجرية ست جيرانها » ٠ وكذلك الحال بالنسبة لأسماء القرى ، فقد اطلقنا الاسم «شهبندر» على القرية التى يعمل الغجر بها تجار ٠ واسم « لونه » على القرية التى تضم اسرة غجرية كبيرة تغيرت ـ تلونت تماما ـ وابتعدت عن نمط الحياة الغجرية وتكاملت مع المجتمع المحيط ٠

اما الأسباب التى دعت الى اختيار منطقة ست جيرانها على وجـه الخصوص فهى تتلخص فى ان غجر ست جيرانها يكونون جماعة غجرية نموذجية ٠ فهم يطلقون على انفسهم انهم غجر ، ويطلق عليهم الناس لفظ « غجر » ٠ ويعتبر هذا هو احد الأسباب الرئيسية التى شجعت على اختيار هذه الجماعة فقد كان من المهم ان نتاكد اننا ندرس جماعة غجرية ٠ وترجع

---

(١) Sutherland A., Gypsies. «The Hidden Americans». Tavistock Publications., London., 1975.

وقد نوهت سذرلاند الى اتباعها للمنهج المذكور فى مقدمة هذا الكتاب

اهمية هذه المسالة الى ما سبق وذكرناه من ان هناك خلطا لدى العـامة والمتخصصين على السواء فى تحديد الجماعات الغجرية ذلك انهم يخلطون بين الغجر وغير الغجر من جهة ، وبين الغجر وجماعات اثنولوجية غيرها من جهـة اخـرى ٠

وترجع اهمية اختيار هذه المنطقة ايضا الى الأسباب الآتية :

١ ـ انه اتضح من تطبيق بعض معايير التفرقة بين الغجر وغير الغجر ما ياتى :

(ا) ان غجر ست جيرانها يتكلمون لغة غجرية خاصة بجانب اللغـة العربية ٠ ولا ينطبق ذلك على عدد محدود منهم ، بل على اكثريتهم بحيث تعتبر اللغة لغة جماعة اجتماعية وليست سيما مهنيا يرتبط بأفراد يعملون فى مهنة خاصة ٠

(ب) ان الحرف التقليدية التى يمارسها معظم غجر المنطقة هى الحرف التقليدية الخاصة بالغجر فى مصر ، ويعتبر بعضها حرفا خاصة بالغجر فى مناطق اخـرى من العـالم ٠

(جـ) ان الجماعة تمارس الزواج من الداخل ـ على الرغم من وجود حالات قليلة كسرت هذه القـاعدة ـ ولا تتزاوج مع الجماعة المحيطة التى تشترك معها فى مقومات كثيرة ٠

(د) ترتبط الجماعة بتاريخ الزير سالم الذى ترتبط به جماعات غجرية اخرى فى مصر وفى البـلاد العربية (٢) ٠

(و) اما من حيث المعيار الاجتماعى ، فان غجر ست جيرانها يعـرفون

---

(٢) انظر تاريخ الزير ٠

فى المنطقة بانهم غجر ، وهم يطلقون على انفسهم لفظ غجر (وان كانوا ينكرون اذا سالهم احد عن ذلك) .

٢ ـ ان الخصائص الديموجرافية لغجر ست جيرانها تذكيهم لكى يكونوا موضوعا للدراسة . فاعدادهم متوسطة ، فهى ليست صغيرة بحيث لاتتيح الفرصة لوجود ظواهر تتطلبها الدراسة ، كما انها ليست كبيره الى الحد الذى يجعل مسالة دراستهم بمجهود فردى امرا صعبا . فعددهم يبلغ نحو الف غجرى . كما انهم منتشرون فى اكثر من مكان ، ولهم علاقات مع الجماعات المحيطة .

ويؤدى هذا الانتشار فى منطقة جغرافية متسعة نسبيا الى توفر درجات مختلفة من العلاقات والتكامل مع الجماعات المحيطة . على ان فكرة الانتشار لم تمنع وجود احساس مشترك لدى غجر ست جيرانها بانهم اعضاء مجتمع محلى واحد . فسهولة الاتصال بين قرى المنطقة ، ووجود العلاقات المشتركة القوية بين الغجر قد ترتب عليها الاحساس بالجوار النفسى والروحى ، وقد ساهمت فى ذلك روابط القرابة التى تسود بينهم ، وهى التى تشكل الحدود الحقيقية للمجتمع المحلى الغجرى .

٣ ـ ان منطقة ست جيرانها تحوى غجرا من نوعية خاصة ، فهم غير مختلطين بجماعات غجرية اخرى (حلب او نور) ، كما انهم يلتزمون بالتواجد داخل نطاق الاقليم ، ويتمثل فيهم قدر من التنوع المهنى ، (اذ هم يعملون فى اكثر من مهنة غجرية تقليدية) على الرغم من انهم مرتبطون اكثر من غيرهم بالمهن التقليدية . وهم يحتفظون بالخصائص الأساسية للغجر كما سبق واشرنا . ولهذا فهم ممثلون لجماعة غجرية نقية .

٤ ـ اتضح ايضا ان الغجر فى ست جيرانها قد حققوا قدرا من التكامل مع المجتمع المحيط ، غير انه بقيت جوانب كثيرة من حياتهم لا تقبل التغيير . كما اتضح ان مفهوم الغجرى عن نفسه وعن العالم المحيط به ، ونظرة الناس

اليه (التصور النمطى السائد عن خصائصه المختلفة) تؤثر على العلاقات بين الجماعة الغجرية والمجتمع المحيط . واذا كانت الدراسة تهدف الى التعرف على الحكم ـ ان هذه الجماعة انسب الجماعات التى احتككت بها لكى تكون على التكامل الاجتماعى فى جماعة غجرية ، فقد وجدت ـ وفق مقدرتى المحدودة موضوعا للدراسة .

٥ ـ بمقارنة جماعة ست جيرانها مع جماعات اخرى ـ خاصة الجماعات الاجرامية ـ اتضح ان دراسة هذه الجماعة اكثر ضمانا ـ نسبيا ـ من حيث امكانية الحصول على المعلومات المطلوبة للموضوع . فلقد بدا انه من المستحيل الاحتكاك ببعض الجماعات الاجرامية احتكاكا مباشرا للحصول على المعلومات المطلوبة .

وعلى هذا ، فقد زكت منطقة ست جيرانها نفسها كمنطقة اكثر ملاءمة من غيرها ، ولقد ادركت عندما اتخذت قرار دراسة غجر هذه المنطقة ما ردده بعض الأنثروبولوجيين من ان الجماعة موضوع الدراسة غالبا ما تختار نفسها .

الفصل الأول

« ست جيرانها »

الاقليم والسكان

يهتم هذا الفصل بتقديم وصف شامل للاقليم الذى تعيش فيه الجماعة الغجرية موضوع الدراسة ، وهو اقليم « ست جيرانها » . ولما كان الاقليم الذى توجد فيه الجماعة ـ بما يتضمنه من عوامل طبيعية وجغرافية ـ يؤثر بدرجات مختلفة على أوجه نشاط الجماعة ، ويؤثر على طبيعة الحياة الاجتماعية والثقافية فيها ، فقد حاولنا فى ثنايا الفصل مناقشة طبيعة العلاقة بين الظروف والعوامل الاجتماعية وبين البيئة الجغرافية التى توجد بها الجماعة . ويتفق هذا الاتجاه مع ما ينزع اليه علماء الأنثروبولوجيا حينما يرغبون دراسة المجتمع ، اذ يرون أن هذه الدراسة تتطلب التعرف على الظروف الجغرافية والبيئة السائدة فى هذه المجتمعات ، وتصبح هذه الضرورة الزم فى حالة دراسة المجتمعات البسيطة التى ليست على درجة كبيرة من التقدم التكنولوجى الذى يسمح لها بالتغلب على هذه الظروف والعوامل (٣) .

والمجتمع الذى نحن بصدد دراسته الآن « الغجر فى ست جيرانها » له وضع خاص ، فهو يقع فى نطاق منطقة ريفية من مناطق جمهورية مصر العربية المتميزة سكانيا واقتصاديا . واذا كانت الحياة فى هذه المنطقة قد

---

(٣) د. أحمد أبو زيد ، البناء الاجتماعى ، مدخل لدراسة المجتمع . الجزء الثانى « الأنساق » ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، سنة ١٩٦٧، ص ص ٩ ، ١٠ .

اثرت على الفجر من بعض الجوانب ، فهم ايضا قد وجدوا فى المنطقة فرصة مواتية لترويج اعمالهم ، وممارسة مهاراتهم ، والمعيشة بطريقة آمنه فى الاقليم كما سيتضح فيما بعد ٠

واذا كانت المـادة الواردة فى هذا الفصل مادة وصفية تحليلة تهدف اساسا الى وصف المنطقة ، والى المقارنه بين تاثير العوامل الطبيعية والاجتماعية ، فان كثيرا من المعلومات الواردة فى الفصل هى معلومات ضرورية اذ تعتبر خلفية اساسية يجب توفرها قبل مناقشة ظواهر اخرى فى الفصول التالية ٠ وسوف نقدم هذا الوصف فى ضوء النقاط الأساسية الآتية : ـ

اولا : ست جيرانها : الاقليم واقسامه الأساسية ٠

ثانيا : الفجر فى ست جيرانها ٠

ثالثا : الهجرة والحراك فى المنطقة ٠

رابعا : الموقع الجغرافى والمسافات الاجتماعية ٠

مناقشـــة وتعليقـــات ٠

« اولا »

ست جيرانها : الاقليم واقسامه الأساسية

ست جيرانها منطقة ريفية يبلغ تعداد سكانها ٢٣٠٢١٨ نسمة (٤) ٠

(٤) على الرغم من توفر الاحصاء الذى اجرى سنة ١٩٦٣ ويتضمن حصرا لسكان المنطقة ، ولكننا اعتمدنا على الاحصاء الذى قام به مجلس المنطقة وفقا للمسجلين فى بطاقات التموين على اساس ان كل بطاقة تحوى عدد افراد كل اسرة فى كل منطقة ٠ وسبب اعتمادنا على هذا الاحصاء انه احدث من احصاء سنة ١٩٦٣ اذ تم اعداده فى سنة ١٩٧٨ ٠ ويمكن ان يكون اكثر صدقا نظرا لحرص كل اسرة على ان يكون لها بطاقة تموين ، وتسجل بها جميع افرادها ٠

وهذه المنطقة مكونه من ١٦ قرية موزعة على جانبى طريق برى يربط المنطقة بثلاث مدن كبرى ٠ ويتوسط هذه القرى مدينة صغيرة هى عاصمة المنطقة وتؤلف مع هذه القرى ما يطلق عليه ـ حسب التقسيم الادارى ـ مركز ست جيرانها ٠

وتقع مدينة ست جيرانها شرق النيل تحيط بها من الشرق والجنوب التلال الرملية والمرتفعات التى تكثر وتعلو كلما اتجهنا نحو البحر الأحمر الذى يبعد عنها بخط عمودى يبلغ حوالى ٦٠ كيلومترا ٠

وقد اثر هذا الموقع فى طبيعة الأرض ومساحة القرية الزراعية ، وفى الانتشار العمرانى وظروف المنطقة التاريخية والثقافية ولاجتماعية ٠ اذ على الرغم من ان المنفذين الوحيدين من جهة الشمال لانتقال البضائع والثقافة الى المنطقة هما المدينتان المجاورتان ، الا ان صعوبة وسـائل المواصلات قد ادت الى بطء انتقال الثقافة والعمران الى ست جيرانها اذ كان الانتقال منها واليها اما عن طريق الدواب او عن طريق المراكب الشراعية فى النيل ٠

اما الآن فهناك انواع مختلفة من المواصلات ، هى : ـ

١ ـ الأوتوبيس وسيارات الاجره التى تقطع المسافة بين المنطقة وبين احدى المدن فيما يقرب من ساعة ونصف ٠

٢ ـ المراكب الشراعية التى تعـاون فى النقـل الى المناطق الواقعة على جانبى النيل ٠

٣ ـ الرفاص وهو مركب شراعى او معدية يساهم ايضا فى النقل من ست جيرانها الى اية منطقة اخرى حيث يمكن استخدام القطار او الأوتوبيس فى الوصول الى اى مكان آخر فى الجمهورية ٠

ويعيش سكان منطقة ست جيرانها فى القرى المكونة للمركز ، وفى المدينة العاصمة ٠ ويتكون السكان من الريفيين الذين يمثلون اغلبية السكان ، ومن

بعض الموظفين والاداريين ، كما يضم نسبة من البدو يبلغ تعدادهم حوالى ٤٠٠٠٠ نسمة (محصاة ضمن التعداد العام للسكان) ، وهم يسكنون مناطق تسمى « النجوع » ، وهى مناطق صحراوية متاخمة للمناطق الزراعية . وينتشر بدو المنطقة فى ستة نجوع . ويعيش فى المنطقة قرابة الألف غجرى يتوزعون فى القرى المختلفة (وهذا ما سنتكلم عنه بالتفصيل فى جزء آخر من هذا الفصل) .

وتعتبر الزراعة هى النشاط الاقتصادى الأساسى للمنطقة حيث يزرعون رقعة الارض الممتدة بجوار النيل . ويعكس حجم الزمام المزروع بالنسبة لمساحة المنطقة ككل نسبة الأراضى المخصصة للزراعة بالمقارنة بالاراضى المستغلة فى أغراض أخرى . فالمساحة الكلية لمركز ست جيرانها حوالى ٣٣٧٠٠ فدان ، والمساحة المخصصة للزراعة هى ٢٦٧٠٩ فدان تقريبا . وعلى ذلك فالأراضى المزروعة تبلغ ٧٩٫٢٥٥٪ من الاراضى الكلية .

كذلك تعكس نوعية المزروعات وأهميتها بالنسبة للسوق المحلية (داخل ست جيرانها) والخارجية (فى بقية أجزاء الجمهورية) أهمية النشاط الزراعى فى المنطقة . فالمنطقة تشتهر ببعض الزراعات مثل البصل والثوم والبطاطس . وببعض الفاكهة مثل الشمام والمانجو والبرتقال واليوسفى والتفاح . وتعتبر منطقة ست جيرانها منطقة مصدرة للخضروات والفاكهة لأسواق القاهرة والجيزة .

واذا كانت الزراعة تمثل النشاط الاقتصادى الأساسى فى المنطقة ، فان أعمال الصيد فى النيل تمثل جانبا آخر من هذا النشاط . أما من الناحية التجارية فنظرا لصعوبة المواصلات فى الماضى ، فان مدينة ست جيرانها لم تزدهر تجاريا حيث لم يوجد بها الا محلات تجارة التجزئة التى تستورد سلعا من المدينة المجاورة .

أما من الناحية الصناعية فان منطقة ست جيرانها لا يوجد بها الا مصنعا

للفخار والحراريات . وتبعد مصانع الحديد والصلب والكوك والمطروقات والسماد (التى توجد فى مناطق أخرى) عن ست جيرانها بأكثر من ٢٢ كيلومترا ، ويعمل بها بعض سكان مدينة ست جيرانها .

ويتضح مما سبق أن مجتمع ست جيرانها يعتبر مجتمعا ريفيا بالدرجة الأولى . وأن النشاط الزراعى يوجه الى انتاج المزروعات التى تفى باحتياجات المنطقة ، واحتياجات المناطق المحيطة خاصة المدن الكبرى كما ذكرنا . وحتى بالنسبة لمدينة ست جيرانها - فكما سيتضح فيما بعد - تعتبر منطقة ريفية لحقها بعض التطور بالمقارنة بالمناطق الأخرى فى ست جيرانها .

التقسيم الادارى وتوزيع السكان فى المنطقة :

يمكن تقسيم منطقة ست جيرانها الى :-

١ - المدينة :

وهى تقع فى موقع يتوسط قرى المركز ، وهى أيضا قريبة من بعض المراكز الأخرى التى تدخل فى نطاق المحافظة ، والتى تقع على الشاطئ الغربى للنيل . وهذا ما دعا نظارة الداخلية فى عام ١٨٠٨ الى اصدار قرار بنقل ديوان المركز والمصالح الأميرية الاخرى من قرية فرحه الى مدينة ست جيرانها ، فأصبحت بعد ذلك التاريخ عاصمة للمركز . ويبلغ تعداد سكان المدينة التى يطلق عليها « بندر ست جيرانها » نحو ٢٠٠٠٠ نسمة .

وعلى الرغم من أن مدينة ست جيرانها هى عاصمة المركز ، لكننا لا يجب أن ننظر اليها (كما يشير الاسم) على أنها مدينة بالمعنى المتعارف عليه ، فهى لا تزيد عن قرية متحضرة طرات عليها بعض التغيرات نتيجة زيادة **نسبة النشاط الاقتصادى فيها بحكم وظيفتها كعاصمة للمنطقة ، وبحكم تركز مختلف الأنشطة التجارية فيها ، وبحكم اتصالها - بواسطة الطريق البرى -** بمحافظات أخرى مثل القاهرة وبنى سويف .

ومما يوضح أن مدينة ست جيرانها مازالت تحتفظ بالطابع الريفى ، أن مساحة الاراضى الزراعية التى تقع فى نطاق المدينة ـ حسب التقسيم الادارى ـ بلغت ١٥١٤ فدان من اجمالى مساحة المدينة التى تبلغ ١٧١٠ فدان . وبهذا لا تزيد مساحة المنطقة السكنية والأملاك الاميرية (قلب المدينة) عن ١٩٦ فدان ، أى أن ٥ر٨٨٪ من مساحة المدينة تعتبر أرض زراعية .

ولعل القاء نظره على حجم وتوزيع المنشآت الاقتصادية بمدينة ست جيرانها يوضح لنا مدى صغر حجم المدينة ويوضح أيضا درجة تحضرها . فالمنشآت التجارية تبلغ نسبتها ٤٠٪ وهى تمثل تجارة المواد البترولية وتجارة الأخشاب ومواد البناء ومحال الخضر والفاكهة والبقاله والعطاره ، كذلك محال بيع الغلال والجزارة والاقمشة وتجارة الدخان والنحاس والصيدليات . يلى ذلك المنشآت التى تقدم الخدمات وعددها ٥٨ منشأة أى بنسبة ٣٤٪ والمطاعم ، ويندرج تحتها مكاتب المحامين وعيادات الأطباء والاندية الرياضية ومحال التصوير والمقاهى وصالونات الحلاقة والترزى العربى والأفرنجى . أما عدد المنشآت الصناعية فهو ٢٥ منشأة بنسبة ١٥ ٪ ، والملاحظ أنها كلها منشآت صغيرة تعتمد فى نشاطها على اصلاح السيارات واحام الكاوتشوك والنجارة واصلاح الساعات والراديوهات وصناعة الأحذية والخراطة والحدادة وصناعة الخبز والتنجيد .

وهناك منشآت النقل وهى تمثل أقل نسبة فى حجم النشاط الاقتصادى، اذ يبلغ عددها ١٨ منشأة أى بنسبة ١١٪ ، وجميعها تعمل فى نقل الركاب بالتاكسيات وكذلك نقل البضائع .

ويعكس لنا عدد العمال فى كل منشأة حجم هذه المنشآت وحجم عملها . فالغالبية العظمى من المنشآت لا تستخدم عمالا ، وتبلغ نسبتها ٦٨٪ من جملة المنشآت بمدينة ست جيرانها بجانب أن عدد المنشآت التى تستخدم عددا من العمال يتراوح ما بين عامل وأقل من خمسة عمال ٤٨ منشأة أى بنسبة ٢٨٪ ،ومثال هذه المنشآت منشآت تجارة البترول،ومكاتب سيارات الأجرة

والنقل ، وتجارة الاقمشة ، وعيادات الأطباء ، والمقاهى والاندية . أما المنشآت التى تستخدم خمسة عمال الى أقل من ١٥ عاملا فعددها خمس منشآت بنسبة ٣٪ تقريبا . ومثال ذلك بعض مكاتب نقل البضائع والمخابز ومحال الأقمشة . وهناك منشأة واحدة تستخدم ١٥ عاملا وأقل من خمسين عاملا وهى أحد المخابز بمدينة ست جيرانها .

ويلاحظ مما سبق ذكره أن مدينة ست جيرانها تعتبر منطقة ريفية لم تدخلها وسائل الصناعة الحديثة . كما أن النشاط الاقتصادى فيها يقوم أساسا على سد الاحتياجات اليومية للمقيمين بالمدينة . واذ لا توجد فرص عمالة لكل أبناء المدينة للعمل داخلها ، فقد هاجر الكثير منهم الى المناطق الصناعية التى توجد بها فرص العمل .

وتنقسم مدينة ست جيرانها الى قسمين رئيسيين ، هما : ـ

(١) ست جيرانها البلد :

وهى مكان السكنى الاصلى للعائلات التى كانت تقطن هذه المنطقة قديما فقد تمت فيها أول عمليات الاستيطان فى شكلها البسيط . ولهذا فان هذا القسم له خصائص القرية القديمة ـ فى كل شىء ، من حيث مبانيها ،ومن حيث شوارعها الضيقة الترابية غير المرصوفة باستثناء شارع واحـــد ، وهو الذى يصل « ست جيرانها » البلد بـ « ست جيرانها المدينة » .

وتعكس المبانى فى ست جيرانها البلد المستوى الاقتصادى لمن يسكنونها ، فمعظمهم ممن يعملون بالأجر فى العمل الزراعى . لهذا فهم يسكنون فى مساكن قديمة لها الطابع الريفى . ولكن توجد بعض المساكن المتوسطة المتميزة عن المساكن القديمة قد ظهرت خاصة بعد دخول نظام الادارة المحلية سنة ١٩٦٠ . كذلك توجد بعض دواوين العائلات الكبيرة . غير أن نسبة هذه المساكن المتطورة قليلة جدا بالنسبة لأغلبية مبانى ست جيرانها البلد التى تتسم بالطابع القديم .

(ب) ست جيرانها المدينة :

وهذا القسم حديث النشأة وهو امتداد لست جيرانها البلد ، ويسمى ست جيرانها المدينة نظرا لأنه يضم كل المرافق الحكومية ومجلس المدينة ، ولكن سكان القسم الاول يطلقون عليه (عزبة المركز) نسبة الى مركز الشرطة، ذلك ان قسم الشرطة انشيء عام ١٩٠٤ ومنه نشأت هذه التسمية · ويغلب على نشاط سكان هذا القسم التجارة · ففيه المحلات العامة والمقاهى والمطاعم. وسوق المدينة الأسبوعى يوم الاثنين حيث تنشط الحركة التجارية فى هذا اليوم · وبه ايضا المنشآت الترفيهية حيث يوجد نادى للمعلمين والنادى الرياضى · ويضم هذا القسم جميع المرافق الحكومية لمجلس المدينة ومركز الشرطة والمصالح الحكومية المختلفة وبه ايضا ثمانى عمارات سكنية · ولذلك فان درجة التحضر فى هذا القسم اكبر بكثير منها بالقسم الأول ، وهذا راجع لكثرة المتعلمين الموظفين به وحيث توجد المدارس والمعاهد فيه مثل المدرسة الثانوية والصناعية الثانوية والاعدادية والمعلمين والمعهد الدينى ثم مدرستان ابتدائيتان ·

وقد ساعدت هذه العوامل على زيادة العمران فى هذا القسم وزيادة الحركة التجارية به خصوصا اذا اخذنا فى الاعتبار ان هذا القسم يعتبر عاصمة المركز الذى يبلغ طوله ٨٠ كيلومترا تقريبا · لهذا فهو ملتقى كل مواطنى المركز خصوصا اعضاء الأجهزة الشعبية ومن لهم مصالح فيه حيث توجد المحكمة ومأمورية الضرائب العقارية والشهر العقارى والسجل المدنى .. الخ ·

ويتضح من تنظيم ست جيرانها المدينة وطبيعة الوحدات البنائية المقامة بها أنها أحدث نشأة وتكوينا من ست جيرانها البلد ، فالمبانى والمساكن تأخذ الأشكال الحديثة المتطورة ، وان كانت توجد بعض المبانى البسيطة رقيقة الحال والتى يسكنها غالبا بعض ممن انتقلوا من ست جيرانها البلد وشكلوا مجموعات سكانية متخلفة تسكن مناطق تسمى كل منها

« عزبة كذا » · وشوارع ست جيرانها المدينة منظمة وواسعة ومرصوفة وتضاء ليلا بالكهرباء، ويسكنها بعض من النازحين من ست جيرانها البلد ، بجانب عدد كبير من الموظفين والعاملين بالمنطقة سواء من اهالى المركز اصلا ام من خارجه ·

٢ ـ قرى ست جيرانها :

تنقسم ست جيرانها الى ١٦ قرية (بالاضافة الى مدينة ست جيرانها) هى : ستهم ، الطرمبة ، هنا ، ست الناس ، مشتهى ، لونه ، السكران ، هنادى ، كدابة الصغرى ، كدابة الكبرى ، شهبندر ، فرحة ، الندامة ، صدفة ، الرغايات ، كريمة ·

وتتوزع هذه القرى على جانبى الطريق العام الذى يمتد بطول ٨٠ كيلومترا هو الامتداد الطولى للمركز · وتضم هذه القرى فى مجموعها (بما فى ذلك « نجوع العرب » التى تدخل ضمن الحدود الادارية للقرى) نسبة كبيرة من الكثافة السكانية اذ يسكنها ٢٠٩٥٣٠ نسمة من مجموع سكان المركز ·

وتختلف القرى عن بعضها من حيث المساحة وعدد السكان ، ومعظم القرى مقسمة (نظرا لاتساع مساحتها) الى أحياء أو اقسام لكل قسم منها اسم خاص (مثل : كفر ـ نزلة ـ منية ـ حلف ـ منشاة ـ جزيرة ـ) ، فيقال مثلا : كفر على ، أو منشاة البداروه ، أو جزيرة الأمير ، أو الحلف البحرى · وهكذا وتكون هذه الأقسام مع المنطقة التى تعتبر مركز القرية (قلب القرية) الحدود الادارية للقرية الواحدة · وينطبق هذا بالذات على القرى مترامية الأطراف ·

وتضم كل قرية مجموعة من البيوت التى يسكنها الاهالى · كما تضم المناطق الزراعية التى يمتلكها أو يزرعها أهالى القرية · وفى قلب كل قرية توجد حوانيت البقالة والجزارة والمتاجر الريفية البسيطة التى تفى باحتياجات

اهل القرية . وتتصل طرق وحوارى القرية الضيقة بطريق رئيسى متسع (لكنه فى الغالب غير معبد) يربطها بالطريق العام الذى يربط كل قرى المنطقة ببعضها البعض ، وبمناطق اخرى بعيدة ، او بنهر النيل .

ومساكن القرية هى المساكن الريفية المبنية من الطوب اللبن ، غير انه توجد بعض المساكن المبنية بالدبش او الطوب الأحمر . وهى ملائمة من حيث تكوينها ومساحتها لطبيعة العمل الزراعى وللحياة الريفية .

٣ ـ نجوع العـــرب :

يعيش فى المنطقة ـ كما ذكرت قبل ذلك ـ مجموعة من البدو الذين يقومون برعى الأغنام فى المناطق المتاخمة للحقول . وهم يقيمون فى مناطق صحراوية خلف اطراف مدينة ست جيرانها او خلف اطراف القرى . ويتوزعون فى ست مناطق اساسية يطلق على كل منها اسم يسبقه او يلحقه كلمة « عرب » ، فيقال « عرب سيدى سرور » او « عرب مسعود » ، وهذه التسمية وان كانت تعنى المنطقة ذاتها (الوحدة الجغرافية) الا انها تحمل ايضـا مدلولا يشير الى نوعية من يسكنون المنطقة . وتعرف هذه المناطق « بنجوع العرب » . ومرجع هذه التسمية هو ان السكان يطلقون على البدو كلمة «عرب». ويعيش البدو فى مساكن من طابق واحد تشبه الى حد ما مساكن الريفيين الذين يقطنون القرى ، غير انها مبنية من الدبش والطفلة .

« ثانيـا »

الغجر فى ست جيرانهـــا

الأعـــداد :

تبلغ اعداد الغجر فى منطقة ست جيرانها حوالى ٨٥٦ نسمة . ويمثل هذا العدد الغجر الذين استقروا فى المنطقة ، ويقيمون فيها بصفة دائمة ، ويعتبرونها موطنهم الأساسى ، حتى ولو مارس بعضهم الانتقال اليومى الى خارج حدود المنطقة بهدف العمل ثم العودة مرة اخرى .

وبناء على ذلك لايضم هذا العدد الفئتين التاليتين :

١ ـ ان الغجر الذين يمرون بالمنطقة ويقضون بها عدة ايام وهم فى طريقهم من المناطق التى يستقرون فيها الى المناطق التى يهدفون الى الوصول اليها .

٢ ـ اقارب غجر ست جيرانها الذين ينتمون اساسا الى مناطق اخرى ، ولكن قد يتواجد بعضهم فى المنطقة بهدف زيارة غجر المنطقة فيقضى بها عدة ايام .

وقد استبعدت هاتين الفئتين نظرا لصعوبة حصر من يقيمون فى المنطقة بصفة مؤقتة لا تتعدى عدة ايام . ونظرا لانهم لا يؤثرون تاثيرا كبيرا فى الحياة الاجتماعية للمنطقة بسبب ان اعدادهم قليلة ، بالاضافة الى ان دراستهم منفصلين عن الاطار الاجتماعى والاقليمى الذى يضمهم تعتبر دراسة غير صحيحة . وقد استبعدوا ـ اساسا ـ لأنهم لا يعتبرون من سكان ست جيرانهـــا .

ويقيم الغجر فى ست جيرانها فى القرى ، ولا يعيشون فى نجوع العـرب بسبب ان نشاطهم المهنى يتطلب الوجود فى القرى اكثر مما يتطلب الوجوه فى النجوع البعيدة عن مجال تسويق منتجاتهم (٥) . كما ان المناخ الاجتماعى فى القـرى وفى البيئة الريفية بصفة عامة اكثر ملاءمة لاقامتهم فيه . واذا كان يقطن المنطقة الصحراوية خلف مدينة ست جيرانها عدد قليل من الغجر فانهم لا يعيشون فى المنطقة التى يعيش فيها البدو ، ولا يخالطونهم . وهم ينتشرون فى القرى بطريقة غير منتظمة ، وهذا ما سنهتم بوصفه بالتفصيل فى موضع آخر (٦) .

اصول غجر المنطقة :

يحاول بعض اهالى المنطقة من غير الغجر ارجاع اصول غجر المنطقة الى

---

(٥) انظر فصل النشاط الاقتصادى للغجر وكيف انهم يستغلون القرى كمجال لتسويق منتجاتهم .

(٦) انظر الجزء المعنون « الوحدات القرابية بقرى ست جيرانها » .

اليهودية . وفحوى هذا الافتراض هو ان ست جيرانها هى المنطقة التى عاش فيهـا يوسف الصديق بعد بيعه فى مصر ، وهى المنطقة التى عاش فيها قومه من بعده . وقد خرج بنو اسرائيل مع موسى من مصر وعبروا المنطقة الى البحر الاحمر فى الجهة الشرقية . ولكن لم يستطع كل اليهود ان يتبعوا موسى وبقية اليهود عند خروجهم من ارض مصر نظرا لأن بعضهم لم يود ترك الاعمال التى ارتبطوا بها مع المصريين ، والبعض الآخر كانوا قد تكاملوا مع المجتمع المصرى وقويت علاقاتهم بالمصريين ، كما ان فئة اخرى من اليهود لم يكونوا مقتنعين بالخروج من ارض مصر ربما خوفا من المصير المجهول . ويتوقع ايضا ان مجموعة من اليهود قد عاقتهم قدراتهم البدنية وكبر سنهم عن اللحاق بركب موسى . وهؤلاء هم البقية المتبقية من اليهود فى منطقة ست جيرانهـا ، ونسلهم هم من يعيشون فى المنطقة ويسمون بالغجر .

ويحاول اصحاب هذا الراى التدليل عليه بقولهم ان الغجر يتصفون بما يتصف به اليهود . فالغجرى يحاول لخفاء تميزه ، وهو قوى فى داره ، ولكنه يتصف بالضعف بعيدا عن مكان استقراره ، وهو دائما يحاول تملق الآخرين والتظاهر بالتقرب اليهم لكى يتمكن من الحياة بينهم . وهم فى ذلك على عكس البدو الذين يتصفون بالشهامة والرجولة . ولهذا يرى اصحاب هذا الراى ان الغجر اقرب الى اليهود منهم الى اى جماعة اخرى .

على ان هذا الراى لا يمكن قبوله طالما انه غير مدعم باسانيد علمية وشواهد تاريخية واجتماعية . اما برهنة الراى عن طريق المقارنة بين طباع الغجر وطباع اليهود فهو لا يرقى حتى الى مستوى المناقشة . ويعتبر هذا الراى مشابها للآراء التى ظهرت فى اوروبا والتى حاولت الربط بين الغجر واليهود دون وجود ادلة علمية .

اما الغجر فى ست جيرانها فهم يحاولون ربط تاريخهم بفترة حكم محمد على ، وبنظام الالتزام الذى زادت فيه قسوة جامعى الضرائب الى حد ان ترك الفلاحين اراضيهم وهربوا . ويقول الغجر انهم كانوا فى ذلك الوقت

يمتلكون الأراضى ويزرعونها ، وعندما هربوا وتركوا اراضيهم بداوا يتعلمون مهنا جديدة ، وهى التى يرتبطون بها حتى الآن . ولكن ليس لهذا الراى ما يؤيده ايضا اذ انه يثير تساؤلات عديدة ليس لها اجابة اهمها السؤال القائل : لمـاذا يحتقر الغجر العمل الزراعى ومن يعملون فيه احتقارا شديدا اذا كانت مهنتهم الأصلية هى الزراعة والعمل فى الارض ؟

واذا كان غجر المنطقة ليسوا على وعى كاف باصولهم الاولى ، الا ان بعضهم على دراية بتاريخ « الزير سالم » ـ السابق الاشارة اليه ـ ولكنهم يخجلون من ذكره .

ويتطلب التعرف على تاريخ الغجر فى المنطقة ربطه بتاريخ الغجر فى مصر بصفة عامة اما التاريخ القريب لاستيطان الغجر بالمنطقة فهو موضوع اهتمامنا فى هذا الفصل .

« ثالثـــا »

الهجرة والحراك فى المنطقة

الهجرة الى المنطقة والاستيطان بها :

وفد الجد الأكبر لاحدى الاسر المقيمة فى ست جيرانها الى المنطقة منذ خمسين سنة ، وقد وفدت بعض الاسر منذ ثلاثين سنة ، وبعضها الآخر منذ عشرين سنة . كما توجد مجموعة اخرى من الأسر وفدت حديثا الى المنطقة . وعلى ذلك فان الجيل الثانى والثالث (جيل الأبناء والآباء) من الغجر المقيمين فى المنطقة الان معظمهم مولودين فى المنطقة . اما الجيل الأول (جيل الاجداد) فاغلبهم هاجروا الى المنطقة من مناطق اخرى . وعندما استقروا باسرهم الزواجية فى ست جيرانها كونوا ـ على امتداد فترة زمنية طويلة ـ الأسر الممتدة المقيمة فى المنطقة حاليا والتى يضم كل منها ثلاثة اجيـال على الاقل .

وهناك بعض العوامل التى ساعدت على الاستقرار فى المنطقة ، اهمها : ـ

١ – ملاءمة البيئة الطبيعية وطابع الحياة الريفية للأعمال التقليدية للغجر:
فأعمال الحدادة والسمكرة البسيطة تتناسب مع حاجات الريفيين ٠ كذلك فان تربية الفلاحين لبعض الأغنام ، وقيام نشاط بدو المنطقة على رعى الغنم شجع الغجر الذين يعملون فى جز وغزل الصوف على الاستقرار فى ست جيرانها٠ وسوف تتضح مدى ملاءمة ست جيرانها للنشاط الاقتصادى للغجر فى فصل مستقل من هذا الباب ٠

٢ – تشابه طبيعة المنطقة وظروف المعيشة فيها مع المناطق التى كانوا يعيشون بها : ذلك أن معظم الأسر التى هاجرت الى ست جيرانها قديما وحديثا تنتمى الى محافظتين هما محافظة بنى سويف ومحافظة الفيوم ٠ كما تنتمى بعض الأسر الى مراكز أخرى تقع فى نفس المحافظة التى تنتمى اليهاست جيرانها ٠ وقد كان الغجر يعيشون فى المناطق الريفية التى تشبه فى ظروفها منطقة ست جيرانها ، وكانوا يمارسون أعمالهم فى هذه المناطق ، ولهذا كان الانتقال الى ست جيرانها لا يمثل تغييرا كبيرا يحتاج الى اعادة تكيف٠ ويلاحظ أن أقارب غجر ست جيرانها مازالوا يعيشون فى هذه المنــــاطق ويرتبطون مع غجر المنطقة بعلاقات قوية ٠

ويلاحظ أن عامل القرب المكانى بين المناطق التى هاجروا منها وست جيرانها كان له أثرا على هذا الاستقرار فى المنطقة فقد كان الغجر يأتون من هذه المناطق لتسويق منتجاتهم فى أسواقها ٠ وقد أدى هذا الى تعرفهم على الاقليم وعلى بعض من سكانه مما شجعهم على الاستيطان به لكى يكونوا أكثر قربا من الأسواق التى يعملون فيها ، ولكى تصبح المنطقة بعد ذلك هى السوق الخاص بهم ٠ ومازال عامل القرب المكانى وما يترتب عليه من وجود احتكاك وعلاقات بين غجر المنطقة وغجر مناطق أخرى يؤدى الى تشجيع بعض الأسر الزواجية على الهجرة الى المنطقة (٧) ٠ ويؤكد أثر عامل القرب

(٧) على أنه يجب أن نقرر أن تيار الهجرة الى ست جيرانها قد ضعف عما قبل ، ويرجع ذلك الى أن الغجر المقيمين فى المنطقة حاليا يغطون كل الأعمال المطلوبة ، وعلى ذلك فان قدوم جماعات غجرية أخرى للاستيطان فى المنطقة أصبح يتمثل فى انتقال عدد قليل من الأسر الزواجية فى فترات زمنية متباعدة الى ست جيرانها ٠

المكانى أنه من النادر أن نجد فى ست جيرانها غجر ينتمون الى أماكن أخرى غير المحافظات المذكورة ٠

٣ – ملاءمة المناخ الاجتماعى فى ست جيرانها لطبيعة الجماعة المهاجرة :
وذلك أن منطقة ست جيرانها منطقة آمنة يتصف أهلها بما يتصف به أهالى الريف من خصائص ٠ كما أن جماعة الغجر التى هاجرت الى المنطقة تتصف أيضا بأنها جماعة استقرارية ترتبط بأعمال تتطلب الاستقرار ، وهذا ساعد المجتمع على تقبل الجماعة المهاجرة ، اذ أنها ليست جماعة متنقلة يمكن أن تثير مشكلات فى نطاق الاقليم ٠ هذا بالاضافة الى أن الأعمال التى يمارسونها تتكامل مع الأعمال التى يقوم بها غير الغجر ، وبهذا فهم يقدمون خدمات لأهالى المنطقة (٨) ٠

وقد أدت هذه العوامل الى أن يتقبل الأهالى استقرار الغجر فى المنطقة ، بل أن بعض عمد القرى قد وعدوا بحمايتهم وتأمين وجودهم فى القرية ضد أى تعد ، الأمر الذى أدى ببعض العمد أن ينكر وجود غجرى واحد فى قريته خوفا من أن يؤدى اتصالى بهم الى الاضرار بمصالحهم ٠

ومن العوامل الأساسية التى ساعدت على أن يتقبل أهالى القرى الغجر فى المنطقة هو أنهم لا يقومون بأية أعمال اجرامية مثل النور ٠ ولهذا لم تحدث مطاردة لهذه الأسر كما يحدث مع جماعات غجرية – فى مناطق أخرى – تقوم بأعمال غير مشروعة ٠

المأوى ومحل الاقامة :
يذكر غجر المنطقة أن معظمهم كانوا يسكنون الخيام عندما وفدوا الى المنطقة ٠ ثم بعد ذلك اشتروا الأرض فسكنوا البيوت ٠ ويعيش معظم غجر

(٨) أنظر مناقشة مستفيضة لتكامل حرف الغجر مع النشاط الاقتصادى للمجتمع المحيط ، وما يجنيه المجتمع المحيط من وراء ذلك فى الجزء الأخير من فصل النشاط الاقتصادى ٠

ست جيرانها اليوم فى بيوت تشبه بيوت اهل الريف من حيث الشكل والتكوين الداخلى . وتختلف بيوت الغجر بعضها عن بعض وفقا للمستوى المـادى ، فبعض الغجر يسكنون بيوتا مشيدة بالاسمنت المسلح والطوب الاحمر بينما يعيش غيرهم فى بيوت شيدت من الطوب اللبن . اما العدد القليل من الغجر الذين يعيشون فى المنطقة الصحراوية المتاخمة لمدينة ست جيرانها فيعيشون فى بيوت شيدت من نوع خاص من الحجر وطليت بطبقة من الطفلة المتوفرة فى المنطقة . ويعيش بعض الغجر فيما يسمى « بالزريبة » ، وهى عبارة عن قطعة ارض صغيرة محاطة بالبوص ، وهى غالبا عبارة عن حجرة واحدة ، وفى بعض الاحيان تقسم الى حجرتين يفصل بينهما حاجـز من البوص المتشابك والمثبت فى الارض . ويسكن فى « الزريبة » الغجر الفقراء الذين لا يمكنهم بناء البيوت او استئجارها . وفى بعض الأحيان تبنى « الزريبة » فى ارض فضاء وسط النخيل الى ان يتمكن الغجرى من بناء بيته بالطوب ، وفى هذه الحالة يطلق عليها الغجر اسم « زريبة ونخل » .

والغجر الذين يقيمون فى بيوت قد لا يهتمون ببناء كل قطعه الأرض التى يقام عليها البيت . بل يتركون قطعة ارض لتستعمل « كحوش » للتخزين او الالقاء المهملات . والأحواش اساسية بصفة خاصة بالنسبة للغجر الذين يربون الماشية او يغزلون الصوف اذ يصبح ترك قطعة ارض فضاء (محاطه بسور) امرا حيويا تتطلبه تربية الماشية او تخزين الصوف . غير ان البعض قد ترك جزءا من الأرض التى يمتلكها دون بنـاء بسبب عجزه المـادى ، او بسبب صغر حجم اسرته ، فالغجرى احيانا يشعر انه لا يحتاج هو وزوجته سوى حجرة واحدة للنوم فيترك بقية الارض دون بناء . وغالبا ما تستغل المساحة المتروكة عندما يتغير حجم الأسرة ، ففى قرية الطرمبة كانت الأسرة لاتستغل الا حجرة واحدة فى المنزل ، وعندما تزوج الابن الأكبر بدا استغلال بقيـة اجزاء المنزل . وعلى العكس من ذلك هناك بعض البيوت التى يوجد بها عدد كبير من الحجرات ، ولكن معظمها مهجورة ، ذلك ان المنزل كان اساسا مملوكا لجد ـ كان يعيش باسرته الممتدة فيه ، ولكن بعد وفاته وبعد زواج بناته وهجرتهم للمنزل لم يعد من يقيمون فيه فى حاجة الى استغلال كل حجراته .

وكما ذكرنا من قبل ان بعض الغجر لهم اكثر من مسكن فى اكثر من قرية ، وفى هذه الحالة يمثل احد هذه المساكن مكان الاستقرار الدائم ثم تقيم الأسرة فى المسكن الآخر فترة مؤقتة قد تصل الى عدة شهور وذلك بهدف التواجد بجوار العمل الذى يمكن ان يتوفر فى اكثر من مكان فى المواسم المتعددة خلال السنة .

وتتميز منازل الغجر بانها تحوى اثاثا بسيطا . وربما يرجع ذلك الى شدة حرصهم على عدم الظهور بمظهر الثراء ، ويرجع ايضـا الى ان نمط حياتهم وطبيعة المهن التى يعملون بها ، وجوانب النشاط اليومى لاتتطلب العديد من الأثاث . فبعض الغجر يقضون كل يومهم خـارج المنزل ، ولا يستخدمونه الا كمكان للنوم . وهناك بعض المنازل التى لا تحوى الا القليل جدا من الاثاث وهذا غالبا ما يرجع الى عامل الفقر . فهناك بعض البيوت التى تتكون من حجرة واحدة صغيرة ليس بها اى اثاث سـوى « حصيرة » قديمة ، وبعض الأوانى ، وموقد .

غير انه قد بدا تغير على بعض الأسر نتيجة ان احد افرادها يعمل فى احدى الدول العربية . فى مثل هذه المنازل يمكن مشاهدة المفروشـات ، والسجاد الحديث ، والأدوات المنزلية الحديثة ، وقد بدا جهاز التليفزيون يظهر فى أكثر من منزل من هذه المنازل .

ونود ان نشير الى ان الغجر قد اقاموا بعض هذه المنازل فى وسـط القرية حيث تقع بين منازل اهل القرية من الريفيين ، بينما يعيش بعضهم الآخر فى اماكن متطرفة من القرية . ولكن يحظى غجر ست جيرانها بصفة عامة بالاحساس بالأمن بالنسبة لغيرهم من الغجر فى مناطق اخرى ، وربما يرجع سبب ذلك الى طول فترة اقامتهم فى المنطقة ، وعدم قيامهم باى اعمال منحرفة تضر بالاهالى المحيطين . وعلى ذلك يستمتع غجر المنطقة بامتياز يفوق غيرهم من الغجر الذين يمرون بالمنطقة وينتمون الى مناطق اخرى اذ يقضون فترة اقامتهم مع حميرهم واغنامهم فى اى مكان متسع فى طرف القرية . فمن الطبيعى انه لا يمكنهم ان يضربوا بخيامهم فى وسط حوارى

القرية الضيقة ، بجانب ان غير الغجر لايقبلونهم بسبب أنهم يتشككون فى أمرهم .

الحراك المكانى داخل منطقة ست جيرانها :

على الرغم من أن ارتباط الغجر بالقرى يتميز بالثبات مما أدى الى ظهور الجماعة بمظهر الاستقرار الا أن هناك بعض أشكال الحراك الجغرافى من مكان الى آخر داخل المنطقة . ويتمثل ذلك فى انتقال أسرة أو فرد من قرية الى قرية أخرى للمعيشة بها بدافع عوامل اقتصادية ومهنية واجتماعية، كالبحث عن مجال أفضل للعمل ، أو بسبب الانتشار الأسرى ، أو لظهور الرغبة فى الاستقلال نتيجة وجود منازعات . وأمثلة هذه الحالات كثيرة ، فهناك الزوجة التى تترك بيت أبيها فى قرية معينة لتعيش مع أسـرة زوجها فى قرية أخرى . وقد تتكرر هجرتها الى قرية ثالثة اذا طلقت وتزوجت بغجرى آخر يسكن قرية أخرى . وهناك أبناء استمروا يعيشون فترة من الزمن فى بيت أبيهم بعد زواجهم ثم استقلوا عنه .

ومن أمثلة الأسر التى غيرت مكان السكنى تحت تأثير العامل الاقتصادى احدى الأسر التى كانت تعيش فى قرية لونه ، فبعد وفاة الأب (وكان يعمل حدادا) هاجرت الى قرية فرحة حيث أن الأسرة ادركت أن قرية فرحة ليس بها حداد ، ولهذا يمكن للابن الذى ورث مهنة أبيه أن يجد مجالا أفضل للعمل . وقد ظلت الأسرة تحتفظ بمنزلها فى قرية لونه ، اذ ترجع من قرية فرحة الى قرية لونه كل فترة زمنية للقيام ببعض أعمال الحدادة التى يطلبها منهم أهالى القرية الذين مازالوا يذكرون الأب الحداد المتوفى .

غير أن هناك أسبابا أخرى تمثلت فى عوامل نفسية أدت أيضا الى وجود صورة من صور الحراك . فقد هجر غجرى قريته تماما الى قرية أخرى بسبب خوفه من شخص مجنون (غير غجرى) كان يسكن القرية ويقـرع بابـه ليـلا .

وهناك أيضا مجموعة من الأسر مقرها الأساسى قرية السكران ، ولكنها

تتجول فى فصل الشتاء داخل حدود المركز بين القرى المتعددة المتناثرة على جانبى الطريق البرى ، فتقضى عدة أيام فى كل قرية حيث يقوم رجالها بالسمكرة واصلاح الكوالين وما الى ذلك ، وتقوم النساء بالاستجداء . وهناك أيضا بعض الأسر التى تستقر فترة أطول (قد تصل الى عدة شهور) فى قرى أخرى اذا كانوا يملكون منازل ، أو كان لهم أقرباء فى هذه القرى . وقد تصل هذه الفترة الى عدة شهور بحيث تقضى بعض الأسر فترة الشتاء فى قرية ، وفترة الصيف فى القرية الثانية التى تعتبرها مكان استقرارها الأساسى . وغالبا ما تمتلك الاسر التى تقضى فترات طويلة بعيدا عن موطنها الاصلى (قرية الاستقرار) منازل تستخدمها للاقامة فيها فى فترة تواجدها فى القرية الأخرى وبصفة عامة تتوقف المدة التى يقضونها فى كل قرية على عدة عوامل أهمها توفر بعض الاعمال التى يقومون بها تحقيقا للكسب المادى، فهناك بعض الاسر التى ترتبط هجرتها بالعمل الزراعى ، اذ تهاجر الى القرى التى يتم فيها جنى المحاصيل فى وقت الجنى ، وتقيم هذه الاسر فى منزل (أو فى خيمة أحيانا) فى القرية لجمع بقايا المحصـول التى تتخلف عن الفلاحين . ويحدث هذا بصفة أساسية بالنسبة للأسر التى تعيش فى قرية السكران ، اذ تنتقل هذه الأسر الى قرية النداهة فى وقت جمع محصـول البطاطس .

الحراك الى خارج المنطقة :

يعتبر غجر ست جيرانها أكثر استقرارا فى المنطقة بالمقارنة بجماعات غجرية أخرى تعيش فى مناطق أخرى . فعدد الأسر التى هاجرت من ست جيرانها لتعيش فى مناطق أخرى عدد قليل جدا . فهناك غجرى يعمل حدادا ومقرئا فى نفس الوقت ، وقد هاجر هو وأسرته الى منطقة قريبة من ست جيرانها ، وربما يكون السبب هو أن عمله الثانى كمقرىء يمكن أن يمارسه ويتكسب منه فى أى مكان . ويذكر غجر ست جيرانها أسرة غجرى ارتبط بالعمل الزراعى ، وهجر المنطقة ليعمل فى نفس العمل الزراعى فى منطقـة أخرى . وهناك حالة ثالثة لشخص غجرى هجر المنطقة بمفرده ، ليعيش مع زوجتيه فى المنطقة التى تعيشان فيها .

ونجد فى ست جيرانها ايضا بعض صور الحراك والهجرة المؤقتة ، فقد ترك مجموعة من الحدادين المنطقة للعمل بالسعودية عدة سنوات . وفى هذه الحالة ترك الزوج زوجته واولاده خلال فترة غيابه فى رعاية ابيه (فطالما تزوجت الفتاة عليها ان تعيش طوال فترة غياب زوجها فى منزل ابيه وليس فى منزل ابيها) . كذلك فان الغجر الذين يعملون فى الغناء والرقص قد يغادرون المنطقة الى محافظات اخرى للعمل هناك فى مواسم معينة والعودة بعد انتهاء الموسم .

ويلاحظ انه على الرغم من قرب عدد من المدن لمنطقة ست جيرانها فان ذلك لم يغر الغجر ويدعوهم الى الهجرة اليها ، وربما يرجع الى ان هذه المدن لايوجد بها مجال لتسويق مهاراتهم التى لاتجد لها رواجا الا فى البيئة الريفية . بجانب ان ازدحام المدينة ، وطبيعة العلاقات الثانوية المؤقتة بها لايمكنها ان توفر لهم مناخا مناسبا خاصة بعد ان تكيفوا للمعيشة فى البيئة الريفية ، الامر الذى يصعب توفيرة فى مدينة متسعة ومزدحمة . ولهذا اكتفى الغجر بمجرد زيارة المدينة لمدة يوم او يومين وشراء احتياجاتهم منها .

وهناك ايضا ظاهرة الحراك اليومى الذى يتمثل فى تنقل ارباب الأسر لمدة يوم واحد او يومين على الأكثر الى اى مكان خارج منطقة ست جيرانها لشراء بعض المستلزمات ، او تسويق المنتجات ، ولزيارة الأقارب ، او لممارسة بعض الأعمال . ويتم هذا الحراك بشكل فردى فهو ليس حراك اسر باكملها . فالغجرى الذى يعمل فى الصوف يسافر الى مناطق بعيدة عن ست جيرانها ، واحيانا لايمكنه العودة فى نفس اليوم اما بسبب صعوبة المواصلات ، او لأنه يستمر يعمل حتى ساعة متأخرة من الليل او لانه يخشى مواجهة بعض المتاعب من غير الغجر عند عودته ليلا . ويحدث هذا على وجه الخصوص فى فصل الشتاء حيث يكون النهار قصيرا . ويعرف الغجرى كيف يدبر مكان اقامته فى اى منطقة يذهب اليها ، وهو فى الغالب يقضى الليل عند اقاربه فى نفس المنطقة التى يعمل بها او المناطق المجاورة لها .

واذا كان هذا الشكل من الحراك لا يتصل مباشرة باستقرار او عدم استقرار الأسرة ككل ، ولكنه يمكن ان تكون له بعض النتائج على استقرار الاسرة ككل فى المستقبل ، فتعود الغجرى على الغياب عن منزله ، وتكرار تردده على مناطق اخرى يمكن ان تؤدى الى التفكير فى هجرة المنطقة عندما يجد ذلك مناسبا . بالاضافة الى ان علاقات هذا الغجرى بالمجتمع المحلى المحيط به تختلف اختلافا اساسيا ـ طالما انه لا يتواجد بالمنطقة معظم ايام الأسبوع ـ عن علاقات غجرى آخر يعمل حدادا ويتعامل اهالى القرية كل يوم .

وعلى الرغم من ان بعض الغجر يحاولون البحث عن العمل خارج المنطقة ، الا ان الملاحظ ان غجر ست جيرانها يحرصون على ان تقتصر تحركاتهم بحثا عن الرزق داخل حدود ست جيرانها ، ويرجع ذلك الى سببين : ـ

السبب الأول : ان انتقالهم للعمل فى منطقة اخرى يعتبر نوعا من المنافسة بينهم وبين غيرهم من الغجر ، وهذا يؤدى الى تضييق فرص العمل المتاحة للغجر فى المناطق الأخرى مما يؤثر على « رزقهم » . وعلى ذلك يفضل غجر ست جيرانها ان يلتزموا بمنطقتهم رغبة فى عدم اثارة خلافات بينهم وبين غجر مناطق اخرى .

السبب الثانى : هو انهم يحاولون تفادى المتاعب التى قد يواجهونها مع السلطات . فهم يدركون انهم « كغجر » يمكن ان توجه اليهم اى تهمة فى اى وقت . ويدركون ان احتمال ادانة الغجر يمكن ان يزداد اذا قبض عليه خارج نطاق الوحدة الجغرافية التى يعيش فيها ، والتى سجل بها كمواطن ، واستخرج منها بطاقته الشخصية . ويشعر الغجر انه عندما يوجه لهم اتهام داخل المنطقة يمكنهم ان يثبتوا براءتهم ويثبتوا انهم لا يمارسون اعمالا غير مشروعة بالاستشهاد بالأهالى والجيران الذين يعرفونهم ، كما انهم يمكن ان يلجأوا لمن يعرفونهم من رجال الأمن . وقد قال احدهم : « اننا عندما نتهم فى اى شىء داخل ست جيرانها نكون فى امان لأن ضابط البوليس ووكيل النيابة فى المنطقة موجود لخدمة كل سكان المنطقة .. الغجر وغير الغجر » .

واذا كانت هذه الأسباب تجعل الغجر اكثر التزاما بالتواجد داخل نطاق ست جيرانها فانها قد ساعدت – مع عوامل اخرى – على استقرار الجماعة ، كما ساعدت على احتكارهم لبعض المهن داخل نطاق المنطقة ·

« رابعـــا »

الموقع الجغرافى والمسافات الاجتماعية

الموقع الجغرافى والمسافات الاجتماعية بين الغجر وغير الغجر :

ذكرنا ان بعض الأسر الغجرية تسكن وسط القرية بين الأهالى ، وبعضها الآخر يسكن اطراف القرية · وسوف نهتم هنا بمكان السكنى ومدى قربه أو بعده عن مكان سكنى غير الغجر · على أن اهتمامنا بمكان سكنى الغجر لا يعد اهتماما بالموقع فى حد ذاته ، بل هو اهتمام بأسباب اختيار الموقع ، ومدى تأثير المسافات الجغرافية على العلاقات الاجتماعية بين الغجر وغير الغجر ، ومدى تأثر الحراك الجغرافى لمكان السكنى بعوامل اجتماعية واقتصادية ·

والملاحظ ان عامل المهنة يؤثر تأثيرا كبيرا على اختيار مكان السكنى، فقد تطلبت بعض المهن أن يسكن الغجرى فى وسط القرية بحيث يسهل على غير الغجر الذين يحتاجون الى خدماته الوصول اليه · فمجموعة أسر الحدادين الموزعة فى قرى النداهه ، وكدابه الصغرى ، وكدابة الكبرى ، وستهم، والطرمبة تسكن كلها وسط القرية بين بقية الأهالى ، اذ كلما كان حانوت الغجرى او بيته الذى يمارس فيه عمله قريبا من منازل القرية كلما كان ذلك أيسر · كذلك الأمر بالنسبة للغجر الذين يمارسون التجارة بأنواعها مثل الخردواتية والبدالين ·

ويلاحظ أن السكنى وسط القرية قد تمت على مراحل بالنسبة لبعض الأسر · فقد سكنت الاسرة أولا اطراف القرية ، ثم انتقلت الى داخلها · وقد تم هذا التغير بعد توطد العلاقات بين الأسرة وبين المجتمع المحيط · ففى قرية

شهبندر حدث اقتراب تدريجى للغجر الى جورا مســاكن أهل القرية ، فعند ما وفد الجد الأكبر مع زوجته منذ اكثر من خمسين عاما الى القرية سكن أطراف القرية · وبعد عدة سنوات انتقل الى داخل القرية حيث اشترى منزلا فى حارة تقع فى وسط القرية · ومازال أبناء هذا الغجرى يعيشون فى المنزل ، بجانب أنهم اشتروا قطعة أرض مقابلة المنزل لسكنى احد الأبناء بعد أن يتزوج واذا كان توطد العلاقات قد حد من الاعتراض على سكنى الغجر وســـط القرية ، فان المقدرة المادية على شراء منزل – وربما بسعر مرتفع – كانت أيضا عاملا من عوامل الحراك الى داخل القرية · وبصفة عامة فان الأسر التى تجرأت على السكنى داخل القرية هى تلك التى حققت عن طريق المهنة والتعامل المترتب على العمل فى المهنة قدرا من الفهم المتبادل أدى الى زيادة الثقة بين الطرفين ·

وهناك نماذج مازالت تسكن أطراف القرى ، وهناك أيضا أكثر من عامل أدى الى عدم تفكير هذه الأسر فى الحراك الى داخل القرية · ولعل عامل المهنة يعتبر أيضا عاملا مؤثرا على السكنى فى أطراف القرية · فالغجرى الذى يجز صوف الغنم ، والذى يخرج كل يوم يجول فى القرى داخل منطقة ست جيرانها وخارجها بحثا عن الأغنام ، ثم يبيع معظم الصوف خـارج المنطقة لايحتاج الى مزيد من التعامل مع أهل القرية · ومع ذلك يعيش بعض « الصوافه » داخل القرية بجوار منازل الفلاحين ·

ويلعب عامل الشك وادراك الغجر لموقعهم وموقفهم الاجتماعى من بقية السكان دورا أساسيا فى بقاء الغجرى فى وضع هامشى جغرافيا واجتماعيـا بالنسبة لسكان القرية فهناك غجرى من الصوافة يسكن قرية هنا ، شيد منزلة فى منطقة زراعية بعيدة بعدا كبيرا عن منازل القرية · فمنازل القرية على يمين الطريق ، أما منزله فيقف وحيدا بين المزارع على يسار الطريق · وعلى ذلك يتطلب الوصول الى بيته الخروج من القرية ، وعبور الطريق ، ثم عبور قناة صغيرة · ويقول الغجرى انه اختار هذا المكان لكى يستطيع مغادرتـه بسهولة متى أحس بعدم الأمن ، أو بمجرد حدوث مشاجرات بينه وبين أى فرد فى القرية · وفى هذه الحالة لن يشعر أى شخص بمغادرته المكان طالما أنهم

لا يشعرون بوجوده بسبب عزلة المكان . اما اذا كان يسكن وسط القرية فان امر مغادرته القرية بعد حدوث مشكلات سيكون صعبا .

وهناك حالة واحدة انتقل فيها الشخص من داخل القرية الى خارجها ، وربما يرجع هذا الى نوعية تفكير الغجرى نفسه . فقد كان هذا الغجـــرى يسكن مع والده وسط القرية ، ولكن ما ان راجت تجارته حتى اشترى قطعة ارض زراعية تقع بين قريتين ، وهى متطرفة اذ تقع على الطريق العـــام مباشرة . فقد رأى ان هذا المكان هو الذى يؤمنه شر المشكلات مع اهالى القرية ، ويجعله يمارس تجارته وينعم بالمعيشة بعيدا عن اعين الناس ، وبعيدا عن حسدهم وحقدهم . وقد حدث ذلك بعد ان دبت المشكلات بينه وبين اســـرته .

ويلاحظ ان الغجر الذين يشتغلون فى الغناء والرقص هم اكثر الجماعات الغجرية فى ست جيرانها رغبة فى العزلة بعيدا عن بقية المجتمع اذ دائما يسكنون اطراف القرية ، وحتى فى حالة سكنى بعضهم بجوار بقية منازل اهل القرية ، فان هناك حواجز صلبه – سنذكرها فيما بعد – تعوق تفاعلهم مع الأهالى .

ولكن من المهم ان نلاحظ ان الجوار الجغرافى لم يعن فى كل الأحوال القرب الاجتماعى او قوة العلاقات الاجتماعية . ويعتبر التجمع الغجرى الكبير فى قرية ستهم والتجمعات الغجرية الاخرى لمن يعملون فى جز وغزل الصوف مثالا واضحا لذلك . فعلى الرغم من ان الصوافة يسكنون داخل القرى ، الا انهم مازالوا يشعرون انهم يقومون بعمل متميز ويمثلون جماعة متميزة . وقد ادى ذلك الى تقوقع كثير من الاسر الغجرية على نفسها على الرغم من التجاور الشديد بين مساكنهم ومساكن بقية اهالى القرية . وفى قرية ستهم تعيش اكثر من ٢٥ وحدة اسرية مختلفة الحجم فى شارع واحد اطلق عليه شـــارع « الغرباء » ، وهم يمارسون حياتهم الاجتماعية وعلاقاتهم متقوقعين داخل هذا الشارع . كما ان منهم من انتقل ليعيش فى مدينة ست جيرانها واختار ان يسكن فى المنطقة الصحراوية المترامية خلف اطراف المدينة . ويرجع ذلك

الى رغبتهم فى الابتعاد عن الأهالى لكى تظل تجارتهم سرا خاصا بهم . ولكن هناك عامل آخر شجعهم على سكنى المنطقة الصحراوية هو انهم يدركون ان هذه الاراضى تعتبر مملوكة للدولة ، وان الاشخاص يبنون عليها ، ثم يتحدد سعر للأرض ، وتباع لمن يسكنها ، وغالبا ما يكون ذلك باسعار زهيدة نظرا لانها اراض صحراوية . وهم يدركون جيدا انه لن يتمكن احد من هدم المنازل التى قاموا ببنائها على الرغم من انها بنيت دون ترخيص .

البعد الجغرافى والمسافات الاجتماعية بين الغجر وبعضهم البعض :

ليس هناك تحديد واضح للمسافات الجغرافية بين بيوت الغجـر ، وليس هناك نمط موحد للسكنى المتجاورة . ولكن الملاحظ انه كلما كانت هناك علاقات قرابية قوية بين الوحدات الأسرية التى تسكن قرية واحـــدة كلما كان هناك ميلا الى السكنى المتجاورة بحيث يكون الغجر شكل تجمع واحد ، واحيانا تتم السكنى فى منزل واحد . واذا كان النمط الشائع فى حالة وجود اكثر من اسرة غجرية فى قرية واحدة ان تتم السكنى فى منطقة واحدة او مناطق متقاربة ، ففى بعض الأحيان يحدث انتشار للغجر فى مناطق متفرقة من القرية . ففى قرية ستهم حيث يوجد التجمع الغجرى الكبير فى شارع الغرباء يسكن عدد آخر من الأسر فى مناطق متفرقة من القرية ، ويرجـع ذلك الى ان بعض هذه الاسر وفدت فى زمن لاحق لوصول اسر أخرى ، فلم تتمكن من تدبيرمسكن بجوار بقية الغجر الذين وفدوا اولا وسكنوا شارع « الغرباء » فى القرية . كذلك فان بعض الغجر الذين يتوزعون فى قرية ستهم لا يعملون فى الصوف ولا يرتبطون بصلة قرابة مع الصوافة .

على ان الانتشار الجغرافى للغجر فى القرية لم يكن معوقا لاتصالاتهم ببعضهم البعض نظرا لصغر مساحة القرية ، ويمكن لاى شخص ان يدرك ذلك عندما يلاحظ سرعة تجمع كل غجر القرية فى وقت قصير متى تطلبت الضرورة ذلك . وعلى خلاف ذلك فان العوامل الاجتماعية ادت الى وجـود مسافات اجتماعية باعدت بين الغجر بعضهم البعض على الرغم من التجاور الجغرافى وعلى الرغم من الوجود فى قرية واحدة مثل تلك الاعتبارات التى

باعدت بين الغجر الذين يعملون فى الغناء والرقص وبين بقية الغجر . والغجرى الذى ينتمى الى اسرة الاصوافة قد يذهب الى قرية اخرى او منطقة اخرى طلبا لزوجة تمت له بصلة قرابة تاركا غجريات اخريات يعشن معه فى نفس القرية .

كذلك فان عامل القرب الجغرافى بدا انه غير ذى قيمة فى بعض الأحيان، فقد آثرت احدى الأسر ـ رغم انها تسكن قلب القرية وتجاور اسرا غجرية اخرى ـ ان تنفرد وتنعزل وتنغلق على نفسها ، وتعلن عــدم رغبتها فى الاحتكاك ببقية الغجر لكى تجعل من أمر دخلها الاقتصادى الذى ارتفع بدرجة ملحوظة سرا حتى على الغجر . فالغجر فى قرية ستهم يتحدثون عن « تبارى » الذى اصبح اغنى تاجر صوف فى المنطقة ولهذا عزل نفسه عن بقية الغجر الذى يعيش فى وسطهم ويعتبرونه واحدا منهم .

ويظهر تفوق العوامل الاجتماعية على العامل الجغرافى ايضا حينما نجد انه على الرغم من التجاور الجغرافى لبيوت بعض الغجر وغير الغجر فى قرى معينة ، فان العلاقات الاجتماعية مع غجرى يقطن قرية على بعد عشـرات الكيلومترات تكون اقوى منها مع الأسرة غير الغجرية التى تسكن فى منزل ملاصق . ففى المناسبات والافراح يتجمع الغجر من مناطق مختلفة متباعدة ليشاركوا فى المناسبة بينما قد لايشارك فيها الجار غير الغجرى . وحتى بالنسبة للغجر انفسهم فان وجود مشكلات حادة بين غجرى وآخر فى قرية واحدة مع احتفاظه بعلاقات طيبه مع غجر قرى اخــرى تبطل اثر العامل الجغرافى اذ سيصبح الغجرى البعيد جغرافيا اكثر قربا فى مثل هذه المناسبات عن الغجرى القريب جغرافيا وبعيد اجتماعيا .

مناقشـة وتعليقـات :

البعد الثقافى والاجتماعى والجغرافى :

اتضح مما سبق ان موقع ست جيرانها ، وطبيعتها الريفية ، وقربها من المناطق العمرانية قد شجع الغجر على الاستقرار بالمنطقة ، فهى بيئـة

خصبة لممارسة مهنهم التقليدية ، بحيث عاش الغجر فى المنطقة عشـرات السنوات يستغلون مهاراتهم المهنية مع امكانيات البيئة التى يوجدون بها لتحقيق استمرارهم ونموهم واستقرارهم . كما ساعد موقع المنطقة كمنطقة قريبة من المراكز الحضارية والصناعية فى مصر على ان يستطيـع بعضهم ـ رغم انه يسكن المنطقة الريفية ـ الحصول على احتياجاته ، وتسـويق بعض منتجاته فى مناطق اخرى بسهولة كما سيتضح من عرضنا للنشـاط الاقتصادى للغجر فى المنطقة .

كذلك اتضح من المقارنة بين تاثير العامل الجغرافى وتاثير العوامل الاجتماعية والاقتصادية تفوق العوامل الأخيرة على العامل الأول . وذلك بفضل بعض عناصر الثقافة المادية المتطورة التى ادخلها الانسان كتعديل للبيئة الطبيعية المعوقة . فقد أدت سهولة المواصلات فى المنطقة ، وادى وجود الطريق البرى (وهو عنصر واحد من عناصر الثقافة المادية) الذى يربط بين قرى ست جيرانها ،وبينها وبين غيرها من المناطق الى التاثير فى الغجر وفى نشاطهم الاقتصادى وانماط علاقاتهم الاجتماعية . فقد أصبح الحراك من اجل العمل أسهل منه عندما كانوا يستخدمون الدواب . فالغجرى يمكنه فى وقت قصير ان ينتقل الى اى مكان بالأتوبيس الذى يربط بين قرى المنطقة ، وبينها وبين المناطق الأخرى ، أو عن طريق سيارات الأجرة « بالنفر » التى تدخل الى اعماق القرى . وقد أدت سهولة الحركة الى تكثيف العلاقة التجارية والاجتماعية . واذا كانت سهولة الاتصال قد شجعت الغجر على الانتشار فى المنطقة ، فانها شجعت ايضا على مزيد من الحراك اليومى طالما ان الصلات الاجتماعية بين الغجر يجب ان تبقى مكثفة وقوية بصرف النظر عن التباعد الجغرافى [2] .

وقد بدا العامل الجغرافى المتمثل فى البعد المكانى قليل الاثر بمقارنتـه بالعوامل الاجتماعية ، خاصة مع توفر انجازات الثقافة المادية . فالالتزام الاجتماعى والعرف السائد أوجد انماطا من التجمع بين غجر يسكنون أماكن متفرقـة فى مناسـبات الأفراح والأفـراح . وعبر الغجـر الحاجز المائى

(نهر النيل) الذى يفصل بينهم وبين اقاربهم الذين يسكنون مناطق اخرى على الجانب الآخر من نهر النيل وفاءا للالتزام الاجتماعى او رغبة فى التعاون الاقتصـــادى .

وقد ادت سهولة الاتصال الى ان يشعر الغجر وكأنهم فى قرية واحدة . وحتى عندما انفصلت بعض الاسر الزوجية عن العائلة الممتدة لم يؤد هذا الى ان تسود روح العزلة والفرقة ، بل اعتبرت الاسر المنفصلة وكانها تحيا فى منطقة اخرى داخل نفس القرية . ويمكن القول ان سهولة المواصلات جعلت من الوحدات الأسرية الصغيرة المتناثرة فى القرى وحدة واحدة .

واذا كان مستوى ثقافة الغجرى لم يرتفع الى مستوى تحضر غير الغجرى ، لكن الغجرى كان قادرا ، وبسهولة ، على استخدام نتائج التقدم التكنولوجى (متمثلة فى رصف الطريق ، وفى السيارات التى تستخدم فيه) والمنتجات الثقافية المادية لكى يحقق امنه ، ونموه ، وتقدمه . وهذا مايشير الى قدرة الانسان ـ اى انسان ـ على التكيف للانجـــازات المتقدمة التى اخترعها غيـــره .

الفروق الريفية الحضـــرية :

اثرت الاختلافات بين المناطق الريفية والحضرية على غجـــر ست جيرانها . فيمكننا ان نلمس اختلافا بين الحدادين الذين يسكنون اعماق القرى وبين غيرهم من الغجر ممن يسكنون مدينة ست جيرانها ، فغجـــر المدينة يمتهنون مهنا مختلفة ، وتعلو بينهم نسبة المشتغلين فى مهن غير تقليدية . وحتى هؤلاء الذين ظلوا مرتبطين باعمال الحداده فى مدينة ست جيرانها قد طوروا من أدواتهم وفنهم لكى يلائم احتياجات المدينة . كما ادى ايضا الوجود فى المدينة الى ان يصبح غجر المدينة اكثر وعيا وحنكة من غجر القرى . ومن الطبيعى ان يؤثر ذلك على قدرة الباحث على اخضاعهم للبحث والدراسة ، فقد كان من الصعب التعـــامل معهم اذ كانوا اكثر تحفظا ووعيا لدرجة ان بعضهم رفض الاستجابة للباحث . وقـــد كـــان من الصعب فى

البداية للتعرف على اماكن وجود الغجر فى المدينة ، نظرا لعدم توفر العلاقات الأولية التى تتوفر فى القرى والتى يمكن عن طريقها التعرف على اى شخص يسكن القرية بسهولة .

كذلك انعكس اثر الوجود فى بيئة ريفية على الغجـــر وعلى حياتهم الاجتماعية . فظاهرة « سوق القرية » الذى يعقد فى احد أيام الاسبوع قد ساعدت على اللقاء بين الغجر الذين يسكنون مناطق مختلفة . وتعتبر أسواق القرى فى ست جيرانها ايضا مكانا يتم فيه اللقاء بين الغجر وغير الغجر اسبوعيا . وتساعد هذه العلاقات المنتظمة ـ على الرغم من ان لها الطابع التجارى ـ على وجود علاقات اكثر استقرار ودواما من العلاقات التى يمكن ان توجد اذا كان الغجرى او البائع متجولا . فهذه الأسواق هى مجال للنشاط الاقتصادى واللتفاعل الاجتماعى الذى يتم بانتظام . وقد اثرت هـــذه الأسواق فى الروتين اليومى للغجر ، وفى تحديد يوم الراحة . فيوم الراحة بالنسبة للغجرى الذى يبيع الأدوات المنزلية فى اسواق القرى هو اليـــوم الذى لايوجد فيه سوق فى احدى القرى . ويوم الراحة بالنسبة للغجر الذين يجزون الصوف ويسكنون مدينة ست جيرانها هو يوم الاثنين ، ذلك ان سوق المدينة يعقد يوم الاثنين ، **ولهذا فمعظم الاهـــالى** الذين يمكن ان يحتاجون للغجرى ليقص صوف اغنامهم يتواجدون فى ســـوق المدينة فى هذ اليوم لشراء احتياجاتهم .

غجر ست جيرانها غجر مستقرين :

ان صور الحراك المكانى داخل نطاق ست جيرانها وخارجها ـ تلك التى عرضنا لها بالتفصيل ـ لاتجعلنا نصنف غجر ست جيرانها على انهم جماعة متنقلة . فهم غجـــر مستقرون ومرتبطون بالمنطقة خاصـــة اذا قارناهم بغيرهم من الغجر فى مناطق اخرى . فهم يسكنون بيوتا يستأجرونها او يملكونهـــا (الأكثرية تملك البيوت التى تســكنها) وهـــم يشعرون بالانتماء الى المنطقة . وحتى مجموعة الأسر القليلة التى **تنتقل موسميا بين** قرى المركز ، اذا كان ارتباطها بقرية محددة ارتباطا ضعيفا ، فـــان ارتباطها بالاقليم ارتباطا قويا .

الفصل الثانى

((الزواج والقرابة))

تحليل لبعض محددات علاقات الجماعة فى الداخل والخارج

يهتم هذا الفصل بدراسة الزواج والقرابة . ولكن الهدف من هذه الدراسة لا يتجه الى تحليل الظاهرتين من مختلف الجوانب ، ولكن الهدف هو التعرف على الدور الذى يلعبه الزواج وتلعبه القرابة فى تقارب أو تباعد أعضاء الجماعتين . ذلك أن قواعد وتحريمات الزواج تحدد شكل وحدود العلاقات بين الجماعات . واذا كانت تحريمات الزواج تلعب دورا هاما كحواجز ضد الاندماج بين الجماعات ، فان مجموعة الحقوق والالتزامات بين الأقرباء تعمل على تدعيم العلاقات بين أعضاء الجماعة القرابية الواحدة .

وعلى ذلك سنقسم الدراسة فى هذا الفصل الى موضوعين أساسيين :

((أولا))
الزواج

الاتحادات الزواجية فى المنطقة :

بلغ عدد الاتحادات الزواجية القائمة بالفعل — وقت اجراء الدراسة — فى ست جيرانها ٢٢٣ اتحادا (١) . واذا قارنا عدد الاتحادات الزواجية بأعداد الغجر فى ست جيرانها (ذكرنا انه ٨٥٦ نسمة) فاننا نجد أن ٤٥٦ فردا من

---

(١) يقصد بالاتحاد الزواجى أى ارتباط زواج تم بين غجرى وغجرية فى المنطقة ، وعلى ذلك اعتبرت الأسرة النووية اتحادا زواجيا ، اما الأسرة الممتدة فهى وحدة قرابية تضم عددا من الاتحادات الزواجية .

العدد الكلى للغجر يدخلون فى ارتباطات زواجية ، وهم يزيدون عن نصف المجتمع . وبذلك يكون العدد المتبقى (٤٠٠ فرد) هم الأفراد دون سن الزواج . او الذين لم يسبق لهم الزواج .

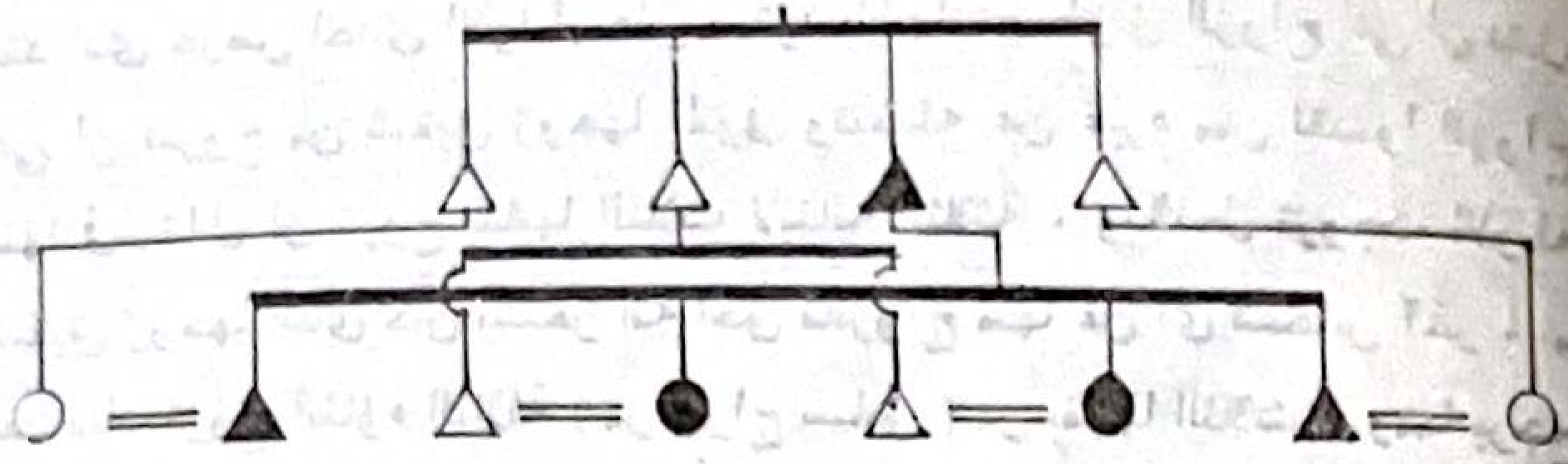
الاختيار للزواج :

يفضل غجر ست جيرانها **الزواج المبكر** حماية للشخص من الزلل ، ودعما للروابط والعلاقات بين الأسر الغجرية . كما ان عدم اقبال الغجر على التعليم يؤدى الى الزواج المبكر ايضا ، فالشخص يجد العمل منذ سن مبكرة (حتى ولو كان فى نفس النشاط المهنى الذى يعمل فيه ابوه) ولهذا فهو يعتبر رجلا ويمكنه الزواج مبكرا . اما الفتاة فلا يوجد ما يمنع زواجها من اول شخص يتقدم لها طالما انه ينتمى الى العائلة الغجرية . ونظرا لأنها غير متعلمة ، ونظرا لأن الفرص المتاحة للزواج محصورة فى معظم الأحيان على اعضاء الجماعة الغجرية فهى يجب ان تقبل الزواج من اول شخص يتقدم لها . وطالما هى غير متعلمة ولم تحتك بمجتمع غير الغجر فلن يكون لديها طموح فى الزواج ممن هو افضل من الغجرى الأمى . بالاضافة الى ذلك فان العائد المادى الذى يجنيه صاحب الفرح من النقوط (٢) يدفع الغجرى الى تزويج أولاده فى سن مبكر . بل ان احدى الأسر زوجت ابنتها قبل أن تأتيها الدورة الشهرية بستة اشهر .

ويفضل غجر المنطقة ايضا **زواج الأقارب** ، سواء من داخل المنطقة او من خارجها . واذا كانوا يفضلون زواج الأقارب من داخل المنطقة الا ان هناك حالات زواج تمت بين افراد من المنطقة واقاربهم يقطنون مناطق اخرى . ويحتل **زواج ابناء العمومة والخئولة** مكان الصدارة بين زواج الأقارب ، وهذا يتناغم مع المناخ السائد فى البيئة الريفية الذى مازال يفضل زواج أبناء العمومة والخئولة . واذا كانت هذه الدراسة قد سجلت حالات كثيرة لزواج ابناء العمومة والخئولة فى المنطقة ، فان هناك حالات اخرى خرجت فيها الفتاة من ست جيرانها وتزوجت بابن عمها أو ابن خالها فى منطقة اخرى .

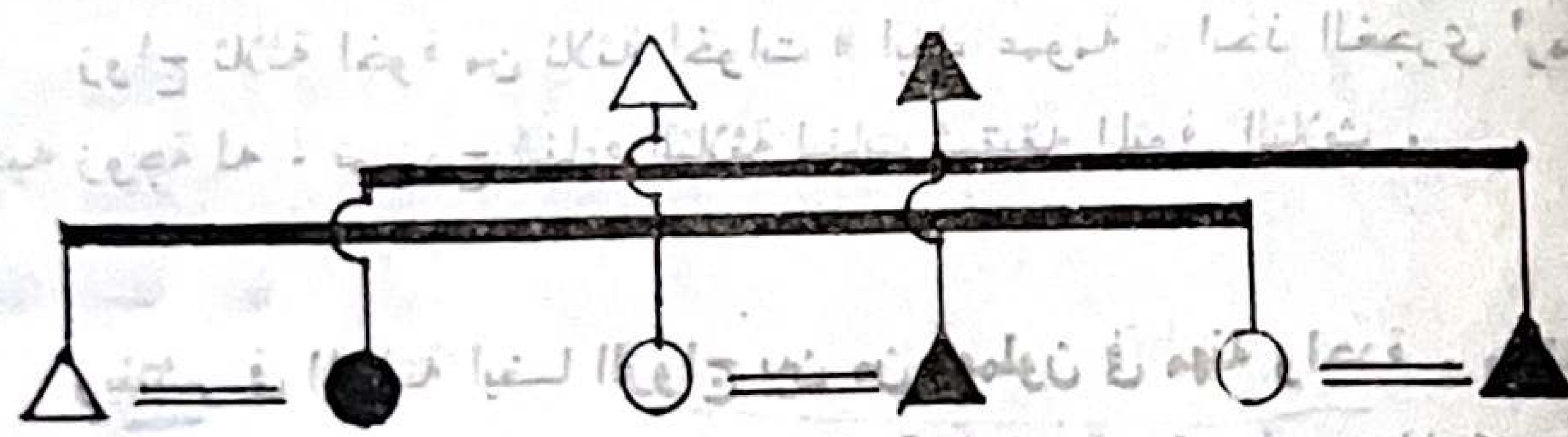
---

(٢) سوف يرد شرح تفصيلى عن ظاهرة النقوط فى جزء تال من هذا الفصل .



زواج ابناء العمومة فى ست جيرانها

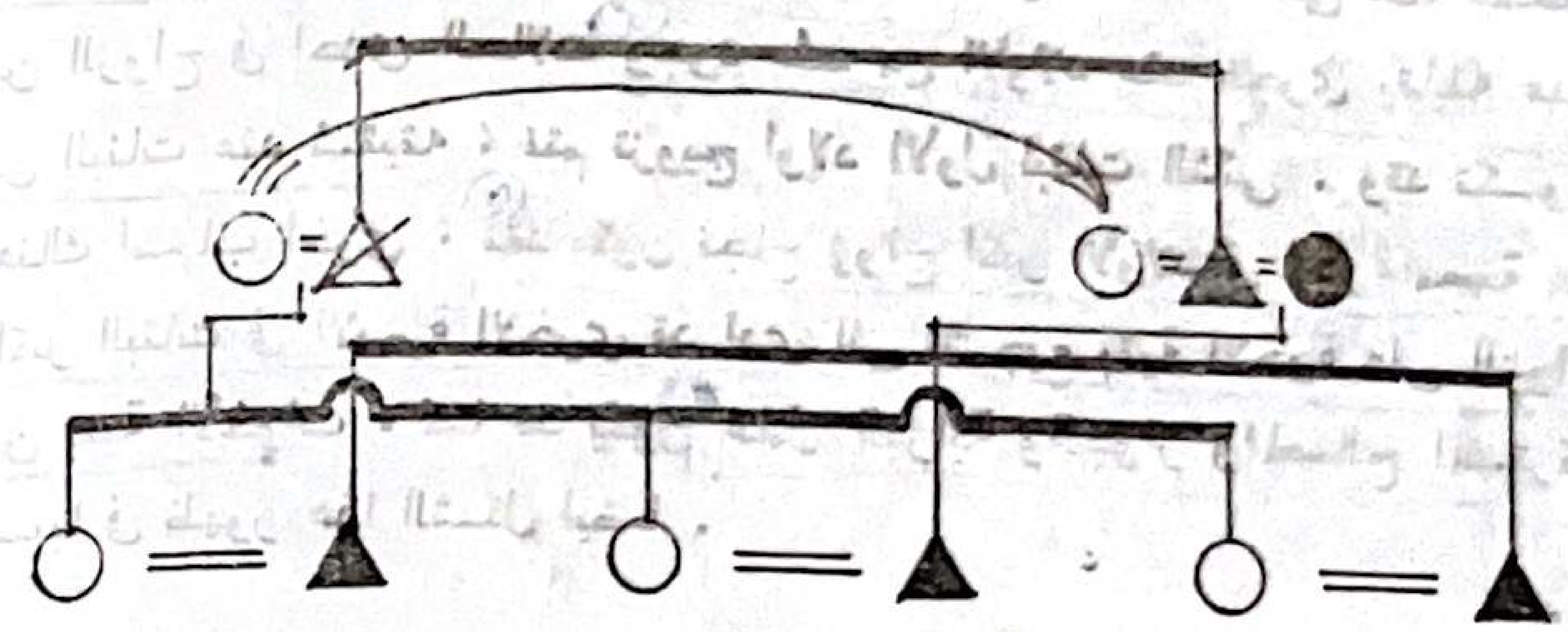
وهناك شكل آخر وجد فى المنطقة هو زواج عدد من الاخوة لعدد من الأخوات ، سواء اكانوا اقارب او غير اقارب . وقد ساعد على هذا الشكل من الزواج فى احدى الحالات وجود عدد من الأولاد عند غجرى يقابله عدد من البنات عند شقيقه ، فتم تزويج **اولاد الأول لبنات الثانى** . وقد تكون هناك اسباب اخرى ، فقد يكون نجاح زواج اكبر الأولاد فى اسرة معينة من اكبر البنات فى الأسرة الأخرى قد ادى الى تشجيع بقية الاخوة على الزواج من بقية الأخوات ، كما قد يكون عامل القرابة والجوار والمصالح المشتركة سببا فى ظهور هذا الشكل ايضا .



زواج عدد من الاخوة من عدد من الأخوات (اخوان واخت ، من اختين واخ) ويلاحظ انهم ليسوا اقارب ولكنهم ابناء مهنة واحدة .

وقد تكرر هذا الشكل (زواج عدد من الخوة من عدد من الأخوات) فى المنطقة ، ولكن كان الدائع فى احدى الحالات هو ما يطلق عليه «سترة البنت» .

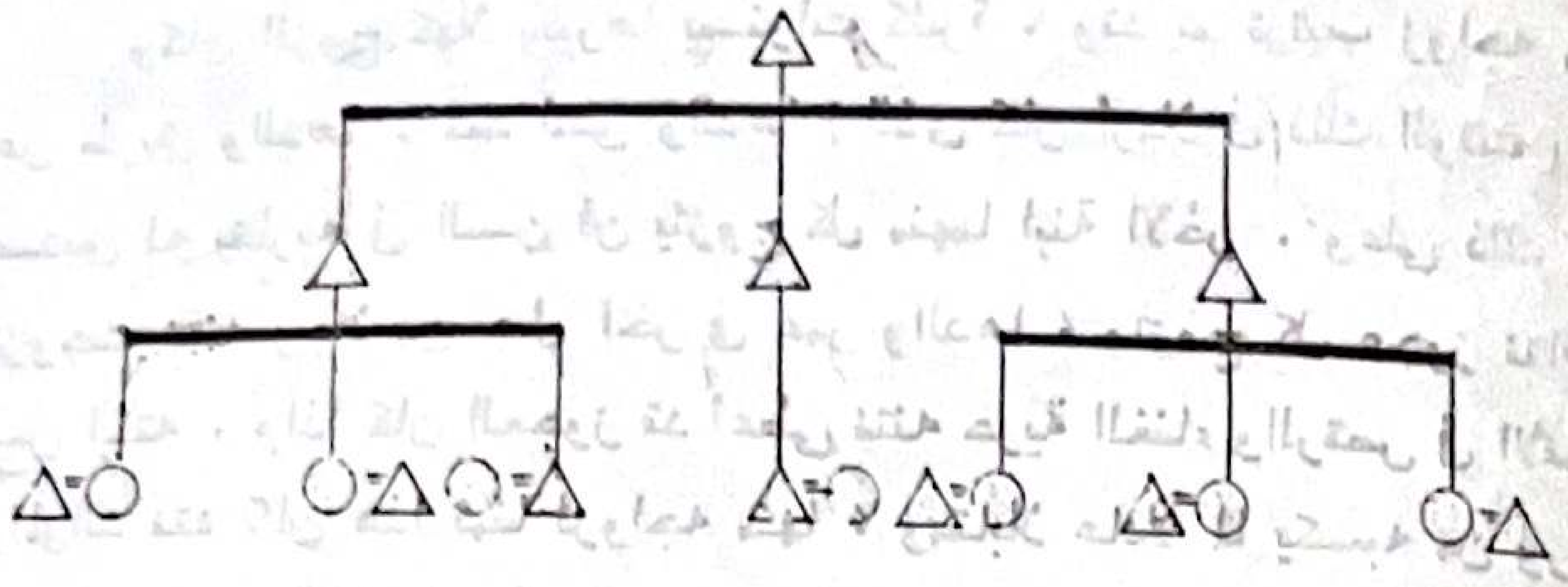
فقد ادى حرص احدى الأرامل على سترة بناتها عن طريق الزواج الى ان تقبل هى ان تتزوج من شقيق زوجها المتوفى وتفضله عن غيره ممن تقدموا للزواج منها فى مقابل ان تزوج بناتها الثلاث لأبنائه الثلاثة . وبالفعل تزوجت الأرملة شقيق زوجها الذى كان يشعر انه احق بالزواج منها عن اى شخص آخر ، ثم بعد ذلك تزوج ابناؤه الثلاثة (من زواج سابق) من بناتها الثلاث . ومما يرجح ان زواج الأرملة من شقيق زوجها المتوفى تم لهدف تزويج بناتها من ابناء شقيق زوجها فقد هجرته بعد تزويج بناتها من ابنائه ، لتعيش مع احدى بناتها المتزوجات .



زواج ثلاثة اخوة من ثلاثة اخوات « ابناء عمومة » اتخذ الغجرى ارملة اخيه زوجة له ، ثم زوج ابناءه الثلاثة لبنات شقيقه المتوفى الثلاث .

وينتشر فى المنطقة ايضا **الزواج بين من يعملون فى مهنة واحدة** . وهناك اتحادات زواجية كثيرة تمت بين ابناء المهنة الواحدة يمكن أن تؤخذ كنموذج لهذا التفضيل ، ولكن أشهرها حالات الزواج الذى ربط بين اسر الحدادين فى قرى كدابه الكبرى ، فرخة ، الطرمبة ، صدفة ، النداهه ، والاتحادات الزواجية التى تمت بين افراد التجمع القرابى للصوافة فى قرية ستهم .

واذا كانت فكرة الزواج بين ابناء المهنة الواحدة تعنى اتجاها متعمدا يهدف الى تقوية الروابط القرابية للحفاظ على المصالح الاقتصادية ، فان



اسرة الحدادين فى قرية صدفة : نموذج لتفضيل الزواج من ابناء المهنة . (حدادين) .

RANIA

العلاقات التى تنشأ بين من يعملون فى مهنة واحدة تؤدى — بدون تعمد — الى نوع من التعارف بين الأسرة ذلك أن بعض المهن تمارس داخل المنزل مثل عملية غزل الصوف ، أو تجارة القرب ، وهذا يؤدى الى مزيد من الاحتكاك بين اسر غجرية دون اسر اخرى (لا تعمل فى نفس المهنة) ، وهذا يساعد على اتاحة الفرصة للزواج بين الأسر التى تحتك ببعضها . فالتجار الغجر يتجمعون فى الأسواق لعرض بضاعتهم فى اماكن متجاورة فى السوق ، وهذا يتيح فرصة التعارف والتعامل بينهم اثناء اللقاءات الأسبوعية المنتظمة . لأن بعض الفتيات وبعض الشبان يصاحبون آباءهم فى الأسواق فان ذلك يتيح ايضا الفرصة لمزيد من التعارف بين المقبلين على الزواج . واذا كانت بعض هذه الأسر لها علاقة سابقة لا ترتبط بالسوق ، فان اللقاء المنتظم يعمل على توطيدها .

وهناك حالة توضح كيف تؤثر المهنة والربح المادى على الاختيار للزواج . فتعيش فى ست جيرانها امراة غجرية فى الثلاثين من عمرها تسمى « فتنه » وهى تعيش مع طفلين وفتاة — فى بيت صغير فى قرية هنادى — انجبتهم من زوج واحد . وتتراوح اعمارهم بين ٥ ، ١٤ سنة . وتعمل فتنه فى الغناء والرقص وقد توفى زوج فتنه منذ عدة سنوات تاركا لها الأطفال لتقوم برعايتهم .

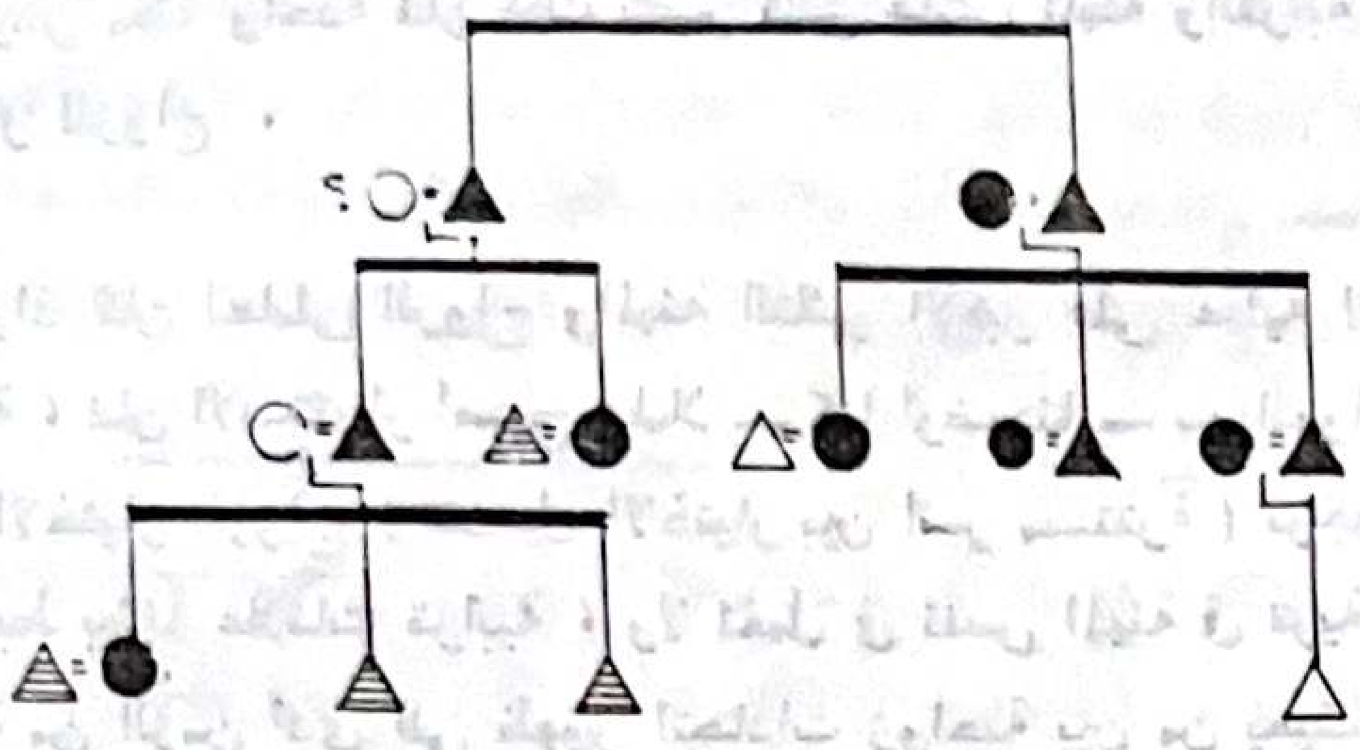
وكان الزوج كهلا يكبرها بسنوات كثيرة ، وقد تم ترتيب زواجه منها عن طريق والدها . فقد اتفق والدها (الذى كان ارملا فى ذلك الوقت) مع صديق له يقاربه فى السن ان يتزوج كل منهما ابنة الآخر . وعلى ذلك فقد تزوجت فتنه رجلا من جيل آخر فى عمر والدها ، وتزوج كل عجوز فتاة فى سن ابنته . واذا كان العجوز قد اعطى فتنه حرية الغناء والرقص فى الأفراح والموالد فقد كان هذا ثمنا لزواجه منها ، ومقابلا عادلا لما يكسبه من ورائها نتيجة ممارستها للغناء والرقص . وعلى ذلك ظلت فتنه عدة سنوات تعمل فى حرية ، وتكسب المال ، وتعطيه قدرا مما تكسبه ، وكان ذلك مرضيا للطرفين .

ويلاحظ ان هذا الزواج قد تم فى مناخ سيطرت فيه السلطة الأبوية التى لم تستطع معها الفتاة مقاومة رغبة والدها . ويتضح ايضا من هذه الحالة ان توقع الغجرى العجوز للدخل المادى الذى يمكن أن تدره راقصة — يتكلم الغجر فى المنطقة عن جمالها وعن فنها — اغراه بالزواج منها . هذا بالاضافة الى ان كل عجوز منهما كان يدرك انه سيحظى بالزواج من فتاة فى عمر الزهور يمكنها ان تنفق على نفسها وعليه ايضا . وربما يكون الأب العجوز قد وافق على تزويج فتنه من العجوز الآخر ايضا لكى ترتبط برجل (ولو صوريا) لأنه يخشى عليها من التجوال فى الموالد والأفراح وهى فتاة بكر غير مرتبطة برجل . وهى كلها اسباب تعكس أثر ممارسة مهنة معينة (الغناء والرقص) على الاختيار للزواج .

ولكن لا ينبغى ان نعتقد ان المهنة وحدها هى العامل الوحيد الذى يكمن وراء الاتحادات الزواجية القائمة . فعامل القرابة ايضا يبدو ذا تأثير قوى . وحتى الغجر الذين تزوجوا زوجات من اسر تمارس نفس المهنة التى يمارسونها لم يتزوجوهن لأنهن بنات من يمارسوا نفس المهنة فقط ، بل استجابة لعامل القرابة فى نفس الوقت . بل ان عامل القرابة احيانا يثبت تفوقا على عامل المهنة وذلك بالنسبة لحالات الزواج التى تمت بين افراد من داخل المنطقة وأفراد من خارجها . وفى معظم هذه الحالات كان الزواج يتم بين الأقرباء بصرف النظر عن المهنة التى يمارسونها . والدليل القوى على أن عامل المهنة لا ينفرد

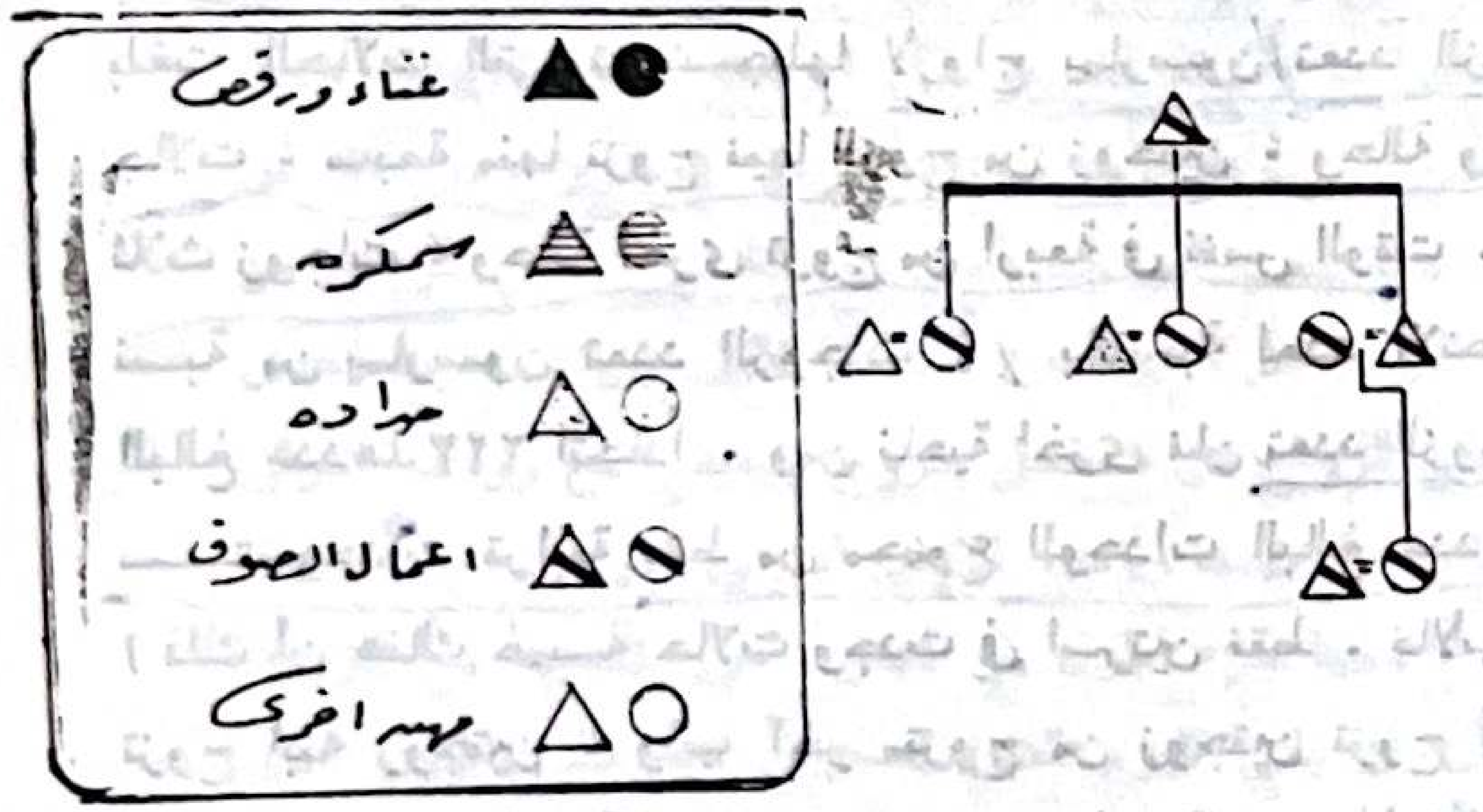
بالتأثير على الاختيار للزواج هو حدوث زواج غجر يمارسون مهناً مختلفة ، والأمثلة على ذلك كثيرة اذ حدثت حالات زواج كثيرة بين الحدادين والصوافة ، ويرجع ذلك الى عامل الاستقرار اذ ان هاتين الفئتين هما أقدم الغجر واكثرهم استقرارا فى ست جيرانها .

المهنة وتفضيل الزواج



شكل ١

شكل ١ نموذج من قرية الرغايات يمثل تطور الاتجاه نحو الزواج من غير ابناء المهنة ويلاحظ ان التخصص بدأ ينتقل من حرفة الغناء والرقص الى السمكرة .



شكل ٢

شكل ٢ نموذج من قرية فرحة يوضح التزاوج بين الصوافة والحدادين ومن يعملون فى مهن اخرى .

والواقع ان كلا من **عاملى القرابة والمهنة معا** يمكن ان يكون لهما تأثير واضح على الاختيار للزواج . فالغجر يفضلون زواج الأقارب ، وهم يفضلون زواج اقرب الأقارب ، ففى ست جيرانها توجد اسرتان ممتدتان كبيرتان ، وعلى الرغم من عدم وجود اية موانع للزواج بينهما الا ان كل اسرة كانت تفضل الزواج من داخل الوحدة القرابية ، وهذا تفضيل للزواج من الجماعة القربى . واذا وضعنا فى اعتبارنا ان الوحدة القرابية كبيرة العدد (الأسر الممتده) غالبا ما تمارس مهنة واحدة فان ذلك يفسر تأثير عاملى المهنة والقرابة معا على الاختيار للزواج .

واذ كان لعاملى الزواج والمهنة التأثير الأكبر على عملية الاستقرار فى المنطقة ، فان الاستقرار اصبح عاملا — كما اوضحنا — من العوامل المشجعة على الاختيار للزواج (تفضيل الاختيار بين أسر مستقرة) فوجود عدة أسر لا ترتبط بينها علاقات قرابية ، ولا تعمل فى نفس المهنة فى قرية معينة لفترة طويلة من الزمن ادى الى ظهور اتحادات زواجية بين من يعيشون فى المكان الواحد فترة طويلة .

تعدد الزوجـــات :

لا يمارس غجر المنطقة تعدد الأزواج بحكم انهم يدينون بالدين الاسلامى . لكنهم يمارسون تعدد الزوجات فى الحدود التى سمح بها الشرع . وقـــد بلغت الحالات التى تم تسجيلها لأزواج يمارسون تعدد الزوجات تســـع حالات ، سبعة منها تزوج فيها الزوج من زوجتين ، وحالة واحدة تزوج من ثلاث زوجات ، وحالة اخرى تزوج من اربعة فى نفس الوقت . وبهذا تكـــون نسبة من يمارسون تعدد الزوجات ٤٪ بالنسبة لعدد الاتحادات الزواجية البالغ عددها ٢٢٣ اتحادا . ومن ناحية أخرى فان تعدد الزوجات انتشر بين ست وحدات قرابية فقط من مجموع الوحدات البالغ عددها ٦٠ وحـــدة (ذلك أن هناك خمسة حالات وجدت فى اسرتين فقط . فالأب المتزوج أربعة تزوج ابنه زوجتين ، واب آخر متزوج من زوجتين تزوج أحد ابنائه ثلاث زوجات وتزوج ابن آخر زوجتين . وربما يعكس هذا تأثر الأبناء باتجاه

الآباء فيما يتعلق بتعدد الزوجات) ويلاحظ أن حالات التعدد وجدت فى اسر الحدادين اكثر مما وجدت فى اسر اخرى .

ولكن يبقى هناك افتراض أن عدد الحالات الفعلى ربما يكون اكثر من ذلك بقليل ، فهناك شائعات تنتشر بين بعض الغجر عن حالات اخرى للتعدد لم يمكن التأكد منها ، فقد ذكرت زوجتان أن الزوج كان يعيش مع زوجتين فى وقت واحد قبل الزواج منها ، واخرى ذكرت أن زوجها قد تزوجها حين كان مرتبطا بزوجة أخرى فى نفس الوقت . ويتوقع أن الغجر لم يذكروا أى شىء عن حالات تعدد وقعت فى الماضى وانتهت بالابقاء على زوجة واحـــدة نتيجة لحدوث الطلاق او الوفاة ، ويرجع ذلك الى رغبتهم المعروفة فى الابقاء على مختلف جوانب حياتهم سرا .

ومع ذلك فان حالات التعدد الموجودة فعلا لا يتوقع أن تزيد عن ذلك بكثير . فقد ذكر العديد من القصص عن تقدم بعض الأزواج لغجريات رغبة فى الزواج الثانى وذلك لأسباب اجتماعية أو اقتصادية لكن الغجريات رفضن ذلك والسبب هو توقع حدوث مشاكل بين الزوجة الجديدة والزوجة الأولى ، كما ترجع الى رغبة الغجرية فى أن تصبح سيدة بيتها لا أن تكون زوجة ضمن زوجـــات .

وتتعدد الأسباب التى يذكرها الغجر على انها دوافع تدفع الرجال الى الزواج بأكثر من واحدة ، وتدفع النساء الى الموافقة على الزواج برجل متزوج من زوجة أو اثنين أو ثلاثة . واذا كانت الرغبة فى الزواج من أكثر من واحدة تعد سببا أساسيا لتعدد الزوجات فان موافقة امراة على الزواج من شخص يرتبط بزواج آخر لا يقل اهمية عن السبب الأول ، وقد عبرت احدى الغجريات المتقدمات على الزواج من شخص متزوج ويعيش مع زوجته الأولى فى مدينة ست جيرانها بأنه لا يهمها زوجته الأولى اذ هى كبيرة السن ، ولهذا فهى تضمن بقاء الزوج معها فترة أطول من الفترة التى يقضيها مع الزوجة الأولى ، بل انها تأمل أن يأتى اليوم الذى تستولى فيه على المنزل الذى تقطنه الزوجة الأولى فى مدينة ست جيرانها وتسكن هى فيه .



ونحصر الأسباب التى دعت الى حدوث حالات تعدد الزوجات فى المنطقة فيما يأتى : —

١ — حدوث مشكلات مع الزوجة الأولى ادت بالزوج الى ان يفكر فى الزواج من الثانية اما لمضايقتها فيستغنى عنها ، واما لممارسة المعاشرة الزوجية مع اثنين استغلالا لحقوقه .

٢ — إستهتار بعض الأفراد وعدم تقدير مسئولية وتبعات الزواج ادى بهم الى الاقدام على الزواج الثانى .

٣ — الرغبة فى تحقيق هدف مادى : فقد قرر احد الأزواج أنه تزوج اثنتين منهن لكى يقمن بالاستجداء . كذلك تزوج احد الغجر من راقصتين يعيش معهما فى بيت واحد وهو يكسب الكثير من ورائهما . ويقرر أن وجود نوع من المنافسة بينهن يؤدى الى زيادة قدرتهما على العمل وبالتالى زيادة العائد .

٤ — الحاجة الى الرعاية : فقد تزوج احد المسنين من الزوجة الثانية نظرا لأن الزوجة الأولى كانت تخرج للعمل ، فتزوج الأخرى لترعاه فى المنزل حين يخرج أعضاء الأسرة للتجارة فى الأسواق .

٥ — أحيانا تتعدد الأغراض : فهناك حالة تزوج فيها احدهم أربعة زوجات ، وكان هناك هدف وراء كل زواج حتى يبدو ان هذا الزواج كان مجرد وسيلة لتحقيق مصالح معينة . فقد تزوج الأولى وهى ابنة عمه من قرية مجاورة حيث يعمل اخوتها فى الحدادة مثله تماما . وقد توفيت بعد ان انجبت له أربعة أولاد ، ثلاثة منهم استقلوا بعد زواجهم على الرغم من انهم يعملون حدادين مثله ، وبقى واحد منهم يساعده فى أعمال الحدادة . وبعد ذلك تزوج الزوجة الثانية من بلدة خارج ست جيرانها ، يعمل اخوها فى الحدادة ، ثم تزوج الثالثة وهى فلاحة من القرية التى يعيش فيها بهدف أن يقبله اهالى القرية ولا ينكر احد فى طرده منها . فقد كان هذا الزواج محاولة للتقرب الى الأهالى .



ثم تزوج الرابعة وهى ارملة اخيه المتوفى حيث اتفق معها على ان يتزوجها ويزوج بناتها الثلاثة اللائى يعولهن (بنات أخيه المتوفى) لثلاثة من أولاده من زواجه الأول . وتم ذلك بالفعل وكان هو فى سن الستين . ولكنه افترق عن هذه الزوجه بعد فترة من الزمن .

وعلى الرغم من أن توفر المال يمثل دافعا للزواج الثانى لدى غير الغجر وبخاصة طبقة العمال وغير المتعلمين ، الا ان ذلك لم يمثل دافعا بالنسبة للغجر . فلم يكن ثراء بعض الغجر عاملا من عوامل تعدد الزوجات مثلما حدث لبعض الطبقات العمالية فى المجتمع المصرى . فهناك كثير من الغجر المتيسرين اكتفوا بزوجة واحدة ، ومن تزوجوا بأكثر من زوجة كانوا فقراء .

وقد ترتب على الزواج بأكثر من واحدة حدوث بعض المشكلات :
فقد كانت احدى الزوجات تشعر أنها أعلى شأنا من الزوجتين الآخريين بسبب أنها تسكن فى منزل وحدها ، وهى تباهى بأنها لا تحتاج أن يعاشرها زوجها ، وتتظاهر برفضها هذه المعاشرة ، على ان ذلك يمكن ان يعزى لكبر سنها . ولكنها استغلت ذلك لكى تتعالى على الزوجتين الآخريين ، ولهذا فهى تقول انهما متلهفتان على الرجل ، وانهما تعيشان فى مكان ضيق ، وتفضلان ذلك المكان على المعيشة بعيدا عن الرجل . كذلك كانت تتفاخر عليهما بان لها اولادا (من زواج سابق) كبروا فى السن واصبحوا رجالا ولهذا فهم عزوة لها ، الأمر الذى يغنيها عن رغبتها فى وجود زوجها معها كل ليلة .

وفى معظم الحالات السابقة كانت تسكن الزوجتان فى مسكن واحد . وفى حالات نادرة كانت تسكن كل زوجة فى منزل مستقل ، وفى احدى الحالات كانت الزوجة تعيش خارج منطقة ست جيرانها ، وكان الزوج ينتقل ليقضى عدة أيام عند كل منهما . وفى حالة أخرى تزوج الشخص من زوجتين من محافظة أخرى ، فترك الزوج ست جيرانها لكى يعيش مع زوجتيه فى المنطقة التى تعيش فيها كل منهن معيشة مستقلة .

الزواج الثانى :

ولا يعنى عدم انتشار تعدد الزوجات عدم انتشار الزواج الثانى او الثالث . فالغجر يتزوجون للمرة الثانية او الثالثة ، ويحدث هذا بالنسبة للجنسين . وعادة ما يحدث بعد ترمل احد الزوجين او بعد طلاقه . ويحدث هذا سريعا بالنسبة للذكور خاصة اذا كان الشخص فى سن مبكرة . ولكن يذكر بعض الغجر أن معظم الأرامل يتزوجن سريعا ، وخاصة اذا كانت على درجة عالية من الجمال وكان زوجها المتوفى يكبرها بعدد كبير من السنوات .

وفى ضوء ذلك يتزوج الغجرى الزواج الثانى او الثالث بعد الترمل او بعد الطلاق ، يساعد على ذلك ان العزوبة مبدأ مرفوض فى هذا المجتمع ، الا فى حالات كبر السن ، او فى الحالات التى تصر الزوجة فيها على اعالة وتربية ابنائها . وهناك نساء رفضن الزواج الثانى لمجرد علمهن ان الذى طلبها للزواج له زوجات اخريات ويريد ضمها اليهن لمجرد الانتفاع المادى ، وهذا غالبا ما يحدث مع الراقصات .

وسوف نقوم هنا بدراسة احدى الحالات التى تزوج فيها الغجرى باكثر من زوجة ، ولكنه كان يحتفظ بزوجة واحدة فى الوقت الواحد :

فى سنة ١٩٦٥ تزوج عواد الزواج الأول وكان عمره وقتها ١٨ سنة ، وكان زواجا اجباريا تم دون موافقته . فقد تم برغبة امه واتفاقها وحدها . واذا كانت الأم لم تجبر ابنها على قبول الزواج ، الا ان كثرة الحاحها واصرارها على زواجه ، بجانب اتفاقها ودفعها للمهر دون علمه ادى به الى الاذعان بعد ان رفض عدة مرات . فقد ذهبت ودفعت المهر للعروس اولا ثم اخبرته ، وقد تظاهر الابن بالموافقة ولكنه اضمر الشر لأمه ولعروسه . ويلاحظ ان اهل العروس كانوا اقرباء للأم ، وكان هذا هو الدافع وراء اصرار الأم على زواجه من هذه الفتاة . وتم الزفاف وقضى العريس مع عروسه اسبوعا واحدا . وفى الليلة الأولى تم فض بكارتها ، وقد كان فى بقية ايام الأسبوع يقضى النهار فى السوق يبيع بضاعته ، وفى المساء يقضى الليل عند صديق . ومن الطبيعى ان هذه الزوجة لم يكن ممكنا ان تتكلم او تشكوا من عدم

معاشرة زوجها لها فى الأسبوع الأول من الزواج كنوع من الأدب . وبعد مرور اسبوع بدأ عواد فى تنفيذ ما قصده منذ البداية ، اذ اتصل بوالد واخوة العروس واخبرهم بانه يريد تطليقها ، ولما كان هذا الموضوع مثار دهشة ومعارضة من الجميع بما فيهم والدته فقد هدد بقتل اى فرد من عائلتها ، كوالدها او اخوها ، او قتلها هى . ولذلك وافق اهلها فطلقت منه فى اليوم السابع .

ويبدو واضحا فى هذا الزواج انه كان مكيده انتقم بها عواد كنوع من الاعتراض على الزواج الذى اجبرته عليه امه . ويقول عواد انه صمم على ان يلحق الضرر بكل من اشترك فى ترتيب هذا الزواج . فقد اضيرت امه اذ شاهدت انهيار الزواج الذى سعت الى ترتيبه مع اقاربها . وترجع شدة وقع هذا الحدث عليها الى انه حدث بعد اسبوع فقط من الزواج ، وهذا يوضح ان موافقته كانت تهدف منذ البداية الى الانتقام والى الرد السريع على الأم . ومن الطبيعى ان يؤدى هذا التصرف الى ضعف العلاقات بين الأم واقاربها . كما اضيرت ايضا العروس ، ويعود الضرر عليها نظرا لأن عملية التطليق فى اليوم السابع تعتبر عارا بالنسبة لها . وربما يعوق زواجها بعد ذلك مرة اخرى . وقد لحق الضرر باسرتها ايضا ، اذ تحمل اهلها عار تطليق ابنتهم بعد اسبوع من الزواج . وقد انقطعت العلاقة بين الأم والزوج وبين العروس المطلقة واهلها . ومن الملاحظ ان اهلها لم يطالبوا بنفقة ، وربما يرجع عدم اقدام اهلها على طلب النفقة او اية تعويضات الى انهم فضلوا الابتعاد عن رجل شرير منتقم ، كما فضلوا قطع العلاقات معه لئلا يصيبهم منه ضرر اكبر خاصة وأنه لكى يثبت جديته فى الانتقام منهم كان يخلع ملابسه ويجرى عريانا فى القرية مهددا بالانتقام .

وتزوج عواد **الزواج الثانى** ، وكانت الزوجة الثانية ابنة خاله ، تزوجها وانجب منها اربعة بنات وثلاثة اولاد ، وقد طلقها بعد فترة نظرا لأن طباعها لم تتفق مع طباعه ، وقد عادت الى اهلها فى بيت والدها . ورغم مضى وقت طويل على طلاقها الا انها لم تتزوج مرة اخرى املا فى العودة اليه . وقد فاتحه بعض اقاربها فى امر ردها مرة اخرى ولكنه رفض . اما اولادها

فهم فى رعاية جدتهم (ام عواد) اذ يعيشون معها فى منزل مستقل وتتكفل برعايتهم ، غير ان عواد هو الذى ينفق عليهم . ويقول عواد انه بجانب سوء طباع هذه الزوجة كان أهلها سببا فى افساد العلاقة بينه وبينها . فقد كانت دائمة الغضب ، وتركت البيت عدة مرات غاضبة الى بيت ابيها . ويقول الزوج ان الأم كانت تعصيها ، خاصة فى أوقات الحمل اذ كانت توعز اليها بأن اهل زوجها يمكن أن يقدموا لها السم فى الطعام لكى يقتلونها والجنين فى بطنها ، لهذا كانت تفتعل النزاع فى فترة الحمل وتهجر المنزل لتقضى فترة الحمل عند أهلها .

وفى احدى المرات خرجت من المنزل واخذت معها الأثاث الخاص بها . وعندما عاد الزوج ووجد الوضع هكذا اقسم انه سوف يطلقها ولن يردها مرة اخرى . ولكنه اثناء تفكيره فى ذلك وفى نفس الوقت الذى لاحظ فيه سرقة الأثاث كان هناك شرطى ينتظره ويستدعيه الى قسم البوليس وهناك اكتشف انهم يتهمونه بتبديد اثاث الزوجه . واكتشف الزوج فى قسم البوليس انهم يحاولون الضغط عليه للاعتراف بذلك (٣) . فتكلم بجراة وهدد بانه اذا لجأ اى شخص للضغط عليه بأى صورة فانه سيشتكى للسلطات الأعلى . وقال : « أننى لست فلاحا اصمت على الاهانة » . ثم حاول اثبات براءته والتأكيد على ان الزوجة واهلها هم الذين سرقوا وبددوا الأثاث وان هذا البلاغ مكيدة فيه . ونظرا لتشدده وجراته وازاء هذا التصرف اصر على تطليقها فى نفس الليلة وتم الطلاق بالفعل .

وبعد ان طلق عواد زوجته الثانية فكر فى الزواج من ارملة شابة (**الزواج الثالث**) كانت تشترى منه بضاعة من السوق . وكان قد شاهدها اكثر مرة قبل ان يطلق زوجته الثانية ، وقد كان تعرفه بها سببا فى تعجيله بالطلاق

(٣) هناك حالات لجأ فيها الغجر الى البوليس والمحاكم لفض النزعات بينهم . انظر التفصيلات والتحليلات التى تتعلق بهذا الموضوع ، وبمدى خضوع الجماعة للقانون المصرى فى فصل التكامل القانونى للغجر مع المجتمع المصرى .

من الزوجة السابقة حيث أنه كان يفكر اساسا ان يتزوج الأرملة لتعيش مع الزوجة الأخرى فى نفس البيت اغاظة لها خاصة بعد أن احتدت المشكلات بينهمـــا .

وعندما طلب عواد الأرملة رفض اخوتها فى البداية وذلك بسبب سوء سلوك عواد وبسبب ما عرف عنه من انه يتصف بروح الانتقام ، حتى أن احد اقاربها قال : « احنا مالنا وماله ، احنا مش اد الشخص ده » . وقد توسط بعض الغجر ولكن استمر اخوتها يرفضون اى طلب ، حتى قابل عواد الأرملة فى السوق وسألها عن رايها فوافقت ، وقد استخدم عواد هذه الموافقة للضغط على أهلها ، وتمت الموافقة بحضور مجلس من كبار الغجر .

واذا كانت دراسة حالة عواد تطلعنا على حالة من حالات زواج الشخص أكثر من مرة دون ان يكون ذلك من قبيل تعدد الزوجات ، فانها تعكس لنا ايضا الملابسات التى ترتبط بظاهرة الزواج وظاهرة الطلاق لدى الغجر وهذا أيضا موضوع اهتمامنا فى هذا الفصل .

الزواج من الخشمانة « غير الغجر » (٤) :

يحرص الغجرى على الزواج من غجرية ، وتعتبر هذه القاعدة احدى القواعد الأساسية التى يهتم بها الغجر وقد ادى اتباع هذه القاعدة الى دعم الحواجز بين الغجر وغيرهم . ولكن هناك بعض الحالات التى تخطى فيها الأفراد هذا الحاجز وتزوجوا من غير الغجر . وعلى الرغم من أن هذه الحالات ليست كثيرة الا اننا نهتم اهتماما شديدا ، أكثر مما يهتم بها اى دارس للغجر فى مناطق اخرى ، ذلك انه ليست هناك موانع دينية أو قومية أو لغوية تمنع هذا الزواج ، ولا توجد اية موانع اخرى مثل تلك التى توجد فى مجتمعات اخرى والتى يعبر عنها فى ضوء مفهوم النجاسة Maremé (٥) ،

(٤) يطلق الغجر على « غير الغجر » « كلمة الخشمانة » والمفرد « خشمنى » وهذه الكلمة لها مدلولات كثيرة احدها أن الخشمنى هو الشخص « المغفل » . وقد ورد تحليل ذلك فى فصل اللغة .

(٥) تعبر كلمة Mareme عن النجاسة ، وهى مصطلح يستخدم لدى جماعات غجرية فى اوربا ، وعندما يطلق على شخص او جماعة أو شىء فلابد من تحاشيه او تجنبه لكى يتفادى الانسان العدوى بالتلوث والنجاسة .

ومع ذلك يظل الفجر وغير الفجر على السواء غير موافقين على تخطى هذا الحـــاجز .

وقد تم تسجيل ١٩ حالة زواج بين الفجر وغير الفجر فى منطقة ست جيرانها موزعه فى سبع قرى والمدينة كما يلى : ـــ

١ ـــ حالة كل قرية من اربعة قرى هى : كدابة الكبرى ، وصدفة ، والنداهة ، الطرمبة .

٢ ـــ تسع حالات فى ثلاث مناطق هى : سنهم ، ومدينة ست جيرانها ، وقرية الرغايات ، بواقع ثلاث حالات فى كل منطقة (قرية أو المدينة).

٣ ـــ ست حالات فى قرية واحدة هى : « لونـــة » .

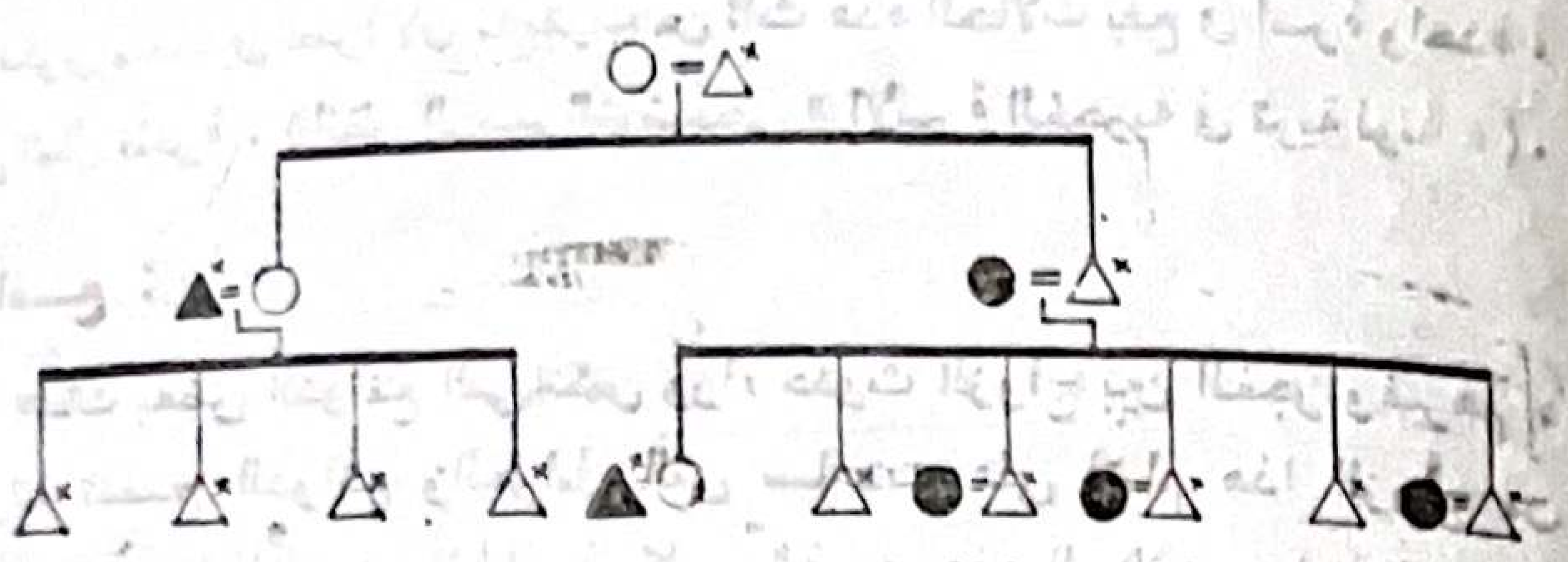
اما عن توزيع هذه الحالات بين الأسر المختلفة فقد تمت كما يلى : ـــ

١ ـــ حالة زواج واحدة فى كل اسرة من تسع اسر غجرية مختلفة .

٢ ـــ اربع حالات موزعة على اسرتين بواقع حالتين فى كل اسرة .

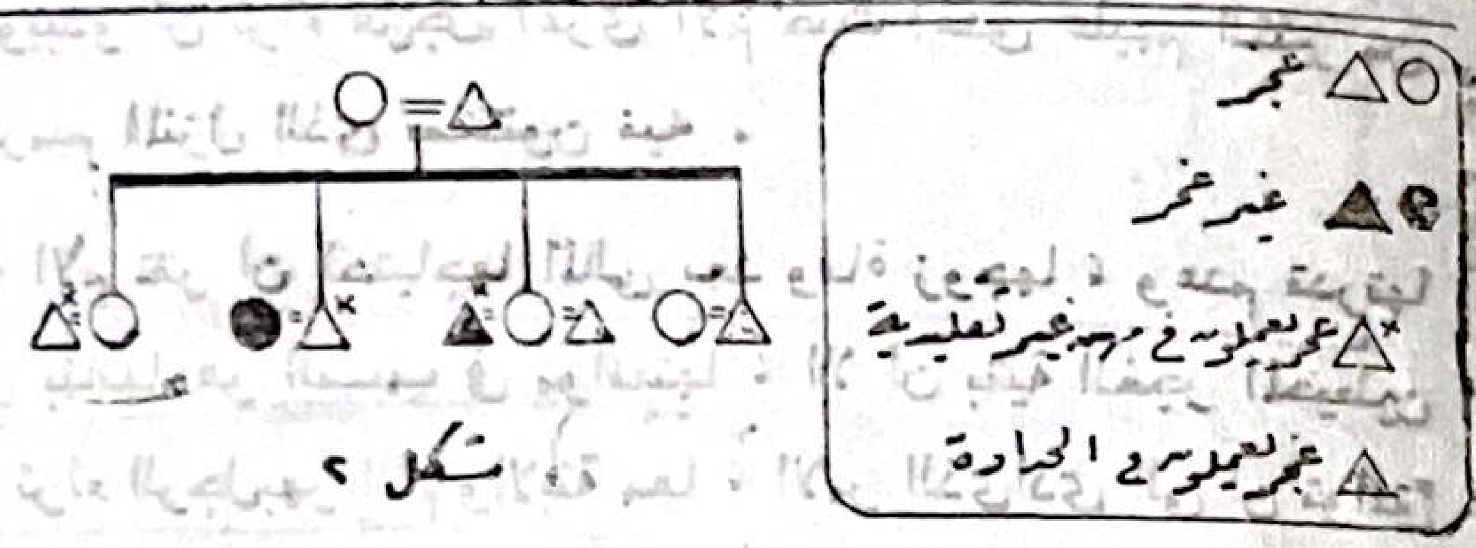
٣ ـــ ســت حالات تمت فى اسرة واحدة اذ تزوج فرد واخته واربعة من ابنائه من غير الفجر .

الزواج من غير الفجر



شكل ١ اسرة لونه تمثل اقصى تطور للزواج من غير الفجر

شكل ١



شكل ٢ المهنة والزواج من غير الفجر

أما عن التوزيع المهنى لمثل هذه الحالات فهو كما يلى :

عدد الذين تزوجوا من غير الفجر من الرجال والنساء ممن يعملون فى المهن التقليدية للفجر (حدادة ـــ سمكرة ـــ أعمال صوف ـــ خردوات) ١٣ حالة ، بينما وقعت ست حالات من أسر صوافة وست حالات فى اسر فى مهن غير تقليدية . واذا أخذنا فى اعتبارنا أن الحالات الست الأخيرة تقع فى اسرة واحدة تعمل فى أعمال غير تقليدية وباستثناء هذه الأسرة الشاذة تكون **أكبر نسبة ممن تزوجوا من غير الفجر يعملون فى المهن الفجرية التقليدية والذين استقروا فى المنطقة مدة طويلة** ، وهذا يعكس اثر الاستقرار وتكوين علاقات مع غير الفجر على هذه الظاهرة .

على اننا اذا اردنا ان نستخدم اعداد الأسر التى تزوج افراد منها من غير الغجر لكى ننسبها الى عدد حالات الزواج بصفة عامة ان ناخذها بحذر ، والا نكون متفائلين نظرا لأن ما يقرب من ثلث هذه الحالات يقع فى اسرة واحدة ، وهى تمثل طفرة . (انظر الرسم التوضيحى « الأسرة الغجرية فى قرية لونة ») .

الدوافــع :

هناك بعض الدوافع التى تكمن وراء حدوث الزواج بين الغجر وغيرهم ، وسوف تتضح الدوافع والعوامل التى ساعدت على اتمام هذا الزواج من خلال مناقشتنا للظروف الخاصة بكل حالة من هذه الحالات سابقة الذكر .

فقد زوجت احدى السيدات ابنتها من سائق غير غجرى يمتلك سيارات نقل ، وقد كان السائق على علاقة بشخص غجرى ، ومن خلال تردده على المنزل شاهد الفتاة الغجرية فأعجب بها وقرر الزواج منها فى الحال . وبنفس السرعة وافقت الأم . ويبدو ان ثراء الرجل اغرى الأم حيث اغدق عليهم الكثير من المال كما قام بترميم المنزل الذى يسكنون فيه .

واذا كانت الأم تقر ان احتياجها المالى بعد وفاة زوجها ، وعدم قدرتها على الانفاق على بناتها هو السبب فى موافقتها ، الا ان بقية الغجر المحيطين بها يقررون أن ثراء الرجل بهر الأم والابنة معا ، الأمر الذى ادى الى ان توافق الأم على زواج ابنتها من فلاح متزوج بأخرى فلاحة . **فقد وافقت الأم على ان يترك الزوج ابنتها بعد الزواج تعيش معها فى نفس المنزل** ويأتى ليعيش مع الزوجة يومين او ثلاثة فى كل شهر ، بينما يقضى هو بقية ايام الشهر مع زوجته الأولى فى مدينة القاهرة حيث مقر عمله . وهنا نلحظ ان الموافقة تمت على اوضاع لا تعطى للحياة الزوجية فرصة التكامل الطبيعى الذى يتطلب معيشة الزوجين معا . وتعتبر هذه الحالة هى الحالة الوحيدة التى اتفق فيها على عدم اقامة الزوج غير الغجرى مع زوجته الغجرية بصفة دائمة . وتعتبر الحالة الثانية التى قبل الزوج ان تعيش زوجته الغجرية بين الغجر بعد زواجه من غجرية (٦) .

(٦) الحالة الأولى كانت حالــة شخص فقير تزوج من غجرية ، واذا —

وفى قرية أخرى تزوج غجرى يعمل حلاقا من غير غجرية يعمل والدها حلاقا . وربما كانت تشابه المهنة ونشوء علاقات بين الغجرى ووالد الفتاة سببا فى اتمام هذا الزواج . وتزوج غجرى آخر من زوجة غير غجرية ، وقد تبين أن هذه الزوجة غير الغجرية قد تزوجت قبل ذلك مرتين وطلقت فى كل منهما . كما تبين ان الزوج رضى بهذا الزواج رغبة منه فى أن يتقرب لأهل القرية ، وأن يشعرهم انه واحد منهم . وعلى الرغم من انه واجه صعوبات من اهله الا انه فضل الزواج على ارضاء اهله هؤلاء . واذا نظرنا نظرة اعمق للظروف المحيطة بهذا الزواج نجد ان ثمة عوامل مهدت لأن يزوج الفلاحون ابنتهم من الغجرى ، فهى كبيرة السن وتزوجت مرتين قبل ذلك وطلقت .

ولم يكن الزواج يهدف فى هذه الحالة الى تكوين الأسرة بقدر ما كان يهدف الى تحقيق امن الغجرى فى المنطقة . فالزوجة لم تكن على درجة من الجمال او الصبا حتى يدفع ذلك الغجرى الى الزواج منها ، كما لم يكن هدفه الانجاب اذ انها كانت تبلغ ستين عاما عند زواجها منه . كما لـم يدفعه العامل الاقتصادى للزواج منها اذ ان الغجر يدركون جيدا ان الفلاحة لا يمكن ان تكون قوة عاملة او مصدر كسب بالمقارنة بالزوجة الغجرية .

وقد علل غجرى رغبته فى الزواج من فلاحة وتفضيله اياها عن الغجرية بأن الفلاحة ستكون كالمادة « الغفل » « خام » ، لا تعرف اسرار وخبايا الغجر ، لهذا يمكن له ان يشكلها كما يريد . اما الغجرية فهى تعرف كل شىء وبالتالى تناقش وتجادل فى كل المسائل .

كذلك عللت احدى الغجريات المتزوجات من زوج فلاح فى اسرة متنقلة بالمنطقة قبولها للزواج منه بانه ما دام يتركها « تسرح » (تستجدى) فهى تقبله زوجا .

لا يستطيع اعالتنا ، فقد قبل ان يعيش معها فى بيت والدها . وسوف نتحدث عن هذه الحالة فى موضعها المناسب فى هذا الجزء . اما بقية الحالات فان الزوج غير الغجرى استقل بزوجته الغجرية عن اهلها .

اما بالنسبة لغير الغجر فغالبا ما كان عامل الفقر سببا وراء موافقتهم على تزويج بناتهم من الغجر ، كذلك دفعتهم ايضا الرغبة فيما يسمى «بسترة البنت بالزواج» ـ خاصة اذا كانوا فقراء وكان الغجر اغنياء ـ الى الموافقة . فقد تزوج غجرى من فلاحة يبيع والدها الخضر فى قفص صغير فى احد الشوارع الجانبية ، وقد استغل المستوى المادى المنخفض الذى يعيش فيه الأب فى تعيير ابنته بعد زواجها من الغجرى . وقد ذكر شخص من غير الغجر انه تزوج غجرية لأنها تدر له دخلا ، وان ما تجمعه من مواد غذائية واطعمة يوميا يعطيه فرصة للراحة ، اذ يجلس فى الخيمة يوميا انتظارا لما تعود به من مال وغذاء . وهناك حالة أخرى لغجرية تزوجت من فلاح فقير يعمل فى « تقليم النخل » . وتعيش الغجرية مع زوجها الفلاح فى بيت والدها حيث يقوم بالانفاق عليهما .

وقد كان لعامل الجوار اثره فى وجود علاقات بين الغجر وغير الغجر ، واثره الفعال فى تخطى الحاجز الذى يمنع التزواج بين الجماعتين ، فقد سبقت كل حالات الزواج من غير الغجر علاقات وثق فيها كل طرف من الطرف الآخر ويندر وجود حالاتزواج تمتدون أن يسبقها علاقات. وقد ادت العلاقات الناجحة التى استمرت فترة طويلة من الزمن دون حدوث مشكلات اساسية الى تعميق الثقة الأمر الذى ادى الى الزواج . وقد حدث ذلك على وجه الخصوص بالنسبة للغجر الذين يعملون فى اعمال غير تقليدية . ومن امثلة ذلك ان هناك غجرى يعمل كهربائيا تزوج من فلاحة اثناء تواجده فى مدرسة فى محافظة أخرى اثناء فترة الامتحانات ، اذ تعرف على اخوتها . وفى حالة اخرى كان غجرى يعمل فى احد المصانع وكانت تربطه علاقة صداقة بزميل غير غجرى ، وقد تردد الزميل على منزل الغجرى ، وبعد فترة تزوج اخته .

ولكن هناك اسبابا غير متكررة ادت الى موافقة غير الغجر على الزواج من الغجر ، ففى حالة الغجرى الذىتزوج من غير غجرية لتحقيق أمنه وضمانا لعدم طرده من المنطقة ، رفض اخوتها وعمها (ولى امرها) تزويجها من الغجرى فى البداية . ولكن عندما احتدم النزاع بين اخوتها وبين عمهم المتسلط ارادوا اغاظته وهو على سرير المرض ، فوافقوا على تزويجها للغجرى .

على اننا اذا نظرنا نظرة أعمق الى الدوافع والعوامل التى ذكر الغجر وغير الغجر انها شجعتهم علـى تخطى الحاجز الذى يمنع التزواج بين اعضاء الجماعتين نجد ان بعضها يمكن قبوله كدوافع حقيقية ، وبعضها لا يمثل دوافع او عوامل حقيقية . فعامل الفقر الذى دفع بعض الفلاحين الى تزويج بناتهم للغجر ، وتوفر قدر من الثقة نتيجة توطيد العلاقات بين الغجر وغير الغجر ، ومحاولة غجرى تحقيق امنه واستقراره فى المنطقة بالزواج من غير الغجر تعتبر كلها دوافع حقيقية . اما زواج الغجرى من الفلاحة لمجرد انها « خام » او نظرا لتمتعها بدرجة عاليه من الجمال ، او موافقة الغجرية على الزواج من شخص غير غجرى لأنه يتركها تستجدى دون قيود فانها كلها اسباب لا تقوى على ان تدفع هؤلاء الأفراد لتخطى هذا الحاجز الصلب . وعلى هذا فهناك من الدوافع والأسباب ما لم يفصح عنه الغجر وغير الغجر على السواء .

مشكلات الزواج من غير الغجر :

على الرغم من استمرار كثير من الزيجات التى تمت بين الغجر وغير الغجر ، الا ان هذا الاستمرار لم يكن يعنى عدم وجود مشكلات أساسية ، ففى حالات كثيرة لم يحدث الطلاق ولكن ظلت المشكلات قائمة . ويمكن ان تعكس لنا الشكوى والاتهامات المتبادلة بين الغجر وغير الغجر طبيعة واسباب هذه المشكلات . فمن جهة الغجر ، وبالذات فى الحالات التى تزوج فيها الغجرى بزوجة غير غجرية وأتى بها لتسكن مع غجريات أخريات ، كان سبب الخلافات فى كثير من الأحيان عدم تمكن الزوجة غير الغجرية من ان تكيف نفسها للمعيشة مع الغجريات الأخريات . وقد اشتكى الغجر من ان الفلاحة لا تشارك فى مختلف الأنشطة والمناسبات الخاصة بالغجر ، ولا تندمج اندماجا كاملا مع اقارب زوجها الغجرى . وتظهر عدم قدرتها على التكيف فى محاولتها تجنب الوجود بين الغجريات ، وبسبب ذلك انهن يظهرن الاستهانة بها دائما ، ويرمينها بكلمات تدل على انهن ينظرن اليها على أنها ادنى منهن شأنا . وهى تقابل هذا بأن تنعتهن بأنهن غجريات . ونتيجة لهذه المواقف التى تنتهى غالبا بمشاجرات خاسرة تتجنب الفلاحة الوجود مع الغجريات الأخريات .

اما من جهة الزوجة غير الغجرية فهى دائمة الشكوى مما تعانيه من اقارب زوجها ، فقد اشتكت بعضهن من ان الغجريات كن يتهكمن عليها ساخرات من عدم معرفتها لغة الاستجداء ، بالاضافة الى ان الغجريات كن يستخدمن الرطان الغجرى الذى لا تفهمه الفلاحة لاغاظتها ، ثم ينفجرن فى الضحك . ومع ذلك فقد ظلت بعض الفلاحات صابرات على هذه الأوضاع طالما ان العلاقة مع الزوج الغجرى (العلاقة الزوجية) كانت موفقة .

وقد كانت هناك عوامل ونماذج اثرت على توفر عامل الثقة بين الغجر وغير الغجر . فقد ادى سلوك بعض الأزواج الى ان تفقد الزوجة الفلاحة الثقة فى زوجها . ففى احدى الحالات تقدم غجرى للزواج من فلاحة وقرر انه غير متزوج ، وبعد ان تزوجها وجاء بها الى منزله وجدت به سيدة اخرى ، وكذب الغجرى عليها وافهمها انها احدى قريباته . وبعد خمسة عشر يوما بدأت المشاجرات بين الزوجة الغجرية وبين العروس الفلاحة ، وتفاقم الشجار الذى ادى الى التشابك بالأيدى خرجت على اثرها العروس الى بيت الجيران الذين اخبروها انها زوجته . وقبلت الزوجة الفلاحة رغم كل ذلك ان تعيش مع الغجرية وظلوا فترة طويلة الى ان انجبت الزوجة الفلاحة أولادا وبنات فبدأت الغيرة تدب فى نفس الزوجة الغجرية واثارت عدة مشكلات فاضطر الزوج ان يطلقها وان يبقى على الزوجة الفلاحة . واذا كانت العلاقة بينها وبين زوجها قد تحسنت بعد ان طلق الزوجة الغجرية ، وبعد أن وافق على الا تكون للزوجة الفلاحة اية صلة باقربائه الغجر ، الا ان كذبه ادى بها ان تفقد الثقة فى الغجر تماما ، وذكرت انه اذا كانت لها اخت اخرى فانها لن توافق على ان تتزوج من غجرى . وفى هذه الحالة لا يعد استمرار الزواج وعدم وقوع الطلاق مؤشرا على تخطى حاجز عدم الثقة بين الجماعتين .

وقد اتضح عدم توفر الثقة عندما تزوج شخص من غجرية ، وكان يعيش معها فترة تواجده بالمنطقة ثم يسافر الى أهله بالصعيد ، ولكنه بعد فترة طلب ان تسافر معه لكى تعيش بين اهله فى الصعيد ، وقد رفض اهل الزوجة ذلك — رغم وجود الرغبة لدى الزوجة — لأنهم لا يثقون فى اهله

ويخشون ان يسببوا لها اى مكروه ، كان يسقطوا جنينها ، أو يقتلوا طفلها ، او يقتلوها عن طريق دس السم فى الطعام عندما يعلمون انها غجرية .

وقد بقيت الحواجز قائمة تحول دون السيولة الطبيعية للعلاقات بين الأقارب حتى على الرغم من قبول غير الغجر لكى يكونوا اقارب بحكم الزواج . فالغجر يظلون **ينظرون لغير الغجرى على انه غريب** ، وعليه الا يشارك ولو بالراى فى شئونهم الخاصة . ففى احدى المناسبات حاول الزوج غير الغجرى ان يبدى رايا فى كيفية ترتيب المأتم الخاص بوالد زوجته الغجرية ، ولم يعجب رايه الغجر ، فما كان من شقيقها الا ان قاطعه فى الكلام قائلا : « انت غريب وليس لك كلمة عندنا » . وخرج الغجر من الجلسة يباهون بما حدث وكيف ان الغجرى « هت فيه ... وخلاه زى الكلب » . وقد اجاب احد أفراد الغجر عن سؤال حول مدى ثقتهم فى ان يتركوا ابنتهم مع زوج غجرى قائلا ان الشخص الذى يتزوج من بناتنا يكون محصورا بيننا كمن هو محصور بين زوايا مثلث .

نماذج الزواج الناجح بين الغجر وغير الغجر :

على الرغم من وجود مشكلات خاصة بالزواج بين الغجر وغير الغجر ، الا أن بعض الحالات قد حققت نوعا من النجاح ، ومعيار النجاح فى هذه الحالة هو استمرار الزواج فترة طويلة من الزمن دون حدوث مشكلات أساسية تؤدى الى الطلاق . وفى حالات كثيرة نجحت الزوجة غير الغجرية فى كسب ثقة زوجها واستطاعت ان تجذبه الى جانبها .

بالاضافة الى ذلك فان هناك اسرة تمثل تطورا ، بل انها تمثل طفره — كما ذكرت قبل ذلك — فى مجال الزواج من غير الغجر . ويمكن أن نعتبرها نموذجا للتغير نظرا لأن الزواج من غير الغجر لم يحدث بالنسبة لابن او ابنة واحدة ، بل انه حدث بالنسبة لأكثر من شخص فى نفس الأسرة . وهو اذا كان يدل على التغير فهو يدل ايضا على ثبات الاتجاه نحو قبول الزواج من غير الغجر ، خاصة وانهم قبلوا زواج البنات من غير الغجر . ففى هذه الأسرة تزوجت احدى البنات أولا من غجرى ثم بعد ذلك من فلاح ،

ثم تزوج ابنان آخران من فلاحات . وبذلك يكون ثلاثة من بين اربعة ابناء تزوجوا من الفلاحين . ذلك هو نموذج اسرة « لونة » وهو اقصى تغير حدث فى هذا المجال فى المنطقة .

وهناك حالة اخرى من الحالات الهامة جدا ، اذ تعتبر نموذجا قويا لتخطى الحاجز الصلب بين الغجر فيما يتعلق بالزواج ، وهى ايضا تعكس متغيرات متعددة متداخلة ادت بالغجر ان يفضلوا العلاقة مع غير الغجرى على العلاقة مع الغجر ، — وهذا ما سيتضح من التحليل — كما انها تعتبر من حالات الزواج التى استمرت تتحدى قيم الغجر وغير الغجر على السواء . وقد تم هذا الزواج الفريد بين شخص غير غجرى وبين فتاة غجرية . وليس العكس كما هو معتاد فى معظم حالات الزواج بين الغجر وغير الغجر . وبدات احداث هذا الزواج عندما سكن موظف بهيئة حكومية بجوار احدى الأسر الغجرية وكان رب هذه الأسرة يعمل حدادا ، وهو حداد القرية الوحيد الذى يعرفه الجميع ، وكان له عدة بنات احداهن « امينة » التى تزوجت الموظف غير الغجرى .

وبحكم علاقات الجوار القوية التى توجد دائما بين الجيران فى القرية ، تكونت علاقة بين الموظف وبين هذه الأسرة الغجرية . وساعد على توطيد هذه العلاقة عاملان اساسيان ، **الأول** : ان وظيفة هذا الشخص لها اهمية فى القرية . **والثانى** : هو ان الغجر حينما يأمنون احدا من غير الغجر ويثقون فيه نتيجة التعامل معه تصبح علاقاتهم به علاقة قوية . واذا كان من النادر ان يقيموا علاقاتاولية مع غير الغجر ، الا انه ثبت أن هناك افرادا قلائل — منهم هـذا الموظف — استطاعوا ان يصلوا بهذه العلاقات الى مسـتوى العلاقات الأولية . ومن المتوقع ايضا ان يكون الموظف قد حاول توطيد علاقته مع الأسرة بصفة خاصة وبصورة متعمدة بعد ان وقع فى حب الفتاة ، او بعد ان تكونت العلاقات السرية بينهما .

وبدات العلاقة تتضح عندما انتشرت الشائعات عن وجود علاقة بين الموظف وبين امينة ابنة الغجرى . ويلاحظ انه نظرا لأن اسرة الموظف تعيش

فى مدينة اخرى بعيدة ، فلم يقع عليه اية ضغوط من اقاربه للابتعاد عن الغجرية ، بينما كانت الشائعات وما يترتب عليها من ضغوط تقع على الأسرة الغجرية ، وعلى الفتاة نفسها . وكان مصدر الشائعات اهالى القرية من الفلاحين حيث انهم بحكم تقاليدهم لا يقبلون مثل هذه العلاقات ، كما انتشرت الشائعات ايضا بين الغجر الذين يسكنون قرى اخرى محيطة . وقد حاولوا تحريض الأب ضد ابنته ، وحثوه على حسم الأمر طالما ان الزواج لم يتم لأن الموظف غير غجرى .

ونظرا لأن الشائعات لم تتوقف فقد اجتمع الغجر من مرة ، وانتهوا الى ان الحل الوحيد (فى نظر الغجر) هو أن تتزوج الفتاة من غجرى ، فتنتهى الشائعات من ناحية ، وتنقطع العلاقة من ناحية اخرى . وكان لرب الأسرة شقيق آخر يعمل حدادا يعيش بأسرته فى القرية المجاورة ، ولما كان ما يثار على ابنة اخيه من شائعات يعتبره ماسا به شخصيا ، فقد حاول ان يحل المشكلة بأن يزوج ابنه من ابنة اخيه . وفعلا تقدم للفتاة الغجرية ابن عمها الغجرى ، وتم الزواج حيث لم تستطع امينة ان تقاوم .

غير ان الشائعات لم تنقطع ، وظلت تؤكد ان العلاقة بين الزوجة الغجرية والموظف ما زالت قائمة . ولعل اهم العوامل التى ساعدت على استمرار هذه هذه العلاقة تجاور القريتين ، فقد انتقلت امينة بعد الزواج من بيت ابيها الى ابن عمها فى القرية المجاورة . ولم يكن من الصعب أن تعود الى قريتها التى لا تبعد عن قرية زوجها الجديد سوى بضعة كيلو مترات . ويقرر الأقارب أن الغجرية لم تكن موفقة مع زوجها او مع اهله الذين يسكنون معها فى نفس المنزل . وكانت كثيرة الخروج من المنزل . واستمر هذا الزواج قرابة العامين انجبت خلالهما طفلا . وفى احد الأيام وبدون مقدمات جمعت ملابسها وكل حاجاتها وغادرت المنزل صباحا حينما كان زوجها خارج المنزل . وعندما شعر اهل الزوج أن شيئا غريبا قد حدث اسرع خلفها شقيق زوجها ، ولحق بها فى الطريق ، واخذ منها ما كانت تحمله ، غير انها تركت كل شىء وهربت الى بيت ابيها .

وقد دبت الخلافات الحداد الغجرى واخيه منذ تركت امينة منزل زوجها

وحاول كبار السن عقد مجلس لمناقشة الأمر ، الا أن الخلاف بين الأخوين تطور الى مشاجرة ، وفض المجلس دون الوصـــول الى حل . وفى احدى المرات تقابل افراد الأسرتين فى المدافن اثناء « الطلعة » فتشاجروا ايضا . وبعدها عقد مجلس آخر حاول فيه الغجر انهاء الخلاف بين الأسرتين ، الا أن القطيعة استمرت بينهم لمدة عام . ولأول مرة تصل القطيعة بين الغجر الى حد أن يمتنع شخص غجرى عن القيام بواجب العزاء فى وفاة غجرى من أسرة اخرى . ونظرا لتأكد كل طرف من عدم امكانية عودة الحياة الزوجية الى الوضع الطبيعى مرة اخرى فقد طلبت اسرة امينة الطلاق ، ووافقت الأسرة الاخرى فى الحال . وفوجىء الغجر وغير الغجر بعد فترة أن امينة قد تزوجت الموظف . وقد برهن لهم هذا على أن الشائعات التى انتشرت واكدت أن العلاقة مع الموظف كانت مستمرة حتى بعد الزواج كانت صحيحة، هذا على الرغم من تأكيد المدرس وامينة أن سبب طلبها للطلاق هو أن ابن عمها كان دائم الشجار معها ، وكان يذلها بسبب علاقتها السابقة بالموظف ، وهذا ما دفع الموظف الى الاصرار على الزواج منها بعد طلاقها . وتعيش امينة الغجرية مع الموظف منذ سنوات بعد أن انجبت منه اكثر من طفل حياة هادئة مستقرة . ويقرر الغجر وغير الغجر على السواء — كما تقرر ذلك امينة والموظف — أن العلاقات الزوجية حسنة وسعيدة ، وأن الزواج موفق .

الطـــلاق :

كان البحث — فى مجال علاقات الزواج وما يرتبط بها من ظواهر — يهدف الى التعرف على حالات الطلاق التى حدثت بالنسبة لغجـــر المنطقة ومحاولة حصرها ، ولكن اتضح بعد ذلك انه من الصعوبة بمكان اجراء هذا الحصر نظرا لأنهم ينكرون حالات الزواج السابقة والتى انتهت بالطلاق ، فكثيرا ما اخبرت عن ازواج سبق لهم التطليق ، وعن زوجات كن مطلقات (قبل الزواج الأخير) فى حين لم يذكروا هم شيئا عن ذلك . وحتى عندما كنت احاول التساؤل عن الملابسات الخاصة باحدى حالات الطلاق لم يكن ذلك يلقى قبولا منهم . ولكن ما تأكد لى هو أن هناك من الرجال من تزوج

وطلق اكثر من مرة ، ومن النساء من تزوجن وطلقن اكثر من مرة ايضا . وقد وصل عدد مرات الزواج ثم التطليق عند بعض الغجر الى خمس مرات .

والغجرى يمكنه أن يطلق زوجته بسهولة ، ولكن لا تملك هى حـــق تطليقه ، ولهذا ففى الحالات التى رفضت فيها الزوجة استمرار الزواج وطالبت بالطلاق كان اللجوء الى المحكمة طلبا للفصل فى الموضوع والحـــكم بالطلاق هو الحل الوحيد لكى تحصل على الطلاق . وقد كانت فى المنطقة حالات الح فيها اهل الزوجة فى طلب الطلاق رغبة فى التخلص من الزوج ، ولكنه رفض تطليقها مع ابقائها بعيدا عنه ، وذلك لاذلالها حتى لا يمكنها الزواج من غيره . وقد فصلت المحكمة فى بعض هذه الحالات . وهناك حالة اخرى اجبر فيها اهل الزوجة زوجها (وهو ابن عمها) على تطليقها لكى تتزوج من شخص آخر .

ويعتبر الخلاف بين الزوج والزوجة من أهم مسببات الطلاق (٧) . ففى كثير من الحالات كان عدم التوافق الزوجى ســـببا فى حدوث الطلاق بعد استمرار الخلافات فترة طويلة من الزمن .

وقد قاد العقم ايضا الى حدوث خلافات ثم الى الانفصال او الطلاق . وفى احدى الحالات اتهم زوج زوجته بالعقم ، وبأنها مسئولة عن عـــدم الانجاب ، ورغم انها عرضت نفسها على طبيب واتضح انها ليست عقيما ، ورغم أن الزوج تزوج من اثنتين قبلها ولم ينجب منهما الا انه طالبها بالعودة الى بيت ابيها دون أية محاولة منه لعرض نفسه على طبيب ، وقد طالبه اخوتها بالطلاق ولكنه ظل يرفض تطليقها ، ويرفض ردها الى بيته ، الأمر الذى سبب كثيرا من المشاجرات بينه وبين اخوتها . واذا كان الرجـــال من الغجر لا يلجأون الى الطلاق فى كل الحالات التى تكون الزوجة فيها عقيما ، فان لجوء الرجل الى الزواج الثانى ، ثم حدوث مشـــكلات بين

(٧) اذا كنا اعتبرنا أن الخلافات بين الزوج والزوجة مسبب لطلاق ، فان الخلافات هى محصلة لعوامل اخرى .

الزوجين ادى فى كثير من الحالات الى حدوث الطلاق ، وبهذا ظل العقم هو السبب الأساسى غير المباشر للطلاق .

وقد كان **صغر سن الزوجة** ، وعدم ادراكها لمسئوليات الحياة الزوجية سببا فى حدوث مشكلات قادت الى الطلاق ، فقد اكثرت احدى الزوجات من هجر بيت الزوجية الى بيت ابيها دون وجود اسباب قوية ، ويقول الغجر ان صغر سنها هو السبب الذى يكمن وراء ظاهرة الهروب الى بيت والدها ، فقد كان لديها دائما الحنين الطفولى الى العودة الى بيت ابيها . وعندما نفذ صبر الزوج فكر فى تطليقها .

وفى بعض الحالات لم تكن **المشكلات بين الزوج والزوجة** هى العامل المؤدى الى الطلاق ، بل كانت المشكلات بين الزوجة واهل الزوج . فلم تستطع بعض الحموات التوافق مع زوجة الابن ، فقد كانت الحماة فى احدى هـــذه الحالات شخصية مسيطرة قوية وعندما احتدمت الخلافات اجبرت الزوجة على ترك المنزل . واذا كانت الأم تغمرها الفرحة عندما يرزق ابنها بولد ، فعندما كانت هناك خلافات بين الحماه وزوجة الابن ، فقد كان مثارا لحزنها ان تسمع ان زوجة ابنها حامل ، بل وتحاول تكذيب الخبر فى الشـــهور الأولى لحمل زوجة الابن ، ذلك ان الانجاب ســـوف يعطى للزوجة مكانة اكبر لدى الزوج ، وفى الأسرة بصفة عامه . وفى حالة اخرى نشأت المشاكل بين الزوجة وبين حماتها بفعل ظروف اخرى ، فقد عاشـــت الزوجة مـــع حماتها فترة طويلة ، وعندما جند الزوج لم تجد الزوجة راحة أو سلاما مع الحماه فهجرت بيت الزوجية ، ولكنها عادت بعـــد ان انهى زوجها فترة الخدمة العسكرية .

وفى حالات اخرى كان سبب المشكلات التى ادت الى الطلاق **اهـــل الزوجة** . فقد اجبر أب ابنته على هجر بيت الزوجية لمصلحته الشخصية . وكان قد زوج ابنته لابن اخيه المتوفى ، وبعد ذلك طلب ارملة اخيه (الراقصة) زوجة له على ان يضمها الى زوجته الأولى ، ولكنها رفضت بدعوى انها تود التفرغ لتربية اولادها ، فما كان منه الا ان أمر ابنته ان تترك زوجها وتعود

الى بيتها الى ان توافق ارملة اخيه على الزواج منه . ووعد بأنه سيطلب الطلاق اذا لم توافق الأرملة على الزواج منه .

وقد حدثت حالات طلاق كثيرة فى المنطقة بسبب **تعدد الزوجات** . فقد ادى حدوث مشاكل اساسها الغيرة بين الزوجات الى ان يحل الزوج المشكلة بتطليق زوجة منهن . وفى حالات اخرى اهمل الزوج الزوجة الأولى بعد زواجه من الثانية ثم طلقها بعد ذلك .

وتنتشر فى المنطقة ظاهرة اخرى هى **ظاهرة الافتراق المؤقت أو الهجر المؤقت** ، وقد قادت هذه الظاهرة فى بعض الأحيان الى الطلاق . وفى احيان اخرى لم تؤد الى ذلك . فقد كثرت فى المنطقة حالات الافتراق بين الزوجين لعدة ايام او عدة اسابيع ، وفى بعض الأحيان لعدة شهور . وقد وصلت هذه الفترة فى حالات قليلة الى عدة ســـنوات . وغالبا ما تم الطلاق فى الحالات الى طالت فيها فترة الافتراق بين الزوجين ، او فى الحالات التى تكرر فيها هجر الزوجة لمنزل الزوجية او طرد الزوج لها وأمرها بأن تعود الى منزل اهلها .

وقد تكرر حدوث هجر الزوجة لمنزل الزوجية فى الفترة التى يؤدى فيها الزوج الخدمة العسكرية كما ذكرت . واذا كانت هذه الحالات قليلة فى المنطقة ، الا انها حدثت لدى بعض العائلات ، خاصة تلك العائلات التى وجدت نفسها فيها منفردة مع حماتها ، ولم تجد حتى لقمة العيش لتأكلها . فى هذه الحالة فضلت الزوجة العودة الى بيت ابيها حتى يعود زوجها .

وهناك حالات قليلة اخرى حدث فيها ما يشبه **الاتفاق بين الزوجين عـــلى الافتراق المؤقت** . فقد هجرت الزوجة منزل الزوجية بعد ان اعلن الزوج فقره وعدم قدرته على اعالتها ، وذهبت الى بيت ابيها الى ان يتيسر حال الزوج . ولكن لا يجب ان نتصور ان هذا الاتفاق اتفاق ودى . ففى هذه الحالات القليلة هجرت الزوجة المنزل مغلوبة على امرها نتيجة عدم وجود لقمة العيش . ولكن فى هـــذه الحالة لا يكون الافتراق ناتجا عن

خلافات بين الزوجين ، لهذا يمكن ان تعود الزوجة ولا يحدث الطلاق . وفى بعض هذه الحالات قامت الزوجة بالاستجداء حلا للمشكلة ، ولمساعدة الزوج فى حالة عسره .

ويلاحظ أن حدوث الافتراق دون تطليق — خاصة فى حالة وجود خلافات بين الزوجين — ان الطرفين او احدهما يكون لديه املا فى العودة الى الطرف الآخر ، او ان الزوج يحاول اذلال الزوجة فلا يطلقها لكى لا تتزوج بآخر كما ذكرنا قبل ذلك . وفى معظم هذه الحالات يتكفل اهل الزوجة باعالتها طوال فترة افتراقها عن زوجها ، ولكن فى حالات قليلة كان زوجها يرسل لها بعض المال لكى تتعيش منه .

ونود ان نوضح انه على الرغم من حدوث حالات طلاق فى المنطقة الا ان الغجر حريصون على عدم انتشار هذه الظاهرة بينهم ، وهم يشعرون انهم كعائلة واحدة يجب ان يكونوا متماسكين ، وان الطلاق يؤدى الى تصدع فى العلاقات بين الوحدات القرابية خاصة وان الزوج غالبا ما يكون مرتبطا بروابط قرابة اخرى مع الزوجة ، بمعنى انه زوجها وابن عمها او ابن خالها فى نفس الوقت . والطلاق لا يعنى مجرد الاساءة الى الزوجة او احداث اضرار لها ، ولكن الاساءة الى العم او الخال وبقية الأقارب . والملاحظة التى تهمنا ايضا فى مجال الطلاق ، هو انه فى حالة حدوث الطلاق فان اعادة الزواج لكل من الزوجين المطلقين يتم بسرعة . ويرجع هذا الى صغر حجم الجماعة ومحاولة كل شخص البحث عن قرين من بين الاختيارات المتاحة له فى المنطقة بعد الطلاق . وقد حدث اكثر من مرة أن ارتبط الزوج المطلق بزوجة اخرى بعد اسابيع قليلة من تطليقه لزوجته الأولى . واذا كان ذلك فى بعض الأحيان يتم كنوع من اغاظة الزوج للزوجة المطلقة ، فان زواج الزوجة المطلقة مرة اخرى يتم فى كثير من الأحيان بدافع التكافل ومحاولة جمع الشمل ، فقد تقدم اكثر من شخص للزواج بامراة مطلقة لكى لا تعيش عالة على اسرتها . ولكن لا يتم زواج المطلقة قبل عام من تاريخ تطليقها باستثناء الحالة التى سبق ذكرها والتعليق عليها .

ويلاحظ ايضا ان المشكلات المتعلقة بالافتراق والانفصال والطلاق بين

الزوجين غالبا ما يتم التفاوض فيها بين الغجر ، وغالبا مالا يتدخل فيها غير الغجر سواء كانوا افراد من المجتمع المحلى المحيط ، او هيئات كالمحاكم مثلا . ولا توجد الا حالات قليلة جدا لجأ فيها الغجر الى المحاكم لحل النزاع المتعلق بالخلافات الزوجية ، أو كما ذكرت لجوء الزوجة الى المحكمة طلبا للطلاق (٨) .

على اننا نود ان نوجه النظر الى ان الأسباب العديدة التى ذكرت كاسباب وعوامل ادت الى الطلاق لا يمكن أن تكون على درجة واحدة من الأهمية . فهناك من الاسباب ما يفوق فى تاثيره وفى قدرته على هدم الرابطة الزوجية ما يفوق غيره . ولا يعتبر سرد الحالات التى تمت دراستها من قبيل التسليم بتساوى تاثير هذه العوامل . ولكن ما لم يمكننا من تقييم اثر كل عامل تقييما دقيقا ما ذكرناه فى بداية الحديث عن موضوع الطلاق وهو ان حالات الطلاق الفعلية — فى فترة زمنية محددة — كان من المستحيل التعرف عليها ، وبالتالى لم يمكن التعرف على اى العوامل اكثر تأثيرا فى احداث الطلاق . هذا بالاضافة الى انه يتوقع ان يكون الغجر قد اخفوا بعض الأسباب الهامة .

« ثانيا »

القرابة والتكافل

الوحدة القرابية فى ست جيرانها :

تضم كل قرية من قرى ست جيرانها تجمعا غجريا يتكون من عدد من الوحدات القرابية ، أو من وحدة قرابية على الأقل (٩) . ويتوزع الغجر فى

---

(٨) انظر كيفية فض النزاعات بين الغجر فى فصل التكامل القانونى مع المجتمع .

(٩) نعنى بالتجمع الغجرى مجموع الغجر الذين يعيشون فى نطاق قرية واحدة ، ونعنى بالوحدة القرابية الأفراد الذين تربط بينهم علاقة قرابة ويعيشون فى معيشة واحدة او فى منازل متجاورة . وبناء على ذلك فان الأسرة الزواجية ، والأسرة المركبة والأسرة الممتدة هى وحدات قرابية . وقد يضم التجمع الغجرى اكثر من شكل من أشكال الوحدات القرابية .

كل قرى ست جيرانها — فيما عدا قرية « كريمة » — فى شكل تجمعات تختلف فى اشكالها واحجامها ، كما تختلف فى نوعية الأسر التى تضمها .

ويعد اكبر تجمع غجرى — وهو يمثل اقصى تركز للغجر فى قرية واحدة فى المنطقة — هو التجمع الغجرى فى قرية ستهم . اذ يصل اعداد الغجر فى هذا التجمع الى ١٣١ فرد يعيشون فى شكل ٨ وحدات قرابية كبيرة العدد واخرى صغيرة العدد ، فقد وصل عدد الغجر المكونين لاحدى الوحدات القرابية الى ٦٣ فردا . ويلى هذا التجمع ، التجمع الغجرى فى كدابة الصغرى الذى يبلغ عدد افراده ١١٦ فردا موزعين على سبع تجمعات قرابية . وهناك ست مناطق يزيد عدد سكانها من الغجر عن خمسين فردا هى مدينة ست جيرانها ، وقرية السكران ، وقرية هنادى ، وقرية صدفة ، وقرية الرغابات ، فمدينة ست جيرانها يتجمع فيها ٩٦ غجريا مكونين ٨ وحدات قرابية . وتعتبر قرية صدفة من القرى التى يوجد بها تجمعات قرابية كبيرة الحجم ، اذ يوجد بها ٦٨ فردا فى شكل وحدتين قرابيتين فقط . اما قرية السكران فتضم التجمع الغجرى الذى ينقسم الى وحدات قرابية صغيرة العدد اذ يتوزع ٥٣ غجريا على ست تجمعات قرابية . وهناك ست قرى تضم تجمعات يتراوح عدد افراد كل تجمع بين العشرين والثلاثين فردا هى ست الناس ، ولونة ، ومشتهى ، وشهبندر ، والنداهة ، فلا يوجد فى كل قرية منها سوى وحدة قرابية واحدة او اثنين او ثلاثة على الأكثر . اما قريتا الطرمبة ، وهنا فتعيش فى كل منها اسرة واحدة مكونة من عشـرة افـراد .

يتضح من توزيع التجمعات والوحدات القرابية فى كل قرية ان الغجر ينتشرون بطريقة غير منتظمة فى شكل وحدات قرابية تضم الأسر النووية والأخرى الممتدة . ولكن الشكل الغالب فى المنطقة هو الأسرة الممتدة التى يصل عدد افرادها فى بعض الأحيان الى عشرين فردا كما هو الحال فى قرية السـكران .

وينتشر فى المنطقة شكل آخر من الوحدات القرابية يقترب من مفهوم الأسر الممتدة ، ولكنه يختلف عن المعنى التقليدى له (اقامة اكثر من اسرة

زواجية منحدرة من جد واحد فى وحدة سكنية واحدة) ، وهذا الشـكل هو معيشة عدد من الأسر الزواجية المنحدرة من جد واحد فى وحدات سكنية متجاورة ، وتصل درجة التعاون المادى والتعاون فى تحمل اعباء المعيشة الى درجة عالية جدا كما لو كانوا يعيشون فى نطاق وحدة سكنية واحدة . وعلى سبيل المثال يعمل الجد الأكبر لاحدى هذه الأسر حدادا ، ويعيش فى مسكن واحد مع ابنائه حيث يساعده احدهم فى الحدادة ، (اما ابناؤه الآخرون فقد قضى كل منهم عدة سنوات يعمل فى دولة عربية وعاد ليعيش مع والده ، ولكنـه لا يعمل فى الحداده اذ ارتبط بمشروعات تجـارية اخرى) . اما بناته المتزوجات فيعيش مع ازواجهن بجوار منزل الأب ونظرا لان ازواجهن فقراء فان الأب يعول هذه الأسرة وكانها اسرة ممتدة واحدة تتوزع فى وحدات سكنية متجاورة وتتعاون فى المعيشة . ولهذا يمكن ان نقول ان الانتشار فى اكثر من وحدة سكنية منفصلة لم يمنع وجود الرابطة العائلية التى تتميز بها الأسرة الممتدة بسبب قوة الروابط العائلية ، وبسبب الالتزام بالتكافل الاجتماعى الذى سنتناوله بالشرح والتحليل .

وهناك شكل آخر يتمثل فى الأخوين اللذين يعيشـان مع بعضـهما بزوجاتهما واولادهما ، وهما لم يتفقا على هذه المعيشة ، ولكنهما يمثلان بقايا اسرة ممتدة توفى جميع افرادها وبقى هذان الأخوان ، يعيش كل منهما بأسرته فى نفس الوحدة السكنية .

اما الأسر الزواجية التى تنتشر فى المنطقة ، والتى تعيش مستقلة على الرغم من وجود روابط قرابية بينهما وبين اسر اخرى ، فان هناك اسبابا قد دعتها الى ذلك . فقد انسلخت بعض هذه الأسر عن وحدات قرابية اكبر (اسر ممتدة) تعيش فى محافظات ومناطق اخرى خارج ست جيرانها . وعندما وفدت هذه الأسر للاقامة والعمل بالمنطقة كان من الطبيعى ان تحيا مستقلة حتى على الرغم من وجود روابط قرابة بعيدة بينها وبين بعض الاسر التى تقيم فى المنطقة . هذا على الرغم من ان الاقارب المقيمين فى المنطقـة كانوا سببا — فى معظم الأحيان — فى تشـجيع افراد الأسر الزواجيـة الوافدة على الهجره الى المنطقة والاستيطان بها . وحتى فى حالة وجود

روابط قرابية قوية بين الأسر الزواجية (قرابة من الدرجة الأولى مثلا) لم يؤد هذا الى المعيشة المشتركة بسبب العامل الاقتصادى ، او بسبب ضيق الوحدة السكنية ، أو بسبب رغبة كل طرف فى تجنب المشكلات التى تنجم عن المعيشة المشتركة . خاصة بالنسبة للأسر التى لا تحيا فى شكل اسر ممتدة بالمعنى المتعارف عليه . فيوجد فى احدى القرى اخوان يعيش كل منهما فى وحدة سكنية منفصلة فى القرية ، وهما ينتميان الى أسرة ممتدة واحدة فى بنى سويف ، وقد هاجر الأخ الأكبر بأسرته الزواجية كبيرة العدد منذ سنوات طويلة ، ثم تبعه الأخ الأصغر ، وهو حديث الزواج . وقد فضل الأخ الأكبر الا يعيش اخاه بزوجته معه فى نفس المسكن تجنبا للمشكلات ، ونظرا لضيق المسكن ، ولكبر حجم اسرته . هذا على الرغم من ان الأخ الأصغر يسكن « زريبة » من البوص ، اذ لا يمكنه الوفاء بالتزامات مسكن مناسب . ومع ذلك فالأخ الأكبر يهتم به ، ويقرضه المال ، ويحاول ان يبحث له عن مسكن .

وهناك مجموعة اخرى من الأسر الزواجية تمثل بقايا وحدات قرابية اكبر (كالأسر الممتدة) كانت قائمة الى وقت قريب لكنها اندثرت نتيجة عامل الوفاة ، او تمزقت نتيجة عامل الهجرة والزواج خارج المنطقة . ومن امثلة هذه الأسرة اسرة مستقلة تقيم فى قرية صدفة مكونة من فجرى وزوجته فقط . وقد كان الفجرى يعيش منذ طفولته ، وبعد أن تزوج — مع والديه واختيه . ولكن توفى الأب والأم ، وهاجرت الأختان اذ تزوجتا من خارج منطقة ست جيرانها ، وبقى الفجرى وزوجته . وحيث انهما لم ينجبا فينتظر بعد وفاتهما ان تندثر هذه الأسر تماما (١٠) ، اذ لم يعد للأختين اللتين خارج المنطقة علاقة قوية بها .

وقد تتبع الأسر الزواجية المستقلة اسرا ممتدة فى قرى فى نفس المنطقة .

(١٠) هذا اذا لم ينجب هذا الفجرى فى المستقبل ، او اذا لم يتزوج زوجة اخرى ، واذا لم يطلق زوجته ويتزوج كلا منهما بآخر ويكون اسرة جديدة .

فمثلا يمكن ان نجد اسرا زواجية صغيرة يعمل الأب فيها فى الحدادة تعيش معيشة مستقلة فى قرية تمتلىء بأسر الفجر الذين يعملون فى جز صوف الغنم ، بينما هناك أسرة ممتدة كبيرة للحدادين فى قرية اخرى . وهذا يرجع الى ان الحدادين يحرصون على الانتشار فى كل القرى لكى يقوم كل حداد بخدمة قرية معينة ، لهذا فان الأسر الزواجية للحدادين موزعة فى اكثر من قرية (١١) .

واذا كانت الأسباب السابق ذكرها هى التى دفعت الأسر الزواجية ان تعيش حياة مستقلة عن الأسر الممتدة ، فان الرغبة فى الاستقلال كعامل رئيسى فى انفصال هذه الأسر قد ظهر عند بعض الأفراد ففضلوا بعد زواجهم الانفصال عن اسرة الأب والسكنى فى مكان آخر . وقد حدث ذلك فى بعض الأحيان بعد ظهور مشكلات بين افراد الأسر الزواجية المختلفة . وفى معظم الأحيان ترك الابن الذى انفصل بزوجته عن بيت ابيه القرية الى قرية اخرى .

على ان هذه الأسر الزواجية اذا كانت تتكون اساسا من الأب والأم والأبناء المباشرين ، فانها يمكن ان تضم احد الأقارب المسنين أو المرضى او الذين ليس لهم عائل ، ويعد هذا من قبيل التكافل الاجتماعى وليس من قبيل تغير شكل الأسرة الزواجية . ولهذا فان الأب المسن الأرمل الذى يعيش مع ابنه ليست له السلطة الأبوية التى تكون له فى الأسرة الممتدة او أسرته الزواجية قبل وفاة زوجته . وهناك نماذج كثير لأسر كانت اسرا زواجية بالمعنى المعروف ثم توفيت الزوجة فانتقل الأب المسن الى بيت ابنه ، وبقى الابن سنوات يعول اباه .

كما كان هناك عددا قليلا من الوحدات الأسرية التى يمكن أن نطلق عليها « **وحدات شاذة او تتميز بالقصور** » فهى تضم فردا واحدا يعيش فى معيشة مستقلة او فردين على الأكثر . ولا يعزى ذلك الى رغبة فى

(١١) انظر فصل الاقتصاد .

استقلال الأفراد عن الأسر قبل الزواج — اذ لم يوجد فى المنطقة غجرى استقل عن اسرته التى ولد فيها « اسرة التوجيه » قبل ان يتزوج — ولكن يعزى لظروف الترمل التى تحدث بعد وفاة احد الزوجين دون وجود ابناء ، او فى حالة وجود ابناء استقلوا عن معيشة الأب . وغالبا ما يعيش الأرمل او الأرملة كبار الســن بجوار اسر ابنائهما او اقربائهما الذين يمدونهم بالمساعدة المادية والمعنوية . اما فى حالة وجود ابن لم يتزوج فانه يعيش مع الأب الأرمل او الأم الأرملة .

وهناك حالة واحدة فى المنطقة لشاب ووالده يعيشان حياة مستقلة . وقد كانت هذه الأسرة اسرة زواجية بالمعنى المعروف ثم توفيت الأم ، وتقدم السن بالأب فظل الابن يعول اباه عن طريق ما يكسبه من عمله فى الأفراح . وسوف تندثر هذه البقايا من الأسرة نتيجة كبر سن الأب مما يستحيل معه الزواج مرة اخرى ، ونتيجة اصابة الابن بدرجة معينة من العته يستحيل معها زواجه ايضا .

علاقات التكافل بين الوحدات القرابية :

ويسود بين الوحدات القرابية المكونة للتجمعات الغجرية فى قرى ست جيرانها علاقات تعاون وتكافل اجتماعى . وتعتبر روابط القرابة التى تربط بينهم اساســا قويــا (ودافعا فى نفس الوقت) فيســود بينهم التعاون فى مجال العمل ، وحتى فى حالة عدم اشتراك الأسر فى ممارسة عمل واحد ، فان كل شخص يكون لديه استعداد للتعاون مع غيره وقت الحاجة . وعلى الرغم من أن كثير من الأسر تعيش فى معيشة مستقلة (من حيث المســكن) عن بعضها ، وبالتالى فهى لا تشترك معا فى المأكل والمشرب ، وعلى الرغم من ان كل اسرة تعيش مستقلة بمواردها وتمثل وحدة منفصلة الا انه فى حالة حدوث اى عجز مادى لدى اسرة من الأسر ، فان بقية الأسر يمكن ان تقوم بالمساعدة . ويظهر التعاون ايضا فى مجال المشاركات الاجتماعية والدينية بين الأسر . فعلى كل غجرى ان يقوم بواجبه تجاه الغجرى الآخر فى مناسبات الأفراح ، وفى الأحزان ايضا سواء كان ذلك بالمشاركة العاطفية او بالعون المادى .

وسوف نحاول فى هذا الجزء أن نتعرف على صور التكافل الاجتماعى والمادى بين الأسر الغجرية فى ضوء النقطتين التاليتين : —

(أ) التكافل الاجتماعى وانماط الاعالة بين الأسر :

تتعدد صور التكافل الاجتماعى ، كما تتباين انماط الاعالة بين جماعات الغجر فى المنطقة ، ويعتبر عامل القرابة هو العامل الأساسى والهام الذى يدفع الأفراد الى الوفاء بالتزاماتهم نحو الأقارب خاصة من اضيروا ، أو اصابهم مكروه ، او من هم فى حاجة الى مساعدة بصفة عامة .

ويوجد فى المنطقة عدة **اسر يرعاها الابن بعد وفاة ابيه** ، وان كانت اعالته لأسرته لم تمنعه من الزواج . فهناك العديد من الأسر التى تزوج فيها الابن الأكبر ، وعندما توفى والده اخذ على عاتقه رعاية امه الأرملة واخوته القصر والذين لم يصلوا الى سن العمل ، واخواته اللائى لم يصلن بعد الى سن الزواج . وفى بعض هذه الحالات كانت الأم الأرملة والاخوة والأخوات يعيشون جميعا فى منزل واحد هو بيت الأسرة . وفى حالات اخرى كانت الأم تعيش مع صغارها فى بيت مستقل ، وقد ظل الابن الأكبر الذى تزوج ويعيش فى وحدة سكنية اخرى مسئولا عن اسرة والده المتوفى . وفى هذه الحالات يكتسب الابن الأكبر مكانة ابيه تماما كما يتحمل مسئوليته ، ويصبح مسئولا عن تربية اخوته ، وتعليم الذكور منهم المهنة ، وتزويج الذكور والاناث على السواء . وفى الحالات التى ينضج فيها اى شقيق من اشقاء الأخ الأكبر ويكون قادرا على المشاركة المادية والمعنوية فى رعاية اسرة ابيه فانه يشارك الأخ الأكبر فى مسئولياته .

ونظرا لانتشار مبدا الزواج الثانى للقرين بعد وفاة قرينه او الطلاق منه ، فقد وجد فى المنطقة نمط آخر من الاعالة هــو **الأم العجوز التى تعول اطفال بنتها التى طلقت أو توفى ثم تزوجت للمرة الثانية** ، فى هذه الحــالة غالبا ما يترك الأطفا ل المولودين من الزواج الأول للجدة لكى تعولهم . ونظرا لأن على الابن الأكبر أن يعول أمه الأرملة ، فقد وجدت فى المنطقة حالات ظل فيها الابن الأكبر فى الأسرة يعول امه الأرملة (بعد وفاة والده) ويعول ايضــا احفادها (ابناء اخته) بعد ان تزوجت اخته للمرة الثانية . وعلى الرغم

من ان الأطفال (الأحفاد) يعتبرون فى كنف الجدة ، ولكنهم من ناحية المسئولية المادية والمعنوية مسئولين من الابن المتزوج الذى يرعى الجدة ، وهذا ما يمكن ان نطلق عليه « المسئولية المركبة » وهو ذلك الشكل من التكافل الذى يلزم الشخص باعالة عدد من الأشخاص على درجات قرابية مختلفة ، وذلك بسبب مسئولية الشخص عن احدهم . ذلك ان روابط القرابة تحتم عليه ان يكون مسئولا عن من يعتبر هذا الشخص مسئولا عنهم .

ولكن الجدة لا تكون فى كل الأحوال مسئولة عن اعالة اطفال بناتها من زواج سابق ، ففى بعض الحالات قام بالاعالة الأشقاء . ففى حالة اخرى شجع عدد من الاخوة اختهم الأرملة على الزواج الثانى فى قرية اخرى على ان يتولوا هم رعايا اطفالها (من الزواج الأول) الذين يسكنون منزلا مستقلا كانت تعيش فيه الأرملة مع بناتها الأربع . وقد غادرت الأرملة القرية الى منزل الزوج الجديد وتركت بناتها الأربـع فى المنزل الأول وقام اقاربها — وخاصة اخوتها — برعاية بناتها وهن فى مسكنهن . ولعل ما شجع الأرملة على قبول الزواج الثانى هو تيقنها من ان اخوتها سوف يقومون بالاشراف على الأطفال . وقد شجع الأرملة ايضا على ذلك أن بعض المسئولين فى القرية كانوا يرعونها فى فترة ترملها . وقد وعدوها بأن يقوموا بالاشراف على الأطفال مع اخوتها .

وتحوى بعض الأسر النووية والد او والدة الزوج بعد الترمل (١٢) ، وفى هذه الحالة يعيش الأرمل فى نفس الوحدة السكنية التى تعيش فيها الأسرة . وهناك ايضا الشخص المتزوج الذى يتكفل بشقيقه الأصغر ، فهو يعيش معه ومع اسرته فى نفس الوحدة السكنية ويرعاه الى أن يكبر ، واحيانا الى ان يتزوج . وقد حدث ذلك فى اسرة فقد فيها هذا الشقيق اباه وامه ولم يكن له اخوة او أخوات غير الشقيق المتزوج .

(١٢) فى هذه الحالة تختلف سلطة الأب على الأسرة عن سلطته فى الأسرة الممتدة ، او فى اسرته الزواجية التى كان الابن فيها معالا . ففى هذه الحالة لا يكون للأب سلطة او نفوذ لكنه يمكن ان ينعم بالاحترام من ابنه الذى يعتبر ربا للأسرة ، وصاحب الكلمة الأولى فيها .

وعلى الرغم من أن الفجر يهتمون باعالة غير القادرين منهم فهناك القليل من النساء المتقدمات فى السن اللواتى يعانين من الفقر ، وهن يحاولن القيام ببعض الأعمال مثل الاستجداء أو غزل الصوف لكى يتمكن من المعيشة . وعلى الرغم من أن بعضهن قد شكون عدم مساعدة الأهل لهن ، وذكرن انهن يعانين من الفقر ، الا ان الدراسة قد اظهرت ان معظمهن يقمن ببعض الأعمال او يقمن ببيع الخضروات أو الحلوى مما يدر عليهن بعض المال ، وربما يكون ذلك سببا فى انهن مازلن يعشن حياة مستقلة .

وهناك ايضا تعاون بين الفجر فى مجال العمل المهنى ، فبعض الأشخاص لا يكون لديهم المقدرة المادية على شراء الأدوات التى يمارسون بها الحرفة ، او توفير المكان الذى يعملون فيه رغم توفر الخبره . فى معظم هذه الحالات قام احد الأقارب الذين يعملون فى نفس الحرفة باشراك الفجرى الفقير معه فى العمل ، والسماح له باستخدام ادواته . من هذا مثلا ان يأتى حداد آخر يساعده فى العمل ويتقاضى اجرا مقابل ذلك ، واحيانا كان يأتى بقطع الحديد لتصنيعها لحسابه الخاص مستخدما ادوات العمل التى يمتلكها الفجرى الآخر . وقد استمر هذا الوضع عدة سنوات .

(ب) « نسق الدفع » أو نظام المساعدات المادية :

يسود بين الفجر فى المناسبات المختلفة مجموعة منظمة ومحددة من القواعد التى تحدد مبالغ معينة يجب أن يدفعها الفجرى لغيره فى هذه المناسبات . وتقوم هذه المساعدات بدور فعال فى انقاذ بعض الأسر التى تعانى من أزمات اقتصادية . ونظم الدفع عند الفجر نظم ملزمة تستند أساسا على اعتبار القرابة ، واعتبار الانتماء الى العائلة الفجرية . ويرجع اهتمامنا بتحليل نسق الدفع ونظم المساعدات المالية الى انها تعتبر وجها من أوجه التكافل بين الفجر . وفى نفس الوقت تنتظم حول عملية الدفع مجموعة من الأنشطة التى تؤدى الى التفاعل الاجتماعى مع الالتزام بقيمة معينة لابد ان يدفعها الشخص الذى يشارك اجتماعيا فى المناسبة للتعبير على انه يحافظ على التقليد الفجرى من ناحية ، ويساعد اخاه الفجرى من ناحية اخرى .

الشبكه والمهر كاتفاقات مادية فى بناء الأسرة :

لا تعتبر الشبكة فى المجتمع الغجرى ذات اهمية فيما يتعلق بالتعاون المادى بين الغجر وبعضهم .. وهى مجرد اعلان عن جدية الشخص المتقدم للزواج ، ولهذا فهى تقدم عندما يطلبون فتاة للزواج وعندما يقرءون الفاتحة فى نفس الجلسة التى يطلبونها فيها لزواج . وغالبا ما تكون الشبكة بسيطة القيمه فقد كانت شبكة احدى الغجريات ٦ قطع من الصابون وسلسلة من النحاس ومبلغ جنيه واحد . ولكن هناك حالات كانت فيها الشبكة اكثر قيمة من ذلك ، ويتوقف الأمر على المستوى المادى للأسرة ، ولكن بصفة عامة ينظر الغجر الى الشبكة على انها مجرد « ربط كلام » وتعبير عن الطلب والقبول . لهذا لا تحدث مشكلات بينهم بسبب تحديد قيمة الشبكة بالمقارنة بما يحدث عند التفاهم على المهر .

اما المهـر فقد كان قديما يتراوح بين خمسة او سبعة جنيهات ، ولكنه اليوم يتراوح ما بين مائة جنيه الى خمسمائة جنيه . ولكنه يكون احيانا اقل من ذلك ، او لا يدفع مهر على الاطلاق اذا حدث الزواج بالتبادل . وهذا يحدث كثيرا فى اسر الغجر الذين يعملون فى الغناء والرقص ، فنظرا لأهمية النساء كعامل مؤثر فى دخل الأسرة فان الزواج كثيرا ما يحدث بالتبادل بحيث يتم الاتفاق على زواج شخص من راقصة مقابل ان يزوج الشخص اخته او ابنته الراقصة ايضا لشخص من الأسرة التى تزوج منها وفى هذه الحالة يتم تحديد قيمة المهر بسهولة او يتم الزواج بدون مهر .

وفى الحالات التى يدفع فيها مهر ، يتم دفع المهر الى اهل العروس (والدها او اخوتها فى حالة وفاة او غياب الوالد) . ويمكن ان يساوم الغجر فى المبلغ المدفوع وفقا لدرجة جمال العروس ، وشدة رغبة العريس فى الزواج منها ، ففى هذه الحالة قد يستغل اهل العروس الموقف لـرفع قيمة المبلغ المطلوب . وفى الحالات التى لا يريد فيها اهل الفتاة تزويجها من الشخص الذى يطلبها يرفع اهلها قيمة المهر المطلوب كنوع من التعجيز . وهناك احدى الحالات التى تصور كيفية المساومة على المهر ، وفى نفس الوقت تعكس كيفية التفاهم على تحديد قيمة المهر وتجهيز المنزل بصـفة

عامة . ففى احدى القرى اراد غجرى الزواج من غجرية تسكن منطقة بعيدة عن ست جيرانها . وقد رفض اهل العروس قبول اى مهر وطالبوا العريس ان يؤثث بيت الزوجية بدل ان يدفع مهرا ، وكانت وجهة نظرهم فى ذلك تتلخص فى ان نقل الأثاث من منطقتهم الى ست جيرانها سيكلفهم الكثير ، بجانب ارتفاع سعر الأخشاب وغيرها من المواد التى ستستخدم فى اعداد اثاث المنزل . وقد قبل العريس ذلك رغم انه كلفه الكثير نظرا لأنه كـان يحب العروس ، وكانت على درجة عالية من الجمال .

والواقع انه اذا كان والد العريس هو الذى يتحمل دفع المهر ، فـانه يتحمل ايضا الكثير من الأعباء المادية عندما يزوج ابنه ، فهو بجانب المهر عليه ان يعد الطعام والشاى والقهوة للمهنئين . وتصل تكلفة ذلك الى مئات الجنيهات فى حين لا يتكلف اهل العروس شيئا من هذا . وقد حاول الغجر وضع نظام النقوط او « الصينية » — الذى سنتناوله بالتفصيـل — لتعويض والد الغجرى عما دفعه من اموال .

وبجانب المهر يدفع والد العروس بعض المال لتجهيز ابنته للزواج وتأثيث منزلها . ولكن فى بعض الأحيان يمتنع والد العروس عن الدفـع لنفس السبب الذى ذكر قبل ذلك ، وهو تمسك العريس بالعروس ، او وجود صفات خاصة فى العروس .

واذا كان المهر يستخدم لدى الغجر فى تجهيز بيت الزوجية ، الا ان بعض الغجر ذكروا ان الغجر الذين يعملون فى الغناء والرقص لا يهتمون بتأثيث بيت الزوجية ، انما ينفقون المهر فى شراء ملابس الرقص فالغجرية تفضل ان تشترى « بدلة رقص » عن ان تشترى قطعة اثاث اذ ان بدلة الرقص الجديدة ستزيد من دخلها .

ومن الطبيعى ان الغجر لا يهتمون بالمهر الا كمورد يساعد والد العروس فى تجهيز ابنته للزواج — باستثناء الحالات السابقة — ولا يعتمدون عليه كمصدر للحصول على المال للانفاق فى اى مجال آخر من مجالات الحياة الاجتماعية كما هو الحال بالنسبة للنقوط ، ومع ذلك فهناك بعض الحالات

التى استغل فيها والد العروس المهر فى الانفاق على اسرته وقام بتجهيز ابنته بجزء بسيط مما دفع له .

النقوط ورد النقــوط :

يسود بين الغجر نظام ملزم يدعو الغجرى الى دفع نقوط فى مناسبات معينة كنوع من المساعدة المادية لأخيه الغجرى ، على أن يرد النقوط فى مناسبة مماثلة ، ويلاحظ أن الرد لا يقل الزاما عن الدفع ، وغالبا ما يكون المبلغ المدفوع من رد النقوط مساو للمبلغ المدفوع أو يزيد عنه ، لكن لا يمكن أن يقل عنه .

ويتراوح النقوط ما بين جنيه وعشرة أو عشرين جنيها كل على حسب مقدرته . فان قيمة النقوط تتحدد وفقا للمستوى المادى للشخص الذى يدفع ، ووفقا للمستوى المادى للشخص المدفوع اليه أيضا ما دام الشخص المدفوع اليه سيلتزم بالرد . ذلك أن الشخص وهو يدفع النقوط يضع فى اعتباره أن ما يدفعه سوف يرد ، لهذا يقدر المبلغ الذى يمكن للغجرى الآخر رده فى مناسبة مماثلة ، فاذا كان فقيرا فلا يدفع له الا مبلغا بسيطا لكى يستطيع رده . واذا كان ذلك يفسر على انه مراعاة للظروف المادية للغجرى الفقير الذى لن يمكنه رد مبلغ كبير ، فانه يمكن أن يفسر أيضا على انه محاولة لضمان رد المبلغ المدفوع وليس اقل منه .

ويلاحظ ان النقوط عند الغجر يتمثل فى دفع مبلغ نقدى فقط ، وباتخاذ النقوط شكل الدفع النقدى لا يمارس الغجر ما يسود الفلاحين المحيطين بهم من تقديم بعض المساعدات العينية . ففى أفراح الفلاحين المحيطين بهم يمكن ان يقدم الأقارب والأصدقاء زجاجات الشربات ، أو كميات من السكر والمواد التموينية ، أو بعض الأوانى كنوع من الاسهام فى نفقات الفرح ، وهى ترد أيضا فى مناسبات مماثلة .

وتقدم النقوط فى مناسبات متعددة هى : —

(أ) الأفراح : فالغجرى الذى يقيم الفرح ليزوج ابنه يجمع النقوط من الغجر ويتجمع الغجر من أماكن متفرقة للوفاء بالالتزام ودفع المال .

وتجمع النقوط فى منتصف اليوم الذى ستزف فيه العروس الى عريسها . وتعرف عملية جمع النقوط عندهم باسم « الصينية » وذلك لأنهم يجمعونها فى صينية (١٣) . ويقوم بجمعها أقرب أقارب العريس ، ولابد أن يكون شخصا موثوقا به ، وهو المسئول بعد ذلك عن تسليم المبلغ الى العريس أو لوالده . وغالبا ما يكون هذا الشخص اخاه أو ابن عمه أو أى شخص فى منزلتهما . ويجلس هذا الشخص على « طبلية » وسط الناس ، ويتجمع حوله الأهل والاصدقاء من الغجر ليدفع كل فرد المبلغ الذى اعده لهذه المناسبة . وعلى جامع الصينية أن يسجل أمام اسم كل غجرى المبلغ الذى دفعه (١٤) . وغالبا ما يكتب الدافع هذا المبلغ عنده . وبكتابة المبلغ المدفوع لدى الدافع والمدفوع اليه يكون هناك ضمان أن يرد نفس المبلغ على الأقل فى مناسبة مماثلة .

(ب) الختــان : عندما يقوم الغجرى بختان ابنه تقام ليلة احتفال . ويطالب فيها الغجر بدفع النقوط أيضا . والختان لا يقل عن الفرح أهمية والزاما للغجر للحضور وآداء الواجب (دفع النقوط) .

(جـ) الليالى : أما الغجرى الذى ليس لديه طفل يختنه ، أو شاب يزوجه ، فهو يقيم ما يسمى « ليلة » (وهم يقولون « يعمل ليله ») . وهى عبارة عن احتفال يمكن أن يتضمن الغناء والرقص ، أو الذكر . ويفد الغجر من كل أنحاء المنطقة للمشاركة فى الليلة ودفع النقوط . وفى هذه المناسبة يشترى « صاحب الليلة » كمية كبيرة من الشاى والسكر لتقديم الشاى

---

(١٣) اكتسبت كلمة « صينية » لدى الغجر مفهوما أوسع مما تدل عليه الكلمة عندما ارتبطت بعملية جمع النقوط فى الفرح ، فلم يعد لها مجرد معنى قطعة من الأوانى المستخدمة فى تقديم الشاى أو القهوة أو المأكولات ، بل اكتسبت معنى « جمع المال » ، فعندما تذكر كلمة الصينية فى الفرح تنفرج أسارير الغجر ويتوقعون أن يجمع صاحب الفرح الكثير من المال ، وبالتالى فانه سينتعش اقتصاديا .

(١٤) اذا لم يكن الغجر جامع الصينية يعرف القراءة والكتابة فهو يستعين بشخص آخر لتسجيل الأسماء والمبالغ المدفوعه .

للضيوف ، وفى بعض الأحيان يقدم الفجرى المضيف عشاءا . ولكن فى كل الأحوال تكون المبالغ التى تصرف على مشروبات ومأكولات الليلة أقل بكثير مما يجمعه الفجرى فى هذه الليله . فهو يمكن أن يشترى شايا وسكرا بمبلغ خمسين جنيها لتحية الضيوف على أن يعوض هذا المبلغ مما يجمع فى صـــورة نقوط .

ويلعب النقوط دورا هاما كوسيلة لحل بعض المشكلات الاقتصادية ، وفى نفس الوقت كمظهر من مظاهر التكافل فى الجماعة الفجرية . فمن ناحية المشكلات الاقتصـادية ، فان الفجرى احيانا يشعر بقصور موارده الاقتصادية عن الوفاء باحتياجاته المادية ، واحيانا يفكر فى شراء قطعة ارض او بناء حجرة فى البيت ، فى هذه الحالة يفكر فى ختان او زواج ابنه او فى اقامة ليلة . وبمقتضى ذلك يحصل الفجرى على مبلغ كبير يحل به مشكلته ، ثم يسدده بعد ذلك فى مناسبات مماثلة . والفجرى لا يفكر مطلقا فى ان المبلغ الذى يجمعه يمثل عبئا ثقيلا لأن عملية السداد التى تتم فى صورة رد النقوط تتم فى مناسبات متباعدة اذ لا يمكن أن يقيم الفجر أفراحهم فى يوم واحد ، وبالتالى فالفجرى لا يسدد المبلغ فى وقت واحد .

ونتيجة لأهمية ظاهرة النقوط ، يشغل الفجرى باله دائما بما دفعه للآخرين وما دفع اليه منهم . وهو دائما يفكر فى امكانية فرح أو ليلة . وبهذا يتم تحديد وترتيب الظواهر الاجتماعية استجابة للدافع المادى . واذا كان النقوط هو مظهر من مظاهر التكافل الاجتماعى ، فهو أيضا نظام للاقراض والاقتراض ، أو هو نوع من الادخار يرد فى وقت الحاجه . فالفجرى يدفع المال لكى يرد اليه مرة اخرى اكثر مما يدفعه لهدف المساعدة فى حد ذاتها . ولهذا عندما يفكر احدهم فى دفع مبلغ كبير لا يفسر هذا على انه رغبة فى مزيد من تحمل الأعباء عن اصحاب الفرح ، ولكن رغبة فى ادخار مبلغ اكبر من المال الذى يرد فى وقت الحاجه . وقد أوضحت احدى السيدات — دون اية قصد — ان الأفراح والليالى ترتب من أجل النقوط حينما قالت « احنا حسبنا النقطة اللى دفعناها للناس الثانية لقينا ان لنا عند الناس ١٠٠ حنيه ، قلنا نعمل ليلة فجمعنا ٢٥٠ جنيه » . وهناك بعض الظواهر التى

توضـــح مدى اهمية جمع النقوط فى هذه المناسـبات وان الالتزام بدفع النقوط يفوق التزامات اجتماعية اخرى . ومن هذه الظواهر :

** أن دفع النقوط اكثر اهمية من حضور الفرح او الليلة . اذ يكفى أن يقوم فجرى واحد من اسرة معينة بالحضور الى الفرح ودفع النقوط عن الأسرة كلها . فالزوج يمكن ان يحل محل الزوجة ، والزوجة محل الزوج . وعندما يكون هناك اكثر من فرح فى اليوم الواحد فالشخص يقضى قليلا من الوقت فى احد الأفراح ويدفع النقوط ثم يعتذر لأنه ذاهب للوفـــاء بالنقوط فى فرح آخـــر .

** أن دفع النقوط يعتبر الزاما لكل من يجب عليه الدفع ، وحتى اذا حدثت مشاجرات او مشادات قد تصل الى حد المقاطعة بين أسرتين ، فان وجه التعامل الملزم الذى يظل قائما بين افراد الأسرتين هو دفع النقوط .

** أن هناك استثناءات تم قبولها بين الفجر من اجل جمع النقوط . فمن المعروف أن الفجر لا يقيمون الأفراح فى ايام الحداد . وهناك نظـــام متفق عليه لاقامة الأفراح فى مثل هذه الظروف . فعندما تحدث حالة وفاة لدى اية اسرة لا تستطيع الأسر الأخرى اقامة الأفراح الا اذا بدأ شخص من الأسرة التى حدثت فيها الوفاة بعمل فرح . فهذا يكون بمثابة تصريح لبقية الأسر لاقامة الأفراح ، واعلان عن انتهاء الحداد . ويعتبر هـــذا النظام نظاما صارما بين الفجر حتى لو امتدت فترة الحداد الى عام . وقـــد حدث فى اكثر من مرة ان تناقشت العائلات مع الأسرة التى منيت بحالـــة وفاة ، وحثتها على ان تبدأ الأفراح بعد الوفاة بوقت قصير .

وبناء على ذلك تكثر أفراح وليالى الفجر ، فقد يوجد اكثر من فـــرح فى اكثر من قرية فى الأسبوع الواحد ، ومن الطبيعى أن الفجرى صـــاحب الفرح يحرص كل الحرص على أن يوصل الدعوة للجميع لاسترداد النقوط . وعندما يتجمع مجموعة من الفجر فى اى مكان فانهم يخبرون بعضهم بمواعيد الأفراح والليالى .

واذا كان دفع النقوط ملزما بالنسبة للغجر الأقارب فى المنطقة وخارج المنطقة ، فان **الغجر غير الأقارب فى المنطقة يلتزمون أيضا بدفع النقوط** خاصة اذا كانوا من الجيران . ولكن وجدت فى المنطقة بعض الجماعات المهنية (وهى أيضا تمثل وحدات قرابية) التى لا تلتزم بدفع النقوط فى حالة حدوث زواج لدى جماعة مهنية اخرى . ويقول الغجر أن ذلك يدل على عدم وجود مشاركة قوية . ولكن ما ان ان يبدأ شخص من احدى هذه الجماعات بدفع النقوط لشخص من جماعة مهنية اخرى حتى يبدأ الطرف الآخر فى مناسبة مماثلة ، وتستمر العملية تبادلية بعد ذلك . وهذا ما يوضح تأثير الالتزام برد النقوط على العلاقات الاجتماعية .

رد النقـــوط :

ويعتبر رد النقوط أمرا ملزما . ولابد أن يدفع الشخص على الأقل نفس المبلغ الذى دفع اليه فى مناسبة مماثلة من صاحب الفرح . غير أن بعض الغجر يردون اكثر من النقوط ، لكى يرد اليهم بالأكثر مرة اخرى . واذا كان عدم دفع النقوط يؤدى الى المقاطعة بين الغجر ، فان عدم رد النقوط يثير رد فعل اشد من مجرد المقاطعة . فالغجرى بعد الفرح يبحث عمن لم يأت ويرد له النقوط ، ويذهب اليه ويعاتبه ويأخذ منه ما سبق أن دفعه له فى مناسبات سابقة ثم يقاطعه . وفى هذه الحالة يمكن أن يطالبه أيضا بمصاريف الانتقال التى أنفقتها لكى يذهب اليه ليسترد نقوطه . وهم يفسرون ذلك بأن الفرد عندما يقدم النقوط فهو يقدر الشخص ، ويعلن تعاونه ومساعدته له ، فاذا لم يرد الشخص النقوط فى مناسبة مماثلة فمعنى هذا انه لا يقدر الشخص الذى دفع له نقوط قبل ذلك ، وهذا من قبيل الاهانة التى تستحق المقاطعه . ويستثنى الفرد من رد النقوط فى يوم الفرح أو الليلة اذا كان مريضا او تغيب لعذر مقبول ، ففى هذه الحالة يمكن أن يرسل النقوط مع شخص آخر او يقدمها فى وقت آخر .

ويلاحظ انه بالنسبة لأهمية دفع النقوط ورد النقوط فان كل غجرى يحتفظ « بنوته » صغيرة يدون فيها ما يدفعه فى كل مناسبة لأى شخص غجرى ، ويدون فيها ايضا ما دفعه اليه اى غجرى فى اى مناسبة من

المناسبات . واذا ذهب غجرى الى فرح ولم يتذكر ما دفعه اليه صاحب الفرح فانه يسأله اولا لكى يرده غير ناقص . وفى بعض الأحيان يكون الغجرى متذكرا ، ولكنه يسأل صاحب الفرح من قبيل التأكيد والتذكرة بانه لن يدفع اقل مما دفع له . وقد حدثت مشادات فى بعض الأفراح حينما اختلف صاحب الفرح مع غجرى أتى ليرد النقوط على المبلغ المدفوع قبل ذلك . وفى احدى المرات فقد غجرى الورقة التى سجل فيها النقوط التى دفعت له ، وتشكك فيما هو مسجل عند صاحب الفرح ، وقد وصلت المشادة الى مستوى التشابك بالأيدى ، وتدخل الحاضرون لفض النزاع بين الطرفين ، ومع ذلك فقد كان كل واحد من الحاضرين يشعر أن هذا حق لابد أن يدافع عنه صاحبه . ولكن يلاحظ أن هذه المشادات غير متكررة اذ ان كل غجرى يعرف كيف يحافظ على ما سجله عن النقوط التى دفعت اليه ، او التى دفعها فى مناسبات متعددة ، ويعتقدون أن ما دفع الى الشخص لابد أن يرده بأمانة والا تعرض للعذاب فى جهنم . وقد ذكر احدهم انه يفضل أن يرد النقوط كاملة لا يتحمل نار جهنم حيث لا توجد نقطة ماء او نسمة هـــواء .

خـــاتمة :

اتضح لنا مما سبق أن الجماعة الغجرية فى ست جيرانها جماعة محافظة تحرص على الزواج من الداخل ، واذا كانت قد حدثت حالات زواج من غير الغجر فهى حالات قليلة بالنسبة لحالات الزواج التى تمت فى المنطقة بين الغجر . وتحاول الجماعة من خلال الحفاظ على مبدأ الزواج من الداخل تأمين نفسها ضد الذوبان فى المجتمع المحيط رغم انها حققت قدرا كبيرا من التكامل معه فى جوانب اخرى سوف يرد الحديث عنها فى الفصول القادمة .

وفى مقابل هذا يتضمن التنظيم والحقوق والالتزامات ما يحقق لكل غجرى فرصة الزواج وبالتالى لا يحتاج الفرد الغجرى الى أن يخرج خارج جماعته . وحتى عندما يحدث الطلاق فان قوة علاقات الجماعة وشدة التقارب بين اعضائها تسهل على الفرد اقامة الزواج الثانى او الثالث .

وتلعب قواعد التكافل الاجتماعى والمادى دورا هاما فى حل المشكلات الناجمة عن فشل اى زواج مثل رعاية الأهل للأطفال بعد حدوث الطلاق . كما يلعب نظام المساعدات المادية دورا هاما فى حل المشكلات الاقتصادية التى تعترض مجموعة الأقرباء . وبهذا تكون الجماعة الغجرية وحدة اجتماعية تؤمن نفسها ضد الذوبان فى المجتمع المحيط ، وتحمى نفسها ضد الحاجة اليه ايضا .



الفصل الثالث

النشاط الاقتصادى للغجر

مجال لاحتكار المجتمع المحيط ، وللتكامل مع اقتصاد البيئة

على الرغم من ان دراستنا للجانب الاقتصادى فى حياة الغجر تتضمن اساسا تحليلا لجوانب اقتصادية بحتة ، الا اننا لا نستطيع ان نفصل هذا الجانب عن بقية جوانب الحياة الاجتماعية . فالنشاط الاقتصادى السائد يؤثر على علاقات اعضاء الجماعة مع بعضهم البعض ، ويؤثر على علاقتهم بغير الغجر ايضا ، كذلك يتأثر النشاط الاقتصادى بعوامل اجتماعية مثل القرابة . وقد اشرنا فى « الاختيار للزواج » فى الفصل السابق الى الأسر التى تحرص على التزواج بين ابناء نفس المهنة . وقد ادى هذا الى ان يمارس كثير من الأقارب مهنة واحدة . واذا كانوا لا يمانعون من الزواج من غجر آخرين يمتهنون مهنة اخرى الا ان تفضيلهم الزواج من داخل الجماعة المهنية امر ملحوظ .

واذا كانت عناصر النشاط الاقتصادى الخاص بالغجر كالحرف التى يمارسونها ، ووحدات الانتاج التى ينتجونها ، وطريق ترويجها لا تحددا اساسا بمحددات اجتماعية بقدر ما تتحدد بعوامل اقتصادية ، الا أنها ترتبط بطريقة غير مباشرة بالعوامل الاجتماعية . وقد حرصت على توضيح ذلك ، فقد كنت مدركا منذ البداية أن الفهم المتعمق لمختلف الجوانب الاجتماعية يؤدى الى فهم صحيح لطبيعة النشاط الاقتصادى والعكس صحيح . على أن اهتمامنا لا يتسع ليشمل دراسة تبادل التأثير بين البناء الاجتماعى والاقتصاد بصفة عامة ، فذلك يخرج عن موضوع دراستنا . ولكنه ينحصر فى وصف العلاقات الاقتصادية والعمليات التجارية التى تربط بين الغجر وغير الغجر ، وايضاح كيف يحاول الغجر استغلال البيئة المحيطة لتحقيق

استمرارهم (عن طريق اشباع حاجاتهم) وتحقيق امنهم واستقرارهم .. وقد تطلب هذا وصفا للحرف والمهن التى يمارسونها ، وتحليلا لبعض الظواهر المرتبطة بالحرف وممارستها ، وعلاقة ذلك بالمجتمع المحيط .

ونود ان نوضح ان التوصل الى تقرير واضح عن الدخول التى يحققها الغجر ، وعن اثمان البيع والشراء بالنسبة للسلع المختلفة بدا انه امرا مستحيلا . فقد كان من الصعب جدا تحديد دخول الغجر الذين يعملون فى اى مهنة ، ذلك ان الربح غير ثابت ، ومعظم اسعار السلع التى يبيعونها او ينتجونها لا يتحدد سعرها وفقا لمعايير ثابتة . ويتوقف تحديد ربح الغجرى على مهارته ودرايته بمتغيرات عديدة ، واستغلاله للظروف المحيطة به والأشخاص الذين يتعاملون معه . اما من يأخذون اجرا نظير عمل كالراقصات والمغنيين — فيتحدد اجرهم بطرق متباينة وفقا لمتغيرات يصعب حصرها ايضا .

الى جانب هذا يتكتم الغجرى تكتما شديدا على اسرار مهنته ، وبخاصة مسألة الدخل والربح ، وهو يتكتم ذلك بدافع الا يفكر آخر فى مشاركته فى هذا المجال من التجارة او المهن . ومن ناحية اخرى لأنه لا يود ان يطلع احدا على دخله . وقد ادى ذلك ببعض الغجريات اللواتى يغزلن الصوف الى محاولة الاسراع فى اخفاء كميات الصوف التى يغزلونها والتى كانت مكدسة فى احد الأحواش داخل البيت بمجرد مرورى من امام المنزل .

الحرف والأعمال التى يقوم بها الغجر

« أولا »

١ ـ الحرف التقليدية الخاصة بالغجر :

الحدادة : تعتبر الحدادة من أهم الحرف التقليدية التى يتخصص فيها الغجر ويحتكر ست جيرانها اعمال الحدادة فى قرى المنطقة . فهم يعدون لأهالى ست جيرانها ما يحتاجونه من أعمال الحدادة .

وترتبط الأسر الغجرية التى تعمل فى الحدادة بروابط قرابية قوية اذ ينتمون الى جد واحد كان يعمل حدادا ثم توارث ابناؤها هذه المهنة منه .

والملاحظ لأدوات العمل ، وطرق طرق الحديد وتصنيعه يدرك أن هناك تشابها يدل على ان أصول المهنة قد اكتسبت من مصدر واحد .

وقد كان الجد الأكبر لهذه الأسر يقطن بأسرته فى احدى قرى المنطقة ، وبعد ان كبر اولاده ابتداوا يتوزعون فى القرى المجاورة بواقع حداد لكل قرية . ويرجع سبب هذا التوزيع الى ان كل أسرة يمكن أن تغطى ما تتطلبه قرية واحدة من اعمال ، بالاضافة الى ان الانتشار يمكنهم من كسب مجالات اكبر . فالوضع الآن هو ان كل فرد يعيش بأسرته فى قرية ، ويعتبر حدادها الذى يعنى بكل مطالبها . وهم بذلك — ونظرا لتخصصهم فى هذه المهنة — يشتهرون بأنهم حدادون مهرة .

وقد كان الحداد فى الماضى يجول فى القرى المختلفة مع زوجته ويضع كور الحدادة والأدوات على حماره بحثا عن رزقه ، وكانت زوجته تساعده فى العمل عن طريق تشغيل الكور (الذى لم يكن يتعدى فى ذلك الوقت حجم « الجراب » الصغير) ودفع الهواء الى الفحم لكى يتوهج فيستطيع الغجرى تسخين الحديد وطرقه . ولكن يمارس الغجرى الآن الحدادة على قطعة من الأرض امام المنزل الذى يعيش فيه او بجواره . وغالبا ما تكون محاطة بثلاثة جدران اشبه بدكان بدائى دون باب . ويحوى هذا الدكان الكور الذى يستخدم للنفخ فى النار وهو عبارة عن قطعة كبيرة من القماش او الجلد متصلة بجنزير كبير ، وحينما يجذب الجنزير تنتفخ وتمتلىء بالهواء الذى تفرغه بمجرد ترك الجنزير . ويؤدى نفخ الهواء فى الفحم الى توهجه حيث يتم تسخين الحديد فيه استعدادا للطرق عليه . ويحوى الدكان ادوات اخرى مثل السندان والمطارق والأجنات التى تستخدم كلها فى طرق الحديد .

ويقوم الغجرى بالاضافة الى اصلاح جميع ادوات الزراعة والأدوات الحديدية بصفة عامة بصناعة بعض أدوات العمل الزراعى البسيطة مثل الفئوس « والشراشر » وغيرها . كما يصنع المسامير الكبيرة والأوتاد التى تربط بها البهائم فى الحقل ، والشناكل التى تعلق بها الأبواب . ويلاحظ ان لديهم مهارة فى تطويع الحديد لدرجة انهم لا يفشلون فى اصلاح اى شىء او

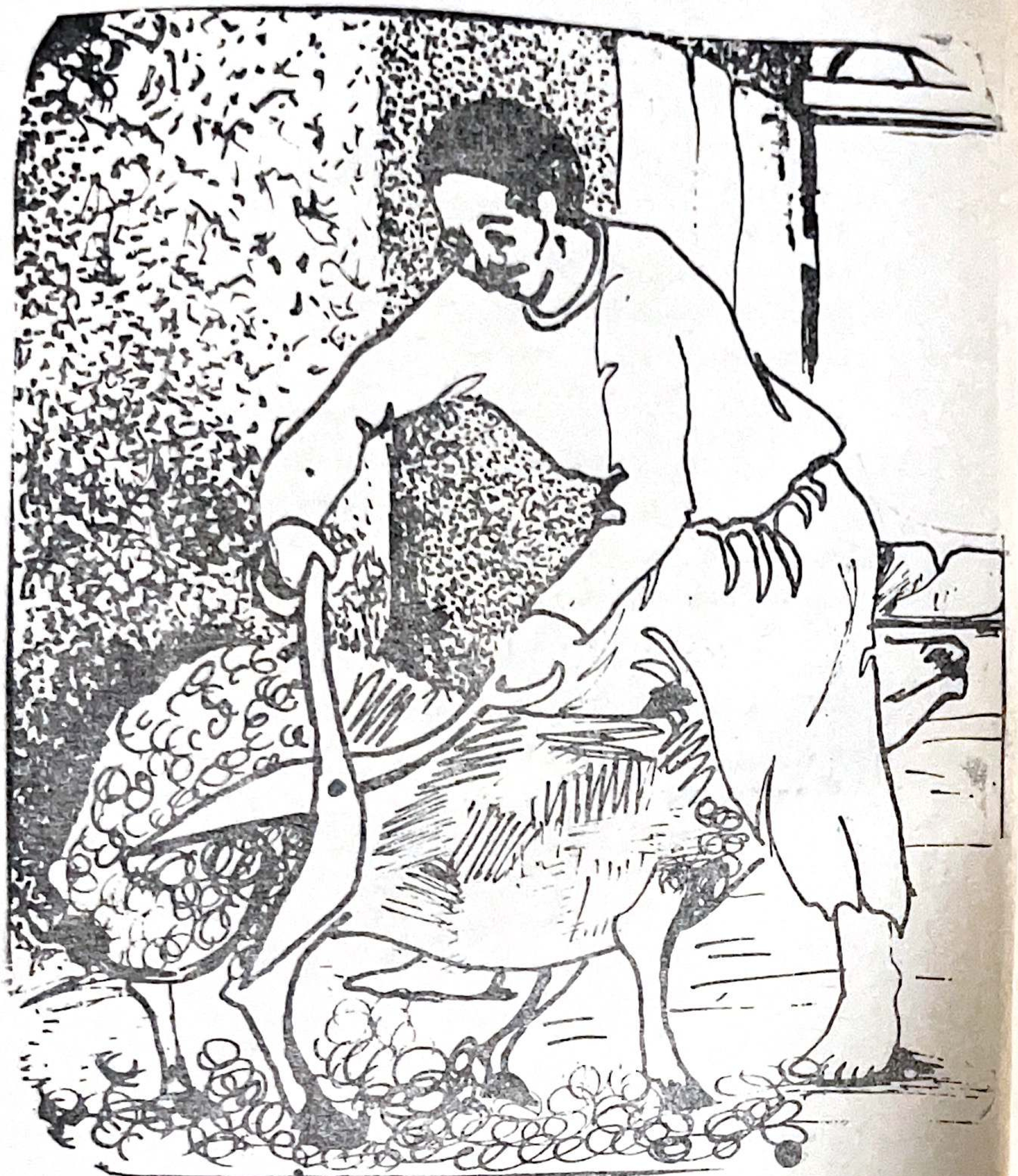
فى صنع اى اداة حديدية تطلب منهم . ويتم صنع هذه الأدوات من قطع الحديد الكسر التيقوم بشرائها من المدن القريبة . ونظرا لأنه ليست لديه مهاره فى النجارةفانه يشترى المقابض الخشبية التى تلزم الأدوات الزراعية مصنعة .

واذا نظرنا الى اعمال الحدادة نجدها تجمع بين النمط المهنى الذى يتمثل فى عمليات الاصلاح وبين النمط الانتاجى الذى يتمثل فى انتاج بعض ادوات العمل الزراعى . غير ان هذا الانتاج ليس كبيرا نظرا لبدائية الأدوات المستخدمة وعدم امكان انتاج عدد كبير من وحدات السلعة الواحدة ، ونظرا لعدم اتساع متطلبات السوق ، اذ أن الغجرى عليه ان يغطى فقط متطلبات اهالى قريته والقرى المجاورة . وتتم عملية التسويق محليا ، فيأتى اهالى القرية يطلبون من الغجرى شراء فأس او شرشرة أو ما شابه ذلك ، كما يتم تسويق ما يتبقى بعد ذلك فى سوق القرية . غير أن بعض الغجر ليس لديهم المال الكافى لانتاج عدد وحدات اكثر من الوحدات التى تطلب منهم ، وليست لديهم مهارة تسويقها ، او يفضلون الاقتصار على مجرد الوفاء بالأعمال التى يطلبها اهالى القرية ولذلك لا يصنعون هذه الأدوات الا عندما يطلب منهم ذلك .

السمكرة : يعمل بعض غجر المنطقة فى اعمال السمكرة مثل اصلاح الكوالين ، وعمل المفاتيح ، واصلاح مواقد الكيروسين (١) . لكنهم لا يمارسون اية اعمال اخرى من اعمال السمكرة . ويتجول الغجرى الذى يقوم باصلاح الأقفال والكوالين فى القرى حاملا صندوقه المعدنى الذى يحوى ادواته كما يحوى المفاتيح « الخام » . اما السمكرى الذى يقوم باصلاح مواقد الكيروسين عادة ما يعمل فىمنزله ، ويأتى الفلاحون اليه لاصلاح المواقد التىيستخدمونها.

وتعتبر فترة الشتاء فترة كساد بالنسبة لأعمال اصلاح « مواقد

(١) يطلق الغجرى على السمكرى اسم « براد » ذلك أن السمكرى حينما يقوم بعمل مفاتيح للكوالين فانه يقوم ببردها ، ولهذا يطلقون عليه لفظ « براد » .



جز صوف الغنم حرفة تقليدية للغجر

الكيروسين » فى المنطقة ، نظرا لأن اهالى سبت جيرانها من القرويين يستدفئون من برد الشتاء عن طريق ايقاد « المناقد » التى تنتشر فى البيئة الريفية ، وهم يستغلون هذه « المناقد » والحرارة المتولدة منها فى أغراض عمل الشاى وطهو الطعام . وينتشر بين الفلاحين مثل يقول : « نار الشيتا زفر » وهى تعنى أن الحرارة المتولدة عن « المنقد » الذى يستخدم للاستدفاء شتاء حرارة عالية ونارا ناضجة تؤدى الى افضل انضاج للطعام بحيث يمكن ان نشبه الحرارة المتولدة عن هذه النار بالغذاء المملوء دسما . وعلى ذلك فالغجر الذين يعملون فى هذه المهنة ينظرون الى فترة الشتاء على انها فترة كساد .

ويلاحظ أن زوجة السمكرى لا تستطيع ان تذهب وراءه فى القرى لمساعدته فى عمله ، فلم يسجل البحث أية نماذج لنساء يساعدن أزواجهن فى المفاتيح او الكوالين او اصلاح مواقد الكيروسين . ويلاحظ ايضا أن هذه المهنة ليست مقصورة على الغجر وحدهم اذ يمارسها أيضا غير الغجر ، مشهورين بمهارتهم فى اداء العمل .

اعمال الصوف : تعمل مجموعة ثالثة من غجر هذه المنطقة — وتعرف بالصوافة — فى بعض الأعمال الخاصة بجز وغزل ونسج أصواف الأغنام التى توجد فى المنطقة ، سواء كانت أغنام الفلاحين أو أغنام البدو المحيطين بالمنطقة . ويقول غجر المنطقة ان بعض من يعملون فى جز وغزل صوف الأغنام الآن كانوا يعملون فى تجارة القطن بمقتضى ترخيص رسمى من الكحومة — وهذا الفريق يتلقى الآن مساعدة مادية بمثابة معاش من الحكومة — والبعض الآخر لم يكن لديه هذا الترخيص . وبعد أن تخصصت المنطقة فى زراعة محاصيل أخرى — وفقا للخطة التى تحدد أنواع المحاصيل التى تزرعها كل منطقة — فقد تحول الغجر الى أعمال الصوف . ويمكن تقسيم أعمال الصوف الى : —

(أ) عملية الجز وقص شعر الأغنام :

تقوم فئة من الغجر الصوافة بالتجوال فى القرى بحثا عن الغنم لجز

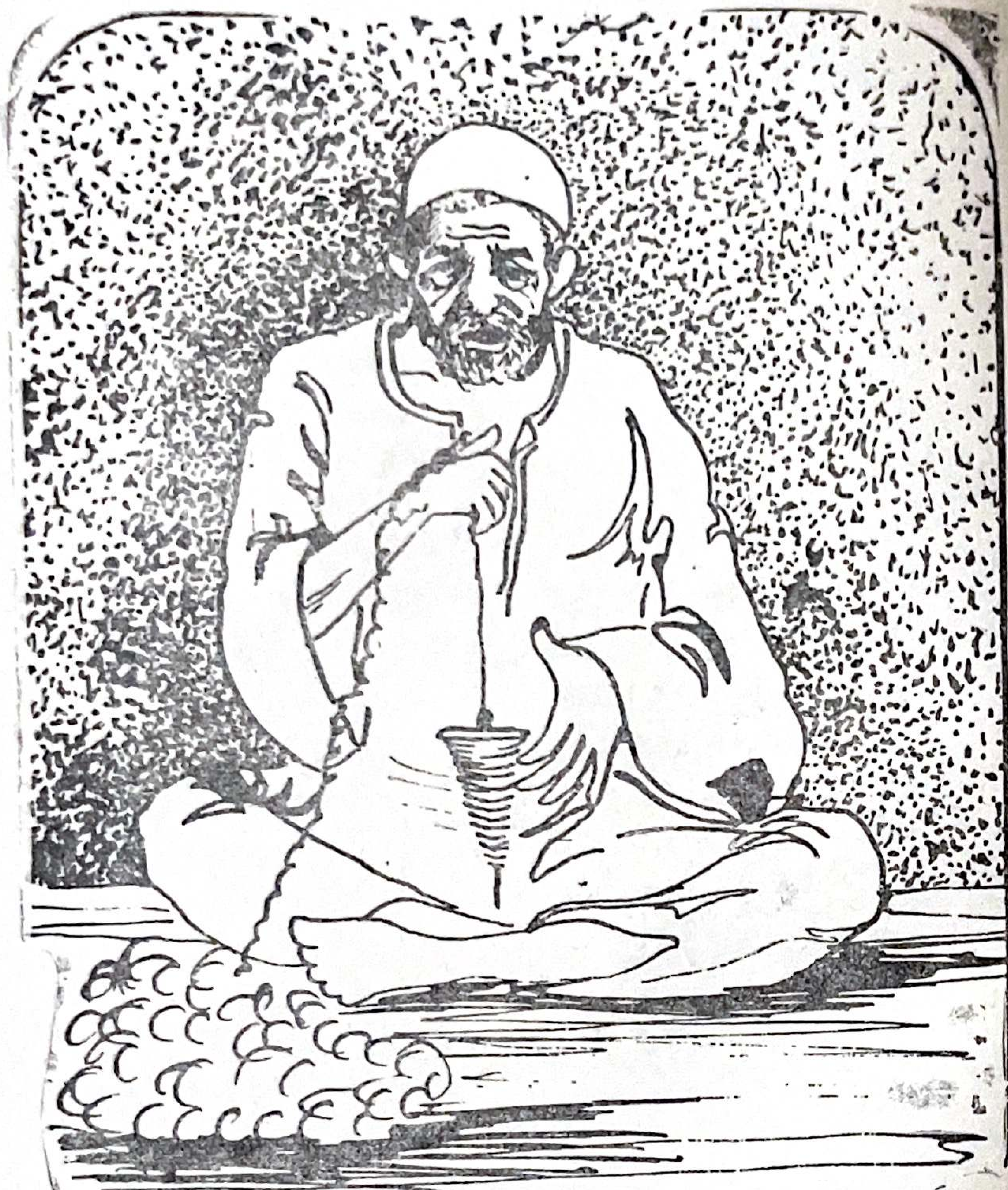
صوفها وقص شعرها . فالغجرى يتجول بمقصه وجواله فى القرى وفى المناطق التى يعيش فيها البدو لهذا الغرض . وهو فى بعض الأحيان يتقاضى اجرا عن عملية الجز نفسها ، وفى احيان اخرى يشـترى صوف الغنم متضمنا اجرة الجز . والفجرى الذى يشترى الصوف يقوم بجمعه وبعد ذلك اما ان يبيعه لتاجر او يقوم بغزله ونسجه .

والغجرى لديه خبرة بانواع الصوف الجيدة والأنواع الرديئة ، اذ ان الانواع الجيدة تعد اسهل — من جهة عملية الجز — واكثر ربحا ، كما ان تسويقها يتم بسهولة . وترجع الجودة الى عدد المرات التى تم فيها جز الشاه او النعجة ، فنوعية الصوف فى الجزه الأولى تكون اجود من الثانية او الثالثة او الرابعة .

ويبدأ موسم الجز فى شهر طوبة بعد عيد الغطاس مباشرة حيث تظهر بشائر الصوف . ويعمل الغجر كل أيام الأســبوع ما عدا يوم الاثنين اذ يعتبرونه « يوم الراحة » فيوم الاثنين هو يوم الســوق فى مدينة ست جيرانها حيث يتواجد كثير من الفلاحين فى المدينة لشراء ما يحتاجون اليه من السوق . وهنا يجب أن نلاحظ — وكما اشرنا قبل ذلك — انه ليس يوم الاجازه الأسبوعية بالنسبة للمصريين ، ولكنه اليوم الذى تجبرهم ظروف المهنة أن يعتبروه يوم راحتهم ، لهذا يوجد معظم الغجر الصوانة فى بيوتهم يوم الاثنين بعد عودتهم من سوق المدينة الذى يذهبون اليه لشراء بعض مستلزماتهم او لبيع بعض الصوف المغزول (٢) .

وهناك عمل شديد القرب من عملية جز وغزل الصوف ، ذلك هو قص شعر الماعز ، حيث يقوم بعض الغجر الذين يعملون فى جز الصوف بجز وغزل شعر الماعز لكى يحول بعد ذلك الى « زكائب » يضعون فيها الفلال . وفى احيان اخرى يخلط بصوف الأغنام وتصنع منه « الحمول » والبطاطين . ولكن لا يعتبر الفجر هذا العمل ذا قيمة كبيرة بالمقارنة بأعمال الصــوف ،

(٢) انظر اشاره الى هذه الظاهرة فى خاتمة الفصل الأول من هـذا البــاب .



غزل الصوف يدويا

وذلك بسبب أن عائده المادى اقل ، ولهذا لا نجد كثير من الغجر يهتمون بقص شعر الماعز ».

(ب) عملية الغزل :

يتخصص بعض الغجر فى عملية غزل الصوف ، ويتخصص فيها على وجه التحديد الرجال كبار السن الذين لا يمكنهم القيام بعمليات الجـزا ، ولا يتاجرون فى الصوف ، كما تتخصص النساء ايضا . ويميز الغجر بين الصوف الجيد الطويل الذى يمكن غزله على « القرداش » (٣) يدويا بسهولة ، وبين الصوف الردىء القصير الذى يسمونه القرش ــ وهذا لابد أن يقوموا أولا بقرد شته على « القرداش » ».

(ج) عملية النسج :

هناك عدد قليل جدا من الغجر يقومون بعملية النسج وتحويل الصوف الى اقمشة أو « أكلمة صوفية » . ويرجع السبب فى عدم ارتباط الغجر بأعمال النسج واقتصارهم على بيع الصوف مغزولا الى أن عملية النسيج تستغرق وقتا طويلا ، بينما يعد الوقت المبذول فى عملية جز الصـوف وغزله قصيرا ويدر ربحا اكبر . وبصفة عامة فليس لدى الغجر مهارة كبيرة فى عملية النســيج ، ويشـعرون أنهم يجب أن يتركوها للفلاحين الذين يتخصصون فيها فى المنطقة ».

(د) تجارة الصــوف :

تخصص بعض الغجر فى عملية الاتجار فى الصوف فقط ، ويعتبر أكبر تجمع لتجار الصوف فى قرية ستهم حيث يوجد بها كبار التجار . ويقــوم التاجر الغجرى بشراء الصوف من صغار التجار ، وهم الغجر الذين يقومون

---

(٣) القرداش هو آلة يدوية الصنع عبارة عن لوحة من الخشــب مثبت بها مسامير رأسية فى شكل خطوط منتظمة طولية وعرضية ، ويتم « فرد » الصوف القصير عن طريق تمريره بين هذه المسامير بحيث يصبح صالحا للغزل .

بعملية الجز والغزل ثم تجميع كمية الصوف التى يجزونها تمهيدا لبيعها . ويؤثر كبار التجار (تجار الجملة) فى سعر الصوف السائد فى السوق نظرا للكميات التى يتداولونها . وتعتبر هذه الفئة اكثر ثراءا من صغار الصوافة الذين يقومون بعملية الجز او الغزل .

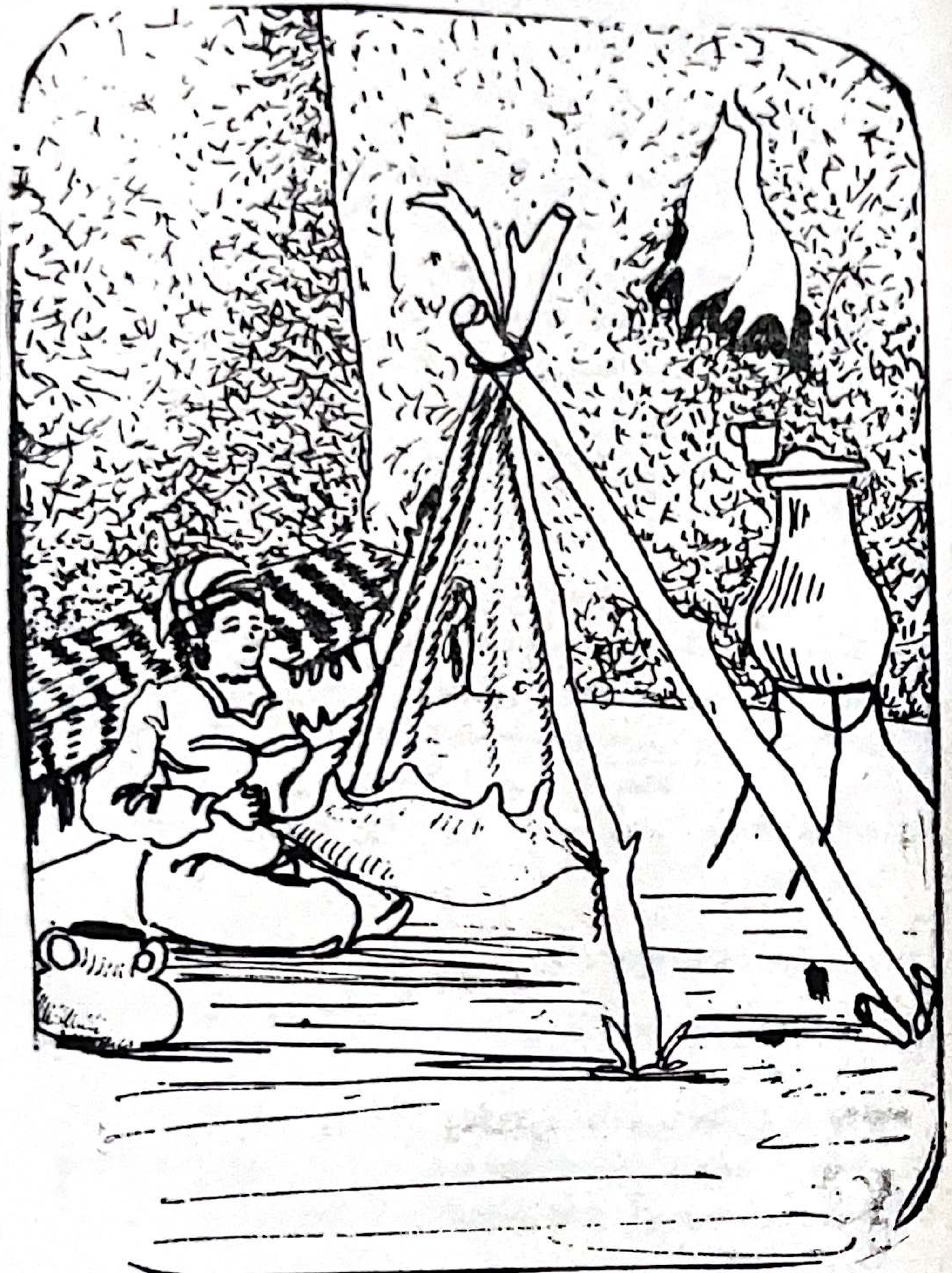
وهناك ملاحظتان : —

١ — ان الغجرى الواحد قد يقوم باكثر من عملية من العمليات السابقة . فهناك من يجز الصوف ثم يقوم بغزله او تقوم زوجته بغزله ، وهناك من يقوم بالعمليات التجارية الكبيرة ولكن افراد اسرته يقومون بعملية الغزل . كما أن من الغجر من يعمل فى جز الصوف ثم يعطيه لبعض اقاربه لغزله لحسابه حيث يدفع مبلغا معينا نظير غزله ، وبالتالى يرد اليه الصوف مغزولا لكى يبيعه بمعرفته . وغالبا ما يبحث الغجر الصوافة عن الأرامل الغجريات اللائى يمكنهن غزل الصوف . وقد تشترى الغجرية الصوف القرن (الخام) ممن قام بجزه ، وتغزله ثم تبيعه ، وتعد هذه الظاهرة من قبيل التعاون والتكافل — الذى سبق الاشارة اليه — فعندما توجد أرملة أو أسرة فقيرة فان المتيسرين الذين يتجرون فى كميات كبيرة من الصوف يعطونها بعض الصوف لغزله لكى تتكسب منه .

٢ — ان معظم افراد الأسرة يشاركون فى أعمال الصوف ، وحتى بالنسبة للأبناء الصغار الذين يقل سنهم عن عشر سنوات يمكن أن يساعدوا فى الأعمال البسيطة مثل نقله من مكان الى آخر او تنظيفه . وهى ان كانت تعتبر عمليات بسيطة الا ان المشاركة فيها تعد خطوة اولى نحو اكتساب العمليات الأساسية فى المهنة .

تجارة الجلود :

يتاجر بعض غجر المنطقة فى جلود الماشية والأغنام . فهم يشترون جلود الجاموس والأغنام من الفلاحين باثمان زهيدة ويبيعونها باثمان مرتفعة ، ويرجع ذلك الى ان معظم الفلاحين الذين يذبحون الماشية والأغنام يجهلون اثمان جلودها ، بجانب ان الفلاح لا يعرف كيف ينتفع بالجلد او يتصرف



تستخدم الفلاحة القربة لخض اللبن
وتبيعها للغجر بعد أن تبلى

فيه . لهذا يشتريه الغجرى ويتولى بيعه لتجار الجلود حيث يستخدم بعد ذلك فى صنع الأحذية . ويقسم الغجر تجارة الجلود الى نوعين ، تجارة القرب وتجارة جلود الماشية .

(أ) تجارة القـــرب :

تقوم المراة الفلاحة بخض اللبن فى قربة هى عبارة عن جلد ماعز أو شاه . وتفسد القربة بسبب بعض الأخطاء التى تقع فيها المراة الريفية ، وتصبح غير صالحة لخض اللبن ، ولهذا فهى تبيعها . ويقول الغجـــر أن القربة ليس لها عمر محدد للاستخدام ، بل انه كلما استخدمت كلما زاد كفاءتها فى اتمام عملية الخض على نحو مقبول . ولكن قد تتكاسل الفلاحة أو تنسى ان تنظف القربة جيدا بعد عملية الخض ، فتترك بها بعض رواسب اللبن ، فيصيبها ما يسمونه « الجرب » ، وباصابتها بالجرب لا تعـــود صالحة لخض اللبن .

ويقـــوم الغجرى بالبحث عن القرب التالفة فى القرى ويشتريها ، وعندما يتجمع لديه عدد كبير يبيعها الى تاجر التجزئة الذى يأتى الى المنطقة دوريا لتجميع القرب من الغجر ، وفى بعض الأحيـــان يذهب اليه الغجرى وهناك من الغجر من يتصلون مباشرة بالمدابغ فى القاهرة والفيوم ويبيعون القرب لها . وقد كانت المدابغ تستخدم جلود القرب فى صناعة البطانة الداخلية للأحذية ، ولكنها ــ بعد موجة الغلاء ــ أصبحت تستخدمها فى صنع الأحذية .

(ب) تجارة جلد الماشية :

يشترى بعض الغجر جلود الماشية من الجزارين فى المنطقة . وغالبا ما يدفع الغجرى للجزار مبلغا من المال يحتجز به جلود ما يذبحه من ماشية ، ويشتـــريها الغجرى بالوزن . ويعرف الغجرى جيدا نوعية الجلد الذى يشتريه ، فهناك نوعيات جيدة واخرى رديئة أو بها عيوب ومن الطبيعى ان الغجرى يشترى هذه الجلود الأخيرة بثمن أرخص .

ويلاحظ أن الغجر « الجلاده » يمكن ان يمتد نشاطهم الى خارج منطقة منت جيرانها ، حيث يبحثون عن الصوف والجلود فى مناطق بعيدة .

الغناء والرقص :

تتخصص بعض أسر المنطقة فى عملية الغناء والرقص . فهم يقومون باحياء الأفراح والاحتفالات التى يقيمها الأهالى المحيطين فى مناسبات الختان والسبوع وما الى ذلك . كما يحيون الاحتفالات التى تقام لأجل العائدين من الخارج سواء كانوا حجاجا أو عمالا عملوا لفترة خارج الوطن . كما تشترك هذه الفئة أيضا فى الموالد بالغناء والرقص . وفى هذه الحالة ينتقل معظم أفراد الأسرة للاقامة فى المولد طوال فترة الاحتفال .

وغالبا ما تشارك الأسرة كلها فى احياء الاحتفال ، فالنساء تغنى وترقص ، والرجال يغنون ويعزفون على الآلات الموسيقية . ولكن هناك بعض العائلات التى لا يعمل كل أفرادها فى الغناء والرقص ، فأحيانا يعمل الزوج طبالا أو زمارا (ويسمونه « سفرتى ») بينما لا تعمل الزوجة على الاطلاق . وقد تكون الزوجة راقصة بينما لا يمارس الزوج الغناء . وقد وجدت فى المنطقة مجموعة من الأسر تشارك معا فى احياء الأفراح ، اذ تمتلك معا اجهزة تكبير الصوت والآلات اللازمة للعمل بحيث تتكفل بكل ما يتعلق باحياء الفرح .

ويسود بين الجماعة التى تعمل فى هذا المجال نوع من تقسيم العمل ، فيقوم الرجال مع النساء باحياء الأفراح ليلا بالغناء والرقص ، ثم تذهب النساء الى منزل العروسين فى « الصباحية » للغناء حتى وقت الظهيرة . وتعد حراسة النساء والبنات من اختصاص الرجال ، فهم يقومون بحراستهن اثناء تأدية عملهن ممن قد يسىء اليهن .

وتعتبر النساء بما تقوم به من رقص مصدرا أساسيا للدخل فى الأسر الغجرية التى تخصصت فى هذه المهنة . ولهذا كان الأب يحرص دائما على أن تظل بناته معه فى نفس المنزل أطول مدة ممكنة لكى تدر له ربحا . وهذا



يقوم الغجر بالغناء والرقص فى الأفراح فى القرى المحيطة

يفسر ايضا حرص بعض الغجر على الزواج من الفتيات الراقصات فى سن مبكرة . ويفسر أيضـــا الكثير من المشكلات التى حدثت فى المنطقة والتى تتعلق بالتنافس على الزواج من الراقصات ، على الرغم من انه يشـــاع عنهن أنهن منحرفات . فقد حاول الأب فى بعض الأحيان حث ابنته الراقصة على أن تهجر بيت زوجها وتعود اليه لكى يستفيد مما تربحه من ممارستها للرقص . وعـــلى الرغم من أن اسباب بعض المشـــاكل التى تظهـــر بين هذه الأسر هى مادية تتعلق بما تدره الراقصات من دخل ، فان الغجر نظرا لأنهم يدركون أن مهنة الرقص مهنة محتقرة يحاولون أن يظهروا دائما انهم لم يعودوا يهتمون بهذه المهنة ، ويحاولون اخفاء الأسباب الحقيقية مدعين أنهم لا يرغبون أن تمارس نساءهم الرقص . ففى خلاف بين غجرى وزوجة ابنه اكد الغجرى أنه هجر الغناء ، كما لم يعد يرضى لزوجته او لبناته او لزوجة ابنه أن يمارسن هذا العمل الذى يتنافى مع الأخلاق . وعلى حـــد قوله « هذا العمل لم يعد مقبولا فى عالم اليوم » . واكد ابنه الذى كـــان يغنى فى الأفراح بدا يجول القرى لممارسة أعمال السمكرة ، وقد أوضح أن الخلاف مع أسرة زوجة ابنه يتخلص فى انه يود أن يبقى ابنه وزوجة ابنه معه فى المنزل لكى يلاحظ سلوكها ويتأكد من أنها هجرت مهنة الرقص . وكان حديث الغجرى عن مشكلته يبدو منطقيا ومتسقا ومقبولا . وقد فسر رأيه على انه خطوة نحو هجرة الرقص كعمل تقليدى لنساء الغجر ، كما حدث فى بعض الأسر الأخـــرى . ولكن اكد أهـــل الزوجة أن موضوع الخلاف يتلخص فى أن الغجرى دائم الشجار مع زوجة ابنه بسبب انه يسلبها كـــل ما تتقاضـــاه من الرقص فى الأفراح ، بل انه يدفعها الى الخروج يوميا للغناء والرقص ، ويزجرها اذا رفضت ذلك . وأكدت زوجة الابن واهلها أن هذا الغجرى مازال يمارس هو وزوجته العمل الفنى فى احياء الأفراح . وأنه يود أن تبقى زوجة ابنه معه لكى يستأثر بما تعمل به .

وقد اتضح من دراسة هذه الحالة أن الغجرى وأهل زوجة ابنه يتنافسون على جذب الأسرة الصغيرة للحصول على ما تكسبه زوجة الابن من مـــال من عملها فى الأفراح والاحتفالات .

وعلى الرغم مما يواجهه الغجر من نقد من المجتمع المحيط — وخاصة الغجريات — الا ان هناك بعض الأسر ما زالت مستمرة فى هذا العمل . ويبدو ان الغجريات اللائى يمارسن الرقص يصعب عليهن ان يقلعن عنه ، وذلك بسبب ان ما يدره هذا العمل من مال أكثر مما يدره غيره من اعمال ، وبسبب أن الرقص يصبح ممارسة تتعود عليها الراقصة ويصعب ان تقلع عنها . وقد عبرت عن ذلك غجرية اجبرت على ترك مهنة الرقص — على الرغم من ارتباطها بزوج ثرى وعدم احتياجها الى المال — بأنها مثل عصفور سجن فى قفص الى ان يموت . وتعتقد ان الفترة التى كانت تمارس فيها مهنة الرقص ، كانت فترة الحرية التى كان العصفور يحلق فيها فى كل مكان . ويذكر اهالى المنطقة ان زوجة احد عمد القرى كانت ترقص فى الأفراح ، ولم يتمكن العمدة من منعها من الرقص .

الاستجداء :

اتضح ان الاستجداء بالنسبة لغجر ست جيرانها (بصور مختلفة) ظاهرة عامة بالنسبة لبعض الأسر . وهم فى ذلك يشبهون الجماعات الغجرية الأخرى . ويتم الاستجداء سواء كانت الأسرة ترتبط بحرفة اخرى تتكسب منها ام لا . ذلك ان معظم اسر ست جيرانها تمارس الاستجداء بجانب العمل فى حرف اخرى . ولكن هناك بعض الأسر التى عرفت فى المنطقة منذ فترة طويلة من الزمن ويستحى افرادها أن يستجدوا ، وهؤلاء يأتى اليهم الأهالى المحيطين بهم ببعض كميات الحبوب كهبه فى مواسم الحصاد (٤).

---

(٤) يتجمع كثير من الغجر من بلاد مختلفة فى منطقة ست جيرانها فى شهر بشنس وذلك نظرا لأن ذلك الشهر يوافق جمع المحاصيل . ويقوم الغجر بالاستجداء بطريقة غير مباشرة بمحاولة التظاهر ببيع الكبريت او السجائر ، فيقوم الناس باعطائهم مساعدات سواء مادية او عينية دون اخذ الكبريت أو السجائرمقابلها . كما يتردد البعض منهم على بعض العائلات سنويا للاستجداء ، وهذا يضمن لهم الحصول على معونات شبه ثابتة كما يضمن لهم الاستجداء بطريقة أكثر كرامة . وتقوم بعض الأسر ايضا بجمع بقايا الحبوب أو المزروعات من الحقول فى هذه المواسم ، وهى تمثل مصدرا للطعام بالنسبة لهم ، أو يقومون ببيعه ، وفى هذه الحالة يشترك كل افراد الأسرة فى عمليات الجمع ..

وعلى الرغم من وجود بعض صور الاستجداء المستتر بالنسبة للرجال ، كأعمال التهنئة والغناء البسيط ، بغرض جمع المال ، الا ان الاستجداء كعمل — يمارسه الرجال — لم يظهر فى المنطقة الا بالنسبة لأشخاص قلائل جدا . وقد يقوم بعض ابناء الغجر بالاستجداء عن طريق عرض بعض السلاحف ليشاهدها الناس اثناء سيرها البطىء على الأرض مقابل بعض المال او الخبز . وعلى ذلك فالاستجداء يعتبر فى ست جيرانها عملا اساسيا من اعمال النساء .

وعلى الرغم من مشاركة بعض النساء لأزواجهن فى الحرف التى يعملون فيها ، فانهن يمارسن الاستجداء ايضا . ويتم ذلك بطرق مباشرة وغير مباشرة . فمن جهة الطرق المباشرة تتجول الغجرية فى القرى التى لا يعرفها فيها احد سواء داخل ست جيرانها او خارجها ، وتطرق الأبواب طالبة المساعدة . وتدعى الفتيات او النسوة منهن وفاة والدها او أنها تعول اخوتها او أمها الضريرة لاثارة شفقة الناس عليها . ويحكى غير الغجر الكثير من القصص التى تؤلفها الغجريات ببراعة لحث الناس على مساعدتها . وغالبا ما يجمعن بهذه الطريقة الكثير من الأطعمة اذ ان اهالى القرية يعطفون عليهن ، خاصة فى المناسبات والأعياد . وهذا يفسر حرص الغجرية الشديد — كما ذكرت — على الاستجداء من مناطق بعيدة عن مكان السكنى .

اما الطرق غير المباشرة التى تتبعها الغجريات فتتلخص فى أنها تمارس رؤية الطالع ، كما تقوم بعملية ارضاع الأطفال غير الغجر فى مقابل بعض المال او المواد الغذائية . فالغجرية تدور على المنازل وتطلب ارضاع الأطفال حديثى الولادة . ومتى ارضعت الطفل فهو يصبح — عرفا — ابنا لها ولهذا تأتى الى البيت لارضاعه فى أى وقت تريد ، وهذا يكون بمقابل ايضا . ونظرا لأن غير الغجر يدركون ذلك فهم يرفضون أن ترضعه الغجرية ، ولكنها تلح بشدة على ارضاعه ولو مرة واحدة ، لأنها تعلم انها اذا تمكنت من ارضاعه المرة الأولى فقط فهى ستتمكن من التردد على المنزل باستمرار .

وتستجدى الغجريات ايضا عن طريق ما يسمى « بالتهنئة » . فالغجرية تذهب على ابواب البيوت تردد بعض الأغانى فى مقابل المال او الحبوب او المواد الغذائية . وهى تبحث خاصة عن البيت الذى يوجد به طفل حديث الولادة ، او تم ختانه لكى « تهنى » اهله . وعادة ما تقوم بهذه المهمة الراقصات ، خاصة فى الأوقات التى لا يجدن فيها فرصة للعمل كراقصات . ففى هذه الأوقات تقوم الراقصة بالتهنئة او بارضاع الأطفال . وحتى اذا لم تكن هناك فرصة للتهنئة فالراقصة عادة ما يكون لها فى كل قرية زبائن يعرفونها ، وتمر عليهم دوريا فيتصدقون عليها ، وهذا يمثل مصدرا ثابتا للرزق .

الخردوات : « التجار البضاعين » : (٥)

اما الاتجار فى الخردوات فهو مجرد تطور لنوع البضاعة التى تخصص الغجر فى الاتجار فيها قبل ذلك . فقد كان الغجر يبيعون مناديل الرأس (الترابيع) وبعض الأدوات المنزلية فى الأسواق . ولكن عندما توفر المال اللازم ابتدأ البعض يتجر فى الأقشمة والأدوات المنزلية ، وادوات تنظيف المنازل ، والأحذية و « الصنادل » ، وانواع الملبوسات البسيطة .

واذا كان الغجر قد طوروا نوع البضاعة ، فقد طوروا ايضا امكانيات ووسائل تسويقها ، فقد كان الغجرى يحمل بضاعته على ظهره يجول بها فى الأسواق ، ثم بدا يستعمل الدواب التى يضع عليها اسياخا مستعرضة من الحديد ويضع عليها البضاعة . وتطور الأمر الى ان اصبح الغجرى يمتلك عربة « كارو » التى يجرها حمار حيث يضع عليها البضاعة ويركب فوقها ليصل فى سرعة وسهولة الى السوق فى القرية التى ينوى الذهاب اليها .

---

(٥) يطلق الغجر فى هذه المنطقة على الخردواتية لفظ « البضاعين » بمعنى الذين يبيعون البضائع . وعلى الرغم من ان هذا اللفظ ينطبق على اى شخص من الخردواتية غير الغجر ، الا انه يوحى بأن المقصود به الخردواتية الغجر نظرا لأنهم يقومون بالنصيب الأكبر من هذه التجارة ، ونظرا لأن الغجر هم الذين يستخدمون هذا اللفظ .



الاستجداء بطرق متعددة عمل اساسى للنساء

ويعرض الغجر بضاعتهم فى سوق المدينة او اسواق القرى التى تكون فى ايام مختلفة من الأسبوع ، بحيث يقضى الغجرى كل يوم من ايام الأسبوع فى سوق معينة . وقد ادى العمل فى الأسواق الى تنظيم الروتين اليومى للغجر . فالزوجات يعرفن متى ينتهى سوق كل قرية ، ويعرفن مواعيد عودة ازواجهن من السوق بناء على معرفتهن أيضا للمسافة التى يقطعها الزوج بين السوق والبيت . ولكن فى بعض الأحيان يتغير هذا الروتين بسبب توقف البيع فى السوق ، فأحيانا يتوقف البيع بسبب سوء الأحوال الجوية مثل هبوب العواصف وهطول الأمطار مما يجعل الناس يهربون من السوق فيضطر الغجرى الى تغطية بضاعته او جمعها ومغادرة السوق ان استمر الجو غير مناسب نظرا لأن العواصف تهيل الاتربة على البضاعة وعلى الناس ، كما تؤدى الأمطار الى اتلاف البضائع . ويعكس عدم قدرة الغجرى على التغلب على هذه المشكلة مستوى ثقافته ، وامكانياته المادية ايضا .

ويلاحظ أن احتكاك هؤلاء الغجر الذين يعملون تجارا للأقمشة والملابس والأدوات المنزلية بغير الغجر يكون اكثر كثافة ، فهم لا يكونون علاقات مع أبناء القرية فقط ولكنهم يكونون علاقات خارج القرية نتيجة عملهم فى أسواق القرى الأخرى . واذ كانت بعض هذه العلاقات تظل حبيسة التعامل التجارى ، فان بعضها الآخر قد يمتد الى أبعد من مجرد التعامل التجارى بفعل عامل الثقة الذى يتولد بين الغجرى التاجر وبين الزبون . خاصة وان بعض الزبائن يسددون اثمان ما يشترونه على اقساط . ومع ذلك ففى بعض الأحيان تحدث بعض الخلافات نتيجة عمليات البيع والشراء بين القروويين وبين « الخردواتية » . وقد تكون هذه المشاجرات بسبب بضاعة غير جيدة استلمها احدهم فوجد بها عينا ، أو بسبب عدم دفع بعض المشترين لما عليهم من باقى ثمن البضاعة التى اشتروها .

ولكن هذه المشاجرات لا تتعدى حدود المشادة الكلامية غالبا ، وهى عادة ما تنتهى دون تدخل آخرين بين البائع والمشترى . فالغجرى دائما يحرص على « زبونه » ، كما يحرص على عدم تصعيد الموقف ، كما أن الزبون

لا يميل الى التشاجر مع الغجرى هذا بجانب أن معظم « الزبائن » من النساء .

ويقوم الخردواتية بشراء بضاعتهم من الملابس وغيرها من أسواق مدينة القاهرة وخاصة « الموسكى » . وغالبا ما تكون هذه البضاعة من الدرجة الثانية أو الثالثة . ولذا عادة ما تكون رخيصة ، وأحيانا يعاونهم أبناءهم كبار السن . فقد كان أحد الأبناء مجندا ، وكان وهو فى طريق عودته الى القرية — فى الأجازات — يشترى لوالده البضاعة التى يحتاجها من مدينة القاهرة . وهذا أيضا ما يؤدى الى تكوين بعض العلاقات بينهم وبين ما يشترون منهم البضائع .

٢ — مهنا وأعمال أخرى :

يمارس بعض غجر المنطقة حرف وأعمالا أخرى ، وهى يمكن تقسيمها نوعين : النوع الأول : مهن شبه غجرية وهى تلك التى يمارسها بعض الغجر فى مناطق أخرى ، ولكن قد يشاركهم فيها غير الغجر ، والنوع الثانى : هو المهن والأعمال التى لا ترتبط بالغجر بل هى مهن وأعمال يمارسها غير الغجر ، وارتبط بعض غجر المنطقة بالعمل فيها سواء عملوا مستقلين أو عملوا كعمال تابعين لغير الغجر . والملاحظة الأساسية التى يجب أن نضعها فى اعتبارنا هو أن عدد من يعملون فى مثل هذه المهن عدد قليل .

(أ) المهن والأعمال شبه الغجرية :

لا يتعدى من يعملون فى كل حرفة من الحرف الآتية فرد أو فردين من الغجر على الأكثر :

** **صنع البرادع :** هناك غجرى واحد فقط فى المنطقة يقوم بعمل برادع الحمير والخيول ، وقد هاجر هذا الشخص الى منطقة أخرى .



يعمل بعض الغجر كتجار للبضائع والأدوات المنزلية فى أسواق القرى

**** ترويض القرود** : كان يسكن فى المنطقة الى وقت قريب غجرى يروض قردا . ولكن نظرا لأن المنطقة ليست مناسبة لمثل هذا العمل ، فقد هجر الغجرى ست جيرانها الى منطقة حضرية مجاورة بها بعض الأماكن السياحية حيث يجد مجالا للكسب من وراء القرد الذى يقوم بتدريبه على اداء بعض الألعاب والحركات امام الناس .

**** العمل على عربات الكارو** : يمتلك بعض الغجر عربات الكارو ، وهى تستخدم لأكثر من غرض . فهى تستخدم لنقل القرويين وما يحملونه من مكان الى آخر . وتستخدم أيضا فى نقل بضائعهم وأمتعتهم من مكان الى آخر . وعادة ما يعمل ابناء الغجر على هذه العربات .

**** بيع الأطعمة والأدوات** : يعمل بعض الغجر باعة متجولين ، اذ يجولون فى القرى يحملون قفصا صغيرا به بعض البريك والفاكهة . وهم غالبا ما يبيعون الفاكهة بكميات صغيرة جدا لتلاميذ او لأبناء الأهالى فى حوارى القرية . فالتلميذ عادة ما يشترى وحدة واحدة من الفاكهة بقرش أو قرشين على الأكثر . ويطلق الغجر على هذا البائع فكهانى « ريفى » بالنظر الى حجم تجارته ، والى السوق الذى يروج فيها بضاعته .

**** عمليات البيطرة (٦)** : عادة ما يقوم الغجر الذين يطببون الحيوانات بالطرق الشعبية بتجارة الحمير ، ولكن نظرا لأن عدد من يعملون فى هذا الفن يعتبر عددا قليلا ، فان تجارة الحمير غير منتشرة أيضا فى المنطقة .

**** عمليات نقل المياه « السقا »** : يوجد غجرى واحد فى المنطقة يحمل الماء على كتفه فى قربة وينقلها الى السوق حيث يروى عطش من يقضون يومهم فى سوق القرية من التجار أو من يشترون منهم . وعلى ذلك فهو يوجد كل يوم فى سوق مختلفة . ويشعر من هم فى السوق انهم فى حاجة ماسة

---

(٦) يلاحظ أن البيطرة تعتبر مهنة أساسية تقليدية للغجر فى مختلف بلاد العالم . وفى مناطق أخرى فى مصر يقوم الغجر بتطبيب الحمير (فى مقابل تطبيب الخيل فى الخارج) .

الى هذا الشخص فى ايام الصيف على وجه الخصوص حيث يكـون الجو حـارا .

** **جمع شعر الحيوانات** : تخصص الغجر ايضـا فى قص وجمع شـعر الحيوانات ، مثل الخيول والحمير وغيرها . وهم يخلطونه مـع بعض المواد الأخرى لعمل الزكائب .

** **جمع القرد** : تخصص غجرى واحد فى جمع القرد من الشـجر . ويقال ان القرد يستخدم كمادة مثبتة للألوان . فاذا اضيف الى الحنة فهو يساعد على تثبيت اللون . كما يستخدم ايضا كعلاج لبعض أمراض البشرة .

(ب) المهن والأعمال غير المرتبطة بالغجر :

** **العمل فى الزراعة** : ارتبط عدد قليل جـدا من الغجر بالعمل فى الزراعة . وقد كانوا مجرد عمال زراعيين ارتبطوا بعملية « التذرية » على وجه الخصوص فلم يفلحوا الأرض نظرا لأنهم غير مهرة فى هذا المجال ، والدليل على ذلك ان الغجر لا يرتبطون بالعمل الزراعى على الاطلاق على الرغم من ان سـت جيرانها منطقة زراعية اساسا . بل وتعتبر منطقـة اساسية لانتاج بعض المحاصيل فى مصر مثل قصب السكر . واذا كان بعض الغجر قد امتلكوا اراضى زراعية فى الماضى فانهم قد اجروها للفلاحين لزراعتها .

** **محلات البقالة** : اتجه غجرى الى العمل فى البقالة فى القرية التى يعيش فيها . ويعد العمـل فى البقالـة اتجاها حديثا نحو العمل فى مهن غير غجرية . ويقع دكان الغجرى بجوار المسـكن الذى يسـكن فيه . ولا يقتصر البيع على انواع محددة ، بل يقوم — بجانب البقالة — ببيع بعض انواع الأطعمة ، والأقمشة ، والمواد التموينية ... الخ . كما أنه يبيع اللحم لأهالى القرية ، فالغجرى يذبح جاموسة كل اسبوع ويبيعها للأهالى ، وهو يكسب من ذلك الكثير اذ أنه دائما ما يبيع للناس بالأجل « شكك » ولهذا يتحكم فى سعر البيع . كما ان بعض السلع التى لا يستطيع الزبون شراءها فى صورة عبوات ، يجزئها الغجرى ويبيعها مجزءة . فالغجـرى

يشترى مثلا كيلو الشـاى ثم يجزئه ويبيعه ويحقق بذلك ربحا كثيرا . ولا شك ان بقال القرية هـو اكثر احتكاكا بأهالى القرية فكلهم يعرفونه ويشترون منه . وهو وان كان ثابتا فى مكانه وله علاقات مع الأهالى ، فهو ايضا له علاقات خارج المجتمع مع تجار الجملة .

** **بيع الأطعمة الجاهزة** : افتتحت ارملة غجرية مطعما فى احـدى القرى ، وتعمل فيه هى وابنتها ، وتشترى كل ما يلزمها للعمل من المطعم من مدينة القاهرة .

** **تـلاوة القـرآن** : عمل غجرى آخـر من غجر المنطقة مقرىء للقرآن . حيث يدعى فى المناسـبات الدينية وعند حدوث الوفاة لتلاوة القرآن . وقد ورث الغجرى هذه المهنة من والده ، ومع ذلك فان ابنه يعمل حدادا .

** **الحـلاقة** : ويعمل غجرى واحد حلاقـا .

** **الأعمال الرسـمية والحكومية** : وقد ارتبط عدد قليل من الغجر بالأعمال الحكومية ، أو عملوا فى بعض الهيئات . ويعمل احدهم فى تنظيف الترع من الحشرات عن طريق رشها بالمواد الكيميائية لقتل الميكروبات ، ويعتبر هذا العمل عملا موسميا . ويعمل شخص آخر فى الأعمال الكتابية بالجيش فى منطقـة خارج سـت جيرانها . وبعض الغجـر عمال بناء « باليومية » . وقد افادت خبرة البعض فى عمليات الحدادة فى أن يعملوا حدادين لدى مقاولين فى عمليات البناء الكبيرة ، وبعضهم عمل فى الحدادة فى المصانع او فى هيئة الطرق والكبارى ، وعمل غجرى من هؤلاء الحدادين عاملا فنيا (كهربائى) فى وزارة التربية والتعليم (فى المدارس الواقعة فى نطاق ست جيرانها) .

٣ — العمل خارج مصر :

عمل عدد قليل من الغجر فى البلاد العربية . وقد نمت هذه الفكرة عند بعضهم نتيجة الاحتكاك بالمجتمع الأكبر ، ونتيجة وجود طموح عند بعضهم

جدول يوضح التوزيع المهنى لأرباب الأسر او الأفراد فى سن العمل فى القرى المختلفة

القرية	صوانة + جلود	تجار + خردوات	سمكرية	فنانين	شحاتين	مهن اخرى	حدادين	مجموع
ستهم	٦٣	١	٣	٣	٢			٨٢
ستجيرانها	٣٢		٥		٢	٦	٢	٤٧
ستالناس	١	١	٣	٩				١٤
الطرمبة	٢		١				٢	٥
السكران	٩	٢	١		٤	٣	١	٢٠
هنا	٧							٧
هنادى	٣	٤	٩	٣	٢	٣		٢٤
لونه						١٢		١٢
مشتهى	١٣						١	١٤
كدابةالصغرى	٣١	٤		١		٣	١	٤٠
فرحة			٩	٢٠		٥	٤	٣٨
شهبندر		٣				٢		٥
كدبة الكبرى			١				٣	٤
صدفة			٤				١٥	١٩
النداهة			٢			١	٢	٥
الرغايات	٦	٥				٤	٢	١٧
المجموع	١٦٧	٣٠	٣٨	٣٦	١٠	٣٩	٣٣	٣٥٣

لتحسين مستواهم الاقتصادى . ونظرا لأنهم عمالا مهرة فى بعض الحرف فان من سافروا نجحوا فى الأعمال التى ارتبطوا بها والتى تحتاج الى هـذه المهارات . وقد قضى معظمهم عدة سنوات خارج مصر ، ثم عاد بعد ان كون مبلغا من المال .

« ثـانيا »

التوزيع الحرفى والمهنى للغجر فى ست جيرانها

لا يخضع التوزيع المهنى للغجر داخل القرى لخطة مرسومة من قبلهم ، اللهم فى حالـة الحدادين ، بحيث يوجـد فى القريـة الواحـدة غجـر يمارسـون اكثـر من مهنة ، فى حين تخلـو بعض القـرى من غجـر يمارسون أكثر من مهنة فى نفس الوقت . ويرجع ذلك الى ان الغجر لا يعملون وفق تخطيط اقتصادى يجمعهم جميعا ، أو يجمع كل جماعة تعمل فى مهنة معينة . فكل اسرة زواجية او ممتدة او كل تجمع قرابى يمثل وحدة قرابية ويمثل وحدة اقتصادية مستقلة من جهة ممارسة العمل .



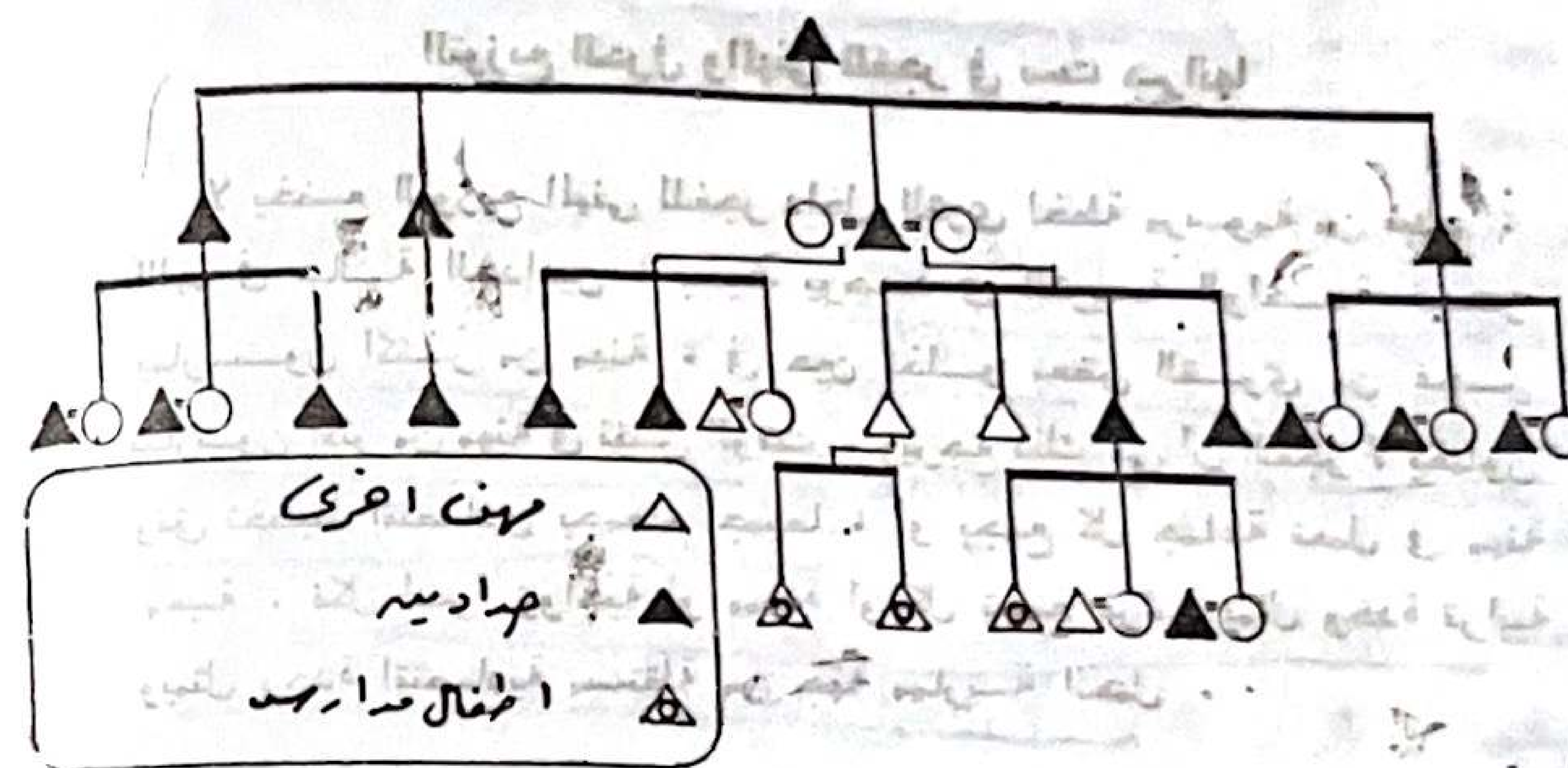
ويجب ان نلاحظ — كما هو موضح بالجدول — ان هذه الأعداد هى اعداد ارباب الأسر العاملين بالفعل فى المهنة او ابناؤهم فى سن تسمح لهم بالعمل فى المهنة ، اى من يمارسونها بالفعل . ولهذا تعتبر وحدة العد هى الفرد وتبقى اسرة الفرد تابعة له فى نفس المهنة ، وعلى ذلك فربما يوجد اطفال صغار يمكن ان يساعدوا بصفة غير منتظمة او يقومون بالمساعدة فى عمليات غير اساسية فى بعض المهن .

واذا نظرنا الى حجم القوة العاملة نجد ان نسبة ٤١٫٢٪ من مجموع السكان هم عاملون فعلا . فهناك ٣٥٣ فرد من مجموع الغجر البالغ ٨٥٦ يعملون ، والباقى يعدون أطفالا او نساء او اشخاصا معوقون كالبله او العته او العمى . ويرجع صغر حجم القوة العاملة لدى الغجر الى ان عدد الأطفال بالنسبة لكل اسرة كبير . هذا بالاضافة الى النساء اللواتى لا يعملن والمعوقين . ولكن يجب ان نضع فى اعتبارنا عدم الدقة المتناهية

نموذج رقم ١

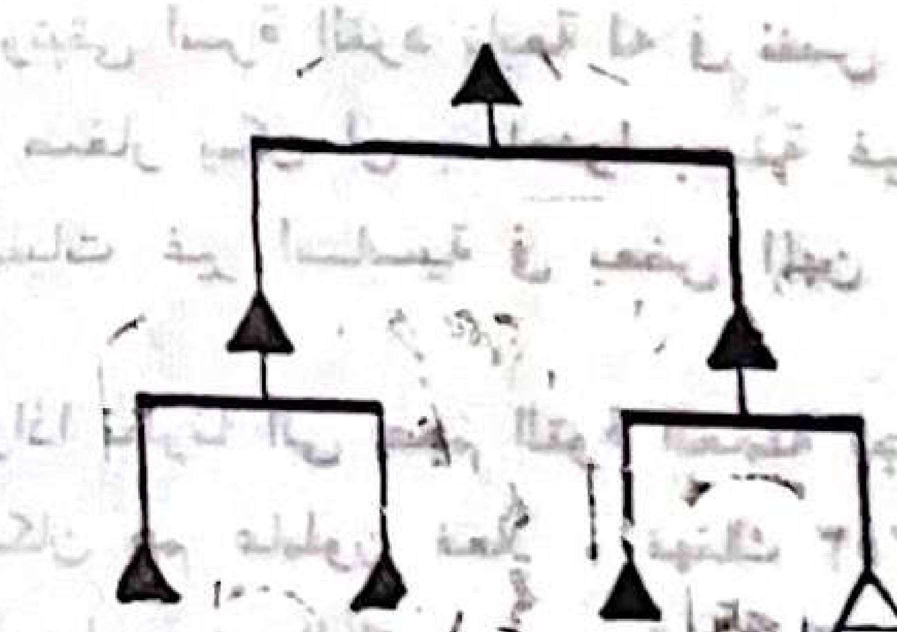
الحفاظ على الحرف التقليدية

نماذج من قريتى صدفة والطرمبة



شكل ١

شكل ١ توريث المهنة وتزويج الأب لبناته من ذكور يعملون فى نفس المهنة .



شكل ٢

شكل ٢ توريث المهنة للذكور من الأبناء .

للاعداد المذكورة فى الجدول — من حيث مدى مطابقتها للواقع — فلابد ان يكون هناك مدى للتجاوز وذلك نظرا لأن هناك افرادا يعملون ولم يسجلوا ضمن القوة العاملة كالنساء التى لا تعمل اى عمل ولكنها تستجدى ، ولم يذكر زوجها أنها تستجدى . كذلك فالأطفال يمكن ان يعملوا بغير انتظام فى سن مبكرة وهذا ما يصعب حصره . ولكن هذه الأرقام اقرب بدرجة كبيرة جدا الى الواقع .

اما من جهة توزيع المهن والحرف المختلفة فى القرى فنجد ان قرية ستهم تضم اكبر تجمع للصوافة وبعض التجار والسمكرية والفنانين بينما لا توجد مهن اخرى . ويتوفر فى مدينة ست جيرانها اعداد من الغجر يعملون فى المهن التقليدية للغجر ، ويعمل بعضهم ايضا فى مهن غير تقليدية ، وكذلك الحال بالنسبة لقرية هنادى . وكما ذكرنا فان بعض القرى تخلو تماما الا من الغجر الذين يمتهنون مهنة واحدة او اثنين ، فقرية مشتهى لا يوجد بها الا الصوافة بجانب اسرة حدادين واحدة . ويتركز فى قرية شهبندر النجار وبعض ممن يعملون فى مهن غير تقليدية ، كذلك فان كداية الكبرى وصدفة والنداهة والرغايات كلها قرى لا يوجد بها سوى السمكارية والحدادين . وعلى ذلك فان الصوافة يتواجدون فى عشرة قرى ، أما الشحاذين ففى اربعة قرى . اما اصحاب المهن الأخرى والتى يعتبر معظمها مهنا غير غجرية فهم يتوزعون فى عشرة قرى ايضا . اما الفنانين والراقصات فهم يتركزون فى خمسة قرى فقط هى ستهم وست الناس وهنادى وكداية الصغرى وفرحة . ولا يخضع هذا التوزيع — كما ذكرنا — لأية خطة واعية ذلك أنه لا توجد ضرورة مثلا لأن يتجمع من يقومون باعمال تجارية فى مكان واحد . وقد تكون هناك عوامل اجتماعية وقرابية (كما سنوضح فيما بعد) هى التى ساعدت على وجود الغجرى موزعين بالقرى بالشكل الحالى . غير ان هناك استثناء واحد وهو ان اسر الحدادين هى التى تتوزع واعيا فى القرى . فالحدادين ينتشرون فى غالبية قرى ست جيرانها بواقع اسرة (قد تضم أكثر من فرد يعمل فى الحدادة) فى كل قرية للوفاء باحتياجات

السوق ، ويستثنى من ذلك اربعة قرى لا يوجد بها حدادين نظرا لقربها الشديد من قرى اخرى يوجد بها الحدادين . وهناك حداد ينتقل كل فترة الى قريـة ليس بها حدادين للقيام باعمال الحدادة هناك . غير ان فكرة التالف والجوار وما يترتب عليه من حماية لبعضهم اجتماعيا واقتصاديا يمكن ان تكون دفعت البعض الى التجمع فى قرى معينة كالصوانة مثلا .

اما من وجهة نظر من يعملون فى كل مهنة الى مجموع القوة العاملة فمن الواضـح ان الصوانة يمثلون اكبر نسـبة من جهة نوعية المهنة . فنسبتهم تبلغ ٤٧٫٣٪ بالنسبة لمجموع العاملين (١٦٧ / ٣٥٣) . ويتركز اكبر عدد من الصوانة فى قرية ستهم ، يلى ذلك السـمكرية ثم الفنانين والحدادين ثم « الخردواتية » .

اما نسبة من يعملون فى مهن اخرى فهى نسبة قليلة اذ يبلغ عدد من يعملون فى مهن اخرى ٣٩ فردا بنسبة ١١٪ ولا تمثل كل هذه الحالات خروجا عن المهن التقليدية ، فبعضهم يعمل فى المهن التقليدية ايضا مثـل البيطرة واسـتخدام تدريب القرود وما الى ذلك ، والبقية تعمل فى مهن غير غجرية .

وهناك ملاحظة هامة هى ان التجمع الأسرى الواحد قد يضم افرادا يعملون فى اكثر من مهنة ، فقد وجدت فى المنطقة بعض الأسر تعمل فيها النساء فى الرقص والرجال يعملون سمكرية . كما ادى الزواج من خارج الوحدة القرابية الى نفس الظاهرة ، فقد تزوجت بنات احد السمكرية من عدد من الاخوة يبيعون البريك فى حين ان اخوتهن يعملون سمكرية كوالدهم . وهذا ادى الى ان تتضمن الوحدة القرابية الواحدة افرادا يعملون فى اكثر من مهنة .

« ثالثا »

الحراك الحرفى والمهنى

هناك بعض الظواهر التى ترتبط بالحرف والأعمال التى يقوم بهـا الغجر فى المنطقة وهى :

●● التمسك بالحرف التقليدية :

ان الغالبية العظمى من غجر المنطقة يرتبطون بالحرف التقليدية وان كان قد ظهر اتجاه عند البعض جعلهم يتحولون الى مهن اخرى .

فمعظم الأبناء يتوارثون مهن الآباء . غير ان بعض الأفراد قد هجروا المهن التقليدية تماما وبعضهم الآخر عمل فى مهن غير غجرية وظل يمارس الحرفة التقليدية ايضا .

والنماذج الثلاثة الاتية تمثل ثلاث تجمعات غجرية اختيرت لتوضيح ثلاث درجات متفاوتة للتمسك بالمهن التقليدية ، فالنموذج الأول هو تجمع عدد من الوحدات القرابية الصغيرة الموزعة فى اكثر من قرية ، وتمثل سـتة اخوة (اجداد) يعيشون فى خمس قرى ، وقد انحدروا من جد كبير كان حدادا ايضا . واذا كان هذا التجمع القرابى المهنى يحوى ثلاثين شخصا فى سن العمل او الدراسة فان ستة عشر فردا موزعين على الأجيال الثلاثة (اجداد ــ آباء ــ احفاد) يعملون فى الحدادة ، و ٦ بنات تزوجن رجـال يعملون فى نفس المهنة وبذلك يكون هناك ٣ اشخاص هجروا هذه المهنة الى مهن غير غجرية ، وفتاتان تزوجتا شخصين يعملان فى مهن غير غجرية ايضا ، ثم ثلاثة تلاميذ يتعلمون فى المدارس . ويمثل هذا التجمع نموذجا للحفاظ على المهنة وتوارثها والارتباط القرابى بمن يعملون فى نفس المهنة . ويلاحظ ان بعضـا من هؤلاء الذين يعملون فى المصانع يعملون فى الحدادة ايضـا .

والنموذج الثانى هو ايضـا من اسر الحدادين ، وقد تم اختياره من من اسر الحدادين لتوضيح اثر عوامل اخرى فى ترك المهن التقليدية . وهذا النموذج لأسرتى اخوين احداها تعيش فى قرية الرغايات والأخرى فى مدينة ست جيرانها .

وعلى الرغم من ان الأخوين انحدرا من اسرة حدادين الا ان عوامل وظروف اخرى اثرت عليهما بحيث وضـعتهما فى مرحلة متوسطة بين

التمسك بالمهنة وتركها . ذلك ان الأخ الأول الذى يعيش فى الرغايات يعمل حدادا وهو عامل فى مدرسة ايضا اقتنع بأهمية التعليم فادخل ابنيه المدرسة ، كما انه متزوج من زوجة من غير الغجر وهى تشجع على تعليم اولادها ايضا . اما الأخ الثانى فهو يعيش فى مدينة ست جيرانها ، وقد ادى وجوده فى المدينة بجانب كونه متزوجا من غير الغجر ، بالاضافة الى أن عددا من ابنائه قد عمل لعدة سنوات فى البلاد العربية الى أن بقى ابن واحد فقط يعمل معه فى الحدادة بجانب أن بناته قد تزوجن من أفراد لا يعملون فى المهن التقليدية للغجر .

وقد ذكر حداد شجع ابنه على أن ينخرط فى مهنة غير تقليدية انه اراد له ان يترك الحرفة لكى ينجو من المشقة التى يتحملها الحداد فى ممارسته لحرفته . مثل حمل قطع الحديد الغفل الى مكان العمل ، وتحمل الحرارة الشديدة نتيجة الوقوف أمام الكور لمدة طويلة فى فصل الصيف ، بجانب مشقة الطرق بالمرزبة على الحديد .

واذا اعتبرنا هاتين الأسرتين تمثلان تجمعا قرابيا واحدا ، فان ثلاثة اشخاص من ثمانية هم الذين بقوا متمسكين بالمهن التقليدية . وينتظر ان تزداد نسبة من سيهجرون المهن التقليدية فى الأجيال القادمة ، ويلاحظ ان الزواج من غير الغجر له مكان ايضا فى هذا التجمع .

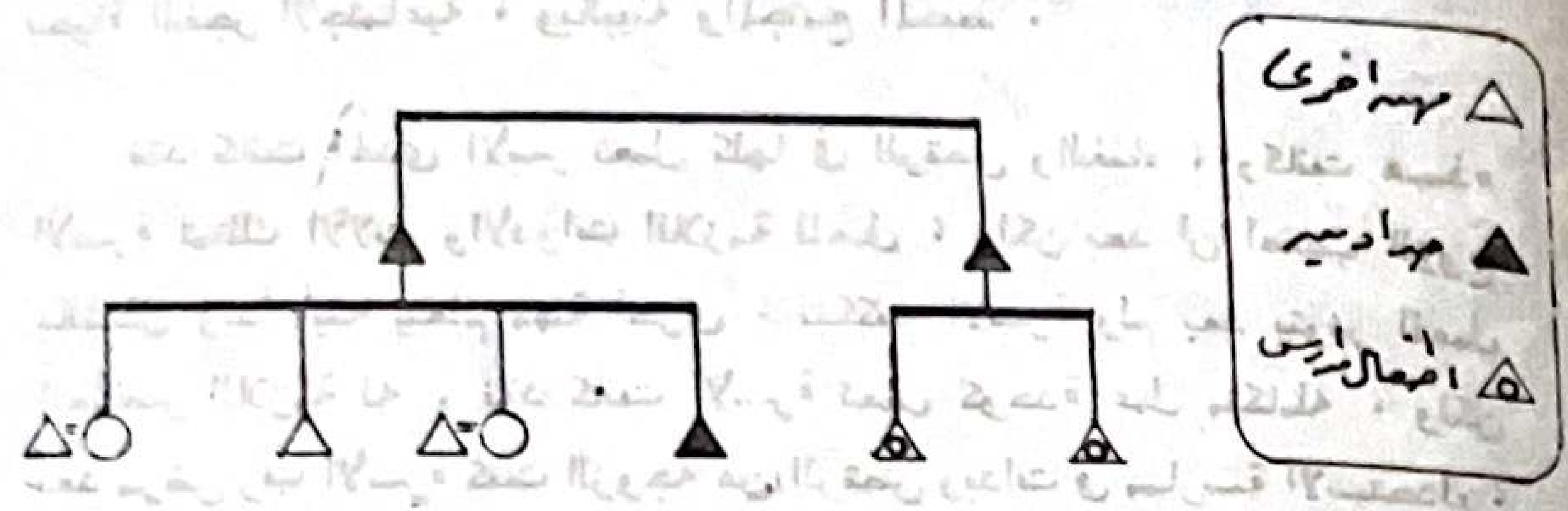
اما النموذج الثالث وهو الأسرة الممتدة بقرية الكداية فهو يمثل اقصى تطور فى مجال هجر المهن التقليدية للغجر فالأسرة بكاملها هجرت هذه المهن وتزوجت بناتها من اشخاص يعملون فى مهن غير تقليدية سواءا كانوا غجرا او غير غجر .

فى كل هذه الحالات هناك ملاحظة هامة هى أن هناك ارتباطا شديدا بين الزواج من غير الغجر ، وبين ترك المهن التقليدية .

وقد كانت هناك حالة واحدة ارتبط فيها الغجرى بمهنة غير تقليدية ثم ارتد مرة اخرى الى اعمال الحدادة التقليدية . فقد عمل هذا الشخص لمدة

نموذج رقم ٢

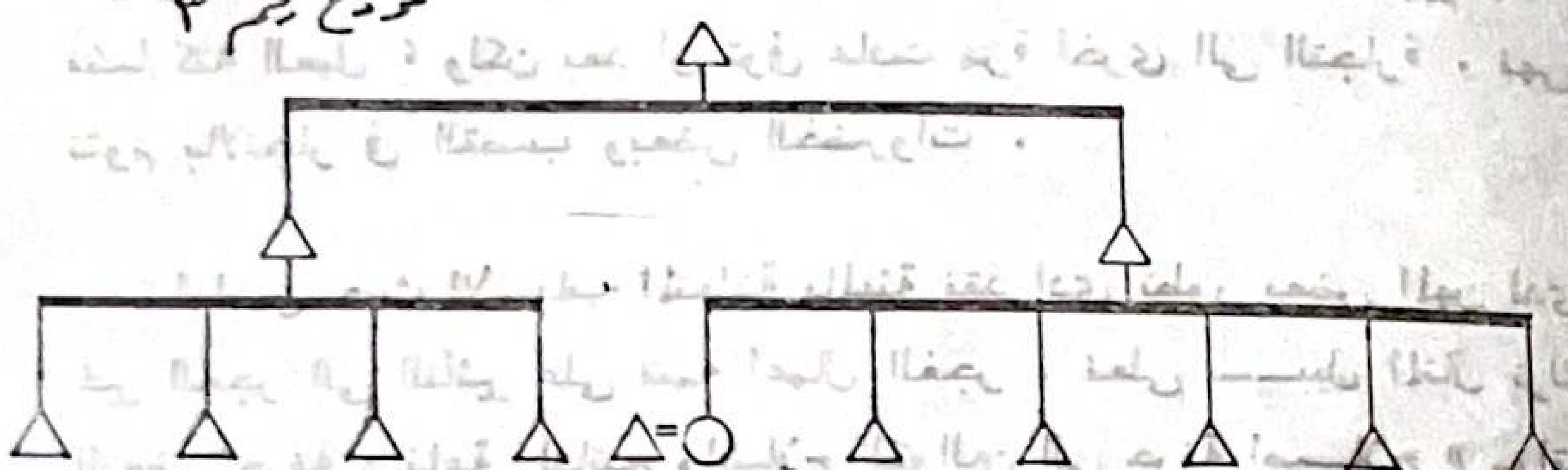
اتجاه بعض الغجر نحو هجرة المهن التقليدية



شكل ١

شكل ١ وحدة قرابية موزعة فى قرية هنا وست جيرانها المدينة يتضح فيها الاتجاه نحو ترك المهن التقليدية .

نموذج رقم ٣



شكل ٢

شكل ٢ الأسرة الغجرية فى قرية « لونه » هجر كل افرادها المهن التقليدية .

٢٥ سنة مع مقاول بناء ، عاد بعدها الى القرية ليعمل فى الحدادة . ويرجع السبب فى ذلك الى انه ظل يعمل هذه الفترة فى أعمال لم تكسبه اية مهارة تؤهله للحصول على أجر مرتفع ، أو تضمن له العمل اذا اضطر الى ترك هذا المقاول . ولهذا فضل العودة الى الحدادة فى القرية اذ يراها اكثر امنا وضمانا لمستقبله .

•• تغيير الحـــرفه :

يغير الغجر حرفهم احيانا ، ويرجع ذلك الى اسباب اقتصادية او لاسباب تتعلق بالمهنة نفسها ، واحيانا ترجع الى اسباب اجتماعية تتعلق بحياة الغجر الاجتماعية ، وبالبيئة والمجتمع المحيط .

فقد كانت احدى الأسر تعمل كلها فى الرقص والغناء ، وكانت هـذه الأسرة تمتلك الآلات والأدوات اللازمة للعمل ، ولكن بعد ان اصيب الزوج بالشلل وبدا ابنه يتعلم مهنة اخرى ، تفككت الأسرة ولم يعد يتوفر للعمل العناصر اللازمة له . فقد كانت الأسرة تعمل كوحدة عمل متكاملة . ولكن بعد مرض رب الأسرة كفت الزوجة عن الرقص وبدأت فى ممارسة الاستجداء ، ولهذا ينتظر ان يكون الجيل القادم فى هذه الأسرة ذوى مهن مختلفة تماما عن مهنة الرقص والغناء .

وفى حالة اخرى تسبب الزواج فى تغيير المهنة . فقد وفدت الى المنطقة فتاة كان والدها يعمل فى التجارة ، ولكنها تزوجت من صواف فى ست جيرانها ، نشاركته العمل ، ولكن بعد ان توفى عادت مرة اخرى الى التجارة . فهى تقوم بالاتجار فى القصب وبعض الخضروات .

اما من حيث الأسباب المتعلقة بالمهنة فقد ادى تطور بعض المهن لدى غير الغجر الى التأثير على قيمة اعمال الغجر . فعلى سـبيل المثال ترك البعض حرفة صناعة المفاتيح واصلاح الكوالين الى حرفة اصــلاح « مواقد الكيروسين » نظرا لانتشار الورش التى يديرها غير الغجر والتى تقوم بعمل المفاتيح على ماكينات حديثة ، تلك التى تبيع المفاتيح وتصلح الكوالين بطرق أكثر امنا وضمانا ، فقد ادى هذا الى كساد السوق بالنسبة لهؤلاء الذين يعملون فى هذه المهنة بطرق بدائية .

وفى احيان اخرى ادت الظروف المتعلقة بالمجتمع المحيط الى كسـاد مهنة الرقص والغناء وبالتالى التفكير فى تغييرها . فهناك عاملان اديـا الى كساد هذه المهنة ، هما :

١ ــ نمو الاتجاه الدينى : اذ بدأ بعض الفلاحين يستبدلون الرقص والغناء بحلقات الذكر الدينية ، حيث تتناول امورا دينية كذكر الله . ومن الطبيعى ان هذا الذكر لا يمكن ان يصاحبه اى نوع من الرقص او الغناء الغجرى الذى يتصف بأنه غناء عاطفى لا يمت للنواحى الدينية بصلة . وقد ادى هذا الاتجاه المدفوع بعاطفة التدين عند بعض الناس وميلهم الى اعتبار الرقص شيئا محرما ، ادى الى التدرج فى استبعاد الغجر من بعض الأفراح والليالى والمناسبات التى كان الناس يدعونهم اليها للغناء والرقص .

٢ ــ الرغبة فى تجنب المشكلات : فعندما كانت تدعى الراقصات الى الأفراح عادة ما كانت تحدث مشاجرات بين الناس قد تصل الى مستوى القتل بسبب التنافس على راقصــة . وحينما كانت السلطة فى المجتمع الريفى فى يد الأعيان وكبار القوم ، كان الفصل فى هذه الامور ان يسـوى بطرق متعددة ، اما الآن وقد اصبح للبوليس نفوذ على كل بقعه فى اعماق الريف ، واصبح الجانى لا يمكنه الافلات من يد السلطة . لهذا يحـاول اصحاب الأفراح تفادى حدوث هذه المشكلات باستبعاد « الغوازى » من الأفراح مما ادى الى التأثير على الرواج المادى للعاملين فى هذه المهنة .

واذا كانت الراقصات ــ فى حالة عدم دعوتهن للرقص فى الأفراح ــ يمارسن اكثر من عمل يحصلن منه على المال مثل الاستجداء فان الرجـال الذين يرافقون الغوازى بالطبل والزمر احيانا يقضون فترات طويلة بدون عمل . فقد يقضى الطبال او الزمار عشرين يوما بدون عمل ، وفى هذه الحالة غالبا ما تقوم زوجته بالاستجداء ، وهذا بجانب ان ما يتقاضاه فى الليلة الواحدة مبلغ زهيد بالنسبة لمتطلبات المعيشة . فكما يقولون انهم يمكن ان يتقاضوا خمسين قرشا فى الليلة . وهذا ما دعا البعض منهم الى تـرك المهنة والبحث عن عمل آخر .

•• العمل فى أكثر من حرفة فى الوقت الواحد :

بعض الغجر يعملون فى أكثر من حرفة ، ومعظمهم يقومون بأعمال تدر دخلا اضافيا بجانب الحرفة الأساسية . فبالنسبة للعمل فى أكثر من حرفة

غالبا ما تكون الحرفة الأولى هى الحرفة التقليدية الموروثة ، اما الحرفة الأخرى فيتعلمها الانسان أثناء حياته ، ومن خلال علاقته بغجر مجاورين ، او نتيجة لأية علاقات مع غجر او غير غجر يعملون فى مهن أخرى ، ولذلك فهناك الكثيرون ممن يمارسون حرف تقليدية ، ومهنة اخرى يعمل بها غير الغجر ، فهناك من يعمل صوافا ، وهو فى نفس الوقت عامل بمصنع الغزل ، وآخر صواف يمتلك نصف فدان ارض زراعية ويؤجره . وثالث حداد وفى نفس الوقت عامل فنى بالمدرسة (كهربائى) ، وهو بهذا يجمع بين العمل فى وظيفة حكومية وبين عمله التقليدى فى الحدادة . وقد وجد الابن الذى يطبب الحيوانات ، وهى الحرفة التى ورثها عن والده لكنه فى نفس الوقت يقوم بالدق على الطبلة لأمه الراقصة فى الأفراح . وقد ابتدأ مؤخرا يقوم بعملية الاتجار فى الحمير .

بالاضافة الى ذلك هناك غجر يعملون فى اكثر من مهنة تقليدية خاصة بهم . ويلاحظ ان كثير من الغجر الذين يعملون فى جز وغزل الصوف ، وفى تجارته بصفة عامة ، يعملون فى تجارة الجلود والقرب ايضا اذ ان الغجرى وهو يجوب القرى بحثا عن الغنم لجز شعرها يرى انه لا مانع من ان يجمع الجلود من الفلاحات وبذلك يقوم بأكثر من عملية تجارية فى نفس الوقت .

وبخصوص القيام بأعمال جانبية (لا تعد مهنا قائمة بذاتها) بجانب الحرف التقليدية للغجر ، فان أوضح مثال على ذلك هو قيام معظم الغجر بتربية العجول ، اذ يربونها ويبيعونها للجوارين او الاهالى عندما تكبر . وغالبا ما يكون النظام هو ان يشترى الغجرى عجولا صغيرة ويربيها لحسابه ، او يشارك الفلاح على تربيتها بحيث يشترى الفلاح العجل صغيرا ويتركه للغجرى يربيه ثم يتقاسمان مصاريف التربية من تغذية وغيرها ، على ان يقسم بينهما بعد ذلك ثمن البيع مناصفة ويكون بذلك قد قدم الفلاح راس المال مقابل الجهد الذى سيبذله الغجرى فى التربية . وفى حالات اخرى يربى الغجرى العجول للفلاحين نظير اجر يدفع له ويتراوح عدد العجول التى يمكن ان يربيها الغجرى بين عجل واحد وخمسة عجول .

وتربى هذه العجول فى بيت الغجرى الذى يتسع ليحوى « حوشا » يمكن تربيتها به . ولا يكلفهم ذلك الكثير من الجهد اذ ان الغجرية يمكنها العناية بالعجل وتربيته ، لهذا نجد معظم بيوت الغجر تحوى عجلا واحدا على الأقل .

ويلاحظ ان معظم الغجر سواء كانوا حدادين ام صوانة ام ... الخ يمارسون مثل هذا النوع من تربية العجول كمصدر للرزق بجانب العمل الأساسى .

أسباب الجمع بين اكثر من حرفة :

هناك اسباب ساعدت الغجر على الجمع بين اكثر من حرفة ، منها : —

١ — ان معظم اعمال الغجر يمكن تعلمها وممارستها فى سن كبيرة وهذا يعطى فرصة لتغيير الحرف او للعمل بأكثر من حرفة من الحرف التى يتخصص فيها الغجر . فالسمكرة وجز الغنم وغيرها يمكن ممارستها بسهولة .

٢ — أن بعض الحرف والأعمال لا تحتاج الى مهارة كبيرة . فغالبا ما يعمل الصوانة فى الجلود واذا كانت عملية الجز والغزل تعتبر حرفة فان شراء القرب التالفة من الفلاحات هى عملية تجارية بحته لا تحتاج الى اى جهد . ولهذا يقوم بها الغجرى مع ممارسته لحرفة الجز والغزل وهذا يكون له اثرا بلا شك على دخله .

٣ — ان الغجرى يمكن ان يجيد اكثر من حرفة فى الوقت الواحد ، فهو يمكن ان يمارس فن البيطرة وان يمارس الجز او الغزل اذ انها حرفا بسيطة لا تحتاج الى جهد او كفاءة خاصة لتعلمها .

٤ — ان كل عضو من اعضاء الأسرة قد يمارس مهنة مختلفة . ففى معظم العائلات يعمل الزوج فى اى مهنة غجرية تقليدية وتعمل الزوجة فى الغناء او الرقص او الاستجداء او بيع الأدوات المنزلية البسيطة او تربية الماشية .

« رابعــا »

الغجر واحتكار البيئة المحيطة

هناك عدة أسئلة ينبغى أن نجيب عليها لكى نكون فكرة واضحة عن كيفية استغلال الغجر للبيئة المحيطة هى : ماذا يستفيد الغجر من الأعمال والحرف التى يمارسونها ؟ وما هى القيمة المادية والاجتماعية التى يجنونها من وراء ممارسة هذه الحرف ؟ ولماذا استمر الغجر — ومازالوا — يمارسون هذه الحرف لفترة طويلة من الزمن دون رغبة فى تغييرها ؟ ثم ماذا يستفيد المجتمع المحيط من جراء ذلك ؟ .

— لا شك أن هناك عوامل ساعدت على استمرار ممارسة الغجر للأعمال التقليدية التى يقومون بها . واذا كان عدد قليل من الغجر قد هجروا المهن التقليدية الا ان الأغلبية العظمى منهم مازالت تتمسك بها وتمارسها . ويمكن أن نلخص هذه العوامل فيما يأتى :

١ — يحتكر الغجر بتخصصهم فى هذه الحرف السوق الخاصة ببعض السلع ، ويحققون عن طريق ذلك أقصى ربح :

لا شك أن انفراد الغجر بأعمال لايقوم بها غيرهم يؤدى الى استئثارهم بهذا المجال من النشاط الاقتصادى . فهم ينفردون بتحديد الأســعار التى لا ينازعهم فيها احد فيتحكمون بذلك فى السعر السائد فى السوق المحلى . كذلك يؤدى هذا الانفراد ببعض المهن الى استحواذهم على كل الأعمال الخاصة بهذا المجال . فالحداد الغجرى هو الحداد الوحيد فى القرية ، لهذا يقوم بكل أنواع الحدادة وصنع الأدوات الخاصة بالعمل الزراعى وغير ذلك مما تتطلبه أعمال الفــلاحين . وقد زودهم هذا بأنواع مختلفة من المهارات المتعلقة بالحدادة كالمهارة فى تطويع الحديد وتشكيله فى أشــكال متعددة لصنع مختلف الأدوات والأشياء المطلوبة . كذلك فان الصــوافة يحتكرون تجارة الصوف فى المنطقة وبالتالى يتحكمون فى السعر السائد فى السوق . وينطبق هذا أيضا على تجارة الجلود وغيرها .

ويحقق الغجر من وراء ذلك ربحا كبيرا اذ انهم يشترون الصــوف أو الجلود من الفلاحين بسعر زهيد ويبيعونها بســعر مرتفع . ويرجع ذلك — كما ذكرنا — الى أن الفلاح أو الفلاحــة لا يعرفون عادة القيمة الحقيقية للجلود ، كما لا يعرفون كيف يتصرفون فيها .

بالاضــافة الى ذلك يقوم الغجر بعقد اتفاقات مع غير الغجر يتم بمقتضاها التعاقد الذى يتيح للغجر احتكار التعامل فى السلع التى يتخصصون فيها . فبالنسبة لعملية بيع وشراء الصوف أحيانا يدفع الغجرى للبدوى مبلغا من المال يبلغ حوالى مائتى جنيه فى أى وقت من العام ، ويكون ذلك بمثابة حجز للأغنام التى يمتلكها البدوى ، على أساس أن يصبح للغجرى حق جزها عندما يحل موسم الجز . وبهذا لا يتمكن أى شخص آخر من منافسة الغجرى فى موسم الجز حتى ولو كان لديه المال الذى يكفى لشراء الصوف . وعندما يحل موسم جز الغنم يقوم بجز صوفها ، وهو يكسب فى ذلك مئات الجنيهات . وعادة ما يدفع الغجرى الواحد هذا المقدم لأكثر من بدوى ليحتجز غنمه ، ويعتبر المقدم بمثابة عمليــة اقراض للبدوى ، يستغل فيها الغجرى توفر راس المال لديه لتحقيق احتكــار السلعة بحيث يصبح من حقه وحده شراء صوف الأغنام . وتتكرر نفس الظاهرة مــع تجار الجلود اذ هم يدفعون للجزار أو الفلاح الذى سيذبح ماشيته مبلغا من المال ، وعندما يحين وقت الذبح يكون له وحده حق شراء الجلود .

ولكى نعطى صورة تقريبية للأرباح التى يحققها الغجر ســوف نعرض لبعض اســعار البيع والشراء الخاصة بتجارة الصوف والجلود ، وهى أما جلد البقر فيتراوح بين أربعة وخمسة جنيهات . ويلاحظ أن الجاموس فالغجرى يشترى جلد الجاموس بثمن يتراوح ما بين خمسة وسبعة جنيهات . أما جلد البقر فيتراوح بين اربعه وخمسة جنيهات . ويلاحظ أن الجاموس أو البقر كبير الحجم لا يذبح فى القرى نظرا لأن جزار القرية يفضــل ذبح الأحجام الصغيرة ليتمكن من بيعها بسهولة . أما جلد الضأن والأغنام فيتراوح ما بين جنيهان وجنيه ونصف . أما جلد الماعز فهو لا يتعدى جنيها واحدا ويتوقف السعر على حجم الجلد وصلاحيته . ويتوقف سعر البيع أيضا على الطلب فى السوق ، وعلى ظروف تصديره ، اذ أن بعض الدول

تستورده من مصر . ولكن بصفة عامة فان الغجرى يحقق ربحا كبيرا من تجارة الجلود خاصة اذا وضعنا فى اعتبارنا خبرته ومهارته بجانب الطرق التى يتبعها لحجز الجلود فى المنطقة .

اما بالنسبة لأعمال الصوف فان الربح الذى يحققه الغجرى كبيرا نظرا لأنهم يقومون بمختلف المراحل والعمليات التى تتطلبها اعمال الصوف . فهم يقومون بجز وغزل وشراء وبيع الصوف . واذا كانت بعض الأسر تقوم بمختلف هذه العمليات بينما اسر أخرى تتخصص فى عملية واحدة ، الا ان النظرة الشاملة للغجر كجماعة تطلعنا على أن مختلف العمليات التى تتصل بتجارة الصوف تتركز فى ايدى الغجر . ونظرا لأن المنطقة بها الكثير من الأغنام (خاصة القطاع البدوى بها) ، بالاضافة الى المناطق الاخرى التى يلجاون اليها كمصادر اضافية للحصول على الصوف ، فان حجم الأعمال التى يقومون بها تتيح لهم فرصة الحصول على الكثير من الربح . وكمثال للربح المتحصل عن التعامل فى الصوف فان الغجرى يشتريه بالميزان ، ويتراوح سعر الشراء ما بين ثلاثين وأربعين قرشا للرطل الواحد . ثم يقوم الغجرى بغزله وبيعه مرة أخرى . وتستطيع الغجرية غزل رطلين من الصوف فى اليوم الواحد وتتقاضى خمسة عشر قرشا كأجر لغزل الرطل الواحد . وقد استطاع غجرى أن يشترى قناطرين صوفه باعهما بحوالى مائتى وخمسين جنيها فى حين ان سعر شرائهما تسعون جنيها .

٢ ـ يحقق العمل فى الحرف الغجرية عائدا يكفى للوفاء بمتطلبات معيشة الغجر ويجعلهم يعيشون فى مستوى مرض بالمقارنة باعضاء المجتمع المحيط :

ادى عمل الغجر فى الحرف التى لا يعمل فيها غيرهم مثل الحدادة وغيرها ، الى سيطرتهم على كل الأعمال المتصلة بالحرفة واسرارها ، فالحدادون يعملون فى قرى ليس بها حدادون آخرون غيرهم ، والتجار يتجرون فى انواع التجارة التى لا يعرف أسرارها غيرهم مثل تجارة الجلود والصوف . وقد ساعد الربح الذى يحصل عليه الغجر من وراء ذلك الى ان يحقق الغجر دخلا مرضيا يحقق لهم مستوى معيشى مرتفع بالمقارنة بغيرهم من الفلاحين المحيطين . ونظرا لأنهم يعيشون فى بيئة ريفية لا تتطلب الكثير

من نفقات المعيشة (بالمقارنة بالبيئة الحضارية مثلا) فانهم يشعرون انهم قادرين — من خلال ممارستهم لهذه الأعمال — ان يوفروا لأنفسهم مستوى معيشى مرضى . وهذا يدفعهم الى التمسك بهذه الحرف اكثر فأكثر .

ولا يعنى ذلك ان جميع الغجر فى المنطقة يعيشون فى مستوى معيشى مرتفع . فهناك تباين شديد فى المستوى المادى الذى يعيش فيه الغجر . ففى حين نجد غجرا يعيشون على الكفاف ، فما يعمل به الأب يشترى به الخبز وقليلا من الطعام الذى قل ان يكفى اولاده ، ولهذا فهو لا يستطيع ان يشترى دقيقا ليخبز ما يكفيه لعدة ايام ، نجد ان غجرا آخرين يعيشون فى مستويات مادية عالية ، بحيث ينفقون ببذخ ، بجانب أن بيوتهم مزودة بالأجهزة الكهربائية مثل التليفزيون والراديو والمسجل . ويعكس هذا التباين اختلاف حجم الأعمال التى تقوم بها الأسر الغجرية ، فبعض الصوافة يتجرون فى كميات كبيرة من الصوف ، فقد شوهد احد تجار الصوف من الغجر وهو يحمل عشرين حمارا صوف لبيعه فى منطقة اخرى . بينما توجد نساء لا يمكنها الا شراء ارطال محدودة من الصوف وغزلها مقابل اجر .

غير أن نظم التكافل الاجتماعى والتعاون الاقتصادى — السابق الأشارة اليها — تؤدى الى أن يتعاون الغنى مع الفقير ، ويعتبر حرص تاجر الصوف الغنى على أن يعطى الصوف الغفل للأرامل الغجريات لغزله مثال جلى لمدى التعاون الاقتصادى والتكافل الاجتماعى بينهم .

٣ ـ يصعب الارتقاء بالحرف الغجرية الى مستوى السوق الكبيرة خارج ست جيرانها ، ولهذا فقد ظلت الحرف التقليدية — وما زالت — باقية لأنها اكثر ملاءمة للبيئة الريفية :

فالفن المستخدم فى الحرف الغجرية يعتبر فنا بدائيا ، ولهذا فان الانتاج لا يلائم الطلب فى المدينة ، بل انه يتناسب مع احتياجات القرية . ويؤدى الوجود فى القرية مع عدم الاحتكاك بمن يعملون فى مهن مماثلة (ولكن باساليب اكثر تطورا ، مثل اساليب الحداده الحديثة مثلا) الى عدم اكتساب الغجر لخبرات متطوره . فالغجرى يكتسب المهارة والدقة

والاتقان فى العمل نتيجة تكرار صنع الشىء والواحد وليس نتيجة الاحتكاك بخبرات جديدة او استخدام وسائل جديدة . ولهذا فان خبرات الغجرى الحداد وادواته وكمية انتاجه باقية كما هى منذ مئات السنين . وبالمثل فقد ظل كثير من الصوافة مجرد تجار صوف ، بالاضافة الى عمليات الغزل اليدوية البدائية دون ان يطورها . وقد ادى تكيف الغجر مهنيا للبيئة الريفية الى عدم التفكير فى احداث التطوير . ذلك ان الخبرات والأدوات متلائمة مع متطلبات البيئة . فدكان الحداد الذى لا يزيد عن قطعة ارض صغيرة محاطة بحائط من الطوب اللبن يعتبر مناسبا كمكان يجلس فيه الفلاح ارضا فى انتظار اصلاح ادواته وقد شد حماره الى الأرض ايضا فى مدخل الدكان .

ويرجع ايضا عدم الارتقاء بمستوى الحرف الى ان راس المال الغجرى موزع فى ايدى ارباب الأسر بحيث يعمل رب كل اسرة مستقلا عن الآخر ، ولا يوجد تفكير فى تجميع راس المال بحيث يمكن ان يؤدى الى ابتكار وسائل وطرق جديدة للانتاج . فكل اسرة غجرية تعمل لحسابها الخاص . وهذا ما يحول دون التمتع بمزايا تجميع الخبرات وعناصر الانتاج (بما فى ذلك راس المال) بهدف تطوير العملية الانتاجية . لهذا كان ومازال (وسوف يظل ما بقيت الظروف على ما هى عليه) الانتاج صغيرا واكثر ملاءمة لاحتياجات مجتمع القرية..

٤ ــ يقدس الغجر الحرف التقليدية لأنها حرف الأجداد ، وتؤدى ممارستها الى استمرار الجماعة ووحدتها :

يتمسك الغجر بهذه الحرف لأنها الحرف التى عاش منها اجدادهم ، وهى لهذا يمكن ان توفر لهم العيش المرضى ، وحتى اذا كانت لا توفر للبعض مستوى مرتفعا من المعيشة ــ كما هو الحال لدى بعض الأسر الفقيرة ــ فهى المهنة المفضلة لأنها المهنة الموروثة . وغالبا ما تؤدى بعض الظروف العائلية ، مثل وفاة الأب الى ان يقوم الابن برعاية الأسرة عن طريق استخدام نفس الأدوات والعمل فى نفس مهنة الأب . وهم يجدون قيمة كبيرة فى ان يقوم الابن بمواصلة نفس رسالة ابيه فى نفس المكان

ونفس المهنة وطالما لا توجد فرص لتعلم مهن اخرى فسوف يظل الأولاد يرثون مهن آبائهم . وحتى اذا كان الأب او الجد لا يزال حيا ، فان الامتثال للأب او الجد ، والعمل فى نفس المهنة التى يعمل فيها يعتبر نوعا من الالتزام بالاطار المهنى للجماعة ، وهو يعمل على استمرارها . فامتثال الابن لأبيه الحداد ، والعمل فى الدكان التقليدى يعتبر نوعا من الالتزام من جانب الابن . ويعتبر العمل فى جز صوف الأغنام او جمع الجلود له نفس المعنى أيضا طالما انه سيؤدى الى الحفاظ على المهن التقليدية للجماعة وهو ما يحقق وحدتها واستمرارها . ذلك ان وراثة الابناء للمهن التقليدية للآباء يخلق شعورا بالرضى لدى الكبار قوامه ان المهن التى اعالتهم طوال حياتهم ستستمر من بعدهم وتعول ابناءهم

ويشعر الغجر وهم يشتركون فى ممارسة ومعرفة اسرار حرفة معينة انهم وحدة واحدة . فهم بممارستهم لهذه الأعمال يتميزون عن غيرهم من غير الغجر . وهم يشعرون بالروح الجماعية الواحدة حينما يتعاونون فى العمل لكى لا يفشلون امام المجتمع الخارجى فى الوفاء بمتطلبات السوق . فان الفشل يعنى ان غيرهم يمكن ان يقوم بآداء العمل . لهذا يحرصون على ان يقدموا عملهم فى صورة متكاملة كما وكيفا . ويدفعهم النجاح الى مزيد من النشاط ، وبالتالى الى الاستمرار فى نفس الاتجاه .

٥ ــ يرتبط الغجر بالمهن التقليدية نظرا لنقص التعليم وعدم توفر فرص الخروج من المجتمع :

يؤدى نقص التعليم الى الارتباط بالمهن التقليدية طالما لا توجد فرص للحراك المهنى . كما ان الأمية لا تتيح للغجرى فرصة المخاطرة بالخروج خارج حدود المجتمع المحلى الذى نشأ فيه ، ويمارس فيه مهنته ، ويشعر فيه بالأمن . والطفل الغجرى يخرج للحياة ليجد نفسه يحيا فى عالم ضيق من حيث المكان الذى يعيش فيه ، والجماعة التى ينتمى اليها ، والمهنة التى يعمل فيها ابوه ، وغالبا اخوته ايضا . واذا اضفنا الى ذلك ما تقوم به التنشئة الاجتماعية من تضخيم لاحساس الغجرى بأنه ينتمى الى جماعة خاصة وان المجتمع الخارجى هو مجتمع اكثر برودة ، فان ذلك لا يؤدى بالفرد الى التفكير فى تغيير اوضاعه بما فيها مهنته .

٦ ــ يستفيد المجتمع ايضا من الخدمات التى يقدمها الغجر ، وبالتالى فهو عامل مشجع ــ ولو بطريقة غير مباشرة ــ على الاستمرار فى المهن التقليدية :

فالغجر ليسوا هم المستفيدين الوحيدين من هذا الوضع ، بل ان المجتمع المحيط به ــ مجتمع غير الغجر ــ يجنى بعض الفوائد والمنافع من استمرار الغجر فى ممارسة هذه المهن . فالناس يستفيدون من الغجر فى احياء افراحهم بالغناء والرقص ، كما يقوم الغجرى بجز صوف الأغنام بطريقة ماهرة وسريعة . ويشعر الفلاح الذى يذبح جاموسته انه يود التخلص من جلدها ولكنه لا يعرف اين وكيف يبيعه ، حتى اذا عرف فهو ليس على استعداد لأن ينتقل من مكانه الى مكان البيع متحملا بذلك مشقة الطريق ، وتعطيل اعماله ، وتحمل نفقات المواصلات . لهذا يشعر ان الغجرى يقدم له خدمة اذ يخلصه بسهولة من جلد الجاموسة ، وان كان يشتريه بثمن بخس . ويشعر الفلاحون ايضا أن الحدادين الغجر هم حدادون مهرة وامناء فى عملهم .

ولهذا فاذا كان الغجر يحتكرون بعض الأعمال ويحاولون استغلال البيئة المحيطة بقدر ما يستطيعون ، فان المجتمع المحيط ايضا يقبل من الغجر انواعا من الخدمات الأساسية التى لا يقوم بها غيرهم . واذا كانت الأسباب الخمسة الأولى قد ساعدت على أن يظل الغجر مرتبطين بهذه المهن التقليدية ، فان العامل الأخير ــ استفادة غير الغجر من الخدمات التى يقدمها الغجر ــ لا يقل اهمية فى تشجيع الغجر على الاستمرار فى ممارسة هذه المهن .

خاتمة وتحليلات : الاحتكار والتكامل

اتضح لنا ان الغجر يحاولون ــ عن طريق ممارسة حرفهم التقليدية فى منطقة ست جيرانها احتكار البيئة الخارجية لتحقيق استمرارهم . وبقدر ما تعددت المهن التى يمارسونها بقدر ما تنوعت الطرق التى يتفنن الغجر عن طريقها فى الافادة من المجتمع المحيط لهدف تحقيق اقصى ربح .

فالغجرى الذى يدفع عربونا لجز الأغنام فى موسم الجز ، أو لشراء جلد الجاموس يحاول قطع الطريق على غيره لكى لا يشاركه ممارسة الحرفة . والغجرية التى ترقص فى الأفراح وتستجدى عندما لا تكون هناك افراح هى امرأة تقدم عملها للمجتمع المحيط فى مقابل المال ، ولكنها اذا لم تجد فرصة للعمل فهى تثير شفقة الناس وتدعى انها فقيرة لتحصل على المال ، وفى كلا الحالتين تحصل الغجرية على المال والغذاء من المجتمع المحيط . واذا كان الغجر لا يحبون الانتساب الى غير الغجر ويعتبرونهم خشانة « مغفلين » ولا يتزوجون منهم ، فان الغجرية لكى تحصل على المال ولكى تؤمن حياتها ضد الانهيار ترضى بارضاع اطفال غير الغجر ، بل وتلح فى ذلك ، وتقبل ان تدعى ــ عرفا ــ اما للطفل غير الغجرى بعد الرضاعة .

على ان النظرة الى الاقتصاد الغجرى على انه نوع من احتكار الغجر للبيئة المحيطة فقط تعد نظرة قاصرة لا تركز الا على جانب واحد من الحقيقة . فالجانب الآخر والهام هو ان الغجر بممارستهم لمهنهم التقليدية يتكاملون مع اقتصاد المنطقة ــ وهذا هو وجه الافادة الذى سبق الاشارة اليه ــ فهم يمارسون مهنا لا يمارسها غيرهم ، وهى مهن ضرورية بالنسبة لطبيعة البيئة التى يعيشون فيها ، وطبيعة النشاط الاقتصادى السائد فيها . واذا كان الغجر يشتهرون بالمهارة فى مجال هذه الحرف فان ذلك يرفع من قيمة الأعمال التى يقومون بها ومن افادة المجتمع منها .

ويزيد من افادة المجتمع من هذه الخدمات ان الغجر يقدمون خدماتهم كاملة ، بمعنى ان الغجر الذين يمارسون حرفة واحدة او يقدمون انتاجا فان هذا الانتاج يقدم للمجتمع متكاملا فى مجال التخصص بحيث لا يحتاج غير الغجر الى اكمال العمل الذى يقوم به الغجر فى هذا المجال . فالحداد يقوم بعمليات اصلاح ادوات الزراعة ويقوم بانتاجها ايضا . والغجر الصوافة يقومون بجميع المراحل التى تحتاجها المهنة ابتداءا من عملية الجز الى الغزل الى البيع والشراء . والأسرة التى تعمل فى الغناء والرقص تقدم فنا متكاملا ــ فى حدود ثقافة الريفيين ــ فى الأفراح والموالد . على ان تحقيق التكامل ليس هدفا مقصودا من الغجر ، بمعنى انهم لا يفكرون فى كيف يكونون مفيدين بالنسبة للمجتمع الذى يعيشون فيه بقدر ما يفكرون

فى كيف يحققون الربح من التخصص فى اعمال لا يمارسها غيرهم . والدليل على ذلك ان الغجر قبلوا ممارسة اعمال لم يألفوها — مثل تربية الماشية — بل هى مرتبطة بالريفيين اكثر من ارتباطها بالغجر ، وذلك بهدف تحقيق الربح ، وليس بهدف تحقيق التكامل .

ولعل هنـاك دافع آخر يشجعهم على الاستمرار فى ممارسـة هذه الاعمال هو تحقيق الاستقلال الاقتصادى فهم طالما يمارسون المهن التقليدية ويحتكرونها فانهم سيظلوا مستقلين ولن يخضعوا لغيرهم من غير الغجر . وهم يشعرون ان فقدانهم لهذه المهن سيضطرهم لقبول اعمال اخرى . ونظرا لأنهم غير متخصصين فيها فانهم سيعملون لدى غيرهم من غير الغجر ، وبالتالى يكونون تابعين لغير الغجر ، وهذا لا يتفق مع نزعة الاستعلاء التى يتصفون بها :

الفصل الرابع

الضبط الاجتماعى والقانون الغجرى

ديناميات التكامل السياسى والقانونى مع المجتمع المصرى

يهتم هذا الفصل بتحليل جانب من جوانب حياة الغجر وهو درجـة ونوعية توحدهم القانونى والسياسى مع المجتمع المحيط . وهو بعد هام من ابعاد التكامل مع المجتمع الذى يعيش فيه الغجر ذلك لأن تعـارض او اصطدام القـانون او العرف الذى تخضـع له اى جماعة من الجماعات مع قانون المجتمع الذى تعيش فيه يخلق مشكلات تتعلق بتكامل الجماعة مـع المجتمع . كما ان امتثال اى جماعة لقـانون المجتمع الكبير يمكن أن يعتبر محاولة للتوحد مع القواعد والمعايير الخاصة بالمجتمع . ولهذا فان الاهتمام فى هذا الفصل يتجه الى التعرف على نقطة هامة وهى الى اى مدى يخضع الغجر للقانون المصرى شكلا وموضـوعا ؟ وما هى طبيعة مشاركتهم فى الجانب السياسى فى مجتمعهم ؟ وهذا هو الجانب الايجابى الذى يوضح ايجابية الجماعة ويعلن عن رغبتها فى التوحد والتكامل . كما يهدف هذا ايضا الى التعرف على القانون او العرف الغجرى والى اى مدى يسـاعد — او لايساعد على الاقتراب بأنماط السـلوك المختلفـة للجماعة نحـو التطـابق مـع انماط السـلوك التى تتـوقع من أفـراد المجتمع المحيط . وعلى ذلك فاننا سنهتم بجانبين اساسيين ، هما : —

الأول : عرض لطرق حل المشكلات وعلاج وضـبط المنحرفين طبقا للعرف الغجرى . وسوف نهتم بتوضيح مدى كفاية الجماعة كجماعة ضابطة لسلوك أفرادها ، ومدى اعتمادها على وسائل وهيئات الضبط فى المجتمع المحيط .

الثانى : طبيعة المشاركة السياسية ومدى توحد الغجر مع القانون المصرى وعلاقاتهم بالجهات القائمة على تنفيذه . وتتم الدراسة فى هـذا الجزء من واقع مواقف عملية . وسـوف نختار ايضا بعض المظاهر التى يؤدى تحليلها الى القاء الضوء على درجة التوحد القانونى والسياسى للجماعة .

« أولا »

العرف الغجرى وحل المشكلات وعلاج الانحراف

١ ــ حل المشكلات وفض النزاعات بين الغجر :

على الرغم من وجود درجة عالية من التعاون والتماسك بين غجر ست جيرانها الا أن هناك انواعا من المشكلات والخلافات تنشأ بينهم . كما ان الشجار يمكن أن يحدث بين غجرى وآخر فى مواقف الحياة اليومية .

وقد تتعلق الخلافات بالعلاقات العائلية والقرابية ، فهناك العديد من المشكلات التى تنشأ عن الزواج التبادلى بين الأسر . فعندما يتم الزواج بين أخت وشقيقها فى اسرة معينة وأخت وشقيقها فى اسرة أخرى ، فـان حدوث اية مشكلات فى حالة الزواج الأولى يتردد صداه فى الحالة الثانية . بمعنى أن كل زوج يعامل أخت الآخر (زوجته) بما تعامل به أخته (زوجـة الآخر) . اذ يقسو عليها أو يطردها حين تتعرض أخته للقسوة أو حينما يطردها زوجها . وقد حدثت مشكلات بين كبار السن نتيجة توقع المعاملة بالمثل فى حالة الزواج التبادلى ، فعندما دب الخلاف بين زوج وزوجته ذهب ابوها الى بيتها وضربها ، واجبرها على طاعة زوجها . وعندما حدث خلاف بين ابنه وزوجته (وهى أخت زوج ابنته) انتظر من والدها أن يقـوم بالضغط عليها كما فعل هو ، ولكن نظرا لأنه لم يفعل ذلك فقد حدثت مقاطعة بينهما .

وهناك ايضا المشـكلات التى تتعلق بالأمور المادية . فأحيانا يبيع والد العروس الشبكة التى قدمها العريس لعروسـه مما يسبب مشـكلات ممتدة بين الأسرتين . ويحدث البيع أحيانا بسبب الحاجة المادية أو كمكيدة

لأهل العروس ، وخاصة فى حالة وجود خلافات بين الأسرتين . هـذا وتحدث ايضا نفس المشاكل عندما يبيع الزوج مصوغات زوجته ، خاصة اذا كان الزواج قد تم حديثا . وحدث فى بعض هذه الحالات أن طلب أهل الزوجة اليها أن تعود الى بيت أبيها الى أن يتمكن الزوج من شراء مصوغات لها مساوية فى الثمن . وفى احدى الحالات طلبت والدة العروس رد ضعف الثمن المصوغات المباعة . ويلاحظ أن حدوث الخلافات بين الأسرتين أو عدم حدوثها يتوقف على الزوجة المباع مصاغها ، فاذا ارتضت بيع مصاغها ولم تلجأ الى اهلها شاكية فلا يمكن لأهلها التدخل بين ابنتهم وزوجها .

وهناك مشاكل حدثت ايضا بسبب التعدى على العرف الغجـرى السائد الذى يمنع اى اسرة من اقامة الأفراح حينما يكون هناك حداد فى أسرة اخرى . وفى هذه الحالة تمتنع الأسرة الغجرية التى منيت بحالة وفاة عن المشاركة فى افراح واحزان الأسرة المتعدية . وقد يفرض الغجر على رب الأسرة غرامة مادية .

وهناك ايضا الخلافات الشخصية التى تحدث بين الغجر والتى تقود الى الشجار او المقاطعة ، كما قد تتطلب تدخل كبار السن لفض النزاع وتحديد المذنب . كما قد يتسبب شجار الأطفال مع بعضهم انواع من الشجار بين الغجـر .

واذا كانت المشاكل التى تحدث بين الغجر ذات نوعيا متعددة ، فان المشاكل العائلية والمادية تعتبر النوعية الغالبية ، واحيانا تكون المشاكل متعلقة بالنواحى المادية والعائلية معا . ودراسة الحالة التى سنعرض لها الآن تلقى الضوء على بعضهم القيم الغجرية ، وعلى التاثير التبادلى بين النواحى الاقتصادية والعلاقات الأسرية .

دبت الخلافات طويلة المدى بين اسرتين بسبب أن احد ابناء الأسرة الأولى ترك منزل والده وسكن فى القرية التى يعيش فيها اهل زوجته مما جعـل اباه يشعر بالعار اذ اعتبر أن ما حدث خراب لمنزله بالاضافة الى مخالفته ، هذا بالاضافة الى ان الأب شعر أن هناك خسارة عادت عليه تتمثل فى انه فقد يدا عاملة قوية هى يد ابنه الذى كان يساعده فى تجارته فقد شـعر انه احق بابنه أن يعمل معه فى تجارته عن أن يسكن فى قرية أخرى ويســاعد

اهل زوجته . وقد تسبب ذلك فى ان يرفض هذا الأب اقتران احد اقرباء زوجة ابنه بابنته . ويعلل الفجرى اصرار ابنه على ترك منزله بان اهل الزوجة « عملوا له عملا » فكره بيت ابيه ، ولهذا فقد لجأ هو بدوره الى ساحر آخر لكى « يفك العمل » ، ومع ذلك لم يتغير موقف الابن .

وتؤدى المشكلات التى تحدث بين العائلات بسبب الزواج الى الامتناع عن التزاوج بين افراد الأسر التى حدثت بينها المشكلات . وهم فى مثل هذه الحالات يرددون المثل القائل « كفاية من الدست مغرفة » ، اى تكفى تجربة واحدة ، او « تقفل الدكان ولا بيع الندامة » ، اى ان الامتناع عن الزواج من الأسر الأخرى افضل من تحمل المشكلات التى ستتبع هذا الزواج . وهم يشبهون هذه الحالات باللبن اذ تلوث فيقولون « النسب زى اللبن مدام اتغبن ميرجعش ينداق ثانى » .

اسلوب حل المشكلات وفض النزاع بين الفجر :

يحرص الفجر على حل مشكلاتهم داخليا حتى لا يتدخل غير الفجر بينهم . وقد ظهر هذا الحرص فى الماضى اذ كانوا أكثر تشددا فى تكتم مشكلاتهم وحلها داخليا . اذ كان هناك عرف سائد لحل النزاع غير انه قد لحق به بعض التغيرات فى الوقت الحاضر ، وقد اصبح الفجر اقل تشددا فيما يتعلق بتدخل غير الفجر فى حل مشكلاتهم . وسوف نعرض هنا لنظم فض المنازعات والتغير الذى لحقتها .

لقد كان العرف السائد عند الفجر عند حدوث مشاجرات بين اسرتين او شخصين ان يتبارى الفريقان المتنازعان أمام محكمين من كبار رجال الفجر فى اظهار المقدرة المادية بطرق متعددة . ويفوز الفريق الأكثر ثراء ، اما الفريق الذى لم يقو على المنافسة فهو الخاسر والمخطىء .

وقد اتخذت المنافسة اشكالا متعددة ، من بينها :

١ ـ **حرق النقود (العملات الورقية)** : فكل فريق يحرق عملة ورقية عشرة او مائة جنيه (١) . وتستمر هذه العملية الى ان تفرغ نقود احد الفريقين فيكون هو المهزوم .

---

(١) كانت هذه الممارسة سائدة وقت ان كانت العملات الورقية فئة المائة جنيه مستخدمه فى مصر .



التنافس فى نحر الذبائح كطريقة قديمة للتحكيم بين طرفى النزاع

٢ – القاء العملات الفضية والمعدنية فى الترع : اذ يتبارى الفريقان بالقاء النقود فى الترع (٢) .

٣ – نحر الذبائح : اذ يقف كل فريق من المتنازعين فى مكان مقابل للآخر ، بينما يقف المحكمون كبار السن فى الوسط ، ويبدأ كل فريق فى ذبح غنمه أو بقرة أو جمل والقاء راسها فى الوسط ، وفى نفس الوقت يقوم الفريق الآخر بنفس العمل ، ويستمر الفريقان على هذا المنوال الى ان يعجز احدهما عن الاستمرار ومن ثم يكون هو المهزوم . وفى هذه الحالة عليه أن يدفع ثمن عدد الذبائح التى تم ذبحها سواء بمعرفته او بمعرفة خصمه ، وان لم يستطع فيقيد المبلغ دينا عليه .

وهناك طريقة اخرى لتنفيذ هذه المنافسة وهى أن يذبح أى منهما ذبيحة فى منزله ويلقى براسها فى منزل خصمه الذى يقوم بدوره بعمل نفس الشىء . وتستمر هذه العملية حتى تفرغ ذبائح أحد الطرفين ومن ثم يتوقف عن الذبح يكون هو المهزوم . ويقولون فى هذه الحالة ان « السكينة باتت عنده » أى لم يستطع أن يستعملها لفقره المادى ، وعليه فى هذه الحالة أيضا أن يدفع أثمان كل الذبائح . وتعتبر عملية القاء الراس فى بيت الخصم معيارا يستطيع عن طريقه المحكمون أن يحددوا الفائز وهو الشخص الذى تنقص عنده عدد الرؤوس التى لدى الآخر برأس واحدة . وفى بعض الأحيان كانت تلقى الرأس فى بيت أكبر غجرى من المحكمين سنا . وفى هذه الحالة يكون الحكم أكثر سهولة (٣) .

---

(٢) يلاحظ أن غجر المنطقة وخاصة كبار السن منهم ذكروا أنهم كانوا يقومون بهذه الممارسات قديما ، وخاصة ما يشيعه غير الغجر عنهم ، وما هو مذكور فى وثائق تاريخية كما سنذكر فيما بعد .

(٣) روى السير ايلدون جورست E. Gorest فى تقريره عن مصر من أن فردا من جماعة غجرية فى مصر ضرب جملا يملكه غجرى آخر بسوط ، ونظرا لأن هذا العمل اهانة لا يمحوها الا خسارة اختيارية لذا فان كلا الطرفين لابد وأن يتزايد كل منهما امام الآخر كما يحدث فى المزادات حتى يظهر غير =

ولذبح الذبائح معنى رمزى عند الغجر فهم بدلا من ان يقتلوا بعضهم بعضا يقتلون الحيوان فدية عنهم . وهم لا ياكلون لحم هذه الذبائح لأنها تموت مقتولة كبديل عن قتل الانسان ، ويقدم دمها فدية عن دم الانسان وهم يقولون ان الذبيحة ماتت « فطيس » فلا ياكلونها بل يعطونها لغير الغجر . ويباهى الغجر باحلال الذبيحة محل الانسان ويقولون اننا لا نقتل الانسان مثل غير الغجر ، بل نقتل الذبيحة فدية عن الانسان .

ومما هو جدير بالذكر ان مختلف هذه الممارسات دليل على **ان الثراء والمقدرة المادية هى معيار تفوق الشخص على خصمه سواء كان مخطئا ام محقا** . فالقيمة هنا ليست للحق ولكن للثراء . ويقرر الغجر انه اذا كانت هذه الممارسات قد بدات تختفى الا ان مبدأ تفوق الشخص بناء على ما يملكه مازال سائدا بينهم ، فالغجرى عندما يتعدى على غيره باقامة فرح دون اذن أسرة منيت بحالة وفاة تكون العبارة التى يقولها للشخص المخطىء (صاحب الفرح) دائما « انت عامل جدع طيب ورينى معاك اد ايه » . كذلك تقال نفس العبار لأى غجرى قام بضرب غجرى آخر .

ويقول الغجر أن الشخص المهزوم لا يمكنه أن يرفع راسه دائما أو أن يتكلم حتى مع طفل . ولكن يجب ان نضع فى اعتبارنا ان الهزيمة لم يكن سببها ان التحقيق أوضح انه المخطىء ، بل ان نقوده لم تنصفه امام خصمه .

وقد تردد صدى قيمة الثراء المادى عند الغجر فى جوانب اخرى من حياتهم ، فالغجرى دائما يحاول الظهور امام الغجرى الآخر بالثراء لو ادى به ذلك الى الاستدانة . ويظهر ذلك فى البذخ الذى يظهر فى الأفراح والمناسبات .

= القادر على الاستمرار لعجزه المادى وعندما يحدث ذلك فان المزايد الأخير متبر فائزا اذا اثبت انه اكثر غنى ، ومن ثم فهو الرجل الأفضل . وقد ذكر السير ايلدون طريقة القاء العملات فى النيل وطريقة ذبح الجمال والجاموس كطرق للتنافس بين الخصمين .

Cooks Handbook., Fa. Egypt and Egyptian Sudan., London., 1921., pp. 113, 114.

غير أن نوعا من التغير قد لحق الطريقة التقليدية لفض المنازعات ويمكن التعرف على نوعية هذا التغير مما ياتى :

(ا) تغير اشكال المنافسة باتلاف النقود أو نحر الذبائح :

ويرجع ذلك الى تغير الظروف المادية للغجر ، والى احساس الغجر بنقد المجتمع المحيط لهذا التقليد ومن ثم تاخذ المنافسة اليوم شكل دفع مبالغ بسيطة من المال توجه لأعمال الخير فى المنطقة . ومن المهم ان نشير فى هذا الصدد الى أن قيمة الثراء ما زالت كما هى على الرغم من تغير شكل المنافسة .

(ب) استعانة الغجر بغير الغجر فى حل بعض مشكلاتهم :

وقد ادى ذلك الى ظهور تبادل الراى وتوجيه اللوم ، وتحقير كل الجماعة وهذه كلها وسائل رادعة . وقد قاد هذا بعض الغجر — حين توفر قدر من الثقة فى المجتمع الخارجى — الى الاعتماد على غير الغجر فى حل بعض مشكلاتهم طلبا للمساعدة فى حل مشكلات تتعلق بالزواج والطلاق والملكية . وقد امتد دور غير الغجر الى حل المشكلة والى اعتبارهم شهودا للموقف وعلى ما يقرر على كل طرف . فقد ذكر أحدهم فى اقتراحه لحل مشكلة تتعلق برغبته فى الزواج من فتاة انه سيأخذ شبكة وبعض الهدايا وعدد من الرجال من غير الغجر لكى يثبت حقه فى الزواج منها فلا تستطيع الأسرة الأخرى التراجع بعد ذلك ، وهذا ما عبر عنه هذا الشخص فى قوله « سأربطهم برجالة » .

وعندما يلجأ الغجر الى غير الغجر لحل مشكلاتهم فهم غالبا ما يلجأون **الى الأعيان أو المسئولين أو ذوى الشأن** فى البلد حيث يأنسون لهم ويشعرون بعطفهم خاصة وانهم هم الذين سمحوا لهم بالاستقرار فى المنطقة . وغالبا ما يلجا طرف واحد من طرفى النزاع الى غير الغجر ، فهو بهذه الطريقة يلجأ الى وسيلة اقوى للضغط على الطرف الآخر نظرا لأنه لن يستطيع ان يرفض طلبهم حتى لاينظر اليه بانه مشاكس ، الأمر الذى قد يؤدى الى طرده من المنطقة بالاضافة الى ذلك فهم يدركون ان المسئولين ذوو كلمة مسموعة ،

ولهذا فهم دائما يقولون « ان تعديل البلد على امنها » ، اى ان المسئولين اكثر قدرة على حسم الأمور ، وبالتالى فهم يلجأون اليهم . وعلى سبيل المثال فقد احتدمت المشكلات بين اسرتين تسكنان قرية ستهم وتعيشان فى منزلين متجاورين ، فالتجأت احدى هذه الأسر الى اعيان القرية للفصل فى الموضوع . وبعد التحقيق اتضح ان رب الأسرة الأخرى كان مخطئا فقام هؤلاء الأعيان بضربه وتهديده بالطرد من القرية اذا تكرر منه هذا العمل . ويذكر الغجر انهم قالوا « ان من يرغب من الغجر السكنى فى القرية لابد ان يكون مؤدبا » .

كذلك **يشعر الغجر انه لدى غير الغجر وعى بالقوانين الخاصة بالميراث** ولهذا يستدعونهم دائما للفصل فى مثل هذه المشكلات . فقد استدعى اعضاء الاتحاد الاشتراكى للفصل بين اخوين متنازعين على وراثة منزل . واحيانا يلجأ غجرى لأنه يدرك أن نزاعه مع الغجرى الآخر لن ينتهى نتيجة مرضية اذ سيتمسك كل منهما برايه ، ولهذا فوجود غير الغجر سيؤدى الى اظهار الحق والى الفصل فى الأمور . وقد عبر احدهم عن ذلك بقوله « احنا صعب مع بعض منديش واطى .. اذا تشاكلنا كل منا يتمسك برايه ، لهذا فأحيانا نلجأ لغيرنا .. حتى فى المشكلات المادية احيانا نستلف من غير الغجر لكى لا نبين للأقارب اننا محتاجون » .

وعندما يلجأ الغجر لغير الغجر لحل مشكلاتهم فهم يلجأون للأعيان او المسئولين او ذوى الشأن فى البلد ممن يأنسون لهم ويشعرون بتعاطف متبادل بينهم . ومن اهم الشخصيات المسئولة التى يلجأ اليها الغجر هو العمدة ، فهو صاحب سلطة ولكنه يتميز عن غيره ممن بيدهم السلطة بانه من نفس القرية ، وله دراية بكل شىء فيها ، وله كلمة مسموعة لدى الجميع . فعندما تدب الخلافات بين اسرتين وتفقد الثقة بينهم تلجأ احداهما الى العمدة للفصل ولضمان حقها . فقد احتدت مثلا الخلافات بين اسرتين وكان السبب ان حماة احدهما باعت قرط زوجة ابنتها فى ظروف مرض ابنها ، الأمر الذى ترتب عليه أن والد الزوجة اخذهما الى منزله وطلب مبلغ خمسين جنيها لارجاعها فى حين ان المبلغ ثلاثون جنيها فقط . وعندما

أعدت حماة الزوجة مبلغا يساوى ثمن القرط رفض والد الزوجة قبول اقل من خمسين جنيها . فلجأت الحماة الى العمدة واعطت له الثلاثين جنيها على اساس أن يقوم بالتفاوض مع والد الزوجة . وفعلا قام بانهاء الخلافة واعادة الزوجة ، وقد وعد كل منهما العمدة بعدم العودة الى الخلافات التى تكررت بينهما .

ونود ان نبدى بعض الملاحظات على هذا الموقف :

(أ) ان التجاء بعض الغجر الى غير الغجر فى حل مشكلاتهم له اكثر من مدلول ، فهو يشير الى ارتفاع درجة الثقة فى المجتمع الخارجى الى الدرجة التى ينظر الغجر الى غير الغجر كحكام للموقف . وهو يدل من ناحية اخرى على قبول الغجر أن يتدخل غير الغجر فى جانب من حياتهم ، وقبول غير الغجر للغجر على انهم ضمن سكان المنطقة الذين يجب رعايتهم وحل مشكلاتهم .

(ب) يعتبر الالتجاء الى المسئولين فى القرية هو اعتراف من الغجر بالسلطة الرسمية . على اننا يجب أن نلاحظ ان كل هذه الاتصالات ، والمصالحات تتم بطريقة غير رسمية ولا يتم فيها اى توثيق . كما أن الغجر لا يفضلون اللجوء الى البوليس او الى المحاكم وهذا ما سنشرحه فيما بعد .

(ج) يمكن ان يفسر التجاء غجرى الى المسئولين للضغط على غجرى آخر على انه من قبيل استغلال الغجر لكل امكانيات البيئة المحيطة (المادية والبشرية) لتحقيق مصالحهم ، حتى ولو كان ذلك ضد غجرى آخر . فكما ذكرنا ان الغجرى الأول يدرك ان اخاه الغجرى لن يستطيع معارضة المسئولين . ولهذا يأخذ اقصر الطرق الى تحقيق اغراضه .

(د) ان التجاء الغجر الى غير الغجر — فى حالة وجود كبار السن ومجلس الكبار — يعبر عن أن هناك مجالات اصبحت تحتاج الى الاعتماد على سلطة خارجية . وهذا يعنى أن قيمة وسلطة أولى الأمر من الغجر اقل قوة من السلطة الخارجية فى مثل هذه المواقف .

(هـ) أن هذا التغير — استنادا الى الدلالات السابقة — يعتبر تغيرا

هاما ، اذ انه يتعلق بالضبط الاجتماعى للجماعة وبمدى فعالية سلطات الضبط الداخلية للجماعة . ولكن يجب ان نضع فى اعتبارنا أن هذه الظاهرة ليست واسعة الانتشار . فما زال معظم الغجر يفصلون فى أمورهم ويحلون مشاكلهم داخليا عن طريق أرباب الأسرار « مجلس الكبار » . وما زالت هناك الكثير من الخلافات التى يعتبرها الغجر سرا خاصا بهم بحيث لا يجب ان يعرف دقائقها شخص غير غجرى . فهناك المشكلات التى يخطىء فيها غجرى فى حق الآخر بالاهانة او السب ، وهناك المشكلات الخاصة بنقض احد قواعد العرف الغجرى ، وهناك المشكلات المتعلقة بالقيم الغجرية ، والمشكلات الخاصة بالشرف وهى كلها مشكلات يحرص الغجر على حلها داخليا . واذا كان معظم من تدخل فى حل مشكلات الغجر هم المسئولون او الأعيان فى القرية ، فان الاستعلاء الغجرى على غير الغجر مازال يمنع الغجر من التنازل والالتجاء الى العامة من جيرانهم غير المسئولين .

٢ ـ تقويم الانحـراف :

تحرص الجماعة الغجـرية على تقويم المنحرفين والخارجين عـلى القواعد والمعايير الغجرية المتفق عليها ، وردع المعتدين على غيرهم من الغجر . ويتم تحقيق ذلك على أكثر من مستوى . ففى الأسرة الزواجية تكون مهمة الأب التقويم والتأديب فى حالة الانحراف ، وفى الأسر الممتدة توكـل هذه المهمة الى كبير العائلة وكبار السن فى الأسرة .

غير ان هناك مستوى اعم ، وشكل اكثر تحديدا كهيئة تمارس الضبط الاجتماعى ، وهو ما يمكن ان نطلق عليه ((**مجلس الكبار**)) .

ويتكون هذا المجلس من كبار الســن من أرباب الأسر الغجر الذين يكتسبون عضويتهم بفضل عامل الانتماء للجماعة الغجرية ، وبفضل عامل السن . وأعضاء المجلس لا يتم اختيارهم اذ ان جميع الكبار يعتبرون اعضاء فيه ، كما ان العضوية ممتدة مدى الحياة مادام الشخص قادرا على الاستمرار .

ويعقد المجلس جلساته عندما تكون هناك حاجة الى ذلك ، فجلساته غير دورية وليس للمجلس سجل يقيد فيه الأعضاء أو تقيد فيه الجلسات

نظرا لأنه مجلس عرفى ، ونظرا لأن الغجر اميون او نظرا لطبيعة الروابط والعلاقات الأولية بين الغجر . فالغجر فى غنى عن سجل يســجلون فيه اسماء الأعضاء ، أو يوثقون مناقشاتهم وقراراتهم ، حيث انهم سليتزمون بما يقرره الكبار .

ونظرا لسهولة الاتصال بين الغجر فانه يمكن للجميع أن يعرفوا موعد الاجتماع ، ونظرا لأنه لدى كل منهم حرص على المساهمة فى حل مشـــكلات الجماعة فسوف يجتهد فى الحضور دون تباطؤ ودون توجيه دعوة رسمية . على أن تغيب عضو أو اثنين او ثلاثة لعذر ما لا يؤثر فى القرار الذى يصدره المجلس .

يتضح مما سبق ان هذا المجلس مجلس عرفى من حيث تكوينه وقراراته ومكانته بالنسبة للجماعة والمجتمع المحيط . فمع أن لهذا المجلس نفوذه المعروف بين الغجر الا انه **معترف به عند الغجر فقط** ، وبالتالى فان قراراته سارية المفعول على الغجر فقط . **ولهذا فقراراته ليست لها اية صفة رسمية لدى السلطات أو غير الغجر بصفة عامة** . فاذا اتخذ المجلس قرارا ما ، ثم عرض الأمر على الجهات الرسمية (كالبوليس أو القضاء) فلا يكون لأعضاء المجلس اية صفة رسمية ، ولا يكون لقرارتهم التى اتخذوهـا اعتبار لدى المسئولين . وعلى ذلك فلا يكون دور كبار السن فى هذه الحالة مجرد السعى والوساطة كفجر وليس كأعضاء مجلس غجرى .

ويتهم المجلس بصـــفة اساســية بتلك الانحرافات التى تعتبر كسرا للمعايير الأساسية للجماعة مثل مشـكلة زواج الغجرية من المدرس غير الغجرى . وقد تتعلق المشكلات التى يناقشها المجلس بأفراد أو بأسر بأكملها . كما تتعدد الموضوعات التى تعرض على المجلس فهناك موضوعات خاصة بالزواج والطلاق والملكية والميراث وغيرها (٤) .

---

(٤) وعلى سبيل المثال عرضت على المجلس حالة تنازع فيها اخوان بعد وفاة والدهما . اذ ان الأخ الأكبر ــ الذى يعول الأسرة ويعمل فى دكان أبيه فى الحدادة ــ تزوج واراد الاستقلال عن اسرة ابيه على أن يترك امر =

ويمتثل الغجر لقرارات مجلس الكبار التى يمكن أن تصدر متضمنة احكاما مختلفة تتفق وطبيعة المشكلة ومقدار الخطأ الذى حدث . ففى بعض الأحيان عندما تناقش المشكلة ويحدد المذنب ، وصاحب الحق الذى وقع عليه اذى او اهانة يقرر الغجر مبلغا معينا يدفعه المذنب ، غير ان هذا المبلغ لا يؤول الى صاحب الحق بل تشترى به لحوم واطعمة ياكلونها ، واحيانا يوجه هذا المبلغ — او ما يتبقى منه بعد شراء المأكولات — الى المقابر للتصدق به . اما اذا رفض الشخص المذنب دفع الغرامة فان هذا يعتبر اعلانا بعدم خضوعه لأحد ، ومن ثم تكون النتيجة ان مجموعة منهم تنتظره فى يوم يرونه مناسبا ليضربوه ضربا مبرحا ، وهم يضعون فى اعتبارهم انه عندما يضرب فانه سيتظلم الى بقية الغجر من التعدى عليه بالضرب ، وفى هذه الحالة سيحال الموضوع الى مجلس الكبار للتحقيق فى الواقعة وفى التحقيق سيذكرون له الخطأ الذى ارتكبه هو اولا . وبهذا يجبرونه على الخضوع للكبار ويطالبونه بالوفاء بدينه .

وبهذا تكون الجماعة قد وضعت نظاما يتعين ان يمتثل له الجميع للحفاظ على الأمن داخل الجماعة ، وللابتعاد بالعلاقات من أن تصبح علاقات تعدى من غجرى على آخر . كما وضعت ايضا ما يكفل الاجبار على الامتثال فى حالة رفض المنحرف ان يمتثل .

ويلاحظ ان **مجلس الكبار احيانا يخاطب الشخص المخطىء بلغة المال والثراء** ، ومن ثم فهو يقرن بين الخطأ وبين قدرة الغجرى المادية (٥) .

= اعالة الأسرة لأخيه الأصغر الذى بدأ يساعده فى العمل . وكانت المشكلة هى كيف يتقاسم الاخوان الدخل ليتمكن كل منهما من الصرف على الأسرة التى يعولها ، وهما يعملان فى دكان واحد ويستخدمان نفس الأدوات لكن كل منهما يعول اسرة مختلفة فى الحجم (فالأخ الأكبر مسئول عن اعالة زوجته فقط اما الأصغر فمسئول عن أمه واخوته) وقد قرر المجلس ان يظل الاخوان يعملان معا على ان يأخذ الأخ الأكبر ثلث الدخل له ولزوجته بينما يأخذ الأخ الأصغر ثلثى الدخل لاعالة أمه واخوته ويستمر هذا الى ان يتزوج الأصغر فيناقش الموضوع مرة اخرى » .

(٥) انظر شرحا تفصيليا لهذه النقطة فى الجزء الخاص بالطرق التقليدية لفض المنازعات بين الغجر .

وهناك عدة ملاحظات يجدر الاشارة اليهما فى هذا الصدد :

(ا) ان هناك مجلسا رئيسيا ومجالس فرعية فى ست جيرانها حيث يقوم كبار السن فى شكل مجلس واحد بالبت فى المشكلات التى تهم غجر المنطقة ككل او تتعلق بأمنهم واستقرارهم . اما بالنسبة للمشكلات المحلية التى تهم الغجر فى قرية محددة ، او تهم جماعة قرابية او مهنية دون غيرها . وكذلك بالنسبة لحالات الانحراف التى لا تهدد الجماعة ككل ، فان كبار السن فى القرية او فى الجماعة القرابية او المهنية يجتمعون معا لبحث الأمر . ولذلك فان حدود ونطاق تكوين هذه المجالس يتسم بالمرونة .

(ب) ان وجود هذا النوع من المجالس لا ينفى سلطة كبار السن فى الأسر . فكبير السن فى الأسرة الغجرية له سلطة يعترف بها الجميع ، وهو يفصل فى المشكلات الخاصة باعضاء اسرته . والالتجاء الى هذا النوع من المجالس يرجع الى ان بعض المشكلات تحتاج لأكثر من مجرد كبير الأسرة لحلها ، خاصة تلك التى تتعلق بالعلاقات بين افراد ينتمون الى اكثر من اسرة . بالاضافة الى انه فى بعض الأحيان يفقد كبير الأسرة قدرته على سياسة الأمور ، ويحتاج الأمر لمجلس الكبار . فقد حدث فى احدى القرى ان افراد اسرة ممتدة كانوا يخضعون لكبيرهم غير انه نظرا لأنه اصيب بشلل اقعده عن الحركة واصبح عاجزا تماما عن اداء اى عمل ، فقد أدى ذلك الى حدوث خلافات كثيرة لم يكن من الممكن حلها الا عن طريق مجلس الكبار خاصة ان بعضهم اعلن عصيانه عليه . وهذا يوضح أن كبير السن اذا كان يعتبر سلطة ضابطة فى الأسرة ، الا ان سلطته ليست مستمدة فقط من سنه او مكانته فى الأسرة فقط ، بل ايضا من مقدرته على سياسة الأمور .

(جـ) ان غير الغجر فى ست جيرانها ما زالوا يتبعون نظم المجالس العرفية . ومجالس غير الغجر تختص بفض النزاعات بين الأسر خاصة عندما ما يحدث ما يسبب اضرارا مادية او ادبية بين من هم ابناء شياخات مختلفة . ففى هذه الحالة يجتمع كبار رجال الأسر فى شكل مجلس عرفى ويبحثون الأمر ، ويقررون ، ويوقعون عليه الجزاء المادى او الأدبى . وقد تعقد هذه المجالس فى القرى كما قد تعقد فى مدينة ست جيرانها . وكثيرا

ما تؤجر القاعة الرئيسية فى مجلس المدينة لهذه الأغراض . ويعتبر نظام المجالس العرفية فى مدينة ست جيرانها مرحلة متوسطة بين المجالس العرفية – التى ليس لها اى صفة رسمية – وبين القضاء الرسمى . فالمجلس العرفى فى مدينة ست جيرانها يحضره مأمور المركز ، واحيانا عضو مجلس الشعب ، وتسجل الجلسة والقرارات التى تتخذ فيها . وتعتبر الأحكام الصادرة فيها ملزمة .

غير ان ما يجب ان نلفت النظر اليه هو انه **ليست هناك علاقة بين « مجلس الكبار » الخاص بالغجر وبين نظام المجالس العرفية لغير الغجر فى المدينة او القرية ، فلم يبتدع الغجر نظامهم تأثرا بالبيئة المحيطة . واذا كان للمجلس العرفى بمدينة ست جيرانها الصفة الشبه الرسمية ، وقراراته معترف بها ، فان مجلس الكبار الغجرى ليست له هذه الصفة .**

« ثانيـا »

توحد الغجر مع القانون المصرى وعلاقتهم مع الجهات القائمة على تنفيذه

يخضع الغجر من الوجهة الرسمية للقانون المصرى ، وذلك بحكم توحدهم الرسمى مع بقية المصريين ولهذا الخضوع جانبان :

اولهما : طوعى : يتمثل فى محاولة التوحد مع المجتمع (أو على الأقل التظاهر بذلك) فما داموا يدعون أنفسهم مصريين وينكرون تميزهم فان ذلك يجعلهم خاضعين للقانون الذى يخضع له غيرهم من المصريين . ومما يوسع من دائرة خضوعهم للقانون توحدهم الدينى والاقليمى الذى يتمسكون به . فلأنهم يدينون بالاسلام لذا فهم – فى مجال الأحوال الشخصية – خاضعون لهذا الجانب من القانون المصرى الذى يطبق على اغلبية المواطنين وليس على اقليات تعيش فى مصر كالمسيحيين أو الأجانب مثلا . كما أن توحدهم الاقليمى الذى يتمثل فى محاولتهم اثبات انتسابهم الى المنطقة يجعلهم خاضعين للسلطات العامة فى المنطقة وللتقسيمات الادارية والجوانب القانونية التى تنطبق على اهل الريف .

ثانيهما : اجبارى : وهو ما يمارسه المجتمع الخارجى من حق تطبيق القانون على كل من ينتمى الى هذا الوطن ، فسواء رضى الغجر او لم يرضوا فهم خاضعون للقانون المصرى . ويمارس القانون – من خلال الهيئات المنفذة له – سلطته عليهم حتى فى حالة عدم رغبتهم الامتثال مثلما هو الحال فى حالة طلبهم للتجنيد ، وفى جميع الحالات الجنائية مثلا .

ومما يجدر الاشارة اليه انه طالما أن الغجر خاضعون للقانون فهم يستمتعون بما للمصريين من حقوق . فاذا كانوا يستفيدون من انتمائهم الى الجماعة الأكبر فى تحقيق قدر من الأمن والاستقرار وحق ممارسة نشاطهم بحرية ، فان عليهم التزامات أمام نفس القانون يمنحهم هذه الحقوق ، ومن بين هذه الالتزامات خضوعهم لقانون التجنيد .

هذا وهناك نقطة هامة يلزم الاشارة اليها وهى أن الغجر يحاولون فى بعض الأحيان تجنب الوقوع تحت طائلة القانون ، وهم حذرون فى معظم الأحيان من أن تتفاقم المشكلات بحيث تصل الى البوليس او المحاكم ، كما انهم يتحايلون على القانون للحصول على المساعدات . هذا وسوف نوضح فيما يلى طبيعة خضوع الغجر للقانون المصرى من خلال العرض لأكثر من جانب من جوانب حياتهم الاجتماعية والسياسية وعلاقاتهم بالسلطات المختلفة فى المنطقة .

(أ) المشاركة السياسية :

تقسم كل قرية عادة الى عدد من الشياخات ، ويكون لكل شياخة كبير له الكلمة العليا ، مع مجموعة من كبار السن . وتقوم كل شياخة بترشيح شخص من بين افرادها لمنصب العمدة . وتهتم كل شياخة بضم اكبر عدد من الأفراد لكى تتمكن من كسب الانتخابات التى تجرى لاختيار العمدة . ونظرا لأن الشياخات المختلفة يمكن أن تؤثر على انتخابات المجالس القروية ، ومجلس الشعب فان قادة كل شياخة يحرصون على ضم أكبر عدد من الأفراد المقيمين فى شياختهم . ومن هنا جاء حرص بعض الشياخات على تسجيل اسماء الغجر المقيمين فى المنطقة ضمن افرادها . فقد حرصت احدى الشياخات مثلا فى قرية ستهم على ضم كل التجمع الغجرى الذى يبلغ تعداده

١٣٦ فردا فى شياختهم لضمان الحصول على اصوات كل من له الحق فى الانتخاب من افراد المجتمع .

ومن المهم ان نعرف ان مشاركة الغجر فى هذا الجانب لا تتعدى مجرد اداء الانتخاب فهم لا يهتمون بشخصية المرشح ، او من سيكون العمدة ولهذا فهم ينتخبون من يمليه عليهم شيخ المشيخة . ونظرا لأنهم لا يتحمسون لمثل هذه الموضوعات فانهم لا يشاركون فى اية مناقشات او اجتماعات او مؤتمرات تسبق عمليات الانتخابات . ولهذا فان الاشتراك فى الانتخابات لا يعنى بالنسبة لهم اكثر من مجرد ارضاء المسئولين فى القرية . ولو ترك الغجر وشانهم لما اشتركوا فى الانتخابات .

وعلى ذلك يمكن القول بان هذا الموقف عبارة عن **موقف مصلحة متبادلة بين الغجر وغير الغجر على السواء** . فالغجر يحاولون بذلك ارضاء المسئولين والتأكيد على انهم جزء لا يتجزأ من اهالى المنطقة ، وغير الغجر يكسبون اصواتا تساعد على انجاح مرشحهم . غير أن هذا لا يعطى لمشاركة الغجر طابع المشاركة الايجابية النابعة عن الاحساس بأهمية الاسهام فى الاهتمامات العامة للاقليم الذى يعيشون فيه . ذلك الاحساس الذى يعتبر محكا صادقا للتكامل مع المجتمع المحيط .

(ب) القيد بالسجل المدنى :

بدأ الغجر يقبلون على تسجيل مواليدهم بالسجل المدنى عندما عرفوا الفوائد التى يحصلون عليها من وراء ذلك والتى من بينها اثبات أنهم مواطنون ضمن اهالى القرية التى يعيشون فيها بالاضافة الى المواقف المتعددة التى يمكن ان تستخدم فيها هذه البطاقات الشخصية مثل مواقف التعامل الاقتصادى ، والقانونى والمواقف التى يحتاج فيها الشخص الى اثبات هويته . وقد ادى هـذا الى تأكيد وترسيخ استقرارهم فى القرية التى يعيشون فيها اذ يصعب طردهم بعد ذلك . كما أنه يترتب على اثبات عدد افراد الاسرة استخراج البطاقات التموينية . ولقد ترتب على ذلك ان اهتم ساقطو القيد من الغجر باستخراج شهادات تسنين مكنتهم من استخراج بطاقات شخصية كمواطنين فى المنطقة . هذا وهناك عامل هام شجع

الغجر على ذلك وهو انه لا يذكر فى اية شهادة (كشهادة الميلاد او غيرها) او بطاقة شخصية ان الشخص غجرى .

ومع هذا فهناك بعض الغجر لم يسجلوا اسماءهم بالسجل المدنى ، كما لم يستخرجوا بطاقات حيث أنهم يرون انه ليست هناك ضرورة لذلك .

(جـ) التجنيد :

يخضع بعض ابناء الغجر للتجنيد ، كما يخضع غيرهم من المصريين . ومن الطبيعى ان ساقطى القيد لم يطلبوا للتجنيد ، وعلى هذا فهناك من ابناء الغجر من خضع للتجنيد وهناك من لم يخضعوا له (٦) . ومما يجدر ذكره ان عدد الأشخاص المرتبطين بالخدمة بلغ نحو اربعة عشر شخصا وذلك خلال الفترة التى اجرى فيها العمل الميدانى . ولقد أنهى بعض منهم فترة تجنيدهم اثناء وجودى فى المنطقة . كما اشترك فى حرب أكتوبر .

ولم يذكر الغجر او غير الغجر أن مجندا غجريا كان سلوكه غير لائق طوال فترة الجندية باستثناء شخص واحد تتحدث عنه المنطقة تغيب لفترة طويلة دون عذر ، وعندما حكم عليه بالسجن هرب من تحت التحفظ فحكم عليه بالسجن مرة اخرى لمدة اربع سنوات ثم خرج بعد ذلك ولم تواجهه مشكلة العمل نظرا لأنه كان يعمل بالأعمال الحرة (٧) .

---

(٦) ذكرت حكمت يوسف فى دراستها السابق الاشارة اليها نفس الظاهرة بالنسبة للغجر الذين قامت بدراستهم . فقد ذكرت انهم لم يكونوا يطلبون فى الجيش بسبب انهم ساقطو قيد ، اما الآن فان لهم ابناء مجندين وآخرين يعملون فى الحكومة بعد اداء فترة التجنيد . وقد ذكرت أن الغجر لا يحبون ان يجندوا فى الجيش « لأن نظام الجيش ضد رغباتهم » غير أنها لم توضح كيف يكون هذا ضد رغباتهم . انظر : حكمت يوسف ، مرجع سابق ، ص ١٠٦ .

(٧) يحكى الغجر تفاصيل اخرى عن هذا الشخص فيقولون انه عندما سجن بسبب الغياب كسر قفل باب السجن وهرب ، ويقول آخرون انه باع البطانية والبندقية وهرب ، ولهذا حكم عليه بعدة سنوات قضاها فى السجن المدنى ، واعتبر مرفوتا من الخدمة العسكرية .

وهناك حالة اخرى لجندى غجرى بترت ساقه عندما مرت عليها عجلات قطار ، وقد ظل يعالج فى مركز التأهيل المهنى التابع للقوات المسلحة ، وتم عمل الأجهزة التعويضية اللازمة له .

وقد استفاد الغجر الذين يعملون فى حرف غجرية تقليدية من فترة التجنيد ، فقد عملوا فى الجيش فى تخصصات قريبة من هذه الحرف . فمن كان يعمل سباكا استمر فى نفس المهنة فى الجيش ، مما ادى الى زيادة نطاق تخصصه فقد عمل فى سمكرة ابواب السيارات وبقية اجزاء جسم السيارة . كذلك فان الحداد عمل كحداد فى عمليات البناء فى الجيش وبهذا ادت الامكانيات المتاحة فى الجيش وتقدم الخبرة والامكانيات (مثل ادوات العمل) عن مثيلتها فى القرية ، الى اكساب الغجر مهارات اوسع نطاقا من تلك التى كانوا يمارسونها فى القرية ، مما ادى الى خلق طموح لدى بعضهم للعمل فى نفس المهن ولكن لدى مقاولين (٨) . كما أن احدهم ارتبط بعملية سمكرة السيارات ، وهذا ما اتاح له فرصة العمل خارج القرية .

كذلك ادت فترة الجندية الى اختلاط الغجر بغير الغجر فى مجال لا يعرفون فيه على انهم غجر ، وبهذا يعاملون معاملة غير متحيزة .

(د) العلاقة بالشرطة والمحاكم وبالقائمين على تنفيذ القانون :

لا يفضل الغجر الالتجاء الى اقسام الشرطة للتبليغ عن اية اضرار تحدث لهم . ويحاول الغجر فى علاقاتهم مع غير الغجر جاهدين الا تتصاعد المواقف فى حالة حدوث مشكلات الى الحد الذى تصل فيه الى الشرطة . واذا كانت هذه الاتجاهات توجد لدى الغجر وغير الغجر على السواء ، الا ان الغجر يدركون انه يمكن ان يعاملوا معاملة متحيزة من المسئولين فى حالة اتهامهم .

غير انه عند خروج الموضوع من ايديهم ووصول المشكلات الى الشرطة فانهم يحاولون التجمع والتوسط لدى غير الغجر لانهاء الموقف . وهناك من

(٨) ذكرنا اشارة الى هذه النقطة فى الفصل الثانى من هذا الباب .

المشكلات ما لم يتمكن الغجر من منع وصوله الى الشرطة . فقد هدم حائط اقامه الغجر فى قرية السكران فاصاب احد ابناء الفلاحين وابلغ الأمر الى الشرطة التى حولته الى النيابة . كما أن غجريا عمل سائقا لسيارة اسعاف صدم تلميذة فى المرحلة الثانوية بقرية هنادى فماتت فى الحال . وقد اثبتت شهادة الشهود ومعاينة الحادث ان الغجرى انحرف عن الطريق الذى كان يسير فيه لهدف معاكسة الفتاة فاصطدمت مرآة السيارة برقبة التلميذة فقطعتها . ويتوقع الغجر فى مثل هذه الحالات ان يعاملوا معاملة سيئة .

اما المشكلات التى تحدث بين الغجر وبعضهم البعض فهى لا تصل الى اقسام الشرطة مهما احتدمت المشكلات ، ويقوم القضاء الغجرى المتمثل فى مجلس « الكبار » بدور هام فى حل المنازعات بينهم . ولم يسجل البحث الميدانى الا حالة واحدة — ذكرت فى فصل الزواج والقرابة — اشتكى اهل الزوجة الزوج فى قسم الشرطة .

وعلى الرغم من أن معظم الغجر يتجنبون التورط فى مواقف تقودهم الى المواجهة مع الشرطة او ممثلى الهيئات القانونية ، فان **لدى معظمهم دراية بالاجراءات القانونية المتعلقة بالمواقف التى يوجدون بها** ، وبضرورة الالتزام بالقواعد العامة التى تجنبهم المساءلة . وهذا يعطيهم قدرا من الحيطة فى التعامل مع الآخرين . وقد قاد الى ذلك احساسهم بانهم اقلية تواجه تحيزا من المجتمع مما يتطلب ان يكونوا دائما على دراية بكيفية مواجهة المواقف . وقد ادى كل من التحفظ وتحاشى الوقوع فى الأخطاء ، بجانب الحرص على الدراية بالابعاد القانونية للمواقف الى أن اكتسب البعض القدرة على التعامل الجرىء مع رجال الشرطة فى حالة توجيه اى اتهام اليهم . فعندما حاول البعض الضغط على الزوج — فى الحالة السابق الاشارة اليها — فى قسم الشرطة هدد بانه لن يسكت على حقه اذا ضغط عليه . كما طلب غجرى آخر من الضابط منحه قدرا من الثقة والسماح له بالمبيت فى منزله ليلة ترحيله الى النيابة . ويلاحظ أن استقرار الجماعة فى المنطقة ، ومعرفة رجال الشرطة لهم يقلل من درجة عدم الثقة فيهم . ومما يعكس ايضا درايتهم ووعيهم بالاجراءات القانونية أن الغجرية الأرملة التى انكرت زواجها مرة اخرى تقدمت للحصول على مساعدة من مديرية الشئون الاجتماعية وهى

تدرك تماما ان المديرية لن تستطيع التوصل الى الحقيقة بسبب ان هناك بلاغات كاذبة كثيرة توجه ضدهم وضد غيرهم وسيعتبرون البلاغ ضدها بلاغا كاذبا (٩) .

(هـ) استغلال الغجر لقانون المساعدات لتحقيق مصالح مادية :

وكما ذكرنا ان الغجر يحاولون احتكار البيئة الخارجية اقتصاديا ، فهم يحاولون ايضا بطرق متعددة الحصول على منافع مادية اخرى ، ولو ادى ذلك الى التحايل فى بعض الأحيان . واذا كان قانون الضمان الاجتماعى رقم ٣٠ لسنة ٧٧ قد حدد انواعا من المساعدات والمعاشات تقدم للمستحقين طبقا للشروط الواردة فى القانون . فان الغجر يحاولون تحقيق اقصى فائدة منه . فعندما يصاب غجرى بأى عجز فانه يحاول أن يتقاضى مساعدة ، كما تحاول النساء من الغجر الحصول على مساعدات مادية كأرامل او مطلقات خاصة اذا كن يعلن أطفالا . كذلك يتقدم كبار السن بطلبات لمكاتب الشئون الاجتماعية طلبا للمساعدة المادية ، وعندما سجن رب احدى الأسر لجأت زوجته الى الشئون تطلب المساعدة التى تقدمها الشئون لأسر المسجونين .

وعلى الرغم من ضآلة المبالغ التى تصرف كمعاشات أو مساعدات بالنسبة لما يكسبه الغجر (١٠) ، اذ انهم قادرون على كسب اضعاف هذه المبالغ شهريا الا أن الغجر يحرصون على الحصول على اى مساعدة « افضل من لا شيء » . ولتحقيق ذلك يحاولون تكوين علاقات مع من يمكنهم من تسهيل حصولهم على المساعدة ، فيحاولون مثلا اقامة علاقات ودية مع ساعى الوحدة الاجتماعية — الذى غالبا ما يكون من ابناء القرية — لكى يتوسط لهم لدى رئيس الوحدة ويحاول اقناعه انهم فقراء ويستحقون

---

(٩) لا شك أن هذا الموقف يدل على ذكاء الغجرية وقدرتها على القيام بالدور . والغجر مشهورون بالذكاء فى القيام بهذه الأدوار . ويحكى غجرى انه اثناء وجود زوجته بالمستشفى العام تمكن من الدخول اليها بعد ان ربط ذراعه الى صدره وكأنه مريض حتى وصل الى حجرتها . وعندما علم المرض انه غجرى حاول ان يطلب منه عشرين جنيها مدعيا ان الطبيب قد طلبها ، فتوجه على الفور الى الطبيب للتأكد مما قاله المرض .

(١٠) فهى تتدرج من جنيه ونصف الى ست جنيهات شهريا .

المساعدة . كما يحاولون ايضا استدرار عطف رؤساء الوحدات الذين يقومون بالموافقة على تقديم المساعدة .

ومما يؤكد ان عامل الفقر والاحتياج المادى ليس هو العامل الوحيد الذى يدفعهم الى الحصول على مساعدات من مديرية الشئون الاجتماعية ، بل مجرد الحصول على ما يمكن الحصول عليه هو أن القانون يتيح لمديرية الشئون الاجتماعية المختصة تكليف أصحاب المعاشات وأفراد أسرهم الالتحاق بالمعاهد والمؤسسات المعنية بالتأهيل الاجتماعى او القيام بعمل ترى انه يناسب حالتهم . وينص القانون على انه اذا رفض احدهم الامتثال لذلك بعذر غير مقبول سقط حقه فى المعاش او المساعدة او فى اى منهما . غير ان الغجر يرفضون قبول اى تأهيل ويذكرون من الأعذار ما يبرر عدم قبولهم للعرض . والواقع ان انشغالهم فى الأعمال التى يقومون بها عادة ما يكون هو المانع الحقيقى .

واكثر ذلك انه على الرغم من ان وزارة الشئون الاجتماعية قد حددت بعض العقوبات لمن يدلى ببيانات غير صحيحة ، عن حالته المالية او الاجتماعية ، او من يغفل ذكر مصدر من مصادر دخله بحيث يؤدى ذلك الى حصوله على مبلغ لا يستحقه ، فان بعض الغجر يتحايلون على الموقف ، ويخفون بعض الحقائق وبهذا يخالفون هذه التعليمات . وعلى سبيل المثال فعلى الرغم من ان قانون الضمان الاجتماعى قد حدد فى بابه الاول مفهوم كلمة اولاد بانهم الأبناء المعالون والبنات ويقسمهم الى ثلاث فئات :

(أ) الذكور الذين لا يزيد سنهم عن ١٥ سنة ، والبنات حين يتزوجن او يلتحقن بالعمل .

(ب) الذين لا يتجاوز سنهم ٢١ سنة ويلتحقون بمراكز التدريب الخاضعة لاشراف هيئات او جهات حكومية .

(ج) الذين لا يتجاوز سنهم ٢٦ سنة ويلتحقون بمدارس أو معاهد أو جامعات ولم يتزوجوا أو يلتحقوا بالعمل . غير أن أحد كبار السن من الغجر قد قدم طلبا للمساعدة ذكر فيه انه مسن وغير قادر على العمل . وذلك

وعلى هذا فاذا كانت الجماعـــة مستعدة ان تتسامح مع بعض انواع من هذا السلوك فان المجتمع لا يتسامح فى ذلك وهذا ما يجعل الغجر شديدو الحرص على ان يطابق سلوكهم ــ الظاهر على الأقل ــ معايير المجتمع . وهنـــاك عوامل تساعد على ذلك هى ان الغجر يعتبرون فى نظر المجتمع مصريين ، فان غالبيتهم من حيث الشكل الفيزيقى مشابهون لغيرهم من غير الغجر ، ويتكلمون اللغـــة العربية مثلما يتكلمها اى مصرى ، ولا يوجد فى بطاقاتهم الشخصية ما يوضـــح انهم غجر ، وهذا مالا يجعل لهم عذرا مقبولا اذا خالفوا القواعد العامة المتوقعة من غيرهم .

غير ان الغجر من الناحية العملية يحاولون تجنب الاحتكاك بممثلى السلطة ، ولا يبلغون عن الانحرافات التى تحدث بينهم ، واذا حدث خلافات بينهم وبين غير الغجر فهم يحاولون عدم تصعيدها ، لانه يمكن ان يعاملوا بتحيز فى المنطقة التى يعرفون فيها انهم غجر . كما انهم يحاولون استغلال حقوقهم التى يعطيها لهم القانون ــ كمصريين ــ الى اقصى حد .

والسؤال الذى يجب ان نوليه قدرا من الاهتمام هو : هل يســـاهم العرف الغجرى الذى يمارس تأثيرا على الغجر فى الاتجاه بسلوك الغجر نحو التطابق مع معايير المجتمع الذى يعيشون فيه ؟ أم انه يوجه السلوك الى ما يتنافى مع هذه المعايير ؟ .

والواقع ان هذا الجانب يحتاج الى دراسة اعمق واشمل لكل جوانب السلوك لكى نعطى اجابة وافيه له ، لكن من الجانب الذى نهتم به وهـــو التوحد والتكامل مع المجتمع الأســـاسى فان اســـاليب التنشئة الاجتماعية الغجرية ، تتضـــمن تعليما للفرد يوجهه دائما على أنه غريب ، وأن هناك الجماعة وهناك المجتمع الأكبر ، وان هناك حدودا فاصلة بين الجماعتين . بل وان القانون الغجرى يستهجن ويحاسب من يتزوج من غير الغجر .

واذا كانت الجماعة لا تحمل اتجاهات عدائية ضد المجتمع المحيط وضد افراده ، ولكن من جهة المشاركة السياسية فالغجر يتصفون باللامبالاه ، ولا تتعدى مشاركتهم الجانب الصورى الذى يترتب عليه ارضاء المسئولين وبالتالى تحقيق أمنهم واستقرارهم .

على الرغم من ان بياناته الحقيقية توضح انه متزوج من زوجتين احداهما لديها ابناء يزيد سنهم عن ١٥ سنة ويعملون ، وهم قادرون على رعاية الدهم . غير انه ذكر فى طلبه اسم الزوجة التى لديها أولاد ما زالوا ادنى من السن الذى حدده القانون .

وللغجر صـــبر عجيب على الاجراءات الطويلة والمعقدة التى تتطلبها الحصـــول على المساعدة . واذا كان التحايل اســـلوب يستخدمه الغجر للحصول على المساعدات حينما لا يستحقونها فان كثرة الالحاح ، وكثرة التردد على الوحدة الاجتماعية تعتبر وسيلة اخرى تؤدى الى وصولهم الى نفس الهدف . وقد ذكر احد الاخصائيين ان غجريا مسنا ظل يتردد عـــلى الوحدة اسبوعيا ــ للسؤال على الموافقة على طلبه ــ لمدة عام كامل . وكان فى كل مرة يقال له ان الاجراءات لم تنته بعد فينصرف صامتا .

وهم يحاولون فى سعيهم للحصـــول على المساعدة ان يكونوا عـــلى دراية بالقوانين والاجراءات عن طريق السؤال . ففى مناقشة بين تجربة واحد موظفى الوحدة الاجتماعية اوضحت الغجرية انها على دراية بالقوانين وان المساعدة التى تصرف لها يجب ان تستمر ما لم تقرر مديرية الشئون الاجتماعية (التابعة لها الوحدة) قطعها . وفى نهاية حديثها قالت له « انا مش فلاحة سكة اسكت على حقى » .

خـــــاتمة :

اتضح لنا من العرض السابق ان جماعة الغجر كانت فى الماضى تمارس طرقا تقليدية كنوع من الضـــبط لســـلوك افرادها . وعلى الرغم من ان الجماعة مازالت تمارس هذا الضبط الا ان الطرق التى اتبعتها قد تغيرت تحت تأثير استقرار الجماعة وتحقيقها قدرا من التكامل مع المجتمع المحيط . كما ان الجماعة لم تعد تعتمد على نفسها فقط فى حل كل المشكلات وفض المنازعات كما كان سائدا فى الماضى بل ان بعض افراد الجماعة ــ وخاصة المسئولين ــ بداوا يقبلون غير الغجر مشاركين وشهودا فى حل مشكلاتهم .

واتضح لنا ايضا ان الغجر من الوجهة الرسمية يخضعون للقـــانون المصرى ، فهم يحاسبون مثل غيرهم أمام القانون عن اى سلوك منحرف .

الفصل الخامس

« الثقافة والتعليم »

يهتم هذا الفصل بايضاح الى أى مدى يتكامل الغجر ثقافيا مع المجتمع المحيط . والى مدى تعمل الثقافة متمثلة فى العادات والتقاليد والممارسات المختلفة كمجال للتقارب بين القائمين بالممارسة الواحدة والتباعد بين المستبعدين من مجالها . وبناء على ذلك فان هذا الفصل يهدف أيضا الى التعرف على المجالات الثقافية التى يتجمع فيها الغجر وغير الغجر ، والى أى مدى يكون الغجر مقبولين . كما يهدف الى عرض عناصر الثقافة الخاصة بالغجر وحدهم وايضاح وظيفتها بالنسبة للتكامل مع ثقافة المجتمع المحيط .

وقد تطلب ذلك أن نعرض لبعض عناصر الثقافة ذات الدلالة التحليلية التى تلقى ضوءا على الأبعاد السابقة المطلوب التعرف عليها ، وقد تم اختيار هذه العناصر بعد قضاء وقت فى ملاحظة ودراسة جوانب ثقافية متعددة .

وقد اهتممنا أيضا فى هذا الفصل بظاهرة التعليم بهدف توضيح اتجاهات الغجر نحوه ونصيبهم منه ، ومدى امتثالهم لقانون التعليم الاجبارى . ويرجع الاهتمام بالتعليم أيضا الى اقتناع الباحث ــ سوف يناقش فيما بعد ــ أن النتائج المترتبة على التعليم لها تأثير على شخصية الفرد وعلى تكامل الجماعة .

أولا :

بعض عناصر الثقافة ذات الدلالة التحليلية

تم اختيار جوانب أخرى ــ بجانب اللغة ــ من الثقافة السائدة فى البيئة لتوضيح مدى التداخل والتباعد ، أو التشابه والاختلاف بين الثقافة الغجرية وثقافة المجتمع المحيط . والجوانب المختارة هى : ــ

المظهر الخارجى للغجر :

لم يمكن ملاحظة اوجه اختلاف بين الغجر وغير الغجر فيما يتعلق بالمظهر الخارجى خاصة الملبس . فالغجر يرتدون نفس الزى الذى يرتديه اهالى الريف . وينطبق ذلك على الرجال والنساء على السواء . ويؤدى هــذا التشابه الى ان الغجر يمكن الا يعاملوا على أنهم غجر فى مواقف كثيرة ذلك انه اذا كان الغجر معروفين لأهالى القرية التى يعيشــون فيها الا ان الغجرى يمكن الا يكون معروفا فى قرى أخرى داخل المنطقة ، ولهذا يعامل على انه غير غجرى . واذا كان المظهر المتشابه مع مظهر غير الغجر يساعدهم على تجنب مواجهة ألوان التحيز التى تثار ضدهم فان ذلك يساعد عــلى تكاملهم مع الجماعة المحيطة .

واكثر من ذلك ان بعض الغجر ــ من الشباب ــ قد أظهروا تكيفا ــ من حيث المظهر ــ مع ما تتطلبه اعمالهم فى مدينة ست جيرانها ، احــد هؤلاء الشبان ــ كان يعمل سمكريا ــ ارتدى البنطلون والقميص ، اذ وجد انه اكثر سهولة وقبولا ، كما أن غجريا آخر يعمل فى مقهى وجد ايضا أن تغيير الجلباب يكون اكثر ملاءمة للعمل .

غير ان بعض الغجريات ــ كبيرات السن بصفة خاصة ــ يتميزون بوجود اشكال من الوشم على وجوههن وخاصة منطقة الذقن . ولكن كما ذكرنا قبل ذلك ــ بالنسبة لغجر مناطق اخرى ــ ان الوشم كظاهرة بدأت تختفى بالنسبة للغجريات صغيرات السن (١) .

الأســماء :

يسمى الغجر بالأسماء السائدة فى البيئة المصرية ، فهناك مبروكة وديب واعتماد وشادية والماظ ، ورحمة ، ووردة . كما أن من الغجر من سموا بالأسماء التى تطلق على الأجيال الحديثة مثل : نها وعبير وسحر . وهى اسماء يتسمى بها احدث جيل من اجيال الغجر (الأطفال) . ويسمى

(١) انظر ظاهرة الوشم واسباب عدم انتشارها بين الأجيال الحديثة فى البــاب الثانى .

الغجر بالأسماء العربية التى تنتشر فى البيئة الريفية مثل : حجاج وبهنس وعشرى وبطران وطحاوى وعجمى وحجاب وقرنى . كذلك تنتشر بينهم الأسماء الاسلامية فهناك محمد وأم هاشم ورجب وشعبان ورمضان ومعاز . وقد ارتبطت التسمية فى بعض الأحيان بمناسبات دينية اسلامية ، فقــد سميت احدى المولودات عويسية لأنها ولدت فى مولد سيدى عويس بقــرية الطرمبة (*) .

وتمشيا مع الأحداث التى تمر بها البلاد اطلق بعض الغجر على اطفالهم اسماءاً ارتبطت بالحرب التى خاضتها مصر ، فهناك ناصر ونصر وانتصار (*) . كما ان غجريا سمى ابنته « عبرنا » تذكارا للعبور فى حرب اكتوبر . وهم يباهون بأنهم على وعى بالأحداث وانهم يطلقون على اطفالهم هذه الأسماء تأييدا للموقف الســياسى .

ينتشر بين الغجر ــ كما ينتشر بين غير الغجر فى المنطقة ــ ايضــا تسمية الحفيد على اسم الجد تخليدا لاسـمه وذكراه اذا كان متوفيا ، واحتراما واظهارا للحب نحوه اذا كان حيا . وفى معظم الأحيان يطلق على المولود (الذكر) اســم ابيه الذى توفى قبل ولادته . وعلى المولودة الانثى اسم امها التى توفيت اثناء ولادتها لنفس الأغراض الســابق ذكرها ، ولارضاء المشاعر العاطفية نحو المتوفى .

ولكن الأمر الذى يستوجب وقفة واستفسارا هو أن من الغجر من تسموا بأسماء رومانية مثل اسكندر . الأمر الذى لم اجــد له أى تفسيــر عند الغجر . كذلك فان الغجر يسمون « زارع » رغم أنهم يحتقرون العمل فى الزراعــة .

ويوجد بين الغجر بعض ممن تسموا بأسماء تختلف تماما عن الأسماء التى تنتشر فى البيئة المصرية مثل نفادى وآياتى ومشاشى وجرحى وفريزة ودوابــة . .

ويلاحظ أن اغلبية الأسماء التى يسمى بها الغجر فى ست جيرانها تعبر عن تأثر الجماعة بالجماعات المحيطة ، وبالظــروف والأوضــاع

الاجتماعية والدينية السائدة فى المنطقة . وهذا يدل على انهم — على الرغم من وجود اسماء خاصة بهم — تأثروا بالاسماء السائدة . ويمكن ان يفسر هذا ايضا على انه توافق مع البيئة المحيطة . ويلاحظ ايضا ان الاسماء غير الغجرية تنتشر بين الأجيال الحديثة مما يشير الى ان هناك اتجاه نحو التخلى عن الأسماء الخاصة بهم .

اما الأسماء الغريبة التى لا تطلق الا على الغجر فهى يمكن أن تشير الى أن جماعة الغجر كانت تتميز فى هذا الجانب من الثقافة ولكن ابتدات تهجر هذه الأسماء رغبة فى الظهور بمظهر عدم التميز من جهة ، وتأثرا بالبيئة المحيطة من جهة اخرى .

الوعى الصحى والممارسات الطبية :

على الرغم من انتشار الوحدات الصحية فى المنطقة ، ووجود المستشفى العام بمدينة ست جيرانها (انشىء سنة ١٩٣٠) ، فالغجر يلجاون الى وسائل الطب الشعبى المختلفة لمقاومة الأمراض التى تصيبهم . والقليل منهم هم الذين يترددون على الوحدات الصحية فى القرى . وهم لا يلجأون الى المستشفى العام ، الا فى الحالات الحادة والاضطرارية مثل الكسور والحوادث والأمراض الصدرية . وهناك حالات كثيرة لجأ فيها الغجر الى العلاج الشعبى مثل الكى بالنار والعلاج الروحى الشعبى . فعندما اصيب اشخاص منهم بحالات هستيرية لجاوا الى الزار والتعزيم (٢) .

---

(٢) قمت اثناء وجودى فى المنطقة بعمل احصاء للحالات المرضية بهدف التعرف على نوعية الأمراض التى تنتشر بينهم ، وطرق علاجها . وقد وجدت انه بالاضافة الى الأمراض الطارئة التى يتعرض لها الغجر — وغير الغجر — ويمكن علاجها بسهولة هناك حالات مزمنة ، ذلك أن اكثر من شخص مصاب بأمراض صدرية مما يترتب عليه كحة مستمرة وبلغم . وقد اصيبت سيدة بالجنون بعد ولادة ابنها الأول ، ولم يجد معها العلاج الذى استمر اكثر من سنة ، وقد اعتقد الغجر ان المرض نتج عن « عمل » اجراه شخص لها ادى بها الى الجنون ، وهى تأتى افعالا شاذة تصل الى محاولة قتل طفلها . وهناك شخصان مصابان بالعته أو البله ، وثالث =

وهنـاك حوادث كثيرة تعكس اثر انخفاض الوعى الطبى والثقافة الصحية ، فقد ذكرنا — فى موضع سابق — حالة شخص تزوج باكثر من زوجة ولم تنجب اى منهن ومع ذلك فلم يحاول ان يعرض نفسه على طبيب ، على الرغم من ان احدى زوجاته انجبت بمجرد ان تزوجت مرة اخرى بعد أن طلقها بسبب عدم الانجاب . كما منع غجرى آخر زوجته من ان تعرض نفسها على طبيب رغم مضى فترة طويلة على الزواج دون حمل ورغم حدوث مشاجرات بينه وبينها بسبب عدم الانجاب . وكانت حجته فى ذلك انه لا يجب أن « تنكشف امراته على احد » .

وقد تكشف للباحث من فحص خريطة تسلسل الأنساب طول فترة الخصوبة بالنسبة للغجر ، وفى نفس الوقت تكشف أن الغجر لا يلجاون الى وسائل تنظيم الأسرة لتحديد نسلهم .

فمن حيث طول فترة الخصوبة تظل القدرة على الاخصاب لدى الرجل الغجرى والقابلية للاخصاب لدى المراة الغجرية لمدة طويلة من الزمن . وهذا يوضحه ان ابناء بعض الأسر يقعون فى فئات سن شديدة التباعد فى الوقت الذى ينتمون فيه الى اب وام واحدة . كذلك نلاحظ أن الانجاب يستمر الى سن متقدمة بالنسبة للأب والأم ، ويؤيد ذلك أن بعض الغجر من الرجال بالذات تزاوجوا وانجبوا فى سن متقدمة . بالاضافة الى الحالات الكثيرة التى ظلت فيها الأم تنجب رغم أن بناتها تزوجن وانجبن . وقد ادى تكرار هذه الظاهرة الى ان أحد الأعمام كان سنه اصغر من سن ابن اخيه .

= بالعمى . وقد اصيب غجرى مجند فى الحرب فبترت ساقه . وقد ظل فترة طويلة فى احد مراكز التاهيل المهنى . كما اصيب غجرى آخر بشلل فى اليد والرجل اليمنى ، واخته بكسر فى الساق .

كذلك اخبرت أثناء فترة العمل الميدانى بأكثر من حالة وفاة نتيجة المرض او الحوادث ، فقد شبت النار فى احد ابناء الغجر وتوفى متأثرا بحروقه ، ثم توفيت فتاة صغيرة فى مستشفى الحميات على اثر الاصابة بالحمى ، وتوفيت اخرى اثناء وجودى فى المنطقة بعد أن اصيبت بروماتزم فى القلب .

اما من جهة تحديد النسل فان الغجر يقررون انهم لا يلجأون الى اى طريقة لتحديد النسل ، ولهذا فان كل اسرة تستقبل مولودا جديدا كل عام او كل عامين على الأكثر .

ومع ذلك فهناك ظاهرة جديرة بالملاحظة هى أن عدد الأبناء لبعض الأسر قليل جدا بالمقارنة بأسر أخرى . وهم يقررون أن ذلك لا يرجع الى الزواج فى سن متقدمة أو الى حدوث الطلاق أو تحديد النسل بأية صورة . فهناك من مضى على زواجهما اربعين عاما ولم ينجبا الا طفلين . ويفسر الغجر هذه الظاهرة بأن النسل أحيانا يحدد بطريقة طبيعية ، فقد لا تنجب سيدة الا بعد مرور عشرة سنوات على الزواج ، وبعد ذلك تبدأ الانجاب بطريقة طبيعية دون اجراء اى علاج . وقد انقطع الانجاب بالنسبة لبعض الغجريات عدة سنوات بعد الطفل الأول والثانى ثم عادت الى الحالة الطبيعية دون علاج ايضا . ويعلل الغجر ذلك بأنه ارادة الله أو بأنهم يقومون ببعض الأعمال الشاقة التى تؤثر على الانجاب .

ويعد عدم الانتظام فى الانجاب ظاهرة متكررة فى اكثر من اسرة غجرية . وتعكس هذه الظاهرة عدم انتظام فروق السن بين ابناء الأسرة الواحدة . ومن الطبيعى أن هناك أسبابا اخرى غير التى ذكرها الغجرى تؤدى الى ذلك . بعض هذه الأسباب بيولوجية (وهى تحتاج الى دراسة متخصصة) وبعضها اجتماعية تتمثل فى وفاة بعض الأبناء أو حدوث طلاق او فترات انفصال بين الزوجين ، وهذه الأسباب — اعتقد — أن الغجر تعمدوا عدم ذكرها .

وإذا نظرنا الى هذا المجال نجد أن الوعى الطبى عند الغجر يشبه مثيله عند غير الغجر ، وأن الغجر يستخدمون من وسائل الطب الشعبى فى علاج امراضهم ما هو متداول فى البيئة المحيطة . كذلك فان التفسيرات الشعبية للظواهر هى التفسيرات التى نجدها عند غيرهم من اهل الريف ، وعلى ذلك فاذا كان الوعى الصحى عند الغجر منخفضا وبالتالى فهم لا يستفيدون افادة كاملة من الخدمات الطبية المقدمة ، ويتمثل ذلك فى اقدامهم على وسائل الطب الشعبى فى علاج أمراض كثيرة كالجنون مثلا ، فان ذلك لا يرجع الى كونهم غجر بقدر ما يرجع الى تأثرهم بالبيئة المحيطة .

العادات والتقاليد المرتبطة بالمناسبات :

(أ) السبوع والختان :

يحتفل الغجر بالسبوع خاصة اذا ما كان المولود ذكرا . كما يحتفلون بختان الذكور مثلما يحتفل غيرهم من المحيطين . وتعتبر عادة دفع النقوط عادة صارمة عند الغجر فى مناسبة الختان على وجه الخصوص كما سبق وذكرنا . وينفق الغجر الكثير من المال على الاحتفال بالختان بوجه خاص نظرا لأنهم ينتظرون أن يجمعوا الكثير من النقوط . ويتوقع حضور الغجر الأقارب والأصدقاء هذه المناسبات .

(ب) الموالد :

يشارك الغجر فى الموالد التى تقام فى قرى ست جيرانها أو فى المناطق المجاورة . وهناك ثلاث موالد للأولياء المحليين تقام سنويا . ويستمر المولد فترة تتراوح بين أسبوع وثلاث اسابيع . والغجر يحضرون هذه الموالد كبائعين او ممارسين لفنون الغناء والرقص ، وفى هذه الحالة تبقى الأسرة الغجرية طوال اليوم ، وغالبا ما يرتبون لأنفسهم مكانا للاقامة ليلا بحيث لا يضطرون الى العودة الى قريتهم مساءا للمبيت .

ولا يواجه الغجر أية متاعب حيث يتواجدون فى الموالد ، فهم كتجار أو فنانين ينظر اليهم — كما ينظر الى غيرهم من غير الغجر — على انهم يجدون فى المولد فرصة لترويج بضاعتهم . أما الذين يذهبون لهدف الترويح أو التبرك فانهم يقبلون ايضا طالما انهم مسلمون — مثلهم مثل غيرهم — والمولد مناسبة دينية بصفة اساسية .

ومع ذلك ففى بعض الأحيان حينما يتواجد « النور » فى مثل هذه الموالد فان حدوث سرقة او الاشتباه فى اى شخص يمكن ان يضع غجر المنطقة فى موقف حـرج .

(جـ) عادات وتقاليد الزواج :

يمكن ان يؤدى وصف احد افراح الغجر (٣) الى ايضاح اوجه التشابه والتداخل بين الغجر وغير الغجر فى هذا الجانب من الثقافة ومدى تأثر الغجر بالثقافة المحيطة .

ذكرنا قبل ذلك ان جميع الغجر مدعون الى الفرح للمشاركة ودفع النقوط ، او رد النقوط . وفى حالة تعذر المشاركة فى الفرح يبلغ صاحب الفرح بالعذر . واحيانا يعتذر الغجرى بانه فى حالة مقاطعة مع غجرى آخر سيحضر الفرح ولهذا يمتنع عن الحضور . وفى هذه الحالة لابد ان يخبر صاحب الفرح بالأمر الذى قد يقبله او لا يقبله .

وقد حدث ثمة تطور فى الدعوة الى الفرح اذ كان الغجرى صاحب الفرح يدعو معارفه عن طريق القيام بزيارتهم ، او يرسل اليهم الخبر مع اى غجرى آخر . وكان انتشار الخبر بين الغجر يعتبر بمثابة دعوة ، وكان من السهل ان يعرف كل غجرى موعد الفرح بفضل نمط الاتصال السريع بينهم ، وبفضل حرصهم على حضور الأفراح لدفع النقوط او ردها . ولكن يوجه الغجر الآن الدعوة للأفراح كتابة ، فهناك من يرسلونها دعوة مكتوبة بخط اليد على ورقة لا تتعدى ٥ × ١٠ سم . وهم يرون ان الدعوة المكتوبة تعد نوعا من التحضر . وهم احيانا يطلبون من بعض الأشخاص غير الغجر كتابتها لهم ، هذا اذا لم يوجد اقارب متعلمين فى مناطق اخرى (٤) . وقد حدث هذا التطور فى شكل الدعوة بفعل اتصال

(٣) اتيحت لى فرصة حضور اكثر من فرح فى المنطقة ، ويعد هذا الوصف محصلة مشاهداتى .

(٤) انظر اشارة الى اقارب الغجر المتعلمين فى الجزء ثالثا من هذا الفصل .

الغجر باقاربهم فى مناطق اخرى هؤلاء الذين نالوا حظا من التعليم وبداوا يستخدمون الدعوة المكتوبة فى الأفراح . وهم قد تأثروا بدورهم بغير الغجر الذين يدعون الناس الى افراحهم كتابة .

يبدا المدعوون فى الحضور الى منزل العريس منذ الصباح الباكر مهنئين ، ويجلسون فى الأحواش التى تتوسط حجرات المنزل فى شكل مجموعات ، بينما ينشغل اهل الفرح فى اعداد الطعام ، والقاء عبارات الترحيب بالضيوف كلما حانت الفرصة . وتعتبر الأفراح فرصة يتبادل فيها الغجر الأخبار ويتناقلون الأسرار الخاصة بمختلف مواقف الحياة . واذا كان الغجر يفضلون فى هذه المناسبات عزل النساء عن الرجال الا ان النساء احيانا يشاركن الجلسة مع الرجال . وفى احد الأفراح ظلت زوجة جالسة بجوار زوجها فى وسط الرجال طوال الوقت (٥) . واثناء هذه الجلسات يحتسى الغجرى الشاى والقهوة بكميات كبيرة كنوع من التسلية اثناء تجاذب اطراف الحديث .

وعندما يحين وقت الغذاء توضع طبلية بين كل مجموعة تجلس على الأرض ، وتوزع الأطباق بها بعض الخضروات المطبوخة ، ثم يمر شخص بكمية من اللحم حيث يقوم بتوزيع قطعة على كل شخص فى هذه الأثناء يطالب بعض من الحاضرين بالمزيد من اللحم ، وعادة ما يؤخذ هذا على انه مزاح . ويحرص اصحاب الفرح على التأكد من ان كل مدعو قد تناول طعامه لأن ذلك واجب ضرورى . واذا حضر بعض المدعوين متأخرين بعد ذلك فان الطعام يقدم لهم بمجرد حضورهم .

وبعد الظهر قبل قدوم العروس ، يحضر الحلاق الذى يقوم بحلاقة شعر العريس فى وسط الحوش بين اغانى ورقص الحاضرين ، ثم يأخذ حمام الزفاف ، وتقف الفتيات على باب الحجرة يغنين ويرقصن .

(٥) فى احد الأفراح ظلت زوجة جالسة بجوار زوجها فى وسط الرجال طوال الوقت وكان سبب ذلك يرجع الى انها (وهى فى سن العشرين تقريبا) تزوجت من غجرى يكبرها بعشرين سنة على الأقل ، ولم يكن قد مضى على زواجها اكثر من اسبوعين ، وكان زوجها يباهى بها بين بقية الغجر .

ثم يذهب بعض اهالى العريس لاصطحاب العروس من بيتها وغالبا ما تأتى فى سيارة ومعها جماعة من اهلها . وتنزل العروس من السيارة عند اول الحارة التى يوجد بها المنزل وتزف الى العريس على الباب فيحملها الى حجرة الزوجية وتدخل معه الكثيرات من اهله ومن اهل العروس ، وهن يقمن بالغناء والرقص فترة طويلة قد تصل الى عدة ساعات . وفى هذه الاثناء يتناول اهل العروس طعامهم (٦) .

ويهتم الغجر كما يهتم غيرهم من الفلاحين باشهار عذرية العروس . وتبدأ مراسـيم فض البكارة عند غروب ذلك اليوم . حيث تدخل بعض قريبات العريس من كبار السن الى الحجرة التى تجلس بها العروس مع بعض قريباتها ، وهم يحرصون على تواجد قريبات العريس . ثم ينادى على العريس الذى يزف الى الحجرة ، ويتعالى الصياح الذى يفترض انه يغطى عـلى صراخ العروس . ويقف اقرب اقرباء العريس على بـاب الحجرة ، ووظيفة هذا الشخص هو منع دخول اى شخص الى الحجرة كما يقوم باثارة العريس ببعض الكلمات اثناء دخوله الحجرة (٧) .

وبعض فض البكارة تلطخ قطع من القماش الأبيض بالدم الأحمر وتخرج النساء خارج الحجرة معلنات طهارة وعفة العروس . فى هذه اللحظة يتعالى الصياح والطبل والزغاريد . وتأخذ النساء من أهل العروس هذه القطع

---

(٦) لم الاحظ فى هذا الفرح أن الغجر قد وثقوا الزواج توثيقا رسميا بأى صورة . وعندما تساءلت عن ذلك أجابوا بأنهم كتبوا الكتاب فى اليوم السـابق للزفاف .

(٧) واذا تأخر العريس عن الخروج معلنا فض بكارة العروس ، فنظرا لأن ذلك يمكن أن يكون راجعا لارتباكه او عجزه عن القيام بالمهمة ، فان هذا الشخص ينادى عليه ببعض العبارات التى تثيره وتحمسه لكى يظهر انه لم يرتبك لهذا الموقف . أما اذا خرج العريس مسرعا جدا — فعلى الرغم من أن ذلك يؤكد شجاعته — الا ان ذلك أحيانا يساء تفسيره من اهل العريس، فيعتقدون ان خدعة ما قد تمت ، وهذا التفسير يتضمن التشكيك فى عذرية العروس .

٣٦٦

وتزفها فى الحوارى القريبة من القرية لكى يراها الناس . وتغنى النساء بعبارات كثيرة مثل : « يا حلوة يا بنتنا ياللى بيضتى عرضنا » ، و « حلوة بنت الرجالة » ، و « قولوا لأبوها ان كان جعان يتعشى » وهذه تعنى انه اذا كان ابوها لم يذق طعامه لقلقه على طهارة ابنته فيبلغوه ان يطمئن وان يأكل طعامه . واحيانا لا يقدم اى طعام فى الفرح الا بعد فض البكارة والاطمئنان على العروس . اما اذا كانت ام العروس ارملة فيمتدح الناس قدرتها على تربية ابنتها تربية طاهرة دون رجل قائلين « حلوة بنت الهجالة » .

فى نفس هذه اللحظات يشكل اهل العريس من النساء والرجال مجموعة اخرى تطبل وترقص وتذكر بعض العبارات التى يمتدحون فيها شجاعة العريس وجراته فى فض بكارتها . واحيانا تختلط المجموعتين رجال ونساء ويغنين معا . واحيانا يسـود بينهم نوع من المنافسـة ، فأهل العروس يحاولون اظهار اهمية طهارة ابنتهم ، واهل العريس يحاولون اظهار ان شجاعة العريس كانت هى الفيصل .

واذا كان زواج الفتاة يحتفل به بشكل موسع بين الغجر بحيث يحتفلون بالدخلة لمدة تصل الى عدة ايام ، فان الفتاة التى سبق زواجها لا يقام لها هذا الاحتفال ، بل يصطحبها زوجها الى منزله مباشرة ، خاصة اذا كانت قد انجبت من الزواج الأول سواء كانت مطلقة او ارملة . ولكن يمكن ان تتلقى التهانى من اقرب الأقارب . وهذا يشبه ما هو سائد عند الفلاحين ايضـا .

ونود ان نبدى بعض الملاحظات المتعلقة بعادات وتقاليد الزواج عند الغجـر .

** تتشابه عادات وتقاليد الزواج مع تلك السائدة فى البيئة الريفية المحيطة . ولهذا فالممارسات الغجرية لا تبدو غريبة على غير الغجر ، وحتى بالنسـبة للأغانى والعبارات التى تتداول عند الفلاحين فى مثل هـذه المناسبات . ومع ذلك فغير الغجر نادرا ما يدعون الى هذه الأفراح ، وعندما يدعى شـخص غير غجرى فانه يجلس كغريب ويستبعد من بعض الممارسات الأساسية مثل دفع النقوط .

❊❊ ان العادات والتقاليد المتعلقة « بفض البكارة » تشبه ايضا تلك التى تسود بين الفلاحين . ولكن هناك فرق هو ان الغجر يحرصون على ان يشاهد غير الغجر « دم العروس » لكى يثبتوا للمحيطين بهم انهم غجر ولكن « شرفاء » . ولا يحرص غير الغجر على ان يظهروا للغجر نفس الشيء طالما انهم ينظرون للغجر على انهم جماعة لا تصل قيمتها الى حد ان يحتاجوا ان يظهروا للغجر حسن سلوكهم . وهذا هو الجانب الذى يجب ان ننظر اليه بمزيد من الاهتمام . فالممارسة الثقافية واحدة ، ولكن محاولة الغجر ان يكونوا مقبولين لدى غير الغجر تدفعهم الى اظهار براءتهم ، واستعلاء غير الغجر على الغجر يجعل غير الغجر حريصين على اظهار هذا الجانب لبعضهم وليس للغجر ، وهذه هى الفروق التى تمثل حوائل ترتفع لكى تبقى الجماعتان منفصلتان رغم وجود التماثل الثقافى .

❊❊ عندما استعار الغجر من المجتمع المحيط ممارسة « فض البكارة » ووجدوا انها وسيلة لاثبات براءتهم وحسن سلوكهم استعاروا ايضا بقية العناصر الثقافية المرتبطة بالممارسة نفسها — مثل الأغانى الشعبية التى تمتدح طهارة العروس من المجتمع المحيط . وعلى ذلك فان تبنى ممارسة ثقافية معينة يترتب عليه تبنى العناصر والممارسات المرتبطة بها . وهذا يؤدى الى مزيد من التشابه الثقافى بين الجماعتين .

المعتقدات :

تعتبر المعتقدات من اهم العناصر المكونة لأى ثقافة ، وهى اساس لكثير من الممارسات وانماط السلوك . والمعتقدات التى نعرض لها هنا كلها جمعت من الغجر فقط ، اذ كان من الضرورى التعرف على ما يعتقد فيه الغجر من الغجر انفسهم وليس من غيرهم . على اننا قد اخترنا نماذج من هذه المعتقدات لخدمة اهداف التحليل .

فيعتقد الغجر فى **الجن والعفاريت** . فهم يعتقدون أن الشخص يمكن أن تلبسه « روح » او « جن » . وعادة ما يلبس الرجال بأرواح مؤنثة يطلق عليها « جنية » . ويعتقدون او وجود الشخص فى اماكن خربة أو خالية فى الظلام يمكن ان يؤدى الى أن يلبس الشخص بهذه الأرواح . ويحكى

الغجر عن شخص غجرى لبسته جنية حينما كان نائما تحت شجرة . فقد استيقظ مفزوعا عندما شعر أن شيئا قد سرق منه . ومن هذه اللحظة لبسته جنية عدة سنوات ، وكانوا الناس يعرفون حضورها حين يتكلم الغجرى بصوت امراة عندما يكون نائما . ولكن يرى الناس انها جنية « طيبة » اذ أنها كانت تخبر الغجرى بعلاج بعض الأمراض التى تصيب الناس . ولهذا كان المرضى يتجمعون فى يوم الخميس والجمعة طلبا للشفاء . ويعتقد الغجر أن كل ما عمله من اعمال حسنة مع الناس — بمساعدة الجنية — سوف تجعل الله يعفى عنه فى يوم القيامة .

ويعتقد الغجر ايضا فى **الحسد عن طريق « العين الشريرة » وعن طريق عملية « العد »** . وقد رفضت احدى الغجريات كبيرات السن ان تحدد عدد ابنائها (حينما كنت اجمع بيانات خريطة تسلسل الأنساب) ، اذ انه توفى لها اربعة ابناء ، وهى تعتقد أن الحسد كان سببا فى الوفاة ، اذ عندما كانت تذهب لتسجيلهم فى سجل المواليد كان الناس يحسدونهم بمجرد تسجيل الاسم . وتؤكد اعتقادها بأن ابنها الوحيد (الابن الخامس) الذى مازال على قيد الحياة هو الابن الذى قررت الا تسجله فى السجل المدنى .

والغجر يعتقدون ايضا فى **الوحمة** . ويحكى شخص منهم قصة غجرى ظهرت فى رقبته سمكة صغيرة ، وآخر ظهرت فى رقبته قطعة من الكبد بسبب أن أم الأول قد اشتهت السمك اثناء فترة الحمل ولم تأكله ، أما الثانى فقد اشتهت أكل الكبد ولم تتح لها فرصة اكله ايضا . وتستغل بعض الغجريات فرصة اعتقاد الأزواج فى « الوحمة » وتطلب انواعا خاصة من المأكولات فى فترة الحمل . واذا وضعنا فى اعتبارنا ان كل زوجة تكون حاملا كل عام او عامين على الأكثر فان ذلك يعكس لنا مدى تأثير هذا المعتقد على نمط الاستهلاك .

الثقافة المتعلقة بالحرف والمهن :

من الطبيعى ان كل المصطلحات والتعابير الخاصة بالمهن التقليدية للغجر تعتبر ثقافة خاصة بهم وقاصرة عليهم . فكما ذكرنا أن الراقصات يستخدمن بعض الكلمات التى تدل على معان لا يعرفها الا من يعملون فى

نفس المهنة . وبالمثل فان من يعملون فى الصوف يستخدمون أسماءا خاصة لأدوات العمل ، وأنواع الصوف ، وهى تعتبر ايضا كلمات خاصة بهم . اما الحدادين فانهم يستخدمون بعض الكلمات الخاصة بهم ، الا ان اسماء أدوات العمل ، وأسماء ادوات العمل الزراعى التى ينتجونها هى نفس الأسماء السائدة فى البيئة الريفية .

وتعتبر مهنة علاج الحيوانات — وخاصة الحمير — التى يقوم بهـا بعض الغجر ثقافة خاصة متعددة الجوانب ، فالأمراض التى تصـاب بها الحيوانات لها اسماء خاصة ، وطرق العلاج ايضا وان كانت تعتبر ثقافة خاصة فهى تسمى بأسماء خاصة لا يعرفها الا الغجر ايضا . وعلى سبيل المثال فان الغجر يطلقون على بعض انواع الشلل التى يصاب بها الحمير وتؤدى الى انتصـاب الأذنين الى الأمام فى شبه حالة عصـبية بمرض « النجم » ، ويرتبط هذا المرض بأعراض اخرى كأن يظل الفم مفتوحا . والقدمان متباعدتان ، ولا يقوى الحيوان فى حالة اصابته بمرض النجم على الحركة . وهم يعالجون المرضى بالكى خلف الراس . ويطلق الغجر على عملية الكى « التختين » (٨) .

كما يطلق الغجر « مرض الصدر » على المرض الذى يصيب الدابة بما يشبه الاختناق نتيجة حمل لاحمال ثقيلة . اما **الجروح** فيقسمها الغجر الى نوعين : الجرح البسيط وهو يبرأ دون علاج أو بمجرد وضع بعض الرماد على الجرح ، أو عن طريق كى مكان الجرح ، ثم الجرح الفائر ويسمونه جرح « السوسة » وهذا يصل الى العظام ويفرز صديدا ويسمونه « ميتة » ولهذا يصعب علاجه .

غير أن الغجر قد اكتسبوا بعض عناصر الثقافة المتصلة بالمهن غير الغجرية عندما عملوا فى مهن غير غجرية ، فالغجرى الذى عمل فى عمليـة « التذرية » يطلقون عليه « مقرقراتى » . كما ان وجود الغجر فى البيئة

(٨) يتم الكى عن طريق تسخين مسمار على نار شديدة الى أن يتوهج ، لكى يمكن استخدامه فى الكى . ويشترط ان يكون وقود النار هى « الجلة » نظرا لأن النار المتولدة عن الجلة نار قوية .

الريفية جعلهم يعرفون الشـهور القبطية ويسـتخدمونها عند حديثهم عن مواسم المحاصـيل تماما كما يستخدمها الفلاحون .

ويعتبر هذا المجال من الثقافة الخاصة مجالا يتعلق بالنشاط الاقتصادى اكثر من تعلقه بأى جانب آخر من جوانب الحياة الاجتماعية ، واذا كان الغجر يستخدمون ثقافتهم الخـاصة — بما فى ذلك الكلمات اللغوية المهنية — فى تعاملهم مع غير الغجر ، فان ذلك يساعد تحقيق الكسـب المادى واحتكار المجال المهنى كما سبق وذكرنا . كما يساعدهم احتكارهم لبعض الفنون المهنية — كالبيطرة مثلا — على الاحساس بالتفوق على غيرهم من غير الغجر الى الحد الذى ادى الى الدخول فى منافسـة مع الطبيب البيطرى بالقريـة (٩) .

ثـانيا

التعـليم

لا يتعدى عدد ابناء الغجر الذين يتلقون العلم فى المدارس خمسـة عشر تلميذا ، اما بقية أولادهم فلا يذهبون الى المدارس . ويلاحظ أن الأسر التى وافقت على تعليم ابنائها هى الأسر الأكثر استقرارا فى المنطقة ، ففى قرية صدفة وصل احد ابناء الحدادين الى الصف الخامس الابتدائى ، كما أن هناك ثـلاثة ابناء لأحد البقالين المستقرين فى قرية كدابة الصـغرى بالمدارس الابتدائية ، اما بقية التلاميذ فأولياء أمورهم ممن يعملون فى المهن التقليدية .

(٩) كان الغجرى يشعر دائما انه اكثر كفاءة فى علاج الحمير من الطبيب البيطرى الذى يعمل بالقرية . ويذكر الغجرى قصة فشل الطبيب فى علاج حمار ، وكيف قام هو بمداواته عن طريق الكى . ويؤكد الغجرى أن الطبيب البيطرى — بدافع الغيظ — ابلغ البوليس بأنه يقوم بعلاج الحمير دون ترخيص. ويحكى الغجرى كيف انه أقنع ضابط البوليس بأنه عالج مافشل فيه الطبيب ، واصر على أن يرى الضابط « الحمار » بعد أن شفى عن طريق الكى . وانتهى التحقيق بمصالحة بين الطبيب والغجرى ، وبعدها طلب منه الطبيب أن يعلمه كيف يعالج الحمير . ويباهى الغجرى — وهو يحكى هذه القصة — بتفوقه على منافسه الذى « لا يعرف الا الورقة والقلم » .

ويدل هذا العدد على ان الوعى التعليمى بين الغجر يكاد يكون منعدما . خاصة اذا عرفنا ان هؤلاء الخمسة عشر تلميذا ينتمون الى تسع اسر غجرية فقط ، اذ ان بعض الأسر لها اكثر من ابن فى المدارس . وقد كان يمكن ان يزداد عدد من ينتظمون فى المدارس من الغجر قليلا عن هذا العدد لو كان الغجر قبلوا تعليم الاناث ، اذ كان يمكن ان تنتظم بنات الأسر التى وافقت على تعليم الأولاد فى المدارس فترتفع هذه النسبة قليلا .

وما نود ان نلفت النظر اليه ان هذا العدد قليل وليست له دلالة فيما يتعلق بنسبة التعليم بين الغجر . اذ هم مجرد تلاميذ فى المدارس الابتدائية ، ومعظمهم فى بداية المرحلة الابتدائية ولا ندرى اذا ما كان الآباء سيتركونهم يستكملون تعليمهم ام سينتهى تعليمهم قبل نهاية المرحلة الابتدائية كما يحدث مع معظم ابناء الغجر فى مصر . وعلى ذلك فان ست جيرانها لا تضم الا اثنين فقط من الغجر اكملوا تعليمهم المتوسط ، وهم ينتمون الى اسرة واحدة كما سنذكر فيما بعد .

وتعتبر نسبة التعليم بين غجر ست جيرانها منخفضة جدا بمقارنتها بمثيلتها لدى جماعات غجرية فى اماكن اخرى . فقد وصل ابناء الغجر فى اماكن اخرى الى التعليم العالى ، وزادت نسبتهم بدرجة ملحوظة . ويحكى غجر ست جيرانها انفسهم عن اقاربهم المتعلمين (١٠) بافتخار ، فهم يلجأون اليهم للاسترشاد عما ينبغى ان يفعلوه فى حالة وقوعهم فى اية مشكلة . ويقول غجر ست جيرانها انهم يبصرونهم بحقوقهم والتزاماتهم ، وباللوائح والقوانين . ويعتبر كبار السن فى ست جيرانها ان اقاربهم المتعلمين هم سند لغجر المنطقة فى وقت الحاجة .

والغريب انه مع اعتزاز اهالى المنطقة بالأقارب المتعلمين فان ذلك لم يشجعهم على اتباع نفس الطريق ، ولعل ذلك يرجع — بجانب اسباب

---

(١٠) عندما يتحدث غجر ست جيرانها عن اقاربهم المتعلمين فى مناطق اخرى يشعرون بحزن واسى لأنهم لم ينالوا ولم ينل ابناؤهم حظهم من التعليم ، ولكن لا يدفعهم هذا الى اى فعل ايجابى .

اخرى سنذكر فيما بعد — الى ان جيل الكبار فى ست جيرانها هو جيل اميين ، ولا يوجد من لديه الوعى الكافى باهمية التعليم .

ولا يمكن ان يرد عدم انتظام الغجر فى المدارس الى عدم كفاية المدارس والوسائل التعليمية ، فان المدارس الابتدائية تنتشر فى قرى ست جيرانها بجانب ان هناك مدرستان اعداديتان ، ومدرسة ثانوية واخرى للمعلمين . ولكن هناك اسباب اخرى ادت الى هذه النتيجة ، اهمها : —

١ — عدم توفر الوعى المطلوب لدى الكبار وهو ما سبق الاشارة اليه .

٢ — ان طبيعة المهن التى يعمل فيها الغجر تدفعهم الى تشغيل الأبناء معهم منذ سن مبكرة . والغجرى عندما يقارن بين ما يكسبه ابنه من العمل فى المهنة ، وما يمكن ان يتحصل عليه نتيجة التعليم يفضل ان يعمل ابنه فى المهنة . وهناك بعض الحالات بدأ فيها الأب بتعليم ابن من ابنائه ولكنه تراجع بعد ذلك ودفع ابنه الى العمل فى نفس المهنة التى يعمل فيها . وقد اخرج احدهم ابنه من المدرسة بعد ست سنوات من التعليم وعلق على ذلك بقوله « احنا مش بتوع مدارس . الواد بيشرب علبة سجائر فى اليوم والمفروض انه يجيب مصاريفه » .

٣ — يتناغم عدم اقدام الغجر على التعليم مع الجو العام السائد فى البيئة الريفية المحيطة . فقد بلغت نسبة الأمية فى ست جيرانها ٨ر٨٢٪ . ويعتبر عدم اقدام الغجر على تعليم بناتهم سببا فى ارتفاع هذه النسبة . والغجر يتبعون نفس الطرق التى يتبعها غيرهم للتهرب من التعليم الالزامى . ويرفضون — مثل غيرهم ايضا — تعليم البنت . غير ان نسبة من يعرفون القراءة والكتابة مرتفعة بين غير الغجر عنها بين الغجر .

غير ان هناك نموذجا فريدا لأسرة تسكن قرية شهبندر وصل اثنان من ابنائها الى مستوى مقبول من التعليم ، كما كانت أول اسرة توافق على تعليم البنت . ويؤدى شرح الظروف التى حلت بالقرية والجهود التى بذلت لدفع الغجر لقبول التعليم الى توضيح دينامية وفائدة الجهود المتعمدة التى تبذل مع الغجر فى هذا المجال .

ففى هذه القرية تسكن — منذ ما يقرب من خمسين عاما — اسرة غجرية ، كان الجد الأكبر لها يعمل فى تجارة الخردوات ، واشتغل ابناه فى نفس المهنة وتزوجا وانجبا فى الوقت الذى بدات فيه ظروف مواتية تحل بالقرية . فقد تخرج من مدرسة المعلمين خمسة شبان من اهالى القرية عادوا الى القرية فى سنة ١٩٦٤ لكى يمارسوا عملهم كمدرسين بالمدرسة الابتدائية . وقد آل هؤلاء الخمسة على انفسهم ان ينشروا التعليم بين ابناء قريتهم ويحولوها من قرية تزداد فيها نسبة الأمية الى قرية ترتفع فيها نسبة التعليم . واتبع هذا الفريق طرقا متعددة ادت الى نجاح مهمتهم وساعدهم على ذلك وجود قانون التعليم الالزامى الذى احسنوا استغلاله لتحقيق هدفهم (١١) .

---

(١١) قام هؤلاء الخمسة بالاتصال بالأهالى واقناعهم باهمية تعليم ابنائهم . وقاموا بتقديم تسهيلات متعددة مثل مساعدة الناس على استخراج شهادات الميلاد ، وكتابة الطلب دون دفع رسم الدمغة ... الخ . وفى الحالات التى لم يفد فيها الاقتناع حاولوا اجبار الأهالى على القبول عن طريق الاتصال بضابط النقطة فى القرية لكى يساعدهم فى استدعاء الوالدين الرافضين والتظاهر بتطبيق القانون .

وقد ادت هذه الجهود الى نتائج حسنة بالنسبة لمستوى التعليم فى القرية ، وبخاصة أن المدرسين الخمسة كانوا يعيدون تقييم خططهم ويوسطون كبار رجال القرية لدى الأهالى (اذا لم ينفع الاجبار) كنوع من الضغط بطرق مختلفة حتى أن بعض الآباء — وهم تحت ضغط التقاليد الخاصة بتعليم البنت — وافقوا على تعليم بناتهم حتى سن الاعدادية فقط . وكانت خطة المدرسين هى قبول ذلك على اساس أن البنت فى سن الاعدادية لن تقبل ان يتوقف تعليمها وبالتالى ستكون عاملا من عوامل الضغط على اهلها . وقد تحقق ذلك بالفعل فى حالات كثيرة كان ابرزها حالة فتاة قابلت مدرسا عند البقال وقالت له « اننى أريد التعليم » ولكن والدى ضاغط على ان اظل فى المنزل » وكان هذا بمثابة رجاء للمدرس لكى يتدخل .

نتيجة لذلك ارتفعت نسبة التعليم فى هذه القرية عن القرى المجاورة ، =

وفى ظل هذا المناخ ، وبدافع من أن المدرسين اعتبروا ان الأهالى كلهم سواسية مهما اختلفوا فى الدين او المستوى الاقتصادى .. الخ ، فقد طبقوا مبادئهم على الغجر ايضا ، فاستجابت الأسرة الغجرية محاولة منها مجاراة التيار السائد فى القرية واذا كان الفلاحون قاوموا هذا التيار نظرا لاحتياجهم لأبنائهم للعمل معهم فى الحقول ، فان معارضة الغجر نتجت ايضا من أن الأبناء يساعدون آباءهم فى التجارة او يظلون فى المنزل مع النساء اثناء غياب الآباء . ومع ذلك تمشيا مع التيار ، وتحت الضغط وافق الآباء على تعليم الأبناء ليس من أجل احتياجهم للتعليم بل ارضاء للمدرسين . وقد تمت موافقة رب الأسرة بعد أن فاتحه احد المدرسين فى جلسة عند الحلاق .

وقد تم بالفعل تعليم ابنين للغجر احدهما مدرس ، والآخر حصل على دبلوم المدارس الصناعية ، ولا يزال هذان الشابان يشعران بالجميل والفضل نحو المدرسين الذين تسببوا فى تعليمهم وينعكس هذا فى سلوكهم نحو احترام المدرسين .

اما بالنسبة للبنات فقد كانت التقاليد السائدة فى البيئة الريفية الخاصة بعدم خروج البنت — والتى وقفت عقبة امام ارتفاع نسبة تعليم البنات فى القرية لتتساوى بنسبة تعليم الأولاد — كانت هى نفس التقاليد التى حالت دون وصول بنات الغجر الى نفس المستوى من التعليم . فقد وصلت احدى البنات الى السنة الرابعة الابتدائية . ورغم انها كانت متفوقة الا أن اهلها اصروا على الا تستكمل تعليمها ، وحاول المدرسون محاولات كثيرة لكنها باءت بالفشل . ولكن هناك الآن تلميذة غجرية اخرى بالسنة الأولى الابتدائية ويقول المدرسون انهم نجحوا اخيرا فى ان يشترطوا

= وارتفعت نسبة النجاح بين المتقدمين للامتحان الى ٩٨٪ ، واصبحت المدرسة اولى مدارس المركز .

وفى مجال محو امية الكبار قام المدرسون ايضا بالتدريس فى فصول محو الأمية . ونظرا لعدم وجود امكنيات مادية قاموا بجمع نقود من الأهالى ثمنا للغازو « رتاين » الكلوب لكى تستمر الفصول ليلا . وكان من نتائج تعليم الكبار أن احدهم الآن طالب فى كلية الزراعة .

على والدها الا يمنعها من استكمال تعليمها نظرا لأن ذلك سيعد ضياعا للجهد الذى يبذلوه معها . ووافق الأب على ذلك .

ويشهد مدرس هذه المدرسة بان ابناء الغجر اذكياء بصفة عامة وانهم دائما متفوقون ويتساوى فى ذلك البنون والبنات . كما أن انتظامهم فى الدراسة كان كاملا ، فلم يوجه خطاب تغيب من المدرسة الى الأب بخصوص ابن او بنت طوال فترة تواجدهم بالمدرسة ، كما لم تقيد ضدهم اية اخطاء ، ولم توقع عليهم جزاءات نتيجة سلوك شخصى ايا كان .

ويقرر اهالى القرية أن الغجريين اللذين اكملا تعليمهما المتوسط اختلف تفكيرهما اختلافا كبيرا عن تفكير وانماط سلوك الغجر بصفة عامة ، واختلف ايضا عن انماط سلوك وتفكير والدهم وعمهم وجدهم ، ويرجع ذلك الى التعليم فى حد ذاته ، وما ترتب عليه من علاقات مع المجتمع ، ومن اختلاف فى نظرتهم للحياة .

وهناك بعض الملاحظات :

١ ـ ان هذا النموذج فريد وغير متكرر فى المنطقة .

٢ ـ ان العامل الأساسى الذى ادى الى هذه النتيجة هو أن المدرسين الخمسة فى جهودهم المكثفة لم يفرقوا بين جماعة واخرى داخل القرية ، وبالتالى لم يعاملوا هذه الأسرة على انهم غجر بل على انهم سكان قرية شهبندر الذين اخذوا على عاتقهم مسئولية تعليمهم .

وهناك عامل آخر شديد الأهمية هو ان هذه الأسرة الممتدة تعيش منفردة فى قرية شهبندر وبالتالى كان التأثير على أفرادها سهلا بعكس الأمر اذا ما كان يسكن القرية تجمع غجرى اذ كان يمكن للغجر أن يثبطوا عزيمة رب هذه الأسرة نحو تعليم ابنائه . هذا بالاضافة الى علاقات رب الأسرة مع اهالى القرية ، ومحاولته التوافق مع الجميع شجعته على قبول الفكرة .

٣ ـ كان للتعليم انعكاس على سلوك هذين الغجريين فقد اختلفت نظرتهم الى المدرسين فهم ما زالوا يدينون لهم بالفضل . ويعتبر تغير

النظرة الى المدرسين عن نظرتهم الى بقية غير الغجر احد الأمثلة التى توضح لنا كيف يمكن للغجر أن يغيروا نظرتهم الى المجتمع المحيط اذا ما قام المجتمع ببعض الجهود الايجابية تجاههم . كذلك فان علاقتها ببقية ابناء القرية قد اتخذت طابعا مميزا ، وهو ما سنشرحه بالتفصيل فى الفصل القادم ضمن العرض العام للعلاقات الاجتماعية .

خاتمة :

اتضح لنا أن لغة الغجر على الرغم من انها ليست لغة التخاطب اليومى الا انه نظرا لأنها تستخدم فى مواقف خاصة ولأهداف محددة فانها تستخدم كأداة فعالة للتفرقة بين الغجر وغير الغجر فى هذه المواقف . واذا كان قد اتضح من دراسة عناصر ثقافية اخرى خاصة بالغجر مثل الثقافة المرتبطة بالمهن الغجرية وفنون الغناء والرقص كلها عناصر تسهم فى التكامل مع المجتمع فان لغة الغجر كثقافة خاصة لم تؤد الى هذه النتيجة بل الى عكسها .

اما بالنسبة لمجال الممارسات الثقافية الأخرى فان التشابه هو السمة المميزة لما يقوم به الغجر وغير الغجر على السواء . ولكن مع وجود هذا التشابه فما زالت جوانب من هذه الممارسات مقصورة على جماعة دون غيرها . وعلى سبيل المثال اذا اشترك غير الغجر فى افراح الغجر التى تماثل فى ترتيبها أفراح غير الغجر لكنهم يظلون على هامش الاحتفال بالمناسبة لا يشتركون فى عملية دفع النقوط طالما هى ممارسة تهدف الى التساند الاجتماعى والمادى بين اعضاء الجماعة الغجرية فقط .

الفصل السادس

التصور النمطى السائد عن الفجر
وأثره على العلاقات بين الجماعتين

يهتم هذا الفصل بالتصور النمطى السائد عن الفجر لدى غير الفجر ، وكيف يؤثر هذا التصور على قنوات التفاعل بين افراد الجماعتين . كما يهتم أيضا بشرح مفهوم الفجرى عن نفسه ، وتصوره للمجتمع المحيط به ، واثر ذلك على قبوله لغير الفجر .

ونود أن ننبه أننا اهتممنا فى هذا الفصل بصـــفة خـــاصة بالتقديم للموضوع بمقدمة نظرية عن الدراسات التى أجريت فى موضوع التصور النمطى على جماعات غجرية خارج مصر قبل شرح جوانب هذا التصور بالنسبة لغجر مصر . ويرجع ذلك الى الاهتمام باعطاء القارىء فرصة للتعرف على كيفية التفكير فى موضوع التصورات النمطية فى هذا المجال . كما اهتممنا بتوضـــيح كيفية جمع المادة الميدانية فى دراسة التصـــور النمطى لغرض افادة القارىء أيضا .

أولا

دراسة التصور النمطى ومصادر المادة الميدانية

١ — الدراســـــات :

هناك مجموعة من الدراسات تناولت العلاقة السائدة بين الفجـــر وغير الفجر ، وركزت **على تأثير التصور النمطى السائد عند كل جماعة منهما عـــلى عملية التفاعل الاجتماعى بين هاتين الجماعتين** . ويرى **أكتون** أن التصورات النمطية التى تتسم بالعنصرية ، والتى رسخت خلال التاريخ

الطويل لموقف هذه الجماعة تتفق مع اهتمامات من يعتنقون هذه التصورات .
ويقول انه اذا كان هذا التفسير بسيطا وجيدا فان اية محاولة للتحقق منه عمليا سوف تواجه صعوبات معقدة بسبب تباين القنوات المؤثرة على الأفراد فى تكوين آرائهم . وقد حاول **اكتون** ان يوضح المعنى الذى تستخدم به كلمة « الفجرى الحقيقى » اذ نوه بدون أن يتطرق الى تفصيلات عميقة الى تاريخ استخدام هذا المفهوم . فقدم تحليلا للتاريخ الاقتصادى والسياسى للغجر فى بريطانيا ، ورأى انه بدون هذا التاريخ لا يمكن فهم التصورات النمطية التى تعتبر فى النهاية تاريخ المجتمع والطريقة التى يتكلم بها الناس عن نسلهم واقربائهم وعن هويتهم العنصرية والاثنولوجية . كما أوضح ان هذا التصور هو الذى يقدم دائما الطريقة الرمزية لموقف الغجر وموقف غير الغجر السياسى والاقتصادى والاجتماعى . كما ابدى ان طرق تقسيم الناس الى « نحـن » و « الغرباء » وما يتبع ذلك من التنبؤ بسمات الشخص بناء على التصورات النمطية الخاصة بالجماعة التى يكتسبها الناس ويعتنقونها هى التى تكون منظورا خاصا للغجر وغير الغجر يوجههم اثناء التفاعل على نفس المستوى الرمزى (١) .

وقد اهتمت بعض الدراسات بنظرة الغجر لغير الغجر واثرها على العلاقات الاجتماعية بينهم . واوضحت هذه الدراسات أن الغجر ينظرون الى غير الغجر نظرة قوامها الشك والاحتقار . وهم عندما يطلقون عليهم لفظ **gaje** او **gorgios** فهو يحمل نفس هذه المعانى وان كان يعنى « غير الغجر » ، ولهذا يحاول الغجر أن يستخدموا كلمات بديلة للتعبير عن غير الغجر اذا كان غرضهم عدم اثارة الشخص غير الغجرى الموجود معهم فى الموقف ، اذ يستبدلون هذا اللفظ مثلا « بساكنى المنازل » أو غير ذلك .
ويدعم ويقوى التصور النمطى السائد عن غير الغجر والذى يتسم بالشك عدم وجود علاقات تتميز بالمساواة والألفة بين الغجر وغير الغجر . فمعظم الذين يدخلون معسكرات الغجر يدخلونها بطريقة عدائية أو على الأقل ينظر اليهم الغجر على انهم يتدخلون فى شئونهم ، اذ عادة لا يدخل هذه المعسكرات للتعامل مع الغجر الا رجال البوليس ، ومفتشو الصحة

(١) Acton., op. cit., pp. 214-215.

ومندوبو التعداد والموظفون الرسميون الذين يحاولون العناية بابناء الغجر .
وتعامل النساء غير الغجريات اللواتى يتزوجن من رجال غجر داخل المعسكر على انهن عضوات غير سويات ، الا اذا اثبتت الزوجة غير الغجرية كفاءة فى ضوء المستويات الغجرية . واذا قام الغجر بتشغيل غير الغجر معهم فى الأعمال التى يمارسونها فهم لا يقبلونهم بود والفه ، كما ان النساء اللواتى يدخلن مجتمع الغجر بأى صورة وبدون مكانة رسمية مثل مكانة الزوجة فانه يتم احيانا استغلالهن فى اعمال جنسية (٢) .

وهناك من الكتاب من اهتم بالتصور النمطى السائد عن الغجر وتأثيره على الاتجاهات والعلاقات مع غير الغجر . فقد حاولت سذرلاند أن توضح **تأثير التصور النمطى السائد عن غير الغجر على الحدود التى يفرضها الغجر على علاقاتهم بمن هم خارج الجماعة الغجرية** . وتقول سـذرلاند فى مقال لها بعنوان « المرأة الغجرية ورموز الجسم » : ان اشد القيود وأوسعها نطاقا التى يفرضها الغجر بينهم وبين غير الغجر هو انهم ينظرون لأى شخص غير غجرى على أنه ملوث **impure** لمجرد تعريفه بأنه غير غجرى . نهم يتصورون أن غير الغجرى نجسون لأنهم لا يراعون القواعد الأخلاقية التى يقرها الغجر مثل الحياء والنظافة واحترام الكبار . ولهذا فان العلاقات مع غير الغجر مقيدة فى مجالات محدودة جدا هى الاحتكار الاقتصادى والمناورات السياسية . فمن المستحيل وجود علاقات دائمة مع غير الغجر . أما العلاقات الجنسية مع غير الغجر فتعتبر بناء على هذا التصور تلوث . والحالة الوحيدة التى تقبل فيها هذه العلاقات الجنسية هى عندما يأتى الغجرى بزوجة غير غجرية يعلمها قواعد الطهارة **Purity** كما يعرفها الغجر . ولكن حتى هذه الزيجات لا تستمر كثيرا وهى لا تشكل الا ٥٪ من مجموع الزيجات فى المنطقة (٣) .

وقد قدمت جوديث أوكلى Okely مقالا قيما عن **التصور النمطى السائد عن المرأة الغجرية عند غير الغجر وعلاقته بتحديد شكل التفاعل**

(٢) Rehfisch., Op. Cit., pp. 63-64.
(٣) Sutherland A., «Gypsy Women and body Simbolism». Unpublished article. Durham University., p. 11.

الاجتماعي مع المراة خاصة فى الفترات التى يكون للمراة القدرة فيها على تلويث الآخرين . وقد قارنت جوديث — فى هذه الدراسة — بين التصور النمطى السائد عند غير الغجر عن المراة الغجرية ، وبين السلوك الفعلى الذى يتوقعه الغجر منها . وقد حاولت ان توضح كيف تؤدى العلاقات الخاصة التى تقيمها المراة الغجرية على حل مشكلات تبعيتها الرسمية للرجال . فالمراة تتغلب على التعارض والهوة بين التصورات النمطية السائدة عند غير الغجر ، والتصور النيونجى عند الغجر (الذى يعبر عنه فى ضوء مفهوم التلوث) (٤) عن طريق ممارسة الجنس بينها وبين رجال الجماعات الأخرى .

ومن الجدير بالذكر ان الاهتمام فى هذا المجال سوف يكون بالجانب الخاص بالتصور النمطى السائد عند الغجر عن المراة الغجرية وكيفية تأثير ذلك على التعامل معها . فالتصور الذى يسود فى قارة أوربا عن المراة الغجرية هو انها امراة شهوانية داعرة ومثيرة . مهمتها الأساسية اغراء الرجال وغوايتهم . وقد انعكس ذلك على بعض الرسومات التى رسمها رسامون ، فقد صوروا المراة الغجرية على انها امراة خليعة . كما ينظر البعض الى الأسرة الغجرية ككل على انها أسرة فاسدة ، والى النساء على انهن يمارسن البغاء . وقد الف البعض شعرا يصور المراة الغجرية على انها شديدة الاثارة . وحتى بالنسبة للكتاب الذين كتبوا كتابات تتسم بالعلمية فقد اشار بعضهم الى ان جمال الفتاة الغجرية جمال شديد القسوة ووحشى ، وحاول البعض الآخر ان يصفها بالحيوانية .

---

(٤) يستخدم الغجر كلمة Pollution وكلمة impurity التى ترجمناها هنا بالتلوث لتدل على تلك الأفعال من شأنها ان تؤدى الى اضفاء صفة النجاسة على الشخص نتيجة عدم مراعاة المستويات الغجرية وهى وان كانت تطلق على بعض الأفعال والظواهر المرتبطة بالغجر ، فهى تطلق بصفة خاصة على العلاقات مع غير الغجر فى مجالات معينة كالعلاقات الجنسية مثلا . وفى هذه الحالة تحمل الكلمة معنى « النجاسة الطقوسية » بمعنى ان الشخص باتصاله بغير الغجر عن طريق العلاقات غير المشروعة يكون وسيطا لادخال النجاسة الى الجماعة الغجرية ككل ، ولهذا تعتبر هذه العلاقات محرمة تحريما شديدا .

ويعتقد غير الغجر ايضا ان ان المراة الغجرية تمتلك قوى فوق طبيعية فيما يتعلق برؤية الطالع ، فهى تعرف الماضى والمستقبل ، ويمكنها أن تعطى البركة وان تجلب اللعنة على الناس . وقد تسبب هذا التصور السائد عن الغجر فى حدوث كثير من انماط السلوك العدوانى والاستغلال للمراة عن الغجر فى حدوث كثير من انماط السلوك العدوانى والاستغلالى للمراة الغجر بصفة عامة وعن الغجرية بصفة خاصة .

ويتعارض هذا التصور النمطى السائد لدى غير الغجر مع التصور السائد لدى الغجر عن المراة الغجرية . وعلى الرغم من ان الغجر يدركون تفاصيل الصورة المنطبعة فى عقول غير الغجر عن نساءهم . فهم ينظرون نظرة ازدراء الى المراة غير الغجرية وينظرون لنسائهم على انهن اكثر حفاظا وعفة وكرامة . فالمراة الغجرية تبقى عذراء حتى سن الزواج وتتأكد النساء من ذلك عند الزفاف . وهى يجب أن تبقى مخلصة لزوجها بعد الزواج ، ولهذا يجب عليها ان توجد منفردة فى مكان ما مع رجل . ويفترض أن تبقى المراة حياتها مع رجل واحد (على الرغم من ان الانفصال والطلاق منتشر بين هذه الجماعات) ويتوقع الغجر من المراة ان يكون لديها العديد من الأولاد وان تكون مسئولة عن تربيتهم ، وعن اعداد الطعام والنظافة ، كما يتوقع ايضا منها ان تعمل خارج المنزل فى بعض الأنشطة الاقتصادية مثل رؤية الطالع والاستجداء .

ولكن هناك ثمة تناقض بين نظرة الغجر الى المراة الغجرية ونظرة غير الغجر اليها كما ان هناك تناقضا فى الدور الذى تقوم به المراة الغجرية فى مجتمعها وبين ما يتوقعه منها غير الغجر خارج المجتمع . فهى مطالبة بأن تكون مخلصة لزوجها ، وان تكون على حذر من الرجال الآخرين ، ومع ذلك فهى تخرج كل يوم الى خارج حدود معسكر الغجر اذ انها تخرج كل يوم الى منطقة الأعداء (غير الغجر) وتطرق ابواب من لا تعرفهم لكى تتصل بالزبائن الجدد — واغلبهم من الرجال — لممارسة رؤية الطالع والنجاح فى تحقيق الكسب رهن بأن تكون المراة ودية ، وغير متحفظة ولحوحة ، وان تكون على استعداد للمباداة ، ومع ذلك فهى مطالبة بأن تكون عدوانية ، وهو عكس السلوك المطلوب منها داخل المعسكر . فعندما

كانت المراة تقرع احد الأبواب فى الماضى ويجيب رجل من الداخل فكان عليها ان تسأل عن ربة البيت ، واذا لم توجد فعليها ان تنصرف فى الحال .

مما سبق يتضح **ان هناك عدم اتساق فى الدور المتوقع من المراة .** فالرجل يدفع المراة للعمل مهنة تتصل فيها بالرجال ، بينما يطالبها بنمط سلوكى متحفظ . ولما كان تحقيق الضبط الخارجى بسلوك المراة الجنسى خارج المنزل صعب التحقيق ، **فلم يكن هناك ما يحل هذا التناقض سوى مجموعة المعتقدات المتصلة بالتلوث وما يترتب عليها من طقوس لاستخدامها كقوة مؤثرة فى هذا المجال لاقامة وتدعيم الحدود بين الغجر وبين غير الغجر .** فالغجر يعتقدون ويؤمنون ان هنـاك قوى تتصف بها المراة الغجـرية لكى لا تكون قناة يمكن من خلالها التسبب فى تلويث المجتمع . وتنتشر بين الغجر هذه المعتقدات فى اطار الوحدة الأيكولوجية التى يعيشون بها ، اذ يعتقد ان التلوث يمكن ان يأتى من الاتصـال الجنسى غير المشروع قبل الزواج او بعده . لهذا يعطى الرجـل لنفسه الحق فى قتل زوجته اذا ارتكبت علاقة جنسية غير مشروعة خاصة مع غير الغجر . وطالما ان الغجر ينظرون الى غيرهم على انهم غير طاهرين لأنهم لا يرعون تقاليد النظافة بالمفهوم الغجرى فان اتصـال المراة الجنسى بأى شخص غير غجرى يكون مصدرا لتلويث المجتمع الغجرى .

ويغالى المعتقد فى تصوير المراة على أن لها قدرة عـلى اضفـاء صفة التلوث على الرجال ليس فى فترات محددة — كما سنذكر فيما بعد — بل فى كـل وقت ، ولهذا يجب على الرجال ان يراعوا باستمرار بعض الملاحظات فى خلال حياتهم اليومية . فنظرة الغجر للرجال هى انهم اطهار حتما ، بينما تكتسب النساء صفة الطهار عندما يقمن ببعض الأعمال الحسنة ويتساوى فى ذلك العذارى والمتزوجات . وطالما أن الغجريات معرضات للاغراءات الجنسية من غير الغجر عندما يعملن خارج المعسكر لذلك يجب ان يتعلمن أن الغريزة الجنسية والخصوبة هى مواطن الخطر . لهذا فان ملابسهن وسلوكهن هى مسائل تتصل كلها بالأمن العام للغجر ، ولهذا فيجب على النساء ان يتحجبن ويسترن اعضاءهن الجنسية ، وأن يضبطن حركاتهن ورغباتهن . وبصفة عامة ينظر للأعضاء الجنسية للمراة على

انها اعضاء تؤدى الى التلويث طالما انها مصدر مخلفات (مثل مخلفات الولادة وفترة الحيض) ، وهى ايضا قابلة لأن تتنجس نتيجة لتقبلها مواد منجسه اخرى عن طريق الاتصال بغير الغجر .

وهناك تصور نمطى سائد عن المراة الغجرية — فى داخل معسكر الغجر — يؤثر ايضـا على التفاعلات والممارسـات داخـل المجتمع . فالغجر يعتقدون ان هناك ثلاث حالات تكون فيها المراة غير الغجـرية نجسة ، وتكتسب القدرة على تلويث غيرها . وهذه الحالات هى : —

١ — استخدام قدرتها الجنسية استخداما خاطئا بما يتعارض مـع معايير الجماعة .
٢ — فترة الحيض .
٣ — حـالة الولادة .

فهم يعتقدون — كما ذكرنا من قبل — ان اى اتصال جنسى خارج اطار الزواج هو مصدر للتلوث . ويعتقدون أن المراة تكون ملوثة وقت الحيض . وفى بعض الجماعات يقوم الرجل باعداد الطعام فى هذه الفترة تجنبا لحدوث النجاسة . وقد جرت العادة بينهم أن الكلام عن الحيض نفســه يجب الا يتم أمام الرجال لئلا يؤدى ذلك الى التلوث وانه يجب على المراة ان تلقى بمخلفات هذه الفترة بعيدا عن معسكر الغجر . كما تعتبر المـراة مصدرا كبيرا للخطر على الرجل فيما يتعلق بالتلوث خلال فترة الولادة وبعدها . وتقضى التقاليد بأن تنقل المراة خلال عملية الوضع الى خيمة خاصة حتى فترة معينة بعد الولادة . وفى هذه الفترة تسـتخدم ادوات خاصة ، ولا يفترض أن تقوم باعداد — الطعام للرجال لعدة أسـابيع . وبعد ذلك تحرق الخيمة بكل محتوياتها وكل الأدوات التى ارتبطت بالمراة فى هذه الفترة . ويجب على المراة الا تقص على اى رجل اى شىء يتعلق بولادتها مهما كانت الظروف ، ولقد ترتب على هذه الظواهر عدم مساعدة الرجال للمراة عند الولادة حتى لا يتلوثوا . وهذا ما يسبب الكثير من المتاعب للعاملين بالمستشفيات حينما تتم الولادة فى اى منها .

ونظرا لأن الغجر ينظرون للجسم على انه ينقسم الى قسـمين قسم

داخلى وآخر خارجى . وينظرون الى مخلفات الجانب الداخلى على انها ملوثة ، فان نظرتهم الى المراة الغجرية ترتبط بهذه النظرة طالما ان المراة تعطى فرصة — بمقوماتها — البيولوجية — لخروج هذه المخلفات التى لها قدرة على اختفاء صفة التلوث على الآخرين . فخروج دم الحيض اثناء فترة الحيض ، ومخلفات عملية الولادة هى كلها مخلفات يمكن أن تنجس الآخرين . والطفل المولود هو ايضا ملوث طالما أنه يكون مغطى بدم الولادة ومخلفاتها . واذا كانت المراة تكتسب القدرة على التلويث فى فترات الولادة والحيض فان ارتداء مئزرة يكون ضروريا فى هذه الأوقات بالذات .

هذا ولا تقتصر قدرة المراة على تلويث الرجال على هذه الفترة بالذات بل تمتد الى اكثر من هذا ، فالغجر ينظرون الى الغريزة الجنسية للمراة بصفة عامة على انها تؤدى الى التلوث للرجال . ولهذا فعلى المراة ان تحمى الرجال من خطر هذا التلوث عن طريق عمل ضوابط على الجانب الجنسى لديها ، واذا كان ذلك يتم مع الرجال من الغجر فمن باب أولى ان يراعى مع الرجال من غير الغجر ايضا . ولهذا فعلى المراة دائما ، وبالذات فى الفترات السابق ذكرها أن تراعى بعض القيود فى تعاملها مع الرجال . فلا يجب ان تقترب او تلمس بجسمها الرجل والا صار ملوثا ، وعليها ان تنظف ملابسها الداخلية فى وعاء منفصل عن ملابس الرجال ، واحيانا تأكل فى اوان خاصة . بل هناك اعتقاد بأن يمكن أن يصبح الرجال ملوثين اذا ساروا تحت الحبل الذى تعلق عليه الملابس الداخلية للمراة .

وينظر الغجر لفتحة الأعضاء الجنسية للمراة كنقطة للدخول والخروج نظرة خاصة تنعكس فى الفصل الذى يضعه الغجر بينهما وبين الطعام . فالمئزرة التى ترتديها اثناء الطهو هى رمز لحماية الطعام من أن يتلامس مع الجزء السفلى من الجسم الذى يخرج النجاسة الى الخارج . ويرتبط الضبط الطقوسى للجسم بعمليات الضبط الخاصة بالطعام وتظهر عملية الفصل بين الجانب الجنسى للمراة وبين الطعام ، باكثر وضوحا فيما يتعلق بدون المراة خارج المجتمع الغجرى . وعلى المراة الغجرية الا تشترى طعاما يأتيها من علاقة جنسية والا صار هذا الطعام نجسا ويلوث جماعة الغجر .

٢ — مصادرة المادة الميدانية :

وتعد **مادة هذا الفصل** هى خلاصة الآراء والمقابلات والتعليقات التى كنت حريصا على جمعها طوال فترة العمل الميدانى ، سواء كان ذلك عن طريق الأسئلة التى كنت أعمد الى القائها بطرق مباشرة وغير مباشرة ، او عن طريق التعليقات والكلمات غير المقصودة التى كانت تصل الى بطريقة تلقائية وتعبر عن وجود تصور نمطى معين لدى فرد من الأفراد . وقد كنت حريصا فى تحليل هذا النوع من المعلومات ان افصل جيدا بين ما تدل عليه الكلمة والتعبير ، وما كان يقصده قائلها ، وبين تفسيرى الشخصى لها تجنبها لتحميل المعنى اكثر مما يحتمل .

وقد قمت بعد جمع هذه المادة بتحليلها وعرضها والمقارنة بينها . وحاولت — ما امكن — أن تكون هذه الآراء هى آراء مختلف فئات الناس ، حتى تكون معبرة عن المفهوم الاجتماعى السائد . كما اكدت على المفاهيم التى رايت انها تكررت فى اكثر من منطقة ولدى أكثر من شخص نظرا لأن زيادة التكرار يشير الى صدق المعلومة من جهة ، كما تشير الى مدى انتشار المفهوم من جهة اخرى .

وقد وضعت فى ذهنى منذ بداية العمل الميدانى أن ما احصل عليه عن كل تصور او مفهوم سائد عن طبيعة الغجرى هو بمثابة جزء من مفهوم أشمل ابغى الوصول اليه ، وجزء من التصور النمطى العام الذى اهدف الى فهمه ، وكلما حصلت على جزء اوحى الى بتساؤلات كانت تفتح المجال امامى لمزيد من الفهم .

وقد التجأت الى **دراسة بعض جوانب التراث الشعبى** السائد عند الغجر وخاصة ما يتعلق بهم كجماعة ، كما حاولت ايضا دراسة بعض جوانب ذلك التراث الموجود فى ثقافة المجتمع المحيط عن الغجر للتعرف على طابع الشخصية ، وعن المفهوم الاجتماعى السائد عنها . وغنى عن البيان ان لهذا الجانب من الثقافة اهمية قصوى فى دراسة ملامح الشخصية والطابع العام لأعضاء الجماعات الأخرى (٦) .

---

(٦) اشارت د. علياء شكرى الى هذه الأهمية فيما نشرته تحت عنوان « منهج جديد فى جمع ودراسة التراث الشعبى » وابدت أنه لا يمكن ان

=

« ثـانيا »

التصور النمطى السائد عن الغجر

يمكن التعرف على الصورة المنطبعة فى اذهان غير الغجر عن الغجر فى النقاط الآتية :

١ — يشاع بين غير الغجر ان الغجر يأتون افعالا غريبة لا يمكن تفسيرها الا فى ضوء مفاهيم الانحراف ، وبالتالى فالغجرى شخص منحرف :

وعلى سبيل المثال يشاع ان الغجر لا يدفنون موتاهم بل يحرقونهم ، وانه عندما يموت غجرى يذبحون له ذبيحة ، ولابد ان يمر جثمانه على الذبيحة كرامة له ، وتوزع الذبيحة بعد ذلك على الناس اذ لا يجب ان يأكل منها الغجر . كذلك يشاع عنهم انهم ينامون عرايا ودون غطاء .

ومن اهم الظواهر التى يذكرونها ان عادة حرق النقود — التى سبق الاشارة اليها — تنتشر بين الغجر ، ويفسر غير الغجر هذه الظاهرة بأن الغجر يحصلون على المال بسهولة (عن طريق السرقة او غيرها) ولهذا فهم لا يبالون به ، فالغجرى على استعداد لتمزيق العملات الورقية ،

= تحدد ملامح شخصية شعب من الشعوب من خلال بعض الأحكام العامة والانطباعات الشخصية . وايدت رايها هذا بأن اصدق مثال عليه هو الأحكام المتضاربة عن شخصية الفلاح المصرى ، فقد اوضحت دراسات سابقة ان محاولة تحديد شخصية الفلاح المصرى دون الاعتماد على دراسة تراثه الشعبى قاد الى اطلاق أحكام متضاربة عنه ، مما ترتب عليها ان كون الدراسون والمثقفون فكرة مشوهة عن الفلاح خصوصا فى الجانب الاقتصادى فى ثقافته ، وهو اصعب الجوانب فى الدراسة وابعدها عن التناول السطحى او السريع .

انظر : دراسات فى علم الاجتماع والأنثربولوجيا ، تأليف مجموعة من اساتذة علم الاجتماع بالجامعات المصرية . دار المعارف ، القاهرة سنة ١٩٧٥ ، ص ٣٧٦ .

او القاء العملات الفضية او المعدنية فى الترع (٧) . كما يشاع عنهم انهم احيانا يفضون المنازعات بأن يأتى الطرفان المتنازعان امام بقية الناس ويتنافسون فى حرق العملات الورقية الى ان يفرغ مال احدهما فيصبح الطرف الآخر هو المنتصر . واذا كان غير الغجر يفسرون الظاهرة على ان الغجر لا يبالون بالنقود ، فان العكس هو ما يمكن ان يكون تفسيرا صحيحا للظاهرة ، فان احتكامهم للمقدرة المادية كمعيار للفصل بين المخطىء وغير المخطىء دون الاحتكام الى السبب الرئيسى يعبر عن ان امتلاك المال يعتبر قيمة كبيرة بالنسبة لهم .

ويشاع عن الغجر ايضا أنهم يمكن ان يقوموا بعمليات تشميم الأشخاص قبل سرقتهم وذلك عن طريق الاقتراب من الشخص ونثر مادة كيميائية تؤدى به الى الاغماء . كما يشاع عنهم ايضا انهم يخطفون الأطفال ويضعونهم فى ماكينات لا تعمل الا اذا تغذت على الأطفال كوقود ، وهم يبيعون الطفل الذى خطفوه لسيدة غير قادرة على الانجاب .

٢ — يتضمن التصور السائد عن الشخص الغجرى انه صفيق ووقح :

ويدللون على ذلك بالاستخدامات المختلفة لكلمة « غجر » وكلمة « غجرى » التى تشيع بين ابناء الشعب المصرى . فاذا تكلم شخص بطريقة غير مهذبة يقال له « انت غجرى ؟ » او يقال له « متنغجرش » . واذا اراد شخص آخر اسكات شخص يعلى صوته بطريقة مهذبة فى مشاجرة فيمكن ان يقول له «متبقاش غجرى بقى» . وتستخدم كلمة غجر ومشتقاتها كنوع من السب ، ولعلنا ندرك المعنى الذى تحمله عبارة « آه يا غجر » عندما يقولها شخص لأى جماعة اتت افعالا غير لائقة .

---

(٧) شاهد احد الخفر غجريا فى منطقة اخرى يهم بتمزيق ورقة مالية فئة مائة جنيه (وقت استخدام هذه العملة) مدعيا انها ليست ذات قيمة بالنسبة له ، فقبض عليه ، وقرر عمدة القرية أن يساهم بهذا المبلغ فى انشاء مجلس القرية ، وكان أول مبلغ يخصص كمساهمة فى هذا الغرض . وقد كان الغجرى يباهى امام غجرى آخر بان المبلغ لا يعنى شيئا بالنسبة له .

وحتى بالنسبة للغجر أنفسهم ، فاذا كان الاسم «غجر» يستخدم كاسم لجماعة معينة (كأى اسم آخر) الا انه يمكن ان يستخدم كنوع من الصفة التى تصف اعضاء الجماعة بصفات غير مرغوبة ، فعندما يأتى شخص غجرى أفعالا غير لائقة ، او يعد بشىء ولا يفى به فان يقال « اصله غجرى » (٨) ، وبالنسبة للجماعة ككل يقال ايضا « اصلهم غجر » .

وقد تضمنت **امثالنا الشعبية** (٩) المتداولة ايضا ما يصف هذه الجماعة بالوقاحة والصفاقة ، وما يؤكد السخرية من الشخص الذى يطلق عليه اسم الجماعة . فهناك مثل يقول ان « الغجرية ست جيرانها » ويقصد هنا الشريرة السليطة اللسان المتخلقة باخلاق الغجر ، أما كونها ست جيرانها فليس لكونها حسنة السمعة ، بل لتطاولها عليهم بالكلام غير المهذب فيتقون شرها بالسكوت والمداراة ، ولهذا فهى تسود عليهم (١٠) . وهنـاك مثل آخر يقول « كل حارة ولها غجر » (١١) . وهو يعنى ايضا انه فى كل مكان

---

(٨) يستخدم نفس التعبير فى انجلترا كل من يتعاملون مع الغجر ، وحتى هؤلاء الذين يدافعون عن قضايا الغجر يتوقعون منهم دائما اتيان افعال غير مقبولة ، ومتى حدثت فالعبارة المشهورة التى تسود بينهم هى because he is Gypsy .

(٩) اذا كنا نتناول الأمثال الشعبية كتعبير عن التصور النمطى السائد عن الغجر بصرف النظر عما اذا كانت تعبر عن حقيقة الغجر أو لا تعبر ، لكننا نود ان ننوه الى جانب هام أشار اليه الكزاندر هجرتى كراب فى كتابه « علم الفولكلور » وهو أن المثل يعبر فى شكله الأساسى عن حقيقة مألوفة ، وان كانت صيغت فى أسلوب مختصر سهل حتى يتداوله جمهور واسع من الناس . كما أن هذا التعبير عن الحقيقة قد يكون بطريقة حرفية وقد يكون بأسلوب التهويل والمبالغة عن طريق ابراز التناقض . انظر : الكسندر هجرتى كراب ، علم الفولكلور ، ترجمة رشدى صالح ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة سنة ١٩٦٧ ، ص ٢٣٥ .

(١٠) احمد تيمور ، الأمثال العامية ، لجنة نشر المؤلفات التيمورية ، الطبعة الثانية سنة ١٩٥٦ ، القاهرة ، ص ٣٦٧ .

انظر ايضا نفس المثل لدى احمد أمين ، مرجع سابق ، ص ٥٦ .

(١١) احمد تيمور ، المرجع السابق ، ص ٤٢٢ .



يشاع عن الغجر أنهم يتبارون فى احراق العملات الورقية

من يتصفون بصفات الغجر الرديئة . ويعتبر هذا المثل نوعا من السب حينما يقال لشخص ما ، اذ يعنى انه يمثل بؤرة الفساد فى وسط المجتمع تماما كما يمثلها الغجر حينما يوجدون فى اى مجتمع . وعلى الرغم من أن المثل القائل « ألف نورى ولا دمنهور » لا يتضمن كلمة « غجر » الا انه نظرا للعلاقة التى تربط بين النور وبين بقية الغجر فان المثل ايضا ارتبط بالغجر . وعلى الرغم من أن المثل يبالغ فى وصف اهالى دمنهور بالرداءة فيقرر أن التعامل مع النور اسهل من التعامل مع ساكنى دمنهور ، فان مضمون المثل يعنى أن النورى شخص سىء جدا ، فالمقارنة تعنى توفر الصفة فى الاثنين .

واذا كانت الأقوال والتعبيرات تؤثر على اتجاهات وسلوك الناس نحو الغجر ، فان الأمثال الشعبية تلعب دورا تعليميا يسهم فى تكوين افكار عن الغجر من شأنها أن تؤثر على العلاقات بين الغجر وغير الغجر (١٢) .

٣ — يتصور غير الغجر أن المرأة الغجرية تتصف بالجمال الفيزيقى ، وانها مصدر للاثارة ، ويرتبط سلوكها بالانحراف :

وقد وصف أحد الموظفين من غير الغجر فى المنطقة الغجرية حسناء بأنها « تغلف وجهها بقطعة من الفنضان » . وانها قطعة من « الكرملة » وان هناك سحرا يمكن الاحساس به فى عينيها التى تنبعث منها موجات كهربائية ، فالعينان احداهما سالبة والأخرى موجبة . ويقول الغجر أنفسهم بان الله اعطى لنسائهم جمالا لكى يستطيعوا أن يكسبوا المال . ويشاع فى المنطقة قصص كثيرة تدور كلها حول وصف الغجريات — وخاصة الغوازى منهن — بانهن جميلات ومن ثم فهن سبب فى اغراء وفتنة الرجال .

---

(١٢) أشار ايضا كراب الى الطابع التعليمى للمثل — فى مرجعه السابق الاشارة اليه — فقد ذكر أن للمثل طابعه التعليمى الذى يكون مباشرا فى اغلب الأحيان . فالمثل هو ابتكار تصنعه العبقرية الشعبية ، ومن خصائصه أن يثبت أكثر مما تثبت الأنواع الأدبية الأخرى .. ويرجع السبب فى ذيوع الأمثال الى الطابع التعليمى الأخلاقى .
(كراب ، ص ٢٣٦) .



هكذا يتصورون الغجرية الراقصة

وينظر غير الغجر الى الراقصة الغجرية على وجه الخصوص على انها تتميز بميزات خاصة نتيجة ممارستها الرقص ، وهم يتغنون فى وصف جمالها ، وهى تستخدم حاجبيها كوسيلة للتعبير اثناء الحديث الى الآخرين . وقد عبر المثل المصرى القائل « زى ضرب الغازية فى حمارها » عن الدلال الذى يتميز به سلوك الراقصة .

وهناك ملاحظة اساسية هى ان ارتباط غجر ست جيرانها بالجماعة الغجرية الأوسع نطاقا . وارتباطهم بجماعات الغجر الثلاثة فى مصر قد ادى الى ان يقرن الناس بينهم وبين جماعات اخرى . وبالتالى ادى الى ان يعمم اهالى ست جيرانها عليهم بعض الصفات التى تتصف بها جماعات غجرية اخرى سواء اتصف بها غجر ست جيرانها أم لا . فالحلب قد اتهموا بأكل لحم الكلاب والقطط وانواع اللحوم الأخرى التى لا ياكلها عامة المصريين . كذلك اتهموا بعمليات خطف الأطفال (١٣) . كذلك ارتبط النور بالسرقة وفى مناطق اخرى يعرفون بانهم يمكن ان ياتوا افعالا غير اخلاقية فى سبيل التمكن من السرقة والنصب والاحتيال ، كأن يوافق زوج على التظاهر بأن زوجته على علاقة برجل آخر كوسيلة لاتهامه ومطالبته بدفع مبلغ معين . كذلك فان اعمال التشميم والخطف ترتبط بالنور . وعلى الرغم من ان غجر ست جيرانها لا يقومون بأعمال السرقة والتشميم ، وعلى الرغم من ان احدا لم يقرر ان غجر المنطقة قد خطفوا طفلا ، لكن الأهالى ما زالوا يقررون أن الغجر يقومون بذلك . بل ان عمدة احدى القرى لم يسمح للغجر بالاقامة فيها الا بعد كتابة تعهد بعدم السرقة ، وعدم الاعتداء على الأرواح او الممتلكات ، وانه فى حالة حدوث اية سرقات يكونون مسئولين عنها ، ومن المعروف ان ذلك يتبع مع النور .

على ان التصور النمطى السائد عن الغجر لم يحد فيما يتناقله الناس شفاهة عنهم بل تعداه الى نطاق اوسع واعمق تأثيرا واكثر استمرارا وهو مجال الكلمة المكتوبة . فقد ظهرت كتابات تصف جماعة الغجر بسمات مميزة

---

(١٣) نيوبولد ، مرجع سابق ، ص ٢٩٣ ، بورتون ، مرجع سابق ، ص ص ٢٥٤ ، ٢٢٥ .

وتحدد خصائص الشخصية الفجرية . واذا كان ما نشر عن الفجر يمثل التصور النمطى السائد عند الكتاب عن الفجر ــ وهو ما يمكن ان يكون تعبيرا عن واقع الفجر أو مجرد انعكاس عما يسود عنهم فى المجتمع ــ فانه يؤثر تأثيرا قويا فى تكوين التصور السائد عن الطابع الفجرى وتعديله (١٤) . وهو يؤثر على وجه الخصوص فى الفئة القادرة على القراءة ، بل ويمكن ان يمتد التأثير الى الأميين عن طريق النقل الشفاهى .

فقد وصفت احدى المقالات الحديثة الفجر بأنهم جماعة بدائية وانهم « لا ارض لهم ولا هوية ، وهم مشتتون فى أطراف العالم .. ومعيشتهم على التسول والغناء والرقص والبغاء (١٥) . ووصفهم الخديوى فى مصر بانهم على شاكلة البوهيميين أو الفجر فى أوربا ، وأنهم رحالة يعيشون فى خيام ، وهم موضوع احتقار الناس حتى الفلاحين . وقد ذكر الخديوى ايضا « وكلهم يعتبرون لصوصا بارعين وهم معروفون بذلك ، وأحيانا يقوم الرجال بالتجوال فى المدينة وهم يصطحبون القرود » . وعندما قارن نيوبولد بين المرأة الفجرية والمرأة الحلبية ذكر أن نساء الحلب مشهورات بالعفة بعكس نساء الفجر (١٦) . وهناك بالاضافة الى ذلك الكثير مما نشر عن الفجر سواء فى مراجع لها الطابع العلمى أو فى الصحف والمجلات مما يساهم فى تكوين تصور خاص عن الطابع الفجرى (١٧) .

عوامل تكوين التصور السائد عن الفجر ومدى اتفاقه مع الواقع :

يرتكز التصور النمطى السائد لدى غير الفجر عن الطابع الفجرى على مبدأ **وجود اختلاف بين الفجر وغير الفجر** . ويتصل هذا الاختلاف بجوانب أساسية أدت الى اقامة كثير من الحواجز بين الجماعتين رغم

---

(١٤) هذا على اعتبار أن التصور النمطى السائد يتغير بفعل عوامل اجتماعية وثقافية ، واذا كان للتصور درجة عالية من الثبات الا أن هذه الظاهرة نسبية .

(١٥) مجلة الحوادث اللبنانية ، اكتوبر سنة ١٩٧٤ ، ص ٥٦ .

(١٦) نيوبولد ، المرجع السابق ، ص ٢٨٩ .

(١٧) ذكرنا فى أجزاء سابقة بعض المعلومات التى نشرت فى بعض الصحف والمجلات عن غجر مصر .

وجود ارض مشتركة بينهم تتمثل فى الدين واللغة ... الخ . ويلاحظ انه سواء كانت هذه التصورات واقعية او غير واقعية فانها تساهم فى تعميق الاحساس بالاختلاف بين اعضاء الجماعتين مما يباعد بينهما .

واذا حاولنا ان نقارن بين النموذج الموجود فى ذهن غير الغجر عن الغجر وبين الواقع فنجد ان هذا النموذج او التصور لا يطابق الحقيقة تماما . **فالصورة المتكونة عن الغجر لدى شخص غير غجرى اما أن تكون ناقصة او مبالغا فيها** ، واما جامعة للاثنين معا . وان كان هذا التصور احيانا يتضمن شيئا عن الواقع لكنه لا يتضمن كل الواقع . فالتصور السائد عن الغجر يتضمن بعض الشائعات فالغجر ينكرون انهم ينامون عرايا ، او يحرقون موتاهم ، او يحرقون العملات الورقية (١٨) . والواقع انه على الرغم من ان غير الغجر فى ست جيرانها لم يروا غجر المنطقة يفعلون كل هذا فانهم يشيعون عنهم ذلك . وترجع هذه الشائعات الى أن الغجر قديما كانوا يفعلون ذلك ، او ان غجرا فى مناطق اخرى ما زالوا يفعلون ذلك . وهذا يشير الى ان تغير الوضع بالنسبة لغجر ست جيرانها لم يرتبط بتغير التصور النمطى السائد عنهم . وهو امر يشير الى مدى رسوخ الأفكار المتكونه عن جماعة معينة .

ويرجع قصور التصور السائد عن ان يؤدى الى تكوين مفهوم دقيق عن الغجر الى **ان التصور السائد يستند الى صفة واحدة من صفاتهم أو سمة تميز جماعة غجرية دون اخرى** . فالبعض يتصور أن الغجر هم القوم الرحل الذين لا مأوى لهم أو من يعيشون فى خيام . والبعض الآخر يصفهم اخلاقيا بما تدل عليه كلمة غجر فى اللغة العربية فيتصورون أنهم ذوو الصوت المرتفع أو عديموا الأخلاق . وهناك من يصفون الغجر من المهن والأعمال التى يقومون بها فينعتونهم بأنهم مغنون او راقصون أو لصوص ... الخ ، ولا شىء غير هذا . وهناك من يتصورهم فى ضوء بعض سماتهم او بعض انماط السلوك التى تنطبق على بعضهم . فيصفهم البعض بأنهم القوم الذين يعيشون على المأكل والمشرب فقط ، او انهم من ينفقون

---

(١٨) الآن على وجه الخصوص .

كل ما يكسبونه ثم ينامون دون عشاء ، أو هم الرجال ذوو النساء الجميلات اللوانى اعطاهن الله الجمال لكى « يسترزقوا » .

وهناك عدة **اسباب ادت الى اختلاف التصور النمطى السائد عن الغجر عن الصورة الحقيقية للغجر** من اهمها عدم وجود مفهوم واضح متكامل عن الغجر — وهو ما اشرنا اليه فى مواضع سابقة — فقد ادى هذا الى وجود كثير من المفاهيم القاصرة او المشوشة عن « من هم الغجر ؟ » . و « وما هى سماتهم الأساسية ؟ » . بالاضافة الى ذلك ، فان هناك بعض السمات وانماط السلوك التى ترتبط بجماعات غجرية مهنية واقليمية . فان هناك بعض السمات وانماط السلوك التى ترتبط بجماعات غجرية مهنية واقليمية خارج ست جيرانها ، وقد ادت هذه السمات وانماط السلوك الى خلق تصورات نمطية شاعت عن الغجر فاعتقد غير الغجر فى ست جيرانها — خطأ — انها ترتبط بغجر المنطقة .

فغجر ست جيرانها ليسوا لصوصا ، ولكن نظرا لأنهم ينتسبون الى الغجر بصفة عامة ، ونظرا لأن بعض الغجر لصوص لهذا يميل غير الغجر الى خلع نفس الصفة عليهم . واذا كان غجر ست جيرانها غجرا مستقرين ، الا ان البعض فى المنطقة يتصورون أن كلمة غجرى تعنى الجماعة غير المستقرة بالنظر الى أن الكثير من الغجر غير مستقرين . واذا لم يكن هناك انحرافات اساسية مسجلة ضد نساء غجر المنطقة ممن عشن فيها عشرات السنوات واحتككن بالمجتمع ، وقدمن له خدمات الا ان التصور النمطى السائد عن المرأة الغجرية مازال يؤثر على النظرة الى الغجرية فى ست جيرانها (١٩) .

ولا شك ان غير الغجر فى ترويجهم ومبالغاتهم يحاولون اثراء التصور النمطى بصور تصور الغجر بانهم جماعة غريبة . ويجد ذلك قبولا لدى

---

(١٩) على أن هناك شائعات حول سلوك منحرف لفئة قليلة من نساء الغجر ، غير انه لم يتم التأكد من ذلك بدقة ، ومن الطبيعى أن ذلك يؤدى الى الاساءة الى بقية غجريات المنطقة ، كما يؤدى الى تثبيت وتعميق التصور النمطى السائد عنهم .

معظم الناس نظرا للرغبة العامة للاستمتاع بكل ما هو غريب والى تناقل ما هو غير مألوف عن الجماعات . وعلى الرغم من ان هذه الجماعة قد حققت قدرا من التكامل مع المجتمع المحيط بالمقارنة بجماعات اخرى فان التصور السائد يحوى هذه العناصر التى ترتبط بجماعات اخرى نظرا للأسباب السابقة ، ونظرا لاستناد هذه الصورة الى عوامل تاريخية واجتماعية ارتبطت بالجماعة الغجرية بصفة عامة .

والغجر ايضا مسئولون عن التصور النمطى السائد عنهم :

واذا كان ماسبق ذكره يرتبط بغير الغجر وبمدى اسهامهم ، مع عوامل اجتماعية وتاريخية فى تكوين التصورات النمطية السائدة لديهم عن الغجر ، الا ان الغجر انفسهم يعتبرون مسئولين عن التصورات النمطية السائدة عنهم . فهم يبدون متميزين فى جوانب معينة ، وهذا ما يساعد على تأويل هذا التمايز . كما ان استخدامهم للغة السرية يثير الشك فيهم ويساعد الناس على تصديق كثير من الأفكار التى تشاع عنهم . كما أن تعمد اخفاء بعض الممارسات عن غير الغجر وقصرها على الغجر يثير عند غيرهم تساؤلات عديدة ، وعندما لا يجدون لها اجابة يقبلون التفسيرات التى تشاع عن الغجر والتى حفظت كتاريخ لهذه الجماعة ، او مجرد شائعات تواترت عبر التاريخ . وتعتبر شدة تحفظ الغجر على بعض جوانب من سلوكهم بجانب وجود ظواهر انحرافية لدى البعض — كما أشرنا — يحاولون التستر عليها — يجعل غير الغجر يظنون فيهم السوء خاصة أن معظم الجوانب المخفاة تتعلق بالجانب الأخلاقى ، أو على الأقل تؤدى الى التشكك فى أخلاقيات الغجر .

والنقطة الهامة التى نود أن نلفت النظر اليها هى انه اذا قارنا بين التصور النمطى السائد عند غير الغجر ، وبين مفهوم الغجرى عن نفسه وخاصة ما يرتبط بمسألة استعلائه فاننا نجدهما متناقضين ولا يتفقان الا فى نقطة واحدة ، وهى أن كلا من الغجر وغير الغجر يدركون تميز الجماعة الغجرية . ويبدو الاختلاف فى أن الغجر لديهم احساس بالاستعلاء ، وغير الغجر ينظرون اليهم نظرة احتقار وبالتالى فان غير الغجر يشعرون أنهم أفضل من الغجر . وغير الغجر يرون فى الغجرى انسانا منحرفا بينما يرى

الغجرى انه سوى وأن عالم غير الغجر هو الذى يتهمه بالانحراف نتيجة وجود قدر من التحيز ضد الجماعة الغجرية . ويتصور غير الغجر ان الغجرى أمى جاهل ولكنه خداع فى حين ان مفهوم الغجرى عن نفسه انه سوى ولكنه ماهر وذكى ويتصرف فى الموقف بما يتناسب معه ، وان مجتمع غير الغجر هو مجتمع الأغبياء . وقد أدت هذه التصورات الى قدر كبير من التباعد النفسى والاجتماعى بين الجماعتين رغم التجاور الجغرافى .

((ثالثا))

الاتجاهات وردود الأفعال الناجمة عن التصور النمطى السائد عن الغجر

يساعد التصور النمطى السائد لدى غير الغجر عن الغجر على خلق اتجاهات لدى غير الغجر تؤثر على ردود افعالهم وسلوكهم التى تأتى متأثرة بهذه الاتجاهات . كما يؤدى ادراك الغجرى للتصور النمطى السائد عنه فى أذهان غير الغجر الى خلق اتجاهات مماثلة لدى هذا الغجرى تؤثر على ردود أفعاله فى علاقاته مع المجتمع المحيط الذى ينظر اليه نظرة خاصة . واذا كانت ردود الأفعال ونماذج السلوك يمكن أن تتغير الا أن الاتجاهات التى تكمن وراء السلوك تجعل عملية تغيير السلوك الانعكاسى أمرا صعبا . وتضع هذه الاتجاهات قيودا على العلاقات السائدة بين الغجر وغير الغجر ، كما تؤدى الى أنواع من السلوك المتحيز بينهم الأمر الذى يؤدى فى النهاية الى التأثير على عملية التكامل بين كلا الجماعتين .

ويمكن ايجاز هذه الاتجاهات وردود الأفعال فيما يأتى :

١ — الاتجاهات وصور رد الفعل عند غير الغجر :

يمكننا ايجاز اتجاهات وصور ردود الأفعال عند غير الغجر فيما يأتى :

(أ) يؤدى التصور النمطى السائد لدى غير الغجر عن الغجر الى وجود اتجاه قوامه احتقار الغجر :

فالغجر محتقرون فى المجتمع نظرا لأنهم غجر ، ونظرا لأن الاسم الذى يطلق عليهم يحمل معان تدل على انهم ادنى من غيرهم ، لدرجة ان هذه الأسر التى استقرت فترة طويلة فى المنطقة وكونت علاقات مع المجتمع المحيط لم تسلم من هذه النظرة . فالناس يتعاملون معهم بطريقة طبيعية ولكن نظرا لأنهم يخفون فى داخلهم نظرة خاصة اليهم فحين يحدث اى سلوك غير مقبول فان التفسير الذى يقوله غير الغجر هو ان ذلك حدث « لأنهم غجر» . وتظهر صور الاحتقار والنظرة الدنيا التىينظرها غير الغجر الىالغجر فى مواقف متعددة . واذكر على سبيل المثال ان الغجر قد ظنوا فى احدى القرى انه يمكننى تقديم مساعدات مادية لهم ، وعلى هذا فقد بدأوا يستفسرون من المسئولين فى القرية عنى ، وعن احتمال حصولهم على مساعدات . وقد ابلغتنى احدى السيدات المسنات فى القرية بذلك ، وقد كانت العبارة التى قالتها فى نهاية حديثها تعبر عن احتقار غير الغجر للغجر ، فقد قالت : « احنا ناخد غرضنا (٢٠) منهم وخلاص .. ينعل ابوهم .. هو الغجر كمان هيبقا لهم سعر ؟ » . وتدل هذه العبارة عن مدى الاحتقار الذى ينظر به الى الغجر . فالقروية تستنكر سؤالهم عن المساعدة وتعتبر أنهم ليس لهم حق — كباقى الناس — فى ان يسالوا عن الشخص الذى جمع منهم معلومات او ان يكونوا شغوفين على تلقى مساعدات مادية .

(ب) يخلق التصور النمطى السائد عنهم اتجاها لدى غير الغجر يشجعهم على وضع الغجر فى موقف الاتهام :

فغير الغجر يميلون الى وضع الغجر فى مقدمة المتهمين عند وقوع اى حادث وهذا يجعل الغجر يعيشون دائما فى موقف حذر من الآخرين ويحاولون الابتعاد عن المجالات التى يمكن أن تسبب لهم مضايقات او اتهامات . وتوضح الحادثة التالية والتى حدثت فى احدى المناطق الميل الى اتهام الغجر . فقد اكتشفت احدى العاملات عند عودتها بالأتوبيس الى منزلها عدم وجود خاتمها فى اصبعها . وعندما نظرت حولها وجدت بجوارها غجريا كان يسكن المنطقة التى تعمل فيها ، فاعتقدت انه هو

---

(٢٠) وهى تقصد ان المهم هو ان يتمكن الباحث من جمع المعلومات التى يريدها .

السارق وانه سرق الخاتم عندما كانت ماسكة القائم المعدنى فى الأتوبيس . ودون تفكير امسكت به وبدات تصرخ وتتهمه بالسرقة . وقد استجاب الركاب لصراخها وانهالوا عليه ضربا وكانهم ضبطوه وهو يسرق الخاتم . واصر الغجرى على الانكار ، واقتيد الى قسم الشرطة ، ونظرا لانه اصر على الانكار ، بالاضافة الى ان المشرفة اخذتها الشفقة عليه ، فقد اطلق سراحه . وعندما وصلت المشرفة الى منزلها وجدت الخاتم حيث كانت نسيت أن تلبسه قبل خروجها الى عملها فى الصباح .

ان هذه الحادثة — وغيرها كثير — توضح الميل الى اتهام الغجر ، وهو اتجاه منتشر عند كثير من الناس وهو ما ظهر فى الحادثة سالفة الذكر اذ اتهم ركاب الأتوبيس الغجرى رغم انهم لم يشاهدوه اثناء السرقة . كما ظهر كذلك فى عدم الاكتفاء بضربه بل امتد الى اقتياد الغجرى الى قسم الشرطة .ويعتبر هذا السلوك نحو الغجر رد فعل للفكرة السائدة عنهم والتى مؤداها انهم يقومون بأعمال تتنافى مع القانون . وان قيامهم بالسرقة يعتبر عملا اساسيا يقومون به مهما حاولوا اخفاءه . وتمثل هذه الفكرة عنصرا رئيسيا فى التصور النمطى السائد عن الغجر لدى غير الغجر .

ومما يذكر ان الغجرى عندما ذهب الى المشرفة بعد ذلك فى المنزل ، محاولا ان يؤكد لها براءته ، لم توضح له المشرفة حقيقة الموقف مما يحمل فى طياته احدى صور الظلم والتحيز التى يقابلها الغجر عن قصد او عن غير قصد نتيجة ما يشاع عنهم ، على الرغم من ان الكثير منهم — وعلى وجه الخصوص جماعة ست جيرانها — لا يمارسون السرقة . ومما يزيد من تعميق الصورة المتكونة عن الغجر وبالتالى يزيد من حذر الناس منهم وشكهم فيهم وبالتالى استعدادهم لاتهامهم ان غير الغجر لا يحاولون اظهار براءة الغجر فى الوقت الذى تثبت فيه براءتهم . فلو كان لدى غير الغجر الشجاعة والاهتمام لانصاف المظلوم لأخبرت مشرفة الحضانة الغجرى بأنها وجدت الخاتم . ولأدى ذلك الى تغيير الصورة المتكونة عنهم خاصة فى المناطق التى لا يمارس فيها الغجر السرقة . ولكن العكس هو الصحيح . فمن المتوقع ان كل راكب من ركاب الاتوبيس قد قص الحادثة على معارفه وأقربائه وجيرانه . ومن المتوقع أيضا ان يضيف الى هذه الحادثة الكثير من وحى

خياله مما يجعل سرده للأحداث شيقا ، حتى يثبت التهمة على الفجرى ، وبالتالى يؤكد رسوخ مفهوم غير الفجر السائد عن الفجر وما سيترتب عليه من زيادة درجة الحذر منهم والشك فيهم ومحاولة تجنبهم والابتعاد منهم وتوجيه الاتهام لهم فى اول فرصة مواتية .

(جـ) يؤدى التصور النمطى السائد عن المراة الفجرية الى أن يقوم غير الفجر بانواع من السلوك ينتهكون به حرمة الفجريات ، وفى بعض الأحيان يؤدى الى تجنب التعامل مع غير الفجر :

ان تصور الفجر عن اخلاقيات نساء الفجر ، وعن سيكولوجية المراة الفجرية وعن جمالها ، يدفع الكثير الى التفكير فى أنهن عاهرات وبالتالى يمكن ايقاعهن بسهولة . وقد ادى هذا التفكير الى قيام غير الفجر ببعض انواع السلوك الشاذ تجاههن . فقد كانت احداهن — ويقول الفجر انها كانت على درجة عالية من الجمال — تتردد على احد المحال لشراء احتياجاتها . وقد جرت العادة عند ذهاب تلك المراة الى المحل أن ينصرف من يعملون فيه عن عملهم ويختلقون الأسباب التى تبرر التعامل معها . وقد حاول المسئول عن هذا المحل حل هذه المشكلة بأن اقترح عليها ان يوصل اليها ما تحتاجه الى منزلها وقد استمر على هذا الحال فترة طويلة ، ولم يبال بما اشاعه عنه من يعملون فى المحل من احاديث تتعلق بسوء مقاصده .

وفى قرية اخرى قاد هذا التصور — مع وجود استعداد لدى بعض أفراد من غير الفجر للسلوك الانحرافى الى بعض الحوادث التى وصلت الى حد الاغتصاب . فقد كانت احدى الفجريات تستجدى من البيوت فى قرية من القرى ، بينما كان رجل سىء السمعة يوجد منفردا فى منزله . وعندما طرقت الباب وطلبت المساعدة ادعى ان زوجته بالداخل تلد وتحتاج للمساعدة ، وطلب منها الدخول لمساعدتها فى الوضع مقابل مبلغ من المال . وما ان دخلت واغلق الباب حتى حاول اغتصابها . وظلت تقاوم وهو يحاول حتى تمزقت ثيابها ، ويقال انه استطاع أن يصل الى ما يريده ولكن بصعوبة نظرا لمقاومتها الشديدة .

ويفترض غير الفجر ان هذه الفجرية لم تحاول ابلاغ اهلها بذلك ، وحتى فى حالة معرفتهم هذا الأمر فانه من غير المتوقع ان يأتى اهلها للانتقام بطريقة

مباشرة نظرا لأنهم يسكنون فى قرية أخرى ، وحضورهم للانتقام فى قرية غريبة سيجعل معركتهم خاسرة . فربما اجلوا الانتقام لوقت آخر بطريقة لا يمكن اكتشافها .

ومن جهة اخرى قد يؤدى التصور النمطى السائد عن الغوازى ان يحاول غير الفجر تجنب الاتصال بهن أو الاقتراب من بيوتهن على الاطلاق الا اذا استدعت الضرورة ذلك خوفا من اى يسىء بقية الأهالى بهن الظن . فقد كان الرجال يخشون مجرد السؤال عن مكان تواجدهم لئلا يعتقد الأهالى انهم يذهبون اليهن لغرض آخر ولسان حال كل منهم يقول انه اذا كان يأتى اليوم للغازية فهو سيأتى غدا لأختى وهذا سيؤدى الى سوء سمعته . ومن الواضح ان هذا التصور يدل بطريقة غير مباشرة على أن الفجريات مصدر فساد .

ولعل اشد رد فعل للتصور النمطى السائد عن الفجريات هو احجام غير الفجر عن الزواج من الفجريات ، وهذا هو الحاجز الصلب الذى أشرنا اليه من قبل ، والذى يسهم فيه الفجر وغير الفجر على السواء .

هذا ومما يجدر الاشارة اليه فى هذا الصدد ان غير الفجر يختلفون فى مشاعرهم واتجاهاتهم نحو الفجر وبالتالى يختلفون فى درجة تحيزهم ضدهم وهذا ما ينعكس فى ردود افعالهم . ويمكن تصنيف اتجاهات غير الفجر نحو الفجر على متصل يبدا بأقصى شعور متطرف « ضد الفجر » وينتهى بأقصى درجة من الشفقة ، تلك التى ظهرت عند بعض الناس وهى تعبير عن الاتجاه « مع الفجر » . ويغذى الاتجاهات المختلفة وكذلك الخبرات السابقة لهؤلاء الذين يشغلون مواقع متباينة على المتصل عوامل كثيرة مثل الشك فى الفجر والحذر منهم ، واحتقارهم ، والاشفاق عليهم ، وادراك الاختلافات بينهم وبين غير الفجر ... الخ . على انه يندر أن يوجد عدد كبير من الأشخاص على الطرف الثانى « مع الفجر » ، وحتى بالنسبة لمن يشفقون على الفجر ، لا تتحول الشفقة لديهم الى اتجاه نحو التوحد مع الفجر . بل ويمكن للعوامل المؤثرة ، والأحداث السائدة ، والشائعات التى تتداول عن الفجر أن تؤثر فى موقفهم وتبعدهم عن اقصى الطرف الى درجة داخلية على المتصل .

٢ ــ الاتجاهات وصور رد الفعل عند الغجر :

تتنوع ردود افعال الغجر تجاه التصور النمطى السائد عنهم لدى غير الغجر بحسب طبيعة الفكرة السائدة ، وبحسب السلوك الذى يواجهونه من غير الغجر كنتيجة لوجود تصور معين عنهم . فالغجرى يدرك فكرة الآخرين عن طابع شخصيته ، ويرسم استراتيجيته بناء على ذلك لتحقيق وجوده وامنه واهدافه . وعلى ذلك **فالسلوك الغجرى متاثر بمؤثرين احدهما مفهوم الغجرى عن نفسه ، وثانيهما ادراكه لمفهوم الآخرين عنه وعن طابع شخصيته وسماته الاساسية** . وسوف يتضح ذلك بالتفصيل من شرح بعض ردود الافعال التى تتسم بالاستمرار ، بمعنى انها ليست ردود افعال وليدة موقف لحظى او تختص بغجرى واحد ، بل تختص بالجماعة ككل .

ولقد ساعد رد الفعل على خلق قاعدة هامة لدى الغجر وهى انزواج من الداخل . وقد نتج هذا عن ادراك الغجر للتصور النمطى السائد عنهم لدى الغجر . فالغجر يدركون ان غيرهم ينظرون اليهم نظرة احتقار ، وبالتالى فهم يعزفون عن الزواج وخاصة زواج نساء الغجر من رجال من غير الغجر (٢١) . وقد عبر غجرى عن ذلك بقوله اننا لا نزوج بناتنا الى الرجال من غير الغجر لأنهم عندما يغضبون عليهن يعيرونهن قائلين « يا بنت الغجر » . وعلى ذلك نقد تمثل رد الفعل فى هذا الجانب فى صورة حائل عاق عملية الاندماج (عن طريق التزواج) بين الجماعتين .

ويدرك الغجر ايضا طبيعة نظرة غير الغجر الى الغجريات ، فهم يرون ان غير الغجر يتصفون « بالرزالة » فى التلصص على الغجريات . وقد قالت احداهن انه مهما كانت الغجرية قبيحة فهم ينظرون اليها ويعتقدون أن انزلاقها وممارستها للجنس معهم أمر سهل . ولهذا يحرص رجال الغجر على مراقبة سلوك نسائهم ، وحمايتهن من الرجال غير الغجر خاصة فى الأماكن التى يتعرضن فيها للمضايقات مثل الموالد والأفراح ، فالرجال ــ كما ذكرنا من قبل ــ يقومون بحراسة النساء أثناء وبعد القيام بعمليات الرقص

(٢١) هناك اسباب اخرى تمنع الغجر من التزواج مع غير الغجر مثل الاستعلاء الغجرى . وقد ناقشنا ذلك فى موضع آخر .

والغناء . وكما ذكرنا ايضا فى موضع سابق ان اللغة السرية للغجر تلعب دورا فى تبادل التعبيرات التى تحذر من يشكون فيهم من الأشخاص . ومن الطبيعى ان الغجر لا يتيحون فرصة لاقامة علاقات قوية مع غير الغجر بحيث تثير الشك فيما يتعلق بنسائهم .

ويحرص الغجرى دائما على تبرير سلوكه وتوضيح موقفه كرد فعل لاحساسه وادراكه لشك الناس فيه وتصورهم عنه انه شخصية منحرفة . ويحرصون على ذلك خاصة لدى المسئولين ، وكل من يشعرون انهم ينظرون اليهم نظرة شك . او من يتشاجرون معهم . فعلى الرغم من أن الغجرى الذى اتهم بسرقة الخاتم لم تثبت ضده أية تهم ــ الا انه ذهب فى المساء الى منزل الشرطة محاولا اثبات براءته بحلف الايمان . وهذا ناتج عن انه يدرك ان احدا لن يصدقه . واذا كان ذلك يعد محاولة لتصحيح صورته أمام المجتمع فهو ايضا يدل على احساس بالضعف أمام من ينتمون الى المجتمع الكبير ، ولهذا يحاول أن يستجدى رضاءهم . وهذا ما يسم شخصيته دائما بمحاولة تبرير الذات وهى تنم الى حد ما عن احساس بأنه مدان دائما .

ويحاول الغجرى دائما **الظهور بمظهر يناقض المفهوم السائد عنه اذا** كان هذا المفهوم غير مرغوب فيه . فنظرا لأنه يقال احيانا أن الغجر ليسوا متدينين حقيقيين فهم يحاولون تادية الصلاة على مشهد من الناس . ونظرا لأنه يشاع أن نساء الغجر فاسدات فبجانب حرص ازواجهن على ملاحظة سلوكهن فانهم يحرصون على استدعاء نساء من غير الغجر ــ كما ذكرنا ايضا ــ للتأكد من عذرية العروس فى ليلة الزفاف . وهناك الكثير من انماط السلوك التى يقوم بها الغجر ليثبتوا انهم أبرياء مما ينسب اليهم .

ونظرا لأن الغجر يدركون ما تعنيه كلمة «غجرى» فهم يستجيبون احيانا استجابات مختلفة فى المواقف الاجتماعية ، ولا تعد هذه استجابة طبيعية تتناسب مع الموقف نفسه بقدر ما تعد استجابة متأثرة بادراكهم لما يقوله الناس عنهم . وعلى سبيل المثال كان غجرى حداد يصلح « طورية » لفلاح ، فقال له الفلاح مازحا « صلح الطورية كويس .. احنا غجر زى بعض » . فما كان من الغجرى الا ان ثار وغضب والقى الطورية بعيدا عنه وامتنع عن العمل . هذا على الرغم من انه يشاع فى القرى ان الحدادين غجر ويسمع الغجرى الحداد هذه الكلمة اكثر من مرة .

كما يؤدى ادراك الغجرى لنظرة الشك التى ينظرها الناس اليه الى **الابتعاد والانسحاب من المواقف التى يحتمل ان يتهم فيها** . واذا حدثت مشادات حادة بينه وبين غير الغجر ، او حدثت جرائم فى المنطقة التى يعيش فيها فانه يقابل هذا بالانسحاب والابتعاد وليس بالتصدى او المقاومة . ويظهر هذا انه على وعى بانه سيخسر اية معركة لكونه غجرى .

ويحاول الغجر الافادة من الفكرة السائدة عنهم لدى غيرهم وهى انهم « غرباء » . فاذا كانت هذه الفكرة تعطى فرصة لتوجيه مزيد من الاتهامات الى الغجر بمجرد حدوث جرائم أو حوادث فان الغجر يستغلون نفس الفكرة للهروب من الاتهام . فهم يظهرون فى موقف المستضعفين ، ويشرحون للناس كيف انهم غرباء وفقراء ولا يمكنهم أن يدبروا اية مكائد ضد الأهالى ويدللون على ذلك بان ارتكابهم لأى خطأ سوف يؤدى الى طردهم من القرية ، وبالتالى فهم محافظون وليست لهم اية صلة بما حدث .

غير انهم على استعداد لاستخدام عكس الفكرة حين تتطلب الضرورة ذلك . فاذا وجد الغجر — عندما يوجه اليهم اى اتهام — انه من صالحهم اثبات انتسابهم الى المنطقة ، واثبات انهم ليسوا غرباء وانهم معروفون لدى اعيان القرية والمسئولين فيها فانهم لا يلجأون الى الطريقة السابقة[1] . ويعد هذا امتدادا لاستراتيجية الغجر العامة وهى استغلال الظروف المحيطة — لتحقيق مصالحهم ضمانا لأمنهم . فالغجرى يحاول استخدام كل وسيلة متاحة للخروج من الموقف حتى اذا استخدم صورة منطبعة عنه عند الناس لا يوافق عليها . وحتى اذا استخدم الشىء ونقيضه فى موقفين مختلفين . وهذا ايضا يلقى بدوره ضوءا على طابع شخصية الغجرى من حيث مرونتها واستخدامها للمتناقضات استخداما منطقيا لتحقيق المصلحة الشخصية للفرد او المصلحة العامة للجماعة[1] .

« رابعــا »

مفهوم الغجرى عن نفسه وعن مجتمع غير الغجر

الاستعلاء الغجرى : مفهوم الغجرى عن نفسه :

اشرنا الى انه لدى الغجر احساس بالاستعلاء ، فهم يشعرون انهم جنس افضل ، وان الجماعة الغجرية جماعة قوية . فقد ذكر احد الغجر

« ان الحكومة اذا جمعت الغجر ووضعتهم فى اى خرابة فلابد ان يعمروها » . وعندما شاهد بعض منهم فيلم « ناعسة » فى التليفزيون ذكروا ان غيرهم من الغجر لهم ملوك ويعيشون حياة منظمة فى مجتمع غجرى خاص . وهم يدركون ان تشتتهم هو سبب ضعفهم ، فقد قالت غجرية عجوز « احنا طقتنا نخلة » كناية عن انتشارهم فى مناطق مختلفة . ويحاول الغجر اظهار مكانتهم فى مناسبات متعددة ، فاذا أراد ضيف من غير الغجر ان يغادر المنزل دون ان يتناول اى شراب فهم يقولون له « يعنى انت اتمسحت فى ناس هايفين ؟ » .

وترفض جماعة ست جيرانها ان يطلق على افرادها لفظ هنجرانية الذى يطلق على النور فى مناطق اخرى . كذلك اعترض بعضهم على لفظ «غرباء» الذى يطلقه عليهم بعض الناس — تجنبا لذكر كلمة غجر التى لها حساسية معينة لديهم — فقد ذكر البعض منهم أن كلمة « غرباء » تعنى انه ليس لنا موطن ، واننا مشردون ، ونحن لسنا كذلك . ونحن قد نكون فقراء لكن لنا اصـــول .

نظرة الغجر الى غير الغجر :

وينظر الغجرى لكل من هو غير غجرى على انه اقل منه شأنا . كما ينظر الى المجتمع المحيط به عــلى انه مجتمع « الأغبياء » وتحمل كلمـة « **خشنى** » معنى « غير غجرى » ، وهى تعنى لديهم « غبى » وتستخدم بهذا المعنى . وبجانب كلمة « خشنى » توجد كلمة « فلاح » وهى تطلق ايضا على كل شخص غير غجرى وتحمل نفس مدلول كلمة خشنى وتستخدم معها بالتبادل . وتصل نظرة الغجر الى غير الغجر الى الحد الذى يشــبهون فيه الشخص غير الغجرى « بالجاموسة » فأحيانا يسمع غير الغجـرى وهو جالس فى وسط جماعة منهم عبارة تقول « صدى يا كديه الأميشة كارز » وهى تعنى « لا تتكلمى يا امراة لأن الجاموسة (غير الغجرى) جالس » . وهذه العبارة لا تتضمن فقط أن غير الغجرى غبى كالحيوان ولكنها تتضمن الاستهزاء به .

عــلى أن الغجر لا ينظرون الى مجتمع غير الغجر على انه **مجتمع الأغبياء** من حيث انخفاض مستوى الذكاء فقط ولكنهم يدركون أن هناك **تميزا سلاليا** بينهم وبين غير الغجر ، وان غير الغجر ادنى شأنا منهم فى

هذا الصدد . وعلى هذا فانه من غير الواجب أن يكون غير الغجر اسياد الموقف ، ولكن نظرا لأنهم اغلبية فهم يملكون زمام الأمور . وبناء على ذلك يشعر الغجر انهم ضحية الخضوع لمجتمع الأغبياء ، **مجتمع الأغلبية** . وسوف يتضح ذلك اكثر عندما نعرض لأقوالهم ومواويلهم .

واذا كان الغجر يحرصون على الا يظهروا تصورهم هذا لغير الغجر الا ان النظرة التحليلية لمضمون بعض الكلمات والعبارات التى يتقولونها يمكن ان تكشف عن ذلك . فمثلا عندما ينعت غجرى زوجته بانها لا تستحق ان تتزوج غجرى فهو يقول لها « انك نيلة انتى كنتى عاوزة تتجوزى فلاح » وهى تعنى انها سيئة جدا لدرجة انها لم تكن تستحق الزواج من الغجرى . وعندما يدعو شخص على آخر فانه يقول له « يارب تصبح فلاح » او يدعو على نفسه فيقول « يارب اصبح فلاح اذا كنت فعلت كذا » . وقد ذكرنا من قبل ذلك ان الغجر يعتقدون انهم اكثر شهامة من الفلاحين فى طلب حقوقهم وانهم ليسوا « سكة » مثل الفلاحين . ويؤدى هذا التصور الى ان يعتقد الغجر انه يمكن الضحك على غير الغجر بسهولة ، وانه يمكن خداعهم مهما كانوا متعلمين نظرا لما يعتقدونه فى أنفسهم من انهم اكثر وذكاء من الآخرين .

وهناك ارتباط بين استعلاء الغجرى على غير الغجرى وبين التصور النمطى السائد لدى الغجر عن الفلاح وعن العمل الزراعى . فالأول يؤدى الى الثانى ، والثانى يدعم الأول . فالغجرى عندما يود أن يضايق اهله فانه يهددهم بانه سيرتبط بالعمل الزراعى قائلا « والله امسك الطورية واستفلح واجيب لكم العار » أو « والله العظيم اروح اعمل فلاح واجيب لكم العار » . وهذا يعبر عن مدى احتقارهم للعمل الزراعى والقائمين به . بل أن البعض شبه الفلاح بالمجنون . فقد كان غجرى وزميله يمران بفلاح يستخدم الشادوف لرفع الماء الى الأرض الزراعية ، وفى لحظة غيظ قال الغجرى لزميله « والله اتجنن واشدف زى الفلاح ده » . كذلك يحتقر الغجر عملية جمع « الجلة » التى تقوم بها الفلاحات ويقرنون دائما بين الجلة وبين الدونية ، ويعتبرون ان جمع الجلة عار ، ولهذا عندما يسب غجرى امراته يقول لها « انتى كنت عاوزة تشيلى جلة » .

ولدى الغجر احساس بانهم ضحية وانهم اقلية فى وسط مجتمع الاغلبية التى لا تقدرهم ، ولا تقدر مهاراتهم وما يمكن ينجزوه ، بل انهم يشعرون ان المجتمع حاقد عليهم بسبب كسبهم من وراء ممارسة مهنهم التقليدية ، وانه ينظر الى ما بايديهم وما يمتلكونه نظرة حاقدة . ولعل المثل القائل « حاسدين الغجر على ضل الشجر » يصور كيف أن الغجرى يرى ان المجتمع المحيط لا يتركه ينعم بشىء حتى ولو كان كل ما يملكه هو أن يستظل تحت الشجر .

ويمكن ان يؤدى تحليل بعض المواويل التى ألفها الغجر ما يوضح طابع وتفاصيل نظرتهم الى انفسهم فى ضوء علاقاتهم بالمجتمع الكبير . وكيف ينكرون فى انهم اعلى شأنا من غيرهم ولكن الزمن « والبخت » جعل منهم جماعة تسود عليها اغلبية . فهناك موال يقول :

الزمن قال ايش اسمك قلتله عالدوام عمال .
عمال اعدل فى الحمول المايلة عمال .
الناس لها بخت كامل وانا اللى ربع بختى مال .
والربع اللى فاضل فرقته على عشرة الأندال .
الزمن عملنى جمل والصبح اندار على جمال .
قلتله يا زمن هى الحمول التقيلة عالفقير تنسال .
فات وقال يا فقير خليك صابر حمولك عادت صلب من صلب .
أصبر علـــغلب لما تتعدل الأيام .

وفى هذا الموال :

ينعى الغجرى حظه انه يعمل ليل نهار ويكد ومع ذلك فليس له حظ . واذا كان لكل شخص نصيب كامل من الحظ « البخت » فانه له ربع بخت ، ولكن هذا الربع غير صحيح « وانا اللى ربع بختى مال » . ويصف الغجرى هنا غير الغجر بانهم « الأندال » وان الزمن جعله فقيرا ، ويزيد عليه كل يوم وكأنه يحمله احمال ، ولكنه يعطيه بارقة أمل فى زمن آت فيطالبه بالصبر « على الغلب لما تتعدل الأيام » .

ويتضمن الموال الثانى نفس المعنى ومعان اخرى ، اذ يقول :

البخت والزمن اذا حطوا علجمل يخوضوه .
البخت والزمن اذا حطوا على السبع يخوضوه .
هو بحر الرجال خس صبحت العيال يخوضوه ؟
واللا يغرك لبس الجـوخ وعماهم ؟
طيب ليه يا زمن تحط على الرايقين .
وتسقيهم كاس المر من بعد الحلو كانوا رايقين .
والسبع حزين والكلاب تباله رايقين .
واللا يغرك لبس الجـوخ وعماهم .
وادى الزهر بيت حدى الأندال وعماهم .
شوف من عماهم فاتوا الجواهر وميلوا عالصدف وخدوه .

فى هذا الموال يشبه الغجرى نفسه بالجمل فى قدرته على الاحتمال ، وبالأسد فى شجاعته ، وبالرجال فى خوض الصعاب ، ويشبه غير الغجر « بالعيال » و « بالعميان » و « بالأندال » ايضا . ولكن المفارقة ان الغجرى يشعر ان هؤلاء قد اخذوا مكانه كجمل واسد ورجل شجاع وابتداوا بالمظهر المزيف يشغلون المكانة التى كان يجب ان يشغلها هو . وتظهر روح الانتقام عنده حين يطلب من الزمن ان ينزل بغيره ما انزل به . وهو يصف فى هـذا الموال علاقته بغير الغجر كالعلاقة بين الأسـد والكلب الذى يلبس ثوبا فاخرا ، والذى نال حظه من الغنى والجاه ، وانعكس هذا على المظهر ، وهو يرى فى نفسه أنه هو الجوهر وغير الغجر هم القشور . ولكن نظرا لأن الناس تاخذ بالمظاهر فانهم تركوا الجوهر وتمسكوا بالقشور .

اما الموال الثالث ففيه يوضح الغجرى الظلم الذى يقع عليه ، ليس فقط من غير الغجر كافراد ولكن كجهات رسمية لا تنصفه وترفع عنه الظلم ، فهو يقول :

يا سلام يا زمان بتطول على الغلبان .
والسكر الحلو بيمرر على الغلبان .
وبعينى شفت القوى دايس على الغلبان .

عمال افكر ولسة مش لاقيلى بـر .
صبحت تعبان م الدنيا وفعل الوقت .
خطرى اميل وانعدل لازم الاقى بـر .
م الصبح للعصر لم اقدر اصلى الوقت .
والله ناديت بعزم مالى وقلت يا حاكم .
وفضلت ساكت ومستنظر لقى من الحاكم .
عادة الحاكم متديش حـق الغلبان .

ويلاحظ ان الغجرى فى هذه الأبيات يقدم نفسه كفقير يقف فى موقف المظلوم ، ويعرض بؤسه وظلم الزمن والناس له ، ويرى انه لن ينصفه احد حتى لو لجأ الى المحاكم . وهى احد اساليب الغجر — حينما تستدعى الضرورة ذلك — اذ يدعون انهم فقراء حتى ولو كانوا أثرياء .

خـاتمة :

١ — اذا كنا قد اشرنا الى تأثير التصور النمطى السائد فى مجـالات محددة تهدف الى خدمة اغراض التحليل ، الا ان الفكرة السائدة عن الغجر لها تأثير على مجالات كثيرة من مجالات التفاعل بين الغجر وغير الغجر .

٢ — اذا كان قد اتضح من الفصول السابقة بلوغ جماعة ست جيرانها بعض درجات التكامل مع المجتمع المحيط ، فان تأثير التصور النمطى السائد ، وما يرتبط من عناصر الثقافة يضع عقبات لا يمكن تجاهلها فى سـبيل وصول الجماعة الى درجة اعلى من التكامل ، وفى سبيل التوحد الوجدانى والروحى بين افراد الجماعتين .

٣ — لقد خلق مفهوم الغجرى عن نفسه وادراكه لمفهوم الناس عنه سمات خاصة بالشخصية الغجرية تترجم الى سلوك ، ويمكن التعرف عليها من خلال تحليل ما وراء السلوك النمطى المتكرر الظاهر مثل محاولته تبرير الذات واثبات البراءة ، والانسحاب من بعض المواقف ، وشكه فى غير الغجر ثم الاحساس بالاستعلاء . ومثل سمة التناقض التى يمكن ملاحظتها

اذا حللنا استجاباته ، ورد فعله للمواقف الخارجية • فعلى الرغم من انه قوى وذكى واعلى شانا من الأغبياء ، الا انه يشعر بالضعف امام مجتمع الأغلبية ، ويرى انه — فى مواقف معينة — لابد وان يبدو مستضعفا لكى يكسب الموقف لصالحه ، وهذا يتناقض مع اعتزازه بنفسه • ولكنه يكيف نفسه مع هذه التناقضات ، وفى ذلك يظهر براعة فى معالجته للمواقف المختلفة • ويجب ان نلاحظ انه يبذل جهدا كبيرا — ويمثل هذا الجهد طاقة مفقودة — لكسب الموقف لصالحه • ولتعديل التصور النمطى السائد عنه فهو يبذل جهودا فى تبرير ذاته واثبات تطابقه مع ما هو مقبول فى مجتمع غير الغجر وهو غير مقتنع به • وعلى الرغم من ان ذلك يتطلب جهدا كبيرا الا ان المران على ذلك يؤدى الى السهولة فى التصرف •

« خـاتمة وتعليقات »

يمكن أن نقسم الاستخلاصات التى نخرج بها من هذه الدراسـة الى قسمين ، قسم يتعلق بديناميات تكامل جماعة ست جيرانها ، تلك الجماعة الصغيرة التى حققت قدرا من التكامل يختلف عما حققته جماعات اخرى . اما القسم الثانى فيتعلق بتكامل جماعات الغجر فى مجتمعنا المصرى بصفة عامة • ويتضمن مناقشة لفكرة تميز جماعات الغجر فى مصر عن غيرها من الجماعات فى المجتمعات الأخرى الأمر الذى يتطلب اتباع منهج فريد للعمل على تحقيق تكاملها •

اولا : ما يتعلق بتكامل الغجر فى ست جيرانها :

حققت جماعة الغجر فى سـت جيرانها قدرا من التكامل مع المجتمع المحيط بالمقارنة بجماعات غجرية اخرى تعيش فى نطاق المجتمع المصرى . فهى اكثر تكاملا من جماعات أخرى (وخاصة الجماعات الحلبية) ، تمارس التجوال والتنقل طوال العام فى مناطق مختلفة من الدلتا والصعيد ، كما أنها اكثر تكاملا من جماعات نورية مستقرة تعيش فى أماكن محددة ، ولكنها تعيش معزولـة عن المجتمعات التى تعيش بينها ، ومن ثم فان علاقاتها تعتبر علاقات عدائية مع الأهالى المحيطين ، فالنور لا يقومون فى هذه المجتمعات بأى نشاط يمكن أن يكون ذا فائدة بالنسبة للاقليم الذى تعيشيون فيه .

فجماعة غجر ست جيرانها تعتبر مستقرة حققت قدرا من التكيف فى المجتمع الذى تعيش فيه من حيث التكيف للبيئة الجغرافية ، ومن حيث التكيف للعلاقات الاجتماعية وأوجه التعامل السائد فى المجتمع الريفى • وقد احسن الغجر استغلال البيئة الريفية لتحقيق مصالحهم الاقتصادية التى تتمثل فى ترويج تجارتهم والاتجار بمهاراتهم لتحقيق اكبر ربح ممكن • غير أن هذا الاحتكار — خاصة بالنسبة للمهن التى لا يعمل فيها الا الغجر — كان مقبولا من المجتمع المحيط اذ ان الغجر بممارستهم لهذه الحرف يقدمون خدمات للمجتمع لا يقدمها غيرهم • ولذا فالعملية عبارة عن مصلحة متبادلة بين الغجـر

والمجتمع المحيط ، ولقد ادى هذا الى ان تقبل هذا المجتمع الغجر وحال دون حدوث مطالبة بطردهم مثلما حدث مع جماعات نورية فى مناطق اخرى . ولذا صاروا اكثر تكاملا من حيث الوضع الرسمى ومن حيث الاجراءات الرسمية التى اتخذوها لكى يوحدوا انفسهم مع ابناء المنطقة واصبح ينظر اليهم على انهم ضمن اهالى وسكان ست جيرانها .

وقد كون الغجر علاقات اجتماعية مع الأهالى . وتفاوتت درجة كثافة هذه العلاقات من جماعة غجرية الى اخرى ، فقد تكون هذه العلاقات قوية فى احدى القرى ، بينما لا توجد الى المعاملات التجارية بين الغجر وغير الغجر فى قرية اخرى . وينطبق هذا بالذات على الغجر الذين يسكنون اطراف القرية ، وخاصة اذا كانوا يمارسون أعمالا خارج نطاق القرية او خارج الاقليم مثل عملية جز صوف الغنم . ومن امثلة الأسر التى حققت درجة كبيرة من العلاقات والتعاون مع المجتمع الأسرة الغجرية فى قرية شهبندر التى تعلم فيها بعض الأبناء حيث يمارس افراد الأسرة التجارة ، ويحتفظون بعلاقة طيبة مع اهالى القرية . ويرجع ذلك الى ان رب الأسرة كان شديد الحرص على اقامة علاقات طيبة مع الأهالى ، فكان يحرص على المجاملة فى المناسبات المختلفة كالأفراح مثلا ، ويقال انه كان يظل جالسا فى الفرح منذ بدايته الى نهايته ، بما يتضمنه ذلك من مساهمة مادية فى النقوط . اما أسرة قرية « لونه » فهى تعتبر طفرة فى هذا المجال . فقد وصلت درجة التوحد مع المجتمع المحيط الى درجة رفض معها رب الأسرة ان يقر انهم ينتسبون الى الغجر من قريب او بعيد .

وهناك عدة عوامل ساهمت فى وصول بعض اسر المنطقة (وخاصة اسرتى شهبندر ولونه) الى درجة عالية من التكامل مع المجتمع المحيط ، وهذه العوامل هى : —

(ا) الاستقرار فى القرى مدة زمنية طويلة : فقد ولد الجد الأكبر لأسرة قرية لونه فى نفس القرية سنة ١٩٢٢ ، كما ولد الجد الأكبر لأسرة شهبندر منذ حوالى خمسين سنة . وقد عاش معظم أفراد الأسرتين بعد هذين الجدين فى نفس القرية .

(ب) الارتباط بمهن غير المهن التقليدية للغجر : وينطبق هذا على وجه الخصوص على الأسرة التى تسكن قرية « لونه » فكبير الأسرة يعمل ترزيا يحيك الملابس للفلاحين . ويساعده فى ذلك ولداه ، وفى نفس الوقت تملك الأسرة محلا للبقالة يقوم فيه افراد هذه الأسرة رجالا ونساء بعمليات البيع والشراء ، وفى هذا الصدد نجد أن الأسرة الغجرية اكثر تقدما من اسرة الفلاحين اذ تسمح للمراة بان تعمل فى محل للبقالة . ولا شك ان التعامل مع اهالى القرية اعطى فرصة لتكوين علاقات مع المجتمع المحيط .

وقد ارتفعت هذه العلاقات الى مستوى التزواج . وكما اشرنا فقد ضربت هذه الأسرة الرقم القياسى فى التزواج مع الفلاحين .

(ج) تحقيق الاندماج واظهار الرغبة فى التخلص من الأصل الغجرى : وقد ترتب على ذلك ضعف الروابط مع الجماعة الغجرية . ويلاحظ ان كلمة « فلان الغجرى » قد بدات تختفى بالنسبة لأسرة لونه . ويستخدم الأهالى عند الحديث عن احدهم تعبير « فلان ابو فلان » وهو نفس التعبير الذى يستخدمونه فى البيئة الريفية عند الكلام عن اى شخص .

غير أن هناك اعتبارات تقلل من درجة تكامل الجماعة مع المجتمع المحيط ، وتجعل من بعض أوجه التكامل تكاملا ناقصا .

فبعض اهالى شهبندر يفسرون محاولة أعضاء الأسرة الغجرية فيها مشاركة اهالى القرية فى الأفراح والأحزان ، ومحاولتهم الاندماج فى بعض المجالات بان ذلك تكيف شكلى ، وانه « احساس بالنقص » لأنهم يشعرون انهم غرباء ولذلك يحاولون التظاهر بالاندماج بمشاركتهم لغير الغجر فى المناسبات اكثر مما يفعل غير الغجر مع بعضهم البعض . وسواء كان هذا التفسير من بعض من غير الغجر حقيقيا أو غير حقيقى ، فان تقبل غير الغجر لسلوك الغجر بهذه الطريقة من شأنه أن يضع قيودا على التفاعل الاجتماعى بينهم وبين الغجر ، بحيث لا يتم بطريقة طبيعية . كما أنه يمكن ان يؤثر على عملية التكامل ، ويزداد هذا الاحتمال اذا كان لدى الغجر احساس بأن مشاركتهم ليست هدفا فى ذاتها ، بل وسيلة لكى يظهروا بأنهم متكاملون مع المجتمع . وهذا ما عبر عنه أحدهم قائلا : « انهم اصبحوا جزءا من البلد ، ولكنهم

مازالوا منفصلين » . ويقول بعض من غير الغجر ان ابناء هذه الأسرة مشتركون فى نادى القرية ، ولكنهم لا يشعرون انهم ضمن الأعضاء الأصليين المكونين للنادى . وهناك بعض نماذج السلوك التى تظهر احساسهم بانهم غرباء ، فانه عندما يطلب من اى لاعب غير غجرى الانتظار لحين الانتهاء من مباراة ما واللعب فى المباراة الثانية ، فانه يقابل ذلك عادة بالاعتراض والتذمر ، ولكن حينما يطلب ذلك من ابناء الغجر فانهم يخرجون من الملعب صامتين ولا يعترضون . كما ان هناك الكثير من المواقف التى ينسحبون فيها ، مفضلين الانسحاب على الدخول فى مناقشات .

ويجب الا ننسى ان حالات التزواج التى حدثت فى المنطقة هى حالات قليلة من الوجهة الاحصائية كما سبق وذكرنا . ويؤكد الغجر وغير الغجر على السواء انها حالات استثنائية . فالغجر ما زالوا يرددون المثل القائل « ياخدها التمساح ولا ياخدهاش الفلاح » وهى تعنى انهم يمكن ان يضحوا ببناتهم للتماسيح فى سبيل عدم الزواج من الفلاحين . ويبررون ذلك بان الغجرية اذا تزوجت فلاحا فهى لا تجيد القيام بمهام المنزل مثل « الخبيز » و « الطهو » لذلك فهى لا تصلح أن تكون زوجة للفلاح . ومازال الرجال من الغجر ايضا يرفضون الزواج من فلاحات ، فالغجرى يفضل الغجرية لانها تعلم كيف تكسب المال او تحصل على الطعام . اذ يمكنها ان تعمل او تستجدى ، او ان تذهب الى اهلها فتاتى بالطعام كما يمكنها القيام بأمر نفسها اذا لم تستطيع اطعام غيرها . اما الفلاحة فكما يقول عنها الغجر « زى حتة الطينة تاكل ، وتشرب ، وتنام » فهى تستحى ان تستجدى ، او ان تذهب الى اهلها طلبا للمساعدة . كما انها لا تستطيع القيام بأمر نفسها . وقد عبر عن ذلك غجرى بقوله « انا اتجوزت غجرية وفلاحة ، الغجرية تقوم بنفسها ، لكن الفلاحة وقعت فى ارابيزى » . والدليل على ان الغجرى يفضل الغجرية — حتى بالنسبة للجيل الجديد — ان الشابين اللذين وصلا الى نهاية التعليم المتوسط (اسرة شهبندر) مازالا يصران على عدم الزواج من الفلاحات ولم يحاولا — بينما حاول غجر فى قرية اخرى — ان يفكرا فى غير ذلك .

ومن وجهة اخرى فان غير الغجر ايضا لا يقبلون الزواج من الغجر ويعتبرونهم ادنى منهم لأنهم « غجر » .

وبهذا يساهم كل من الغجر وغير الغجر فى فرض القيود التى تمنع التزواج بين الجماعتين .

على اننا يجب ان نضع فى اعتبارنا مسالة هامة وهى ان حالات التزواج التى تمت بين الغجر وغير الغجر لم تؤد الى نتائج مرضية تتعلق بالتكامل وزيادة درجة التفاعل الاجتماعى بينها . ويمكن القول ان ما تم عبارة عن انتقال فتاة فلاحة من اسرتها الى اسرة غجرية دون حدوث اى تكثيف للعلاقات بين الاسرتين ، بل العكس هو الصحيح وذلك فى حالة حدوث مشكلات فى هذا الزواج ، فالغجر يكتفون بالفلاحة دون اهلها . وحتى قبولهم لها فهو قبول شخص غريب . لدرجة ان الغجرية تعتبر ان الفلاحة التى تتزوج غجريا لا تعتبر واحدة منهن .

وهكذا اذا نظرنا الى مجالات اخرى من تلك المجالات التى وصل غجر المنطقة فيها الى قدر من التكامل لوجدنا انه يشوبها الكثير من الاعتبارات التى تقلل من درجة هذا التكامل او تشوهه . وفى مقابل هذا نجد ان هناك ظاهرة واضحة وهى :

ان الجماعة الغجرية تمثل وحدة تحاول ان تحقق قدرا من الاكتفاء الذاتى ، وان تفرض حدودا بينها وبين المجتمع المحيط .

فالجماعة الغجرية فى المنطقة وحدة متماسكة ، وقد قال احدهم ان الغجر وان كانوا منشغلين عن بعضهم الا انه عندما تستدعى الحاجة فان الغجر يجدون انفسهم قد تجمعوا ليضربوا ضربة رجل واحد .

ويعتبر تجمع غجر ست جيرانها فى اقليم واحد — يسهل تدارك حدوده — من عوامل تضامن الغجر فى المنطقة ، وعلى الرغم من وجود بعض الظواهر مثل الانتشار فى قرى مختلفة ، وعدم التمسك بالأسرة الممتدة ، والانتشار الأسرى الذى يتمثل فى انفصال بعض الوحدات الأسرية لتكون اسرا زواجية مستقلة ، الا ان قوة العلاقات مازالت قائمة . فلم يكن الانشطار الأسرى مظهرا للانقسام والتفكك انما كان استجابة لضرورات اقتصادية واسرية ومكانية .

وتبدو وحدة الجماعة فى محاولتها ان تكون جماعة مرضية بالنسبة لأفرادها تتمتع بالاكتفاء الذاتى فى مجالات متعددة ، فالزواج الداخلى يفرض حدودا حول الجماعة لكى لا تتداخل — على الأقل فى هذا المجال — مع المجتمع المحيط . وتبيح الجماعة للفرد الغجرى الزواج الثانى والثالث بسرعة فى حالة حدوث الطلاق او الوفاة للقرينة لكى تمنع التفكك الذى قد يأتى من الانحراف او قد يأتى من تناول سمعة غير المتزوج (خاصة الأرملة او المطلقة) . وهكذا ففى مقابل سماح الجماعة بالطلاق فانها ابتدعت حلولا للمشكلات الناجمة عن قبول الطلاق بسهولة . فقد ابتدعت الجماعة ما يمنع التصدع الناتج عن ذلك بالسماح بالزواج الثانى — كما ذكرنا — كما ابتدعت نظام التكافل الاجتماعى لرعاية اولاد الزواج الأول والذين يمكن أن يشكلوا بؤرة انحرافية . بالاضافة الى ذلك فان سهولة قبول الطلاق كانت تتطلب سهولة الزواج الثانى لكى لا تحدث مشكلات او انحرافات فى الجماعة .

اما قدرة الجماعة على ان توحد نفسها وتكفى نفسها ماديا فيتمثل فى نسق الدفع ونظم المساعدات المادية . ونسق الدفع هو اولا وأخيرا نظام للتعاون المادى والتسديد على اقساط . ووظيفته توحيد الجماعة حول بعضها بعضا بالزام مادى يفوق فى قدرته على الاجبار اعتبارات وجدانية . ويعد انتظام الجماعة حول القاعدة التى وضعتها التزاما ايجابيا بدرجة عالية .

مما سبق يمكن القول بان العلاقات الأسرية والتكافل الاجتماعى والمادى يعكس لنا تماسك الجماعة الغجرية على المستوى المادى والروحى ، ويبقى غير الغجر مستبعدين من نسق التعامل الأساسى .

ونحن نجد انفسنا ازاء موقف محير لجماعة يتميز تكاملها مع المجتمع بسمات خاصة :

●● فالجماعة تتداخل وتتكامل مع المجتمع فى كثير من الجوانب الرسمية ، والاقتصادية ، ولكنها تفضل أن تبقى فى جوانب اخرى معزولة ومتميزة . وبعيدة كل البعد عن الرغبة فى تحقيق اى اندماج . كما أن المجتمع

المحيط بها يقبل الغجر كجماعة مستقرة ، وكجماعة متمثلة وممارسة لكثير من جوانب ثقافية ، وكجماعة منتفعة من الوجود فى البيئة عن طريق احتكارها ، ويعترف بهم على المستوى الرسمى كمواطنين متساويين فى الحقوق والالتزامات ، ولكنه ينكر عليهم ذلك على المستوى غير الرسمى .

والموقف الآن هو أن كلا من الغجر وغير الغجر يسهمون فى بقاء الغجر فى وضع هامشى معوق للتكامل ، فغير الغجر ينظرون الى الغجر نظرة ادنى مرجعها الاحساس القوى عند اعضاء المجتمع بان الغجر جماعة دنيا ، والاحساس القوى عند الغجر بالهوية والتميز ، وانتشار مفهوم عن انفسهم قوامه الاستعلاء وادراكهم لمفهوم الآخرين ذلك الذى يتضمن الازدراء .

●● وقد كان هذا العامل أشد قوة من عوامل اخرى كان يفترض أن تؤدى الى التكامل . فهناك الكثير من مواقف التفاعل والتمثيل الثقافى وأن توحد القانونى الرسمى مع المجتمع . وهذه كان ينتظر ان تؤدى الى الاندماج ، ولكنها لم تقو امام التصورات النمطية التى تسود لدى كل من الفريق الآخر ، ونظرة الاستعلاء والازدراء التى تؤثر على العلاقات بين الجماعتين . ذلك أن التصورات لدى غير الغجر عن الغجر كانت من القوة بحيث أدت الى انماط من التحيز والتجنب والابتعاد عن جماعة تشترك معهم فى الدين والقومية ، وتتكلم نفس اللغة ، وتعيش معهم فى نفس الاقليم ، وتقدم لهم خدمات .

●● كذلك كان مفهوم الغجرى عن نفسه وعن غيره ، وادراكه لتصور غير الغجر عن طابع شخصيته مؤثرا على علاقاته مع غير الغجر ، ودافعا قويا للجماعة لكى تفرض حدودا حول نفسها .

ثانيا — ما يتعلق بتكامل جماعات الغجر فى مصر :

اتضح من الدراسة السابقة (فى الباب الثانى والثالث) أن جماعات الغجر فى مصر لا يمثلون جماعة واحدة بل جماعات متعددة وتختلف فى درجة قربها وبعدها عن المجتمع الأساسى . فهناك جماعات بلغت درجة عالية من التكامل بينما ظلت جماعات اخرى تصر على موقف غير قريب من جسم المجتمع

الأم على الرغم من ان كل الجماعات الغجرية تعيش فى حضن المجتمع من حيث البعد المكانى فهى كلها جماعات ليست معزولة جغرافية . ويتطلب بحث كيفية تحقيق اكبر قدر من التكامل بالنسبة لكل جماعة ان ندرس الجماعة نفسها من حيث تركيبها وعلاقتها بالمجتمع الكبير . وبناء على ذلك فاذا كانت هناك دراسات قد اجريت على التكامل الاجتماعى لجماعة غجرية خارج مصر ، واذا كان المهتمون بالغجر قد قدموا حلولا لمشكلات اندماج الغجر مع الشعوب التى يعيشون بينها ، فيجب أن نضع فى اعتبارنا ان اجراء اية دراسات على غجر مصر او اقتراح اية حلول لمشكلات الاستقرار والتكامل لا يجب ان تتشابه بالضرورة مع تلك التى اجريت او اقترحت لحل مشكلات الغجر فى بلاد اخرى ، ذلك ان الخلفية الحضارية والاقتصادية والثقافية لغجر بلادنا وعلاقاتهم مع المجتمع الأساسى تختلف اختلافا بينا عن تلك التى لغجر هذه البلاد . من هذا نجد ان ديناميات تكامل جماعات الغجر فى مصر تختلف اختلافا بينيا عن ديناميات وظروف تكامل جماعات اخرى .

وعلى سبيل المثال :

١ ـ لا تتناسب مختلف اجراءات القمع التى اتخذت ضد الغجر فى بلاد اخرى مع غجر مصر لتحقيق استقرارهم وتكاملهم :

واذا كانت هذه الاجراءات قد نشلت فى توطين غجر مناطق اخرى ، فهى منهج لا يجب ان يحتذى به .

٢ ـ لا تتناسب فكرة انشاء معسكرات او اماكن خاصة لاقامة الغجر مع الوضع الراهن لجماعات الغجر فى مصر :

فهى فكرة لا تؤدى الى التكامل بل الى عكس التكامل (٢٢) . ذلك انه

(٢٢) واجهت فكرة انشاء معسكرات للغجر صعوبات متعددة فى البلاد التى نفذت فيها . ففى انجلترا على وجه الخصوص نشأت صعوبات خاصة باختيار المواقع وكيفية نقل الغجر اليها . وقد اتخذت بعض السلطات =

بالاضافة الى ان تحديد اماكن خاصة لاقامة الغجر فيها يعتبر صورة من صور القمع التى لا تقود الى التكامل ، بل الى التقوقع ، فان ذلك يؤدى الى خلق مشكلات جديدة لم تكن موجودة خاصة باختلاف مستوياتهم ، وطبيعة اعمالهم ، ومشكلات اخرى تتعلق بالتكيف . وسيؤدى اختلاف الاهتمامات والمصالح الى حالة يعجز فيها جهاز التخطيط والادارة عن الوفاء بالمطالب المتعددة .

بالاضافة الى ذلك فان انتشار الغجر فى قرى ومدن مصر قد ادى الى بلوغهم درجات مختلفة من التكامل مع المجتمعات المحيطة . وعلى العكس من ذلك تؤدى فكرة تجميعهم فى اماكن محددة الى اضعاف علاقتهم مع الجماعات غير الغجرية ، والتقليل من درجة تكاملهم . واذا كان قد اتضح من الدراسة السابقة ان التصورات النمطية السائدة لدى أفراد كلا الجماعتين تلعب دورا هاما فى تعويق التكامل فان تحديد سكنى الغجر فى أماكن خاصة يؤدى الى المبالغة فى التصورات السائدة والمعوقة للتكامل .

٣ ـ ان كثيرا من الخطط والقوانين التى وضعت لتنظيم الغجر فى بلاد اخرى لا تتناسب مع وضع الغجر فى مصر :

فقد ظهرت فى بلاد اخرى كثير من القوانين المنظمة للغجر ، والتى تجبرهم فى بعض الأحيان على قبول الخطة التى وضعت من أجلهم ــ على الرغم من انها قد لا تكون مناسبة بالنسبة لهم ــ وتنفيذ ما صدر بشأنها من قوانين . بل ان فكرة اصدار قوانين وتشريعات خاصة بالغجر فكرة

= المحلية هذا المشروع فرصة لطرد الغجر من الأماكن التى استقروا فيها . ولم يستفد من هذه المعسكرات الا القليل من الغجر . وواجه الغجر الكثير من الضغوط والوان التحيز لاجبارهم على البقاء فى المعسكرات ، مما اضطر وزير الاسكان والحكومة المحلية الى اصدار اعلان سنة ١٩٦٢ الى السلطات المحلية لاستخدام الحكمة والعدل . انظر :

Gypsies : Fellow. Travellers; Economist., 47., 1962., p. 609.

What Care I. ? Economist., 19., 1961., p. 1009.

لا تخدم تكاملهم مع المجتمع خاصة وان خضوعهم الرسمى للقانون المصرى يجعلهم يحتسبون ضمن بقية سكان المجتمع المصرى . وهذه المساواة القانونية الرسمية خلفية ايجابية يمكن ان تساعد على اندماج هذه الجماعات دون معوقات .

٤ ــ لا تخدم فكرة التجمع القومى للغجر (٢٣) التى يتزعمها بعض المهتمين بشئون الغجر فى اوربا اليوم فكرة التكامل بالنسبة لغجر مصر :

ويلاحظ ان هناك اعتراضات كثيرة على الفكرة نفسها . وهى لا تعتبر فكرة نابعة من الغجر بقدر ما هى نابعة من بعض المتحمسين للغجر ، والذين يرون فى انفسهم صلاحية قيادة حركة قومية عالمية ، وزعامة شعب بلا زعامة . وهى بهذا ليست وليدة احساس مشترك بين جماعة تنتشر فى العالم ، ولكنها فكرة مصطنعة تهدف الى خلق هذا الاحساس الأمر الذى سيخلق مشكلة اجتماعية لجماعات طالت فترة معيشتها فى وسط شعوب أخرى (٢٤) .

وبالنسبة لغجر مصر ، فانه ليس لديهم هذا الاحساس بالقومية الغجرية ، بل انهم يحاولون ــ كما اوضحنا ــ تأكيد انتمائهم الى الجماعة المصرية ،

(٢٣) يتزعم فريق من المهتمين بشئون الغجر فى اوربا فكرة تجمع الغجر وتحقيق القومية الغجرية ويضم هذا الفريق بعض المشتغلين بالعمل الاجتماعى مع الغجر ، وقلة من الدارسين . وتلقى هذه الفكرة معارضة من كثير من المتخصصين فى دراسة الغجر . وبصفة عامة فان المناداة بفكرة التجمع القومى للغجر لن تخدم فكرة تكامل وادماج الغجر مع المجتمعات التى يعيشون فيها .

(٢٤) كنا نود ان نفرد مناقشة مطولة لهذه الفكرة التى تشغل بال الكثيرين خارج مصر ، ويمكننا ان نورد ايضا اسباب معارضتها فى ضوء خدمتها او تعويقها لعملية التكامل بين الغجر فى البلاد المختلفة ، ولكننا نشعر ان المجال لا يسمح بمناقشتها فى هذا الكتاب ، والمناقشة الواردة هنا مقصورة على توضيح العلاقة بين هذه الفكر وبين تكامل جماعات الغجر فى مصر .

وهذا ايضا اساس ايجابى هام يستطيع ــ رغم كل المعوقات ــ ان يسهم فى تكامل الجماعة .

ولكن هل معنى هذا الا يوجه للغجر اى اهتمام ؟ او ان يتركوا وشأنهم .
فى الواقع انه اذا كانت جماعات غجرية كثيرة قد حققت تكاملا مع المجتمع الذى تعيش فيه بطريقة تلقائية ودون تدخل عمدى من المجتمع ، فانه من المتوقع ان يستمر هذا التيار فى المستقبل فيؤدى الى مزيد من التكامل ، خاصة بالنسبة للجماعات التى لا تمارس الاجرام . ويعتبر النهوض بالمناطق الريفية ، والارتقاء بمستوى القرى التى يعيش فيها الغجر عاملا من عوامل تغيرهم ايضا . فتطور المجتمع الريفى سوف يؤدى الى تطور الغجر انفسهم .

غير انه يمكن الاهتمام باجراء البحوث العلمية التى يستفيد منها القائمون على التخطيط ووضع السياسة الاجتماعية . ويمكن ان يوجه الاهتمام الى هذه الجماعات على المستوى المحلى فى كل منطقة . وتعتبر تجربة التعليم التى قام بها المدرسون فى قرية شهبندر (٢٥) تجربة توضح نجاح الجهود المحلية التى تبذل مع الغجر . واذا كان التفاعل فى مجالات متعددة من النشاط الاجتماعى يمكن ان يؤدى الى مزيد من التكامل ، فان الحاجة ماسة الى حملة فعالة تساهم فى تغيير التصورات النمطية السائدة عند كلا الجماعتين عن بعضهما لكى تزول اقوى الحواجز التى تعوق الاندماج والتكامل .

(٢٥) انظر الجزء الخاص بالتعليم فى فصل الثقافة والتعليم فى الباب الأخير .

قراءات مقترحة

— Anastas (Father, The Garmelite.,
The Nawar or Gypsies of the East., Journal of the Gypsy Lore Society (New Series), vol. VII, No. 4., 1913-1914.

—— The Nawar or Gypsies of the East., Journal of the Gypsy Lore Society (New Series)' Vol. VIII, No. 2 1914-1915

—— The Nawar or Gypsies of the East., Journal of the Gypsy Lore Society (New Series)' Vol. VIII, No. 4., 1914-1915.

Baldensperger P.,
Woman in the East., Palestine Exploration Fund (Qualerly Statment)., London., 1910.

Bataillard P.,
Egyptian Days., Journal of the Gypsy Lore Society., Vol. 1., No., 6; Oct. 1889.

Black F. G.,
A Gypsy Bibliography., London 1914.

Burton R.F.,
The Jew, the Gypsy and El Islam., Hutchinson and Co. paternoster Row, London, 1898.

Charnock R.S.,
On the Gypsy Dialect Called Sim., Anthropologia., Vol. 1., 1875.

Encyclopedia of Islam.,
«zutt», «Nuri», (Ghagar)., Luzac. Co., 1934, 1936, 1965.

Etudes Tsiganes.,
Egypt. Sept. 1974.

Felkin R.W.,
Central African Gypsies, Journal of the Gypsy Lore Society., Vol. 1., No. 4., April 1889.

Kenrick D.,
Romanies in the Middle East., ROMA (Unpublished Article).

Kremer, A.U.,
Aegypten. Forschungen uber land und volk Wahrend eines Zehniahrigen aufenthalts., Leipzig : F.A. Brockhaus. 1863.

——— The Gypsies in Egypt., Anthropological Review., vol. 2., 1864.

Lane W.,
The Manners and Customs of Modern Egyptians., London., 1923.

Leland G.C.,
English Gypsies and their Language., London 1873.

Martin W.J.,
Arabic Listener, «Review»., Journal of the Gypsy Lore Society., Vol. xxvi. No. 3-4.

Newbold - F.R.S. (Captain).
The Gypsies of Egypt., Journal of the Royal Asiatic Society., Vol. 16., London, 1856.

Pettermanns M.,
Die Zigeunen in Egypten. 1862.

Pincherle G.,
Zigeuner in Egypten., Ethnologische, Mitteilungen Aus (Budapest) Vol. 5, 1897.

Roberts, Sammuel.,
The Gypsies : Origin, Continuance, and distination., Fourth Edition; Longmans., London, 1836.

Sampson J.,
The Ghagar of Egypt : A Chapter in the history of the Gypsy Migration., Journal of the Gypsy Lore Society., ((Third Series); Vol. VII., No. 1., 1928.

Sinclair A.T.,
Tattoowing — Oriental and Gypsy., American Anthropologist., Vol. 10., No. 3., July-Sept., 1908.

Walker J.,
Gypsies of the Modern Egypt., Moslem World., 23 : J. 1933.

Ward G.,
Gypsies on the Nile in the Sixteenth Century., Journal of the Gypsy Lore Society., Third Series., Vol. XIII, No. 1., 1934.

Winsteadt E. Q.,

The «Mashaliyyah» of Egypt., Journal of the Gypsy Lore Society., New Series., Vol. 4., 1910.

سلسلة علم الاجتماع المعاصر

صـــدر منهـا :

ميادين علم الاجتماع : اختيار وترجمة الدكاترة محمد الجوهرى وعلياء شكرى ومحمود عودة ومحمد على محمد والسيد الحسينى ، **دار المعـــارف** ، الطبعة الخامسة ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

الكتاب الثانى :

نظرية علم الاجتماع : تاليف نيقولا تيماشيف ، ترجمة الدكاترة محمود عودة ومحمد الجوهرى ومحمد على محمد والسيد الحسينى ، **دار المعـــارف** ، الطبعة الثامنة ، القاهرة ، ١٩٨٣ .

الكتاب الثالث :

اساليب الاتصال والتغيير الاجتماعى : تاليف الدكتور محمود عودة ، **دار المعارف** ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

الكتاب الرابع :

تمهيد فى علم الاجتماع : تاليف بوتومور ، ترجمة الدكاترة محمـــد الجوهرى وعلياء شكرى ومحمد على محمد والسيد الحسينى ، **دار المعـــارف** ، الطبعة الخامسة ، القاهرة ، ١٩٨١ .

الكتاب الخامس :

مجتمع المصنع : دراسة فى علم اجتماع التنظيم : تاليف الدكتور محمد على محمد ، الهيئة العامة للكتاب بالاسكندرية ، ١٩٧٢ .

الكتاب السادس :

الصفوة والمجتمع : تأليف بوتومور ، ترجمة الدكاترة محمد الجوهرى وعلياء شكرى والسيد الحسينى ومحمد على محمد ، الطبعة الثانية ، **دار المعارف** ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

الكتاب السابع :

الطبقات فى المجتمع الحديث : تأليف بوتومور ، ترجمة الدكاترة محمد الجوهرى وعلياء شكرى ومحمد على محمد والسيد الحسينى ، الطبعة الثالثة ، **دار المعارف** ، القاهرة ، ١٩٨١ .

الكتاب الثامن :

علم الاجتماع الفرنسى المعاصر : تأليف الدكتورة علياء شكرى ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

الكتاب التاسع :

قراءات معاصرة فى علم الاجتماع : للدكاترة علياء شكرى ومحمد على محمد ومحمد الجوهرى ، الطبعة الثانية ، **دار الكتاب للتوزيع** ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

الكتاب العاشر :

دراسات فى التنمية الاجتماعية : تأليف الدكاترة السيد الحسينى ومحمد على محمد وعلياء شكرى ومحمد الجوهرى ، الطبعة الرابعة ، **دار المعارف** ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

الكتاب الحادى عشر :

مشكلات اساسية فى النظرية الاجتماعية : تأليف جون ركس ، ترجمة الدكاترة محمد الجوهرى ومحمد سعيد فرج ومحمد على محمد والسيد الحسينى ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٧٣ .

الكتاب الثانى عشر :

دراسات فى التغير الاجتماعى : الدكاترة محمد على محمد والسيد الحسينى وعلياء شكرى ومحمد الجوهرى ، دار الكتب الجامعية القاهرة ، ١٩٧٣ .

الكتاب الثالث عشر :

دراسة علم الاجتماع : اختيار وترجمة الدكاترة محمد الجوهرى وعلياء شكرى ومحمد على محمد والسيد الحسينى ، الطبعة الرابعة ، **دار المعارف** ، القاهرة ، ١٩٨٣ .

الكتاب الرابع عشر :

علم الاجتماع الريفى والحضرى : للدكتور محمد الجوهرى والدكتورة علياء شكرى ، الطبعة الثانية ، **دار المعارف** ، القاهرة ، ١٩٨٣ .

الكتاب الخامس عشر :

مقدمة فى علم الاجتماع : تأليف الكيس انكلز ، ترجمة وتقديم الدكاترة محمد الجوهرى وعلياء شكرى والسيد الحسينى ومحمد على محمد ، الطبعة السادسة ، **دار المعارف** ، القاهرة ، ١٩٨٣ .

الكتاب السادس عشر :

مقدمة فى علم الاجتماع الصناعى : تأليف الدكتور محمد الجوهرى ، دار الثقافة للنشر ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٩٨٣ .

الكتاب السابع عشر :

علم الفولكلور : الجزء الأول ، تأليف الدكتور محمد الجوهرى ، الطبعة الرابعة ، **دار المعارف** ، القاهرة ، ١٩٨١ .

الكتاب الثامن عشر :

النظرية الاجتماعية ودراسة التنظيم : تأليف الدكتور السيد الحسينى ، الطبعة الثالثة ، **دار المعارف** ، القاهرة ، ١٩٨١ .

الكتاب التاسع عشر :

مصادر دراسة الفولكلور العربى : اشراف الدكتور محمد الجوهرى ، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٨ ٠

الكتاب العشـــرون :

الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية : اشراف الدكتور محمد الجوهرى ، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٨ ٠

الكتاب الحادى والعشرون :

علم الاجتماع وقضايا التنمية فى العالم الثالث : تاليف الدكتور محمد الجوهرى ٠ الطبعة الثالثة ، **دار المعارف** ، القاهرة ، ١٩٨١ ٠

الكتاب الثانى والعشرون :

علم الفولكلور ، الجزء الثانى ، دراســة المعتقـدات الشعبية : تاليف الدكتور محمد الجوهرى ، الطبعة الأولى ، **دار المعارف** ، القاهرة ، ١٩٨٠ ٠

الكتاب الثالث والعشرون :

بعض ملامح التغير الاجتماعى الثقافى فى الوطن العـربى ، دراسـات ميدانية لثقافة بعض المجتمعـات المحلية فى المملكة العـربية السـعودية : تاليف ادكتورة علياء شـــكرى ، الطبعـة الثانية ، دار الثقافة للنشر ، القــاهرة ، ١٩٨٣ ٠

الكتاب الرابع والعشرون :

التراث الشعبى المصرى فى المكتبة الأوربية : تاليف الدكتورة علياء شكرى ، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٩ ٠

الكتاب الخامس والعشرون :

الاتجاهات المعاصرة فى دراسة الأسرة : تاليف الدكتورة علياء شكرى ، الطبعة الثانية ، **دار المعارف** ، القاهرة ، ١٩٨٢ ٠

الكتاب السادس والعشرون :

دراسات معاصرة فى علم الاجتماع : تاليف الدكتورة علياء شكرى ، دار المعـــارف ، القاهرة ، تحت الطبع ٠

الكتاب السابع والعشرون :

عادات الطعــام فى الوطن العربى : تاليف الدكتورة عليـــاء شكرى ، تحت الطبـع ٠

الكتاب الثامن والعشرون :

الفلاحون والدولة : تاليف الدكتور محمود عودة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٩ ٠

الكتاب التاسع والعشرون :

تاريخ علم الاجتماع : الجزء الأول تاليف الدكتور محمد على محمـد ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٧٩ ٠

الكتاب الثـلاثون :

علم الاجتماع والمنهج العلمى : تاليف الدكتور محمد على محمد ، الطبعة الثالثة ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٢ ٠

الكتاب الحادى والثلاثون :

أصول علم الاجتماع السياسى : تاليف الدكتور محمد على محمد ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٠ ٠

الكتاب الثانى والثلاثون :

جماعات الغجر مع اشارة لغجر مصر والبلاد العربية : تاليف الدكتور نبيل صبحى حنا ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ ٠

الكتاب الثالث والثلاثون :

الأنثروبولوجيـا : أسس نظرية وتطبيقـات عملية : تأليف الدكتور محمد الجوهرى ، الطبعة الثالثة ، **دار المعارف** ، القاهرة ، ١٩٨٢ .

الكتاب الرابع والثلاثون :

علم الاجتماع السياسى : المفاهيم والقضايا : تأليف الدكتور السيد الحسينى ، الطبعة الثانية ، **دار المعارف** ، ١٩٨١ .

الكتاب الخامس والثلاثون :

علم الاجتماع العسـكرى : التحليل السوسيولوجى لنسق السـلطة العسكرية : تأليف الدكتور أحمد خضر ، الطبعـة الأولى ، دار المعـارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

الكتاب السادس والثلاثون :

الفكر الاجتماعى : نظرة تاريخية عالمية ، تأليف هاينز موس ، ترجمة الدكتور السيد الحسينى والدكتورة جهينة سلطان العيسى ، الطبعة الثانية ، **دار المعـارف** ، القاهرة ، ١٩٨١ .

الكتاب السابع والثلاثون :

التنمية والتخلف : دراسة تاريخية بنائية ، تأليف الدكتور السـيد الحسينى ، الطبعة الثانية ، **دار المعارف** ، القاهرة ، ١٩٨١ .

الكتاب الثامن والثلاثون :

المدينـة : دراسة فى علم الاجتماع الحضرى ، تأليف الدكتور السيد الحسينى ، الطبعة الثانية ، **دار المعارف** ، القاهرة ، ١٩٨١ .

الكتاب التاسع والثلاثون :

النظرية الاجتماعية المعاصرة : دراسة لعلاقة الانسان بالمجتمع ، تأليف الدكتور على ليلة ، **دار المعارف** ، القاهرة ، ١٩٨١ .

الكتاب الأربعـون :

علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية : تأليف الدكتور أحمد زايد ، الطبعة الأولى ، **دار المعارف** ، القاهرة ، ١٩٨١ .

الكتاب الحادى والأربعون :

البناء السياسى فى الريف المصرى : تحليل لجماعات الصفوة القـديمة والجديدة ، تأليف الدكتور أحمـد زايد ، الطبعة الأولى ، **دار المعـارف** ، القـاهرة ، ١٩٨١ .

الكتاب الثانى والأربعون :

علم الاجتماع الأمريكى : دراسة لأعمـال تالكوت بارسـونز ، تأليف جى روشيه ، ترجمة الدكتور محمد الجوهرى والدكتور أحمد زايد ، الطبعة الأولى ، **دار المعارف** ، القاهرة ، ١٩٨١ .

الكتاب الثالث والأربعون :

البنائية الوظيفية فى علم الاجتماع والأنثروبولوجيا : المفاهيم والقضايا: تأليف الدكتور على ليلة ، الطبعة الأولى ، **دار المعارف** ، القاهرة ، ١٩٨١ .

الكتاب الرابع والأربعون :

علم الاجتماع والنقد الاجتماعى : تأليف بوتومور ، ترجمة الدكاترة محمد الجوهرى والسيد الحسينى وعلى ليلة وأحمد زايد ، الطبعة الأولى ، **دار المعارف** ، القاهرة ، ١٩٨١ .

الكتاب الخامس والأربعون :

الاقتصاد والمجتمع فى العالم الثالث : تحرير الن مونتجوى ، ترجمة الدكاترة محمد الجوهرى وعلى ليلة وأحمد زايد ، **دار المعارف** ، القاهرة الطبعة الأولى ، ١٩٨٢ .

الكتاب السادس والأربعون :

وقت الفراغ فى المجتمع الحديث : تاليف الدكتور محمد على محمد ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨١ .

الكتاب السابع والأربعون :

علم الاجتماع : تاليف جونسون ، ترجمة وتعليق الدكاترة علياء شكرى ومحمد الجوهرى وعلى ليلة وأحمد زايد وحسن الخولى ، تحت الطبع .

الكتاب الثامن والأربعون :

الريف والمدينة فى مجتمعات العالم الثالث : مدخل اجتماعى ثقافى ، تاليف الدكتور حسن الخولى ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، ١٩٨٢ .

الكتاب التاسع والأربعون :

المرأة المصرية بين البيت والعمل : تاليف الدكتور محمد سلامة آدم ، الطبعة الأولى ، **دار المعارف** ، ١٩٨٢ .

الكتاب الخمسون :

النظرية الاجتماعية فى الفكر الاسلامى : تاليف الدكتورة زينب رضوان ، **دار المعارف** ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢ .

الكتاب الحادى والخمسون :

نحو نظرية اجتماعية نقدية : تاليف الدكتور السيد الحسينى ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢ .

الكتاب الثانى والخمسون :

التغير الاجتماعى · اختيار وترجمة : الدكاترة محمد الجوهرى وعلياء شكرى وعلى ليلة ، **دار المعارف** ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢ .

الكتاب الثالث والخمسون :

النظرية الاجتماعية ودراسة الأسرة : تاليف الدكتورة سامية الخشاب ، الطبعة الأولى ، **دار المعارف** ، القاهرة ، ١٩٨٢ .

الكتاب الرابع والخمسون :

البناء الاجتماعى والثقافة فى مجتمع الغجر : دراسة أنثروبولوجية لتاثير البناء والثقافة والشخصية على التكامل الاجتماعى ، تاليف الدكتور نبيل صبحى حنا ، الطبعة الأولى ، **دار المعارف** ، القاهرة ، ١٩٨٣ .

الكتاب الخامس والخمسون :

المجتمع والثقافة والشخصية : تاليف الدكاترة محمد على محمد وغريب سيد أحمد وعلى جلبى ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨٢ .

الكتاب السادس والخمسون : ـ

التصنيع فى الدول النامية ، ترجمة الدكتور السيد الحسينى ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢ .

الكتاب السابع والخمسون :

علم اجتماع الادارة ـ مفاهيم وقضايا ، تاليف الدكتور عبد الهادى الجوهرى ، **دار المعارف** ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٣ .

الكتاب الثامن والخمسون :

دراسات فى علم الاجتماع الطبى ، للدكاترة محمد على محمد ، وعلى عبد الرازق حلمى ، وسناء الخولى ، وسامية جابر ، دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٣ .

الكتاب التاسع والخمسون :

نقد علم الاجتماع الماركسى : دراسة فى النظرية الاجتماعية ، تاليف بوتومر ، ترجمة وتعليق الدكتور محمد على محمد ، والدكتور على عبد الرازق وتعليق دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية ، ١٩٨٣ .

الكتاب الستون :

دراسات فى علم الاجتماع السياسى دكتور الهامى الجوهرى مكتبة نهضة الشرق – القاهرة ١٩٨٣

الكتاب الحادى والستون :

معجم علم الاجتماع ترجمة وتعليق دكتور عبد الهادى الجوهرى مكتبة نهضة الشرق – القاهرة ١٩٨٣

الكتاب الثانى والستون :

الشباب والمشاركة السياسية ، تأليف دكتور سعد ابراهيم جمعة ، الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٨٣ .

رقم الايداع ٨٣/٣٩١٢

الترقيم الدولى ٤–٥٦٦–٠–٢–٩٧٧

دار النضامن للطباعة
٢٦ شارع سامى - ميدان لاظوغلى
القاهرة - تليفون ٣٠٥٥٦